

مرآة الشمس

استعراض لأفكار الإمام الخميني «قُدْسِهِ»
من خلال أحاديث وبيانات سماحة حجة الإسلام والمسلمين
السيد أحمد الخميني

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني «قُدْسِهِ»
الشؤون الدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

بنفوس مفجوعة وقلوب أذابها الحزن والألم، نقف على أعتاب إحياء ذكرى رحيل الابن العزيز وتذكر الإمام الراحل سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

وبهذه المناسبة الأليمة ارتأت مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قده إصدار مجموعة مختارة من كتابات وحوارات وأحاديث هذا الحكيم العزيز - ضمن مساعيها لنشر تراثه القيم - ووضعها في متناول أبناء الأمة الإسلامية الذين يتطلعون للسير على نهج الإمام الخميني والتمسك بالإسلام الأصيل.

تمثل المجموعة أحاديث ونصوصاً صدرت عن الفقيه الراحل في مناسبات عديدة بما فيها مؤتمرات علمية وحوارات صحفية ولقاءات شعبية، عكست - إلى حد ما - مواقف هذا العزيز وآرائه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأخلاقية والفقهية، في مختلف مراحل تاريخ الثورة.

فالخدمات الجليلة التي أسداها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني لنضال الشعب الإيراني في مختلف مراحل، غير خافية على المجاهدين في سبيل الله ولن يطويها النسيان؛ إذ كان دوره (رحمة الله عليه) فريداً ومبتكراً في كثير من الأحيان، وتعبيراً صادقاً عن اعتزازه بالإسلام والإمام والثورة والنظام الإسلامي.

وهذا ما يؤكد أبناء شعبنا وأحرار العالم أجمع.

مثل حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني - بصفته وجه رؤوفاً صادقاً محبوباً، ومدر كلاً لآلام الناس ومعاناتهم - الصورة الحقيقية والصادقة التي تذكر بالمواقف التي حفلت بها حياة الإمام الخميني

الميمونة، طوال الفترة التي أعقبت رحيله. فلقد كان السيد أحمد في هذه الفترة التي لم تدم طويلاً للأسف، ومن خلال مواقفه وآرائه الحصيفة الثاقبة، حامياً حقيقياً للمستضعفين والمحرومين، وخادماً مخلصاً للثورة والنظام الإسلامي؛ وكان صدى صوته الشجي في حسينية جماران^١ - محل إقامة مؤسس الجمهورية الإسلامية - وفي كل مكان، يبعث السلوى في قلوب أبناء الأمة المفجوعة بإمامها.

كان كل هم السيد أحمد وهمته في الفترة التي أعقبت رحيل والده، مكرساً للإبقاء على وصايا معلّم الثورة الإسلامية وتوجيهاته الحكيمة، حية فاعلة، لكونها السراج المنير الذي يضيء الدرب للثورة الإسلامية. فكان دوماً وفي جميع المراحل إلى جانب ولي أمر المسلمين، حريصاً على العمل بوصايا الإمام الراحل؛ وكان يرى أهم واجباته الدينية والثورية ممثلة في ترسيخ أركان النظام الإسلامي وصيانة منجزات الثورة. إنه الخير الواثق والناقد الواعي الذي كان يثق به مسؤولو النظام وأبناء الشعب الإيراني النبيل على حد سواء.

لا شك أن اسم أحمد الخميني، الذي كان يذوب حباً وإخلاصاً للإسلام والإمام والثورة، ولم يغفل لحظة واحدة عن التفكير بالمحرومين والمستضعفين، سيبقى علامة فارقة في تاريخ الثورة الإسلامية، ويتبوأ الصدارة في طلائع نهضة الإمام الخميني، وفي تاريخ نضال طلاب الحرية. إنه تلميذ مدرسة الإمام الخميني؛ وإن أقواله وأفعاله ومواقفه ما

^١ بعد أن عاد سماحة الإمام الخميني قده إلى إيران عام ١٩٧٦م أقام في طهران مدة ٢٩ يوماً، ثم غادرها إلى قم فسكن فيها. وفي ١٩٨٠/١/٢٢م تعرّض لنوبة قلبية نقل على أثرها إلى مستشفى الأمراض القلبية بطهران، وبعد تحسّن صحته نسبياً سكن في منطقة جماران، عملاً بوصية الأطباء. وفي حسينية جماران كان الإمام الخميني قده يلقي خطابهات ويستقبل زواره المشتاقين إليه، الوافدين من مختلف الأماكن. ومع أن أكبر مرجع تقليد وأعظم قائد إسلامي معاصر قد نزل في هذا المكان، إلا أن بساطة الحسينية كانت تعبّر عن عمق اتّصاله بالله تعالى.

انفكت تذکر بوصایا الإمام الراحل وتعيد إلى الأذهان مبادئه ومواقفه. ومن هنا كان نشر أحاديثه والتعريف بمواقفه يمثل في الحقيقة نشرًا لتراث الإمام الخميني وتعريفًا بمواقفه.

أخيراً، ينبغي التنويه إلى أن ترتيب محتويات الكتاب لوحظ فيه تسلسلها الموضوعي. فكان أولاً البيانان اللذان أصدرهما سماحته بمناسبة الذكرى السنوية لرحيل الإمام، ثم الموضوعات الأخلاقية والعرفانية، وتلتها المسائل الفقهية والبحوث التربوية، وأخيراً الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية والتاريخية.

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ق.ش.م

نص الرسالة التي بعث بها الإمام الخميني قدس سره جواباً على رسالة
حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني بشأن تنظيم وتدوين
المستندات والوثائق العائدة لسماعته.

بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز أحمد حفظه الله تعالى وأيده

نظراً لأنني أعدك - والحمد لله - من ذوي الرأي في الشؤون السياسية
والاجتماعية؛ وقد كنت وما زلت إلى جوارى في جميع الأحداث،
تتصدى بصدق وكياسة لشؤوني السياسية والاجتماعية؛ ارتأيت أن تتولى
الإشراف على تنظيم وتدوين كافة المسائل التي تتعلق بي، والتي ربما
أساءت فهمها وسائل الإعلام وحرفت ولحقت بها بعض الأخطاء، سائلاً
الله تعالى - المطلع على الخفايا - أن يوفقك. آمل أن تكرر وقتاً كافياً
لهذا المر وتنهيه على وجه الدقة.

والسلام عليكم

روح الله الموسوي الخميني

نص الرسالة التي بعث بها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني
إلى سماحة الإمام الخميني، ورسالة الإمام الجوابية

بسم الله الرحمن الرحيم

نظراً لأنني كنت دائماً الرابط والوسيط بين سماحتكم ومسؤولي النظام
وغيرهم، في الشؤون السياسية؛ ونظراً لأن أوامر سماحتكم كانت أحياناً
تتعامل بحزم مع التيارات الفكرية لبعض المسؤولين أو الفئات أو
الأشخاص، فكانت تؤوّل وتفسّر، وربما شكك بها بعضهم من أنها أحادية
الخبر^١ مثلاً، أو غير واضحة... إلى غير ذلك، فهل إنني أضفت أو حذفت -
ولو كلمة واحدة - أو حرّفت مما كنت تأمر به، سواء قبل انتصار الثورة أو
بعدها؟ وهل تقولت عليك - والعياذ بالله - ونسبت إليك ما لم تنطق به بالله -
ونسبت إليك ما لم تنطق به، أو أدّيت عملاً خلافاً لمرضاتك - لا سمح الله
؟ -

المخلص

أحمد الخميني

بسمه تعالى

أشهد بأنني لم أر من ولدي أحمد - وكان على صلة بشؤوني منذ أن
دخل معترك الأحداث وحتى كتابة هذه السطور - ما يعارض أوامري،
ولم يتدخل في البيانات والمنشورات ونظائرها دون علمي ورضاي، ولم
ينسب لي شيئاً خلافاً لأقوالي، وبصورة عامة لم أر منه مخالفة، ولكن

^١ خبر الواحد هو الخبر الذي لا يصل على حد التواتر، أي أن عدد ناقله ليس بذلك الحد الذي يفيد القطع واليقين.

ينبغي لأحمد أن يعلم بأن الذين يتصدون لمثل هذه الأمور الاجتماعية والسياسية، لاسيما أمثاله، لن يسلموا من الإساءة والافتراء عليهم؛ وينبغي له أن يتوكل على الله ويخلص في علاقته معه، ولا يخشى أو يهاب الإنسان الضعيف؛ لأن مكر الإنسان سريع الزوال وفانٍ كما هو الإنسان، وسنرحل إليه جلّ وعلا جميعاً، ونحن الآن في محضره المبارك أيضاً. والسلام على من اتبع الهدى.

أسأل الله تعالى أن يوفق المسؤولين والمنتسبين لي كافة لخدمة الخلق.

صفر ١٤٠٥

روح الله الموسوي الخميني

نص البيان الذي أصدره حجة الإسلام والمسلمين السيد احمد الخميني

بمناسبة رحيل مؤسس الجمهورية الإسلامية

بتاريخ ١٩٨٩/٦/٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا لله وإنا إليه راجعون

«يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي

فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي»^١

التحقت بالملكوت الأعلى الروح السامية لإمام المسلمين وقائد
الأحرار سماحة الإمام الخميني .. وتوقف عن النبض القلب المتيّم بحب
الله تعالى وعباده الصالحين المعذبين؛ بيد أن القلوب المفجوعة الذائبة
بحب الخميني ستبقى خفاقة إلى الأبد، وستزداد شمس قيادة الإمام إشراقاً
وسطوعاً في النفوس أكثر فأكثر.

إلهي! إذا كان هذا العبد المتيم قد التحق برحمتك وآلت أمواج بحر
قلبه العاشق إلى الاطمئنان والسكون على ضفاف الغربة؛ فأنت تعلم أن
هذه المصيبة العظمى جدّت في القلوب أمواج أحزان رحيل الرسول
الأعظم ﷺ، ولا يهدئ روعها سوى لطفك ومنك.

إلهي! أسالك وأقسم عليك بروح الإمام وأجداده، هذا الإمام الذي
أعاد إلى الشعب المظلوم الشجاعة والشهادة والعزة والرفعة في فترة هي
من أحلك فترات سيادة الاستكبار، أسالك أن تمن بالصبر والاستقامة على
قلوب عبادك الصالحين المفجوعة، الذين لم يتوانوا لحظة عن أداء حق
قيادة غمامهم العظيم.

^١ سورة الفجر، الآيات: ٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠.

كان الخميني روح الله في جسد الزمان، وروح الله خالدة. وقد مضت السنة الإلهية التي لا تقبل التغيير، بأن تشرق شمس الرجال العظام -الذين يمثلون مظهر الحقيقة - بعد رحيلهم، من أفق أسمى على سماء أرواح الباحثين عن الحقيقة، وتسمى أفكارهم وتطلعاتهم محط أنظار العالم.

وإن الخفافيش عمي القلوب، التي لا تقوى على رؤية الشمس، وبقيت في عالمها المظلم تتجرع مرارة انتظار غروب شمس الإمام، ستدرك اليوم خبر موتها الأبدي وهي تشهد قيامة الجماهير التي وهبت حياتها الغالية لقيادة الخميني الكبير الواهبة للحياة. وسيكون حب إمام الأمة المتقابل، الذي صنع أكبر ملاحم العصر، الضمان لمواصلة نهج الإمام وأهدافه السامية حتى ظهور المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف¹.

وإن الأمة الصامدة تشهد اليوم استجابة دعائها الدائم في الحفاظ على الثورة الإسلامية العظمى، التي مثلت ثمرة حياة الإمام الخميني المباركة. وسيتواصل خفقان قلب الإمام مع تنامي انتفاضة المستضعفين الموحدين والمحرومين المنادين بالعدالة، الذين طالما تلوّت السياط على ظهورهم، والذين لم يغفل إمامنا لحظة واحدة عن التفكير بهم. والمحرومين الذين استعادوا كرامتهما المهدورة بوحى من صرخة إمامهم بوجوه أصحاب قصور الكفر والظلم.

ستبقى شمس الإمام الخميني ساطعة إلى الأبد من مرآة الإسلام المحمدي الأصيل، وكان قده أكثر المناادين به وعياً وأشجعهم على صفحات التاريخ.

¹ هو الإمام الثاني عشر للشيعة؛ ويعد الجهاد الشامل الذي يخوضه الإمام المهدي (عج) عند ظهوره، آخر حلقات جهاد أهل الحق ضد الباطل، مما يعني استمرار جهادهم على مر التاريخ وتزايد مقومات انتصار الحق يوماً بعد آخر حتى قيام المهدي الموعود (عج) الذي يكمل ذلك الجهاد بالنصر النهائي، فتبزغ حينئذ شمس العدل والحق في سماء البشرية، ويصل الإنسان إلى مرحلة النضج الفكري والمعنوي والاجتماعي.

وستتبدد سحب العجز والضياع من سماء قلوب حفاة الأرض؛ ويمسي الصراع الأزلي بين الفقر والغنى، والإسلام والكفر، والعدالة والظلم؛ أكثر حدة وإثارة.

ستواصل قيادة الإمام الخميني انطلاقاً من حوزات العلوم الإسلامية، وسيضمن العرفاء والحكماء والفقهاء، ممن يختزنون الوحي الإلهي في صدورهم، خلود فكر الإمام، ويعملون على التعريف بالإسلام بصفته دين الإنسان في كل العصور والأزمان، ولا يألون جهداً في درء صدهم الخرافة والجمود عن أجواء الحوزات العلمية المقدسة.

كما سيتواصل نهج الإمام وفكره بعظمة أكبر تتجلى في الوجه المظلوم للجمهورية الإسلامية التي أضحت اليوم موطن الإسلام الحقيقي وقاعدة النضال الذي لا يقهر ضد الكفر والنفاق والإسلام الأمريكي.

إن الكيان السامق لتعبئة المستضعفين^١، التي تعد أحد أكثر جيوش التوحيد شعبية على مر التاريخ، يقف اليوم كالطود الأشم شامخاً شموخ تاريخ الثورة التوحيدية للإنسان، في مواجهة دسائس ومؤامرات أعداء الإمام والإسلام.

^١ عندما شنّ النظام البعثي العراقي عدوانه على الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ١٩٨٠/٩/٢٢م كانت قوات الجيش هي القوة المنظمة الوحيدة التي بإمكانها التصدي للهجوم العسكري العراقي الواسع. وهذه الحرب المفروضة التي استمرت ٨ سنوات، فضلاً عن أنها أدت إلى تشكّل وانتظام حرس الثورة الإسلامية، فقد تمخض عنها أيضاً انضواء القوات الشعبية تحت تشكيل منظم يدعى «تعبئة المستضعفين» ويضم هذا التشكيل بين صفوفه عدداً كبيراً من الشباب والفتيان الذين في مقتبل العمر فضلاً عن الشيوخ الطاعين في السن. ويلزم دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية الحكومة أن توفر - إلى جانب الجيش وقوات الحرس الثابتة - الخطط والإمكانات التدريبية والعسكرية التي تمكن كل أبناء الشعب من الدفاع المسلح عن البلاد ونظام الجمهورية الإسلامية في كل حين. ويسعى الشعب الإيراني من خلال انخراطه في صفوف التعبئة أن يخلق قوة عظيمة تدعى «جيش العشرين مليون». وهو من ابتكارات سماحة الإمام الخميني رحمته الله.

وسيكون الساعدان المسلحان المقتدران للشعب - أي قوات حرس الإسلامية وجيش الإسلام المدعاة للفخر والعزة - اللذان استمدا القوة والعزة والخلود من دعم الإمام ورعايته المتواصلة لهما؛ الضمانة الأكيدة لاستمرار قيادة الخميني ومواصلة نهجه الواضح حتى ظهور بقية الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولا يخفى أن الأعداء ذوي القلوب المظلمة ممن كانوا يرون موتهم في حياة الإمام - فضلاً عن أنهم غافلون عن حياة الإمام الخالدة - سوف لا يكفون عن التهديد والتآمر. ولكن ليكونوا على ثقة من إنهم سيواجهون المصير نفسه والاندحار ذاته، بفضل وجود شعب واع تربي على أيدي الإمام الخميني الكريمة؟ فإذا ما غاب جسد الإمام من بين ظهراني أبناء الأمة، فإن حضوره المعنوي المقدس متواصل في مسيرة ثورة الإسلام العالمية .. الثورة التي امتدت إلى خارج حدود إيران السخية بالشهداء، ودقت ناقوس موت الاستكبار لاسيما الشيطان الأكبر^١، ليس فقط في فلسطين المحتلة ولبنان وأفغانستان وباقي الأراضي الإسلامية؛ بل وفي عقر دار الكفر العالمي أمثال بريطانيا.

إن قائد ركب الثورة الإسلامية الذي أوفى بعهده مع ربه، يقف في محضر الحق تعالى مرفوع الرأس في طليعة قافلة شهداء الثورة المقدسة، يستعرض حركة النهضة الإسلامية التي لا تقهر، والتي ابتدأت بقيادته منذ الخامس من حزيران عام ١٩٦٣م^٢ وستواصل بإذن الله تعالى حتى ظهور

^١ في ثقافة الثورة الإسلامية الإيرانية تدعى أمريكا بالشيطان الأكبر، وذلك لما تميّزت به من خبث وما ارتكبه من جرائم، وأول من استعمل هذا المصطلح للتعبير عن الخصائص الشيطانية والاستكبارية للحكومة الأمريكية، هو الإمام الخميني قده.

^٢ لكي يحول نظام الشاه دون توسع رقعة النهضة التي فجرها الإمام الخميني قده لم يجد أمامه من طريق سوى إلقاء القبض على الإمام واعتقاله. وقد اتخذ النظام هذا القرار بعد دراسات كثيرة ومشاورات مع حماة الغربيين، واقتحم جلاوزة الشاه منزل هذا الرجل العظيم في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ليلة الخامس عشر

الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ويدعوا أبناء الشعب للحفاظ على الأخوة والتمسك بالوحدة والتمحور حول أهداف الثورة الإسلامية ومصالحها، وعدم الاستسلام أمام ضغوط الأعداء ومؤامراتهم؛ ويرجو أن يخيبوا ظنه في الذود عن الإسلام ومناصرة الثورة الإسلامية.

أخيراً اعزي ولي الله الأعظم حضرة الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف، والشعب الإيراني العظيم صانع الأبطال، وجميع المسلمين والمستضعفين في العالم بهذه الفاجعة الأليمة، سائلاً الله تعالى أن يوفقنا جميعاً للذود عن أفكار الإمام السامية ومواصلة طريقه ونهجه.

أحمد الخميني

من خرداد (١٩٦٣/٦/٥)م ونقلوه إلى طهران، وذاع خبر اعتقال سماحة الإمام عليه السلام في سائر أرجاء البلاد خلال فترة قصيرة، ونزل الشعب على الشوارع مع الساعات الأولى لصباح الخامس عشر من خرداد، وأقام التظاهرات الاحتجاجية، وشهدت مدينة قم أعظم تلك التظاهرات حيث استشهد فيها عدد كبير من أبناء الشعب بعد تدخل قوات الجيش. وأخذ يزداد قمع المتظاهرين يوماً بعد آخر عند إعلان الأحكام العرفية في طهران، وقام جلادو الحكم العسكري بقتل آلاف الأبرياء، وكانت كارثة الخامس عشر من خرداد مروعة إلى درجة أن أصداءها عبرت الحدود الإيرانية، ولم يستطع الشاه أن يعتم عليها رغم ما كان ينفقه سنوياً من ملايين الدولارات على إعلامه. وبعد انتصار الثورة الإسلامية، أعلن سماحة الإمام الخميني عليه السلام خلال بيان أصدره عام ١٩٧٩م بمناسبة ذكرى الخامس عشر من خرداد، أن يوم الخامس عشر من خرداد هو فجر الثورة الإسلامية، وأن هذا اليوم سيظل يوم حداد عام إلى الأبد.

نص البيان الذي أصدره فضيلة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني

بمناسبة المشاركة الجماهيرية الواسعة في مراسم الذكرى السنوية الأولى

لرحيل مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران سماحة الإمام الخميني

بتاريخ ١٩٩٠/٦/٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مرة أخرى يشهد العالم مواقف الحب والولاء التي جسدها الشعب الإيراني وجميع مسلمي العالم الأحرار، تجاه إمامهم ومقتداهم.

إن مشاركة الشعب المسلم الفريدة الرائعة، في مراسم الذكرى السنوية الأولى لرحيل المنادي الكبير بالإسلام المحمدي الأصيل، أعادت الأمل في اقتدار الشعب ومواصلته لصراطه المستقيم حتى تحقيق كل أهدافه وتطلعاته الربانية.

إن ما حفلت به هذه المراسم من مشاركة الحشود العظيمة والأمواج البشرية المعزية، وسيل الدموع التي ذرفت، وآهات وأنين المفجوعين من عشاق الخميني، التي كانت تتعالى في حسينية جماران والأزقة المحيطة بها وإلى جوار المرقد الطاهر لهذا العزيز؛ وكذلك الإيقاعات الحزينة وأصداء الطبول، واهتزاز الأعلام والرايات السود في كل نقطة من البلاد الإسلامية؛ كل ذلك يحكي حديث الحب والوفاء.. الوفاء لرجل شجاع كانت صرخته ونهضته من أجل الله، وحياته ومماته في سبيل الله؛ ولم يكن يشغله شيء غير رضا الله تعالى، وليس له هدف غير سيادة دين الله.

إمام وضع نصب عينه - اقتداء بالرسول الأعظم صلوات الله عليه - الأمر الإلهي: «فاستقم كما أمرت»^١، سواء خلال فترة النضال والنفي والغربة، أم في ذروة الاقتدار والسلطة. لم يكن ينطق بغير الحق دون أن يعبأ بتبعة ذلك.

^١ الآية ١١٢ من سورة هود.

كان مع المؤمنين بحراً من الرأفة والمحبة، وفي مقابل الطغاة والظلمة والمستكبرين بركاناً من الثورة والغضب، عظيم بدد ظلمات الجور الشاهنشاھي بنور الحكومة الإسلامية لیسطع على ربوع الوطن الإسلامي؛ ومنح المجتمع الإسلامي المشتت، الوحدة والاقتدار والعظمة. وفصح الوجه الخادع للجمود والقداسة المزيفة والزهد السلبي، عبر أقواله وأفعاله وسيرته في الحوزة العلمية وفي حياته العامة. كما أنه رسم الحد الفاصل بين صفوف المنادين بالإسلام الحقيقي وحماة الإسلام الأميركي؛ ونفض غبار السنين عن الهوية الحقيقية للمفاهيم والقيم والشعائر الإسلامية بدءاً بالعبادة ومروراً بالتقية والصبر والرضا وانتهاءً بالسياسة والحج والجهاد، وأخرجها من بين أقااض الخرافة والتحريف ليضعها بين أيدي المجتمع الإسلامي المتعطش للحقيقة، مفعمة بالمعاني السامية والأصالة والحركة كما جاء بها الرسول الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار علیہم السلام. ومن خلال ذلك استطاع أن يقدم الإسلام بوصفه دين الحياة، والدين الوحيد القادر على إنقاذ البشرية من الأنفاق المظلمة التي ترزح فيها في زمن سيادة الرأسمالية والشيوعية؛ ويبشّر بانھیار النظام العالمي ثنائي القطب وتقهقر حاكمية الاستكبار في ظل نهضة الشعوب. وفي كل ذلك كان سلاحه التوكل على الله سبحانه والاعتقاد بالقلوب المؤمنة الباحثة عن الحق والحقيقة.

وفي حديثه إلى المحرومين والمستضعفين، كان يعلن صراحة بأن شعرة واحدة من جسد ساكن الأكواخ الملتزم أعز وأغلى لديه من جميع سكنة القصور الذين لا يعرفون معنىً للألم. وكان يدعو إلى استمرار الحرب المقدسة بين الفقر والغنى حتى تحقيق العدالة الاجتماعية.

إن الكوثر المتدفق الذي خلفه الإمام الراحل يزخر بالآلئ الغالية والمبادئ الخالدة أبداً، وسيقتدي بها السائرون على نهجه والمواصلون لطريقه دوماً.. وأن الشجرة الطيبة التي غرسها في أرجاء وطننا الإسلامي بجهوده وجهاده، ستكون أكثر إيناعاً مع مرور الزمن؛ وسيصبح نظام الجمهورية الإسلامية، بعون الله وهممة الغيارى من أنصار الخميني، أسوة وقدوة للشعوب الإسلامية الرازحة في الأسر.

رغم كل الصعاب والمعضلات التي تعترضها؛ وبذلك يزيد من شقاء مستكبري العالم ويأسهم، الذين انتظروا بفارغ الصبر أقول عصر الخميني برحيله، وما زالوا يواصلون تكرار تجاربهم الخائبة كلما تعاظمت الثورة وتوطد النظام.

لقد أظهر للعيان الأمواج البشرية الثائرة التي احتفت بذكرى رحيل الإمام الخميني قده، إن مبدأ اللا شرقية واللا غربية، ودعوة الشعوب للنضال من أجل استقلالها وحريتها، والعودة إلى ذاتها وهويتها الإسلامية، والعمل على توحيد صفوف الأمة الإسلامية في مواجهة المستكبرين، وتشكيل خلايا حزب الله للمقاومة في مختلف أنحاء العالم للوقوف بوجه مؤامرات أعداء الإسلام، وأخيراً صرخة الموت لأمركا؛ ستبقى كما في السابق شعار أبناء شعبنا الواعي وجميع أتباع الخميني في شتى بقاع الأرض؛ وستبقى إيران الإسلامية كما هي عليه الآن، قاعدة لحماية المحرومين والمظلومين، والمدافع الأول عن مسلمي العالم الثوريين.

إن حضوركم الرائع هذا يا أبناء الشعب، بعد مرور عام على غياب شخص الإمام، يشير بوضوح إلى أن طريق الإمام الخميني قده سيتواصل حتى ظهور محقق العدالة العالمية المهدي الموعود - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وستبقى راية الخميني الخفاقة مرفوعة عالياً بأيدي محبيه في سماء إيران الإسلامية حتى ذلك اليوم الموعود.

إن المشاهد التي رأيناها خلال هذه الأيام، سواء في حسينية جماران التي تثير الشجون، واستنشاق عبير الإمام المطمئن للقلب، أو زيارة المرقد الطاهر لإمام العارفين؛ لم تجسد فقط للحزن والعزاء واللوعة، وحرقة القلوب المفجوعة بالفراق؛ بل أوضحت للعالم بلغة الدمع والحزن والعواطف، بأنه إذا ما اقتضت المشيئة الإلهية بأن تحدّق هذه الجموع في قامة الخميني الباسقة واشراقة وجهه وهو موسد في قبره، وأن تودّع إمامها بحيرة وذهول وألم؛ فإنها غير مستعدة للتخلي عن أهدافه وتطلعاته مطلقاً. إن هذه الجموع البشرية المحتشدة جاءت لتقول لقادة الثورة ومسؤولي النظام، بأنها باقية على العهد وفية وستبقى صامدة رغم كل الصعاب حتى تحقيق أهداف الإمام كلها.

جاءت جموع أبناء الشعب لتعبر عن ولائها الصادق لروح الله، وتعلن عن وفائها لمبدأ الثورة الإسلامية المكين، ألا وهو مبدأ ولاية الفقيه، وتمسكها بطاعة ولي أمر المسلمين وإتباع أوامر قيادة الثورة.

جاءت لتعلن للشائر الكبير ونصير الإمام الوفي¹ رئيس الجمهورية المحترم وحكومته المتفانية، بأنها إذا ما كانت حتى الأمس القريب تدفع بأعزتها بكل إخلاص على جبهات القتال لردع العدوان، بمجرد إشارة بسيطة من غمامها وقائدها، وأنها وبأمر من هذا العزيز واستجابة لطلبه شمّرت عن ساعد الجد والاجتهاد لإعادة اعمار البلاد وانطلقت للعمل والإنتاج؛ فإنها اليوم تقف رهن إشارة القائد العزيز على أهبة الاستعداد للتضحية بصفوف كأنها البنيان المرصوص في شتى ميادين الثورة.

¹ المقصود به سماحة حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني رحمته الله.

إن مشاركتكم الكريمة يا أبناء الشعب، فراسم الاحتفال بذكرى رحيل إمامنا الفقيـد، جسدت بحق عمق كلمة قائد الثورة الإسلامية المعظم:

«الإمام الخميني قده حقيقة حياة خالدة .. طريقه طريقنا، وهدفه هدفنا. وتوجيهاته القيمة المشعل المضيء لدرابنا».

إن الأقلام والألسن والكلمات عاجزة عن التعبير عن سمو معاني الأخوة والصدق والصفاء والود والإيمان المتجسد في هذه المناسبة.

إنكم بدافع إصراركم على البقاء أوفياء للخميني، وبوحي من الإيمان والقناعة التي تتحلون بها تجاه نهجه وأهدافه؛ نزلتم إلى الساحة وتحملتم العناء بروح كبيرة، وذرفتم الدموع بمصاب هذا العزيز بحرقة وألم، وهتفتم بمواصلة نهج سيد الشهداء¹ على خطى إمامكم، وبذلك زرعتم اليأس في قلوب أعداء الإسلام والإمام، وجددتم العهد مع روح الله وأهدافه. آجركم الله، ولتحرسكم اليد الإلهية القادرة في مواصلة طريق الإمام.

في الختام أتقدم بالشكر للقائد المعظم سماحة آية الله السيد الخامنئي، على موقفه الواضح والصريح الذي جسده بوعيه الفذ، والبيان الذي أصدره، ومشاركته في هذه المراسم والكلمة التي ألقاها فيها، وتأكيده على مواصلة طريق الإمام في كل خطوة جديدة يقدم عليها النظام والثورة .. القائد الذي لم يتوان لحظة عن تجسيد الأهداف الإسلامية لإمامنا، والذي أعلن للعالم أجمع بأن عصر الخميني لن ينتهي، ولا بد للتضحية

¹ المقصود بخطط سيد الشهداء، الثورة التي فجرها الإمام الحسين بن علي عليه السلام ضد الحكم الفاسد ليزيد بن معاوية ونهجه الارستقراطي ونظام الحكم الوراثي المتعارض بشكل سافر مع المبادئ الإسلامية. وقد استشهد مع ٧٢ من أنصاره الأوفياء، ووقع أهل بيته أسرى بيد الأمويين، واتخذ المسلمون من النهج المشرف للإمام الحسين قدوة يحتذون به، ومن الإمام الحسين عليه السلام أسوة حسنة على مر التاريخ.

بالغالي والنفيس لتحقيق أهداف الإمام، وقد أبدى صموداً منقطع النظير في مقابل الاستكبار، وعلى رأسه أميركا.

كما أتقدم بالشكر للمراجع والآيات العظام، ورؤساء السلطات الثلاث المحترمين ومسؤولي النظام كافة، والفضلاء والمدرسين في الحوزة العلمية وأئمة الجمعة وطلبة العلوم الدينية وعلماء الحوزات العلمية وعوائل الشهداء والأسرى والمفقودين والمعاقين الكرام وسائر طبقات أبناء الشعب الإيراني العظيم، خصوصاً الأعزة من أبناء المحافظات والقوافل الذين قدموا إلى طهران من مختلف أنحاء البلاد.

كذلك أتقدم بالشكر للشخصيات السياسية والدينية الوافدة إلى بلدنا وكل عشاق الإمام العزيز في البلدان الإسلامية، الذين جسدوا من خلال البرقيات والرسائل وإقامة مجالس العزاء والمشاركة في المراسم، عظمة الإسلام الخالدة، وهدؤوا من روع الأمة الإسلامية المفجوعة وأنصار الإمام وأهل بيته والمقربين منه.

كما أتقدم بالشكر لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون وكافة الصحف التي سعت بكل جهدها في التعريف بمشاعر أبناء الشعب الصادقة ممن كان يسميهم الإمام بأولياء نعمته، كذلك لا يفوتني أن أشكر المسؤولين والعاملين على تجهيز الحرم المطهر وأعضاء اللجنة المسؤولة عن إقامة المراسم، وكل الذين لم يألوا جهداً في توفير مستلزمات إقامة مراسم الذكرى السنوية لرحيل سماحة الإمام الخميني قده وإخراجها بأبهى صورة وأسمى عظمة في داخل البلاد وخارجها.. أشكرهم جميعاً من صميم قلبي بكل تواضع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد الخميني

١٩٨٠/٦/٩

مقال بقلم حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني حمل عنوان:

«أيها الوالد، حامل لواء المذهب المظلوم»

بسم الله الرحمن الرحيم

«أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ»^١

في البدء ارتأيت أن أستهل مقالتي بنص من بيان للإمام يخاطب فيه أبناء الروحيين يقول: «إن ما عاناه أبوكم العجوز من هؤلاء المتحجرين، لم يعاناه مطلقاً من ضغوط الآخرين وأذاهم وشرورهم».

في الحقيقة إن من المؤلم الذي يفيد هذا النص هو موضوع هذا المقال الذي كتبته تلبية لرغبة عشاق الإمام ومريديه في رابطة نساء الجمهورية الإسلامية^٢ في ظرف تحضرني فيه ذكرى الفراق الأليم في

^١ جزء من الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

^٢ تنظيم يمارس مختلف النشاطات على الأصعدة السياسية والثقافية والاجتماعية. تأسست هذه الرابطة عام ١٩٨٧م. تتولى السيدة الدكتورة زهراء المصطفوي (ابنة سماحة الإمام) الأمانة العامة للرابطة منذ تأسيسها. والهدف من هذا التنظيم الارتقاء بشخصية المرأة فكرياً وثقافياً وعلمياً في إطار الأهداف الإسلامية، ورسم صورة حقيقية للمرأة المسلمة، وإحياء الدعايات الكاذبة والمغرضة التي يروج لها الإعلام الاستكباري ضد المرأة المسلمة، وكذلك السعي لمنح المرأة حقوقها، وترسيخ كيان الأسرة وتوسيع حجم مشاركة المرأة في النشاطات الاجتماعية، ودعم الحركات النسوية السليمة في سائر مناطق العالم وفتح قنوات الاتصال مع التنظيمات النسوية في العالم.

كل يوم وكل ساعة بل بتواصل واستمرار، ولم أتحمّل هول هجران هذا العزيز إلا بطمأنّة النفس بمواصلة نهجه وطريقه.

أحاول في هذا المقال أن أتناول أحد الأبعاد غير المطروقة من حياة الإمام. وأود أن اعترف مقدماً بصعوبة الكتابة أو الحديث عن بعدٍ ما من الأبعاد الوجودية لرجل نصر دين الله في زمن غربة الإسلام، واستعداد عظمة المسلمين ومجدهم الضائع، وسلب نوم الراحة من جفون أصحاب السلطة والثروة والسلاح الكبار في العالم، وأحى آمال المسلمين التليدة في إقامة الجمهورية المقدس.

فالإمام لم يفكر بغير نداء الحق، ولم يحكم أقواله وأفعاله سوى أداء التكليف الإلهي.. لم يكن يخشى أحداً غير الله. وكان دافعه لإقامة الحكومة - كمولاه علي عليه السلام - سيادة دين الله واسترجاع حق المظلومين من الظالمين ليس إلا.. إن من ينتظر رسم أبعاد حياة مثل هذا الرجل من قلمي أو حديثي، هو كمن يتطلع لرؤية أفق بحر ممتد من منظر بركة.. بحر قلب فانياً في الله وعارفاً به.

ومع ذلك لا مفر من الكتابة أو الحديث، ليس فقط للأجيال القادمة بل للجيل الحاضر أيضاً؛ لجميع الذين ينشدون الحياة الطيبة في مواصلة نهج الخميني قده. لأولئك الذين ضحوا بأعزّتهم على خطى الخميني. لأولئك الذين تنبض قلوبهم شوقاً لتحقيق أهداف الخميني. لأولئك الذين ما إن أزيلت عنهم الحواجز والقضبان الحديدية التي أقامها شياطين الإنس حتى أخذوا يتوافدون أفواجاً أفواجاً في جو تصل برودته إلى ٣٠ درجة تحت الصفر، إلى ضفاف نهر «ارس»^١ الشائر، ليستلهموا من صورة ونداء

^١ كان تأثير الثورة الإسلامية بقيادة سماحة الإمام قده في البلدان المجاورة، لاسيما الجمهوريات المسلمة في الاتحاد السوفيتي السابق، من القوة بحيث إن مسلمي هذه البلاد قد عادوا إلى الثقافة والسنة الإسلامية بشوق ورغبة، خاصة بعد أن سرى الضعف إلى قواعد دكتاتورية الحكام الشيوعيين قبل انهيار الاتحاد

الشيخ المنادي بالإسلام المحمدي الأصيل، ما يكحلون به عيونهم الباحة عن النور ويسقون قلوبهم المتعطشة للحقيقة.

ليس الخميني بحاجة على وصفنا، إذ أن كل وجوده كان «انقطاعاً إلى الله» أما في ميدان العرفان العملي والمجاهدة مع النفس فقد أوكل الدنيا وجذباتها الفانية إلى أهلها قبل أن نتعرف عليها.

الخميني ليس بحاجة إلى إطراننا، إذ إن قامته الباسقة تتوسط الآن التراب بحكم المشيئة الإلهية، والتحقّت روحه السامية بالرفيق الأعلى.

نحن الذين نحتاج على ذلك. نحن والأجيال التي تلينا.. حتى هذه الحاجة لا تتلخص في الإطراء والتبجيل وإن كان وصف المحبوب و(المراد) بحد ذاته مدعاة لالتئام جراح القلوب المكتوية بنار الفراق؛ بل أن ما يستوجب الشرح والتوضيح هو معرفة الخميني قده واكتشاف طريقه والإحاطة بأهدافه.

إن استمرار الثورة الإسلامية - التي تمثّل ثمرة عمر كامل من جهاد الإمام وأنصاره - ومواصلة نجاحاتها في اللحظات الحرجة التي ستواجهها دون شك في المستقبل بسبب وجود أعداء أقسموا على معاداتها؛ لن يتحقق ما لم نع بصورة صحيحة فكر مفجرها ونهجه وأهدافه وتطلعاته. (فإذا ما كان تقييمنا لمسيرة الثورة بدءاً من مراحل انطلاقها الأولى وحتى تحقق نصرها السياسي، والأشواط التي قطعتها فيما بعد حتى زمن رحيل مفجرها ورافع لواءها؛ مقترناً بالمعرفة والوعي، أمكننا عندئذٍ أن نكون متفائلين بمواصلة طريقها).

فمع أن الحب الذي يكنه أبناء شعبنا لإمامه، تمتد جذوره إلى أعماق معتقداته الدينية، وإن تعلق الجماهير بالإمام يعود من هذه الناحية إلى سنوات ما قبل شباط

السوفيتي تماماً. ومن المشاهد الرائعة لتلك الصحوة، عبور سكان آذربيجان السوفيتية لنهر ارس (الحد الفاصل بين إيران وآذربيجان) للاتصال بالشعب الإيراني المسلم، والتعبير عن التلاحم معه، وحمل صور ورسائل سماحة الإمام قده إلى أبناء جلدتهم. وقد جرى اجتياز نهر ارس في ظل ظروف مناخية كانت تنخفض فيها درجة الحرارة إلى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر.

عام ١٩٧٩^١، خصوصاً وإن الإمام كان المرآة التي تعكس آلام الشعب وصرخته ضد ظلم النظام البهلوي التعيس وجرائم أميركا في إيران؛ وإن ذلك بحد ذاته كان سبباً في التفات الكثير من طبقات الشعب حول الإمام وتبني أفكاره ومواقفه؛ ولكن الحقيقة هي أن معرفة الغالبية من أبناء الشعب الإيراني ونسبة كبيرة من المسلمين الذين كانت نهضة الإمام وثورته وسيلة لهم للتعرف على شخص الإمام؛ انحصرت - في الأعم الأغلب - في بعدين من أبعاد شخصيته هما «الفقاهة والمرجعية» و«نضاله السياسي». حتى هذا البعد السياسي لم يتعرفوا عليه إلا بعد عودته على إيران. وإن كثيراً من الأبعاد الأخرى من حياة سماحته الحافلة بالتحرك والأحداث والمواقف - ما في ذلك النشاطات السياسية والاجتماعية التي صدرت عن الإمام لاسيما الحوادث التي سبقت الخامس من حزيران عام ١٩٦٣م ظلت - مجهولة ليس فقط بالنسبة لعامة أبناء الشعب، بل لطلبة العلوم الدينية وعلماء الدين والحوزات العلمية أيضاً.

وبعد عودة الإمام وتشكيل الحكومة الإسلامية، فإن حجم مؤامرات أعداء الثورة التي حيكت في الخارج، والعراقيل والعقبات والعداوات الناشئة عن الحسد والجهل والعمالة، التي وضعت أمام مسيرة الثورة في الداخل، كانت للأسف بدرجة اضطر بسببها أنصار الإمام إلى تجنيد كل طاقاتهم وإمكاناتهم للوقوف بوجهها وإحباطها، والتفرغ إلى إيجاد حلول للمعضلات التي ورثناها من النظام البائد؛ مما سلب منهم الفرصة للكشف عن الوقائع والحقائق التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية، والتي لم نسمع أو نقرأ نظيراً لها إلا في التاريخ المؤلم والمظلوم لعي ^{عليه السلام} . . ربما كان ثمة قصور وتقصير في هذا المجال، إلا أن الفرصة هنا لا تسمح بالتطرق على ذلك.

^١ يوم انتصار الثورة الإسلامية في إيران (١١ شباط ١٩٧٩).

ومهما يكن فإن المسؤولية تقع على عاتق الكتاب والفنانين والمؤرخين الملتزمين والمتفانين من أجل الثورة، بإزالة الغبار الذي علق بوجه تاريخ الثورة الإسلامية الدامي، وأن يعملوا بجهد على مد جسور التواصل الثقافي لجيل ينبغي له أن يحمل لواء مواصلة هذه النهضة مع الأحداث التي شهدتها مسيرة الثورة منذ انطلاقها الأولى.

ينبغي لنا أن لا نغفل عن التحذير الإلهي: « أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا »^١. فمع أن خطاب الله تعالى لا يقتصر على عصر رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن القدر المسلّم به هو أن المعنيين به هم المسلمون الذين أدركوا عصر الرسالة، واستقوا دين الله من رسوله الكريم. وهذا يعني أن احتمال الخطر كان موجوداً مما استدعى أن يوجه لهم تعالى مثل هذا التحذير المتضمن معنى العتاب. يوجهه لمن؟ إلى أولئك الذين شهدوا عن كثب معاناة النبي في مكة، وعاشوا في المدينة المضطّرة والصعاب التي اعترضت طريقه والحروب المتعاقبة التي خاضها، وربما جاهدوا وضحوا في سبيل تحقيق أهداف الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

وعليه فإن خطر العودة إلى عصر ما قبل البعثة وصدر الإسلام، وسيادة قيم الجاهلية مرة أخرى، لم يكن أمراً مستبعداً بالنسبة لأتباع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

أجل، إن الانشغال بهموم الحياة اليومية، والتوقف وسط الطريق والتخلي عن مواصلته، والإصغاء إلى وساوس الخناسين، وحالات الإحباط والقنوط، ونسيان الأهداف والتطلعات والمعاناة التي تم تجرّعها، والانحراف عن الطريق والعودة إلى الماضي المشؤوم؛ كل هذه أخطار

^١ جزء من الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

جدية تهدد مسار النهضة والثورات ومستقبلها. فكيف إذا ما كنا نجهل أو لا نعي المعاناة التي اعترضت مسيرة الثورة والتضحيات الجسام التي بذلت لتحقيق ما نحن فيه؟

وعليه فإن الجيل الصاعد الذي اندفع أفواجاً أفواجاً على طريق الثورة والإمام، والطلبة الشباب الذين بدؤوا يتدفقون على الحوزات العلمية، وجميع أولئك الذين تقع على عاتقهم من الآن فصاعداً مسؤولية مواصلة الثورة؛ إذا لم يدركوا ويعوا جيداً تاريخ الثورة، ولم يتعرفوا على الحد الفاصل بين أفكار المتحجرين والمتظاهرين بالقداسة، وبين حقيقة العرفان والزهد والتعبد الحقيقي، والمصادر التي تمثل مكامن الخطر؛ فإن خطر التقهقر التدريجي والانحراف يبقى ماثلاً بجذباً بين ثنايا الأجواء الملوثة والأحداث التي يخطط لها في غياب الإمام أصحاب الأفكار المريضة الذين لحقت بهم الهزيمة على يد الإمام والثورة.

من هنا يعد تبيين الأوضاع التي كانت سائدة في الحوزات العلمية ضرورة لا مفر منها، لكي نعي عظمة الانجاز الذي حققه سماحة الإمام، والمعاناة التي تجرع مرارتها هذا العزيز حتى تحقق الوضع الذي نحن فيه الآن. ومن دون ذلك فإن مواصلة الدرب تكون عرضة للآفات والانحرافات.

فمع أن سماحة الإمام كان يحرص بشدة على الابتعاد عن الخوض في المواضيع التي ترتبط في النهاية بشخصه، إلا أنه لا يتحفظ من الإشارة إلى خطر العودة إلى تلك الأفكار التي عمل سنوات على محو آثارها وعانى من أجل ذلك كثيراً، خاصة في بياناته التي أصدرها في السنوات الأخيرة من عمره الشريف.

فسماحته عندما يشير إلى نماذج التفكير المذكور آنفاً، الذي كان حاكماً على جانب كبير من الحوزات، أو يتطرق إلى مواقف المتحجرين والمتظاهرين بالقداسة، لا يقصد مجرد التذكير بالماضي، إذ إن مسؤولية الإمام وشأنه أسمى من ذلك، وإنما يعبر عن قلقه وتخوفه من هذا النهج واحتمال عودته ثانية.

إنني اختلف تماماً مع بعض الأصدقاء الذين يتصورون أن الإشارة إلى المظالم والمعاناة والمضايقات التي تعرض إليها سماحة الإمام في حوزة قم والنجف، تسيء إلى هبة وعظمة شخصية الإمام في نظر أتباعه ومحبيه .. إنني لا أتحدث عن مظلومية الإمام لكوني ابنه وقد شهدت المواقف المؤلمة تلك عن كثب. ولا أهدف إلى رثائه وإثارة الحزن في قلوب عشاقه. كلا، المسألة مسألة تكليف وأداء للواجب .. إنها مسؤولية الذين شهدوا عن كثب الأحداث التي سبقت الثورة وكانوا في صلب الوقائع.

لا بد من اطلاع الشعب العزيز الذي ضحى بكل شيء وهو يسير على خطى إمامه، ولم يبخل حتى بأبنائه وأعزته؛ على الوقائع المؤلمة دون موارد أو تحفظ، حتى يكشف أعداءه ويدرك الأخطار التي تهدد مسيرته المخضبة بدماء الشهداء.

ينبغي لأبناء شعبنا والأجيال القادمة أن تعي بصورة تامة أن انتصار ثورتهم في الحادي عشر من شباط ١٩٧٩ لم يحدث في ليلة وضحاها. يجب أن لا يتصور البعض أن الإمام كان قد انتفض عام ١٩٦٣. وهزمت انتفاضته بعد أيام وانتهى كل شيء، ثم سنحت له الفرصة ثانية عام ١٩٧٩ فحقق انتصاره الساحق. كلا، ليس الأمر بهذه البساطة. إن النصر السياسي الذي حققته الثورة الإسلامية في الحادي عشر من شباط عام ١٩٧٩ كان تويجاً لانتصارات حققها سماحة الإمام في نضاله الطويل والشاق ضد

المتحجرين والمتظاهرين بالقداسة الحمقى وتجار الدين بالدنيا .. كان لا بد من تحقيق ثورة أصعب بكثير من الثورة السياسية التي تحققت، لكي تتبدد طلاسـم الجمود والتحجر، وتزول التصورات المنحرفة عن الإسلام، تلك التصورات التي استطاعت أن تنفذ حتى إلى الحوزات الدينية، ونفض الغبار عن أحضان الإسلام الحقيقي المتراكم خلال قرون من هجـوم الأـجانب، ثم إيصال زلال الإسلام المحمدي الأصيل إلى الجيل المعاصر الظامئ والمتعب.

إن كل صفحة من صفحات تاريخ المرحلة الشاقة والقاسية التي اجتازها الإمام حتى نجح في تحقيق مثل هذه الثورة الفكرية، مليئة بالمعاناة والعقبات المثبطة. ومما يؤسف له أن هذه الصفحات ظلت مجهولة وبعيدة عن أنظار القراء حتى يومنا هذا.

لقد تم اجتياز طريق طويل وشاق زخر بالكثير من الصعاب والمعضلات إلى أن تمكن الإمام من الإبقاء على راية النضال والنهضة الدائمة خفاقة رغم إعصار الحوادث، ترفرف على ربوع إيران الإسلامية بعد المواقف العظيمة التي جسدها عشرة فجر^١ المباركة والثاني والعشرين من بهمن - الحادي عشر من شباط ١٩٧٩ - .

إن مواقف الصمود والمقاومة أمام الطغاة والجبابرة والظالمين أمثال نظام الشاه، لا يمكن مقارنتها بـصور النضال ضد التيارات والتحركات التي انطلقت لمخالفة الفكر الإسلامي الحقيقي باسم الدين والإسلام. ففي تلك المواقف لم يكن الأمر يتعدى السجن والتعذيب والنفي، وإراقة الدماء

^١ استغرقت الفترة من عودة قائد الثورة الإسلامية الكبير سماحة الإمام الخميني رحمته الله إلى البلاد في ١٢ بهمن من عام ١٩٥٧ هـ ش (١٩٧٩/٢/١) إلى انتصار الثورة الإسلامية في ٢٢ بهمن من نفس العام، عشرة أيام، وتحتفل الحكومة والشعب الإيراني كل عام خلال هذه الفترة المسماة «عشرة فجر الثورة الإسلامية» بمناسبة انتصار الثورة الإسلامية.

على طريق الحرية، أما هذا النضال فقد كان يتطلب التضحية بالسمعة، واعتصار القلب ألماً وحزناً، والصبر والسكوت من أجل رضا الله وتحمل سيل التهم والسباب والشتائم لكي تتمكن من اختراق التحجر والسطحية، وتمكين الحوزات العلمية، وتمكين الحوزات العلمية من استرجاع مكانتها ثانية كمركز فاعل للإسلام الحقيقي يرفض الأساطير والخرافات، واحتلال علماء الدين الملتزمين لمواقعهم حملة لراية النهضة والثورة الإسلامية كما هو حالهم على مر التاريخ.

إن ما أتحدث عنه ليس من باب سرد الملاحم وإطلاق الشعارات، بل هي حقائق يتطلب تصديقها معرفة كيف قطع الإمام طريق الثورة الشائك والزاهر بالوقائع والحوادث.. فليس الأمر مثلما يتصور البعض من إن الإمام نهض فجأة عام ١٩٦٣ وصرخ بوجه الظلم. ولما قتل أنصاره وقمعت نهضته، تفرغ في المنفى للدراسة والتدريس والمرجعية واهتماماته الخاصة، ثم عاد ثانية إلى إيران بعد خمسة عشر عاماً من النفي، ليقوم بتأسيس الجمهورية الإسلامية. كلا، لم يكن الأمر كذلك، بل كان الإمام بحاجة إلى ثورة ثقافية بمعنى الكلمة، لكي يتمكن من تحطيم كيان الجمود والتحجر، وترسيخ النضال في الحوزات ومناحي المجتمع، بدافع تشكيل الحكومة الإسلامية باعتباره أهم الواجبات الدينية. ومن أجل ذلك شمر الإمام بمفرده عن ساعد الجد لأداء الواجب الإلهي. وقد وصف سماحته تلك الظروف بالقول: «من القضايا التي ينبغي لطلبة العلوم الدينية الشباب الاطلاع عليها هي كيف أن ثلة شمّرت عن ساعد الجد وكانت على استعداد للتضحية بسمعتها وأرواحها من أجل إنقاذ الإسلام والحوزات وعلماء الدين، من الأخطار التي كانت تهددهم في المرحلة العvisبة لنفوذ المتظاهرين بالقداسة الجهلة والأمين والسذج».

ويقول أيضاً: «لم تكن الأوضاع آنذاك مثلما هي عليه الآن .. إن من لم يكن مقتنعاً بالنضال تماماً، كان ينسحب من ساحة الصراع نتيجة لضغوط وتهديد المتظاهرين بالقداسة».

وفي مكان آخر يكتب سماحته مخاطباً علماء الدين:

«إن الإيذاء والإساءة التي لحقت بعلماء الدين المجاهدين، كثيراً ما كانت تصدر من أفراد استطاعوا أن ينفذوا بين صفوفهم. فلا تتصوروا أن الإساءات التي استهدفت علماء الدين اقتصرت على تهم العملاء وافتراءات عديمي الدين. أبداً، إن طعنات رجال الدين غير الواعين، والعملاء الواعين كانت وما زالت أكثر شدة وقسوة من غيرهم. ففي بداية الصراع لو أردت القول أن الشاه خائن، كنت تجاب مباشرة أن الشاه شيعي! .. كانت هناك جماعة من المتظاهرين بالقداسة والرجعيين، تعتبر كل شيء حراماً، ولم من يمتلك القدرة على مواجهتهم والوقوف بوجههم. إن ما عاناه أبوكم العجوز من هذه الفئة المتحجرة لم يعاناه من ضغوط الآخرين وأذاهم وشروهم مطلقاً. فعندما شعار الفصل بين الدين والسياسة، وأصبحت الفقهية في منطق الجهلة تعني الانغماس في الأحكام الفردية والعبادية، ولم يكن الفقيه مجازاً في الخروج من هذه الدائرة وهذا الحصار ليتدخل في السياسة والدولة، أضحت حماقة رجل الدين - الروحاني - في معاشرته للناس فضيلة، وعلى زعم بعضهم إن رجال الدين كانوا يحظون بالاحترام والتكريم بنسبة ما يمتازون به من سذاجة وحماقة. أما علماء الدين الذين يهتمون بالسياسة، ويمتلكون وعياً سياسياً، فهم أناس مغرضون ذوو نوايا خفية .. كان ذلك من الأمور الرائجة في الحوزات وكان أكثر الناس اعوجاجاً أكثرهم تديناً، فتعلم اللغة الأجنبية يعتبر كفراً، والفلسفة والعرفان معصية وشرك، حتى ابني المرحوم

مصطفى - الابن البكر لسماحة الإمام - شرب مرة ماء من جرة في المدرسة الفيضية¹ فأخذوا الجرة وطهروها، لماذا؟ لأنني أدرس الفلسفة. إنني على ثقة أن هذا الوضع لو كان مستمراً لأصبح حال طلبة العلوم الدينية والحوزات العلمية كما هو حال كنائس القرون الوسطى، إلا أن الله تعالى من على المسلمين وطلبة العلوم الدينية وصان كيان الحوزات ومجدها الحقيقي».

ففي هذه الحوزات نشأ العلماء المخلصون وامتازوا عن الآخرين بوعيتهم، وأن نهضتنا الإسلامية المباركة استمدت وجودها من بارقة الأمل هذه، ومن هنا ينبغي لطلبة الحوزات والجيل الشاب الثوري، أن يحيطوا بالظروف التي تشكلت النواة الأولى لثورتهم، وأي آلام ومعاناة تجرعوها الإمام وأتباعه ليتمكنوا من إعادة الإسلام ثانية إلى واقع الحياة.

يتحدث الإمام في أحد خطباته عن نمط التفكير الذي كان سائداً في الحوزات والمجتمع آنذاك فيقول: «كان الوضع في قم بنحو يتعرض علماء الدين للإساءة والطعن من قبل بعض الفئات إذا ما وجدوا صحيفة (جريدة) في بيته! ويعدّون ذلك نقصاً وعبثاً، فكانوا قد أشاعوا أوائل مجيئي إلى قم - في السنة الأولى أو الثانية - بأن المعمم الفلاني سياسي، وكانوا يطعنون فيه .. لقد كانت الأجواء السائدة بنحو إذا ما أراد أحد المعممين أن يتدخل في أمثال هذه الأمور كان يحسب ألف حساب لهذه الفئات، لأنه سيقع ضحية لطعونهم ويعملون على إقصاءه وعزله».

إن الصرخة التي أطلقها سماحة الإمام بوجه القاعدين في بيوتهم من أجل إيقاظهم، أو على الأقل ليعلم للعالم عن رفض الإسلام الحقيقي وعلماء الدين الواقعيين الخنوع والظلم؛ لم تمر بلا ثمن .. بل لقد دفع

¹ أكبر مدرسة للعلوم الدينية في إيران، تقع في قم.

الإمام وأنصاره ثمناً باهظاً مقابل هذه الصرخات والاعتراضات التي أطلقها، وهو لا يقل عن الثمن الباهظ لخمسـة عشر عاماً من تحمل الطعنات والتهم والتكفير، والسب والشتـم، والأحـابيل والدسائس. ومن تلك الصرخة المدوية: «يا ويلنا! الويل لعلماء الدين الساكتين.. الويل للنـجف الصامـة.. الويل لقـم الصامتة.. الويل لطهران الصامتة. الويل لمشهد الصامتة. إن هذا الصمت القاتل هو الذي جعل بلادنا ونواميسنا تداس بأقدام إسرائيل والبهائيين¹.. الويل لنا.. إن السكوت اليوم يعني الوقوف إلى جنب الطاغية.. عودوا على رشدكم أيها السادة.. أيقظوا النـجف.. اعترضوا.. فإن لم يعترضوا... فإن لم يعترضوا هل يسقط عنا التكليف؟ هل نجلس نحن أيضاً نرقب ما يمارس بحق هذا الشعب؟ هل نكتفي بالذهاب إلى حرم الإمام أمير المؤمنين وقراءة الأدعية؟ هل يكفينا ذلك؟ ألا ينبغي لنا نحن الذين نعيش في كنف الإسلام وكفـالته، أن نخطو ولو خطوة واحدة من أجل الإسلام؟ من أجل الذود عن الإسلام؟ أنتم يا من تمثلون خلفاء الإسلام عرفوا الناس بالإسلام، ولا تقولوا نترك الأمر حتى يأتي المهدي المنتظر.. احذروا أن تتذرعوا بمنطق حاكم خمين الذي كان يقول: لابد من ترويح المعاصي حتى نمهد لظهور إما الزمان (عج).. لا تبـقوا جالسين هنا مكتفين بالدرس والنقاش. إن لديكم هـيبة وشوكة في أوساط المجتمع هي لأنهم ينتظرون منكم مناصرة الحق

¹ في عام ١٢٦٠هـ أعلن شخص يدعى علي محمد أنه (باب الإمام) وواسطة الاتصال به، ثم ادعى المهدوية فيما بعد، وتم إلقاء القبض عليه وقتله، غير أن أخوين من أتباعه وهما «صبح الأزل» و «بهاء» ادعيا خلافته وأطلق أتباع صبح الأزل على أنفسهم اسم «البابية» (الأزلية) فيما أطلق أتباع بهاء على أنفسهم اسم «البهائية»، ونفت السلطة العثمانية بهاء الله وأتباعه إلى «عكا» بفلسطين، و «صبح الأزل» وأتباعه إلى جزيرة قبرص، وتنامت البهائية في فلسطين بدعم من البريطانيين، ثم حظيت باحتضان الكيان الصهيوني. وكان لها نفوذ عظيم في إيران خلال فترة حكم محمد رضا بهلوي، فضلاً عن تأثيرها الكبير في السياسة الخارجية الإيرانية ورعاية المصالح الصهيونية.

والوقوف بوجه الظلمة، ينتظرون منكم أخذ حق المظلومين من الظالمين. إنهم يعتمدون عليكم في النهوض والحيلولة دون تعدي الظلمة .. إنهم هم الذين منحوكم هذا المقام والمنزلة، إلا أنكم لما نلتم ذلك لم تؤدّوا حقه .. فأنتم لا تتخلون عن مواقعكم، ولا تفعلون شيئاً، ولا تقدمون العون يقوم بواجبه .. لقد بات كل همّكم أن يرضى الحاكم عنكم ويكرّمكم ويبجلكم كأن يقول مثلاً: (حدثنا أيها الشيخ الجليل!) وحينها لا شأن لكم بما يمارس بحق هذا الشعب وما يقوم به النظام».

إن أمثال هذه الصرخات والنداءات والتحذيرات، لم تكن تصدر من قلم ولسان سماحة الإمام بهذه البساطة، بل إن كل خطاب ونداء كان يثير الأحقاد والأضغان والحسد التي كان يتبعها سيل عارم من السب والشتم والطعن صوب الإمام.

إننا مكلفون ونتحمل مسؤولية الكشف لأبناء الشعب عن الظروف والمعاناة التي واجهها الإمام الراحل دفاعاً عن حريم الإسلام الحقيقي، وأملًا في أن يستعيد المجتمع المتكاسل اليأس كرامته وعزته وشرفه.

ينبغي أن يعرف شعبنا العزيز لماذا اختار نظام الشاه - عملاً بالتوجيهات التي قدمها البيت الأبيض بعد سحق انتفاضة الخامس من حزيران ١٩٦٣ - مدينة النجف الأشرف لتكون المنفى الدائم لسماحة الإمام؟ .. كم هو مؤلم الحديث عن الوقائع المرة التي شهدتها تلك الفترة، ولو كنتم إلى جوار الإمام لأدر كنتم عمق الألم والعذاب الذي كان يتجرعه سماحته.

إن الحديث عن المظلومية والمعاناة التي تجرع مرارتها الإمام نتيجة لسلوكيات المتظاهرين بالقداسة داخل الحوزات العلمية والذين لا يعرفون معنى للألم والمسؤولية، لا يتسع له مقال أو كتاب، وربما تكفي العبارة التي أطلقها الإمام عند مغادرته النجف الأشرف، للتعبير عن عمق معاناته لأبناء شعبنا العزيز، الذي عايش عن كثب صبر الإمام وحلمه في

أعظم الحوادث بعد الانتصار حيث يقول: «إن مجاورتي للحرم المطهر خفف عني كثيراً، ولكن يعلم الله ما الذي تجرعه طوال هذه الفترة من أهلها».

لم يكن الإمام مستعداً مطلقاً للتخلي عن الدفاع عن كيان الإسلام رغم كل مشقته وتبعاته، والركون على الراحة والدعة والاكتفاء بالدرس والبحث. إن تحمل مضايقات الشاه وتلقي أخبار استشهاد أتباعه ونفيهم وتعذيبهم كان بالنسبة للإمام أهون بكثير من تحمل السب والشتم وسيل التهم وممارسات المتآمرين أدعياء الفقه والتدين.

فمن جهة كان الإمام في النجف يأخذ على عاتقه مسؤولية مواصلة النهضة والمقاومة والصمود في مواجهة أمريكا ونظام الشاه اللذين لم يألوا جهداً في محو كل أثر لانتفاضة الخامس من حزيران؛ وأن لا يسمح بأن تذهب هدراً الدماء التي أريقَتْ ظلماً في هذه الانتفاضة في شوارع وأزقة قم وطهران ومدن لإيران الأخرى. وكان ذلك يتطلب إيجاد قنوات اتصال مستمرة مع غيران، وكان مثل هذا الارتباط يبدو صعباً للغاية نظراً لنفوذ سافاك¹ الشاه الجهنمي وتعاونيه مع أزام الأمن العراقي الذين كانوا يرصدون بدقة أوضاع بيت الإمام في النجف الأشرف؛ فضلاً عن أن معظم أنصار الإمام وأتباعه كانوا في السجن أو النفي أو تحت المراقبة.

ومع كل ذلك كان سماحة الإمام يرى أن من واجبه تفقد عوائل الشهداء وتلبية احتياجاتهم، وأن يمهد سبل الاتصال مع العناصر المؤمنة

¹ «منظمة أمن واستخبارات الدولة» المعروفة بالسافاك، تأسست رسمياً عام ١٩٧٥م بإيعاز من محمد رضا شاه، وكانت مكلفة بقمع معارضي النظام والتصدي للأعمال الجهادية الإسلامية. وكان لهذه المنظمة اتصال وتعاون وثيق مع الـ «CIA» (وكالة المخابرات الأميركية) و«الموساد» (الاستخبارات الإسرائيلية). وقد بلغت حداً في تعذيب السجناء السياسيين، دفع بالأمين العام لمنظمة العفو الدولية إلى التصريح في عام ١٩٧٥: «ليس لأي بلد في العالم سجل أكثر سواداً من السجل الإيراني على صعيد حقوق الإنسان».

بالثورة داخل البلاد وخارجها وفيما بينها، كذلك توفير المد الفكري للثوريين من خلال تبادل المعلومات والأخبار المتصلة بالنهضة ومتابعة الخطط ودراسة أوضاع نظام الشاه، والمحافظة على مشعل الثورة متقدماً ومضيئاً عبر إرسال الخطب والبيانات والمنشورات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان على الإمام أن يقوم بإحباط دسائس أعداء الثورة على مستوى العالم الإسلامي، ومواجهة محاولات زرع بذور اليأس والقنوط واعتراضات رجال الدين غير الواعين، إذ إن مسؤولية مواصلة النهضة لم تكن مقتصرة بالحضور في الميادين المذكورة آنفاً، فالمتحجرون والمتظاهرون بالقداسة الذين شهدوا عن كثب المذابح التي ارتكبتها النظام في الخامس من حزيران، لم يبادروا بتقديم الدعم والتأييد، بل راحوا يبررون سلوكهم عبر إثارتهم للتساؤلات والاستفسارات، ويزرعون الشكوك في مشروعية نهضة الإمام.

يشير الإمام إلى طبيعة التعامل مع هذه الفئة بقوله:

«إن إثارة شبهات من قبيل أن الشاه ظل الله، أو أنه لا يمكن مقاومة المدفع والرشاش بأيدي عزلاء، أو أننا غير مكلفين بالجهاد والنضال، أو من الذي يتحمل مسؤولية دماء القتلى، والأسوأ من كل ذلك الشبهة المضللة التي تشير إلى أن الحكومة قبل ظهور الحجة (عج) باطلة، إضافة إلى كثير من الأقاويل والذرائع الأخرى؛ كانت تثير معضلات كبرى ويتعذر الوقوف أمامها بالنصيحة والإعلام والنضال السلبي، وأن الحل الوحيد والتضحية والإيثار الذي هياً الله تعالى وسيلته، حيث فتح علماء الدين الملتزمين صدورهم لاستقبال السهام المسمومة التي كانت تطلق صوب الإسلام، وقدموا أنفسهم قرابين على مذبح الحرية».

إن اعتراض هؤلاء وإشكالهم الأول على الإمام هو تدخله في السياسة، وأن حركته أضحت سبباً في تعطيل دروس وبحوث السادة! حتى أن

بعض هؤلاء هاجم الإمام بكل وقاحة بعد أحداث الخامس من حزيران، زاعماً أن نهضته انتهكت حرمة المراجع لأنها قادت إلى اعتقاله وبذلك انتهكت حرمة المرجعية.

لاحظوا مدى الوعي والشعور وتحمل المسؤولية! إن هؤلاء هم أنفسهم المتظاهرون بالقداسة الحمقى، الذين خدعوا بتصرفاتهم المؤمنين غير الواعين وساقوهم إلى التخلي عن مسؤولياتهم والتزام العزلة وإشاعة روح اللامبالاة. وبالتالي إضعاف مكانة علماء الدين ودورهم، حيث كانوا دائماً في طليعة الجماهير الرافعة للواء النضال.

لقد قادت الممارسات والأفكار المتحجرة لهذه الفئة إلى غربة دين الله، ودفع الشباب المسلم للالتفات حول المذاهب المنحرفة، فهم أنفسهم الذين كانوا يهربون من الاستدلال، ويعتبرون المسائل الفلسفية دون شأن رجل الدين، ولا يمسون الكتب الفلسفية بأيديهم لئلا تتنجس!

لقد كان بيت الإمام المتواضع في النجف الأشرف محور النهضة، ومحط آمال أبناء الشعب، وفي الوقت ذاته كان عليه أن يتحمل ضغوط الأجهزة الجهنمية لكل من حكومة الشاه والنظام العراقي، وإضافة إلى كل ذلك كان أيضاً هدفاً لهجوم وحمولات الذين بددت نهضة الإمام رتابة حياتهم المذلة.

قد تعجبون أن الإمام الذي لم يتخلّ عن ذكره وتهجده وإقامة صلاة الليل حتى وهو على فراش المرض وعلى سرير المستشفى . . الإمام الذي أُلّف في سن السابعة والعشرين كتاب «أسرار الصلاة» الزاخر بالرموز والأسرار، وأتبعه بكتاب «آداب الصلاة»^١ . . الإمام الذي أضحت نهضته

^١ بدأ سماحة الإمام الخميني رحمته الله نشاطه التألّيفي في مطلع شبابه. فقد أُلّف «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» وهو في سن السابعة والعشرين، و«شرح دعاء السحر» في التاسعة والعشرين، وفي مطلع العقد (١٣٢٠-١٣٣٠هـ) أُلّف كتاب «كشف الأسرار» الذي يمكن أن يعد أول أثر سياسي له. كما أن «دروس

سبباً في تطبيق الأحكام الإلهية والتوجه إلى الصلاة، وكان قد أنهى لحظاته الأخيرة يتمم بذكر الله تعالى والتحق بمحبوبه وهو يقيم الصلاة . إن هذا الإمام نفسه أطلق عليه المتحجرون المتظاهرون بالقداسة في النجف تهمة «تارك الصلاة» وفي تلك الأيام العvisبة أيضاً ثمة من كان يتربص للإمام في المسير الذي يقطعه سماحته بين محل درسه والمرقد الطاهر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيمر من أمام الإمام متجاهلاً إياه، لعل الإمام يتألم من ذلك حسب تصورهم.

كذلك مرت فترة على أنصار الإمام وأتباعه واجهوا خلالها صعاباً كثيرة في تغطية نفقات شراء أجهزة الكاسيت وجهاز التكثير وورق طباعة بيانات ورسائله، وتوزيعها، وكانوا يخاطرون بأنفسهم من أجل الإبقاء على ذكريات انتفاضة الخامس من حزيران حية خالدة؛ وفي وقت كانت

ولاية الفقيه» أو «الحكومة الإسلامية» التي ألقاها في النجف الأشرف، تحمل الآراء السياسية -الفقهية لسماحته، وتعد الحجر الأساس لآرائه التكميلية حول ولاية الفقيه المطلقة. أما باقي تصنيفات الإمام فهي: «سر الصلاة» (صلاة العارفين ومعراج السالكين) «آداب الصلاة» (شرح أربعين حديثاً) «أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية» (في جزأين) «مناهج الوصول إلى علم الأصول» (في جزأين) «كتاب البيع» (في خمسة أجزاء) «المكاسب المحرمة» (في جزأين) «كتاب الطهارة» (في أربعة أجزاء) «الخلل في الصلاة» (رسالة في الاجتهاد والتقليد) «بدائع الدرر في قاعدة نفى الضرر» (رسالة في التعادل والتراجع) «رسالة في الطلب والإرادة» (رسالة في قاعدة من ملك» «رسالة في التقية» «رسالة في الاستصحاب» «تعليقة على وسيلة النجاة» «تعليقة على العروة الوثقى» «تحرير الوسيلة» (في جزأين) «تعليقة على فصوص الحكم» «تعليقة على مصباح الأنس» «حاشية على رسالات الإرث» «حاشية على الأسفار» «تفسير سورة الحمد» «ديوان شعري» «الجهاد الأكبر» «مناسك الحج» «توضيح المسائل» وغيرها، أضف على ذلك التقارير الكثيرة لدروس سماحته في الفقه والأصول والفلسفة والعرفان، جمع بجهود تلامذته، وتصل إلى عشرات العناوين، وقد طبع بعضها وسيتم طبع البقية تدريجياً من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قده، فضلاً عن كل ما أشرنا إليه، هناك أكثر من ١١٠٠ خطاب و ٨٠٠ بيان ومئات الرسائل والأحكام والأجوبة الاستفتائية، وعشرات المقابلات مع سماحته، وهي في مجموعها كنز عظيم من إرشادات الإمام وتوجيهاته العقائدية والسياسية والاجتماعية، جمع بعضها في «صحيفة النور» المؤلفة من ٢٢ جزءاً وسيتم نشرها بشكل كامل من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قده تحت عنوان «الكوثر» مبنية على أساس موضوعي.

مواصلة النهضة بحاجة ماسة للدعم المادي؛ كان بعض هؤلاء الذين أشرت إليهم يتسلم الحقوق الشرعية من إيران والنجف ويمنحها إلى الذين ينفقونها على تدبير الدسائس ضد الإمام والثورة، بل وأكثر من ذلك، إن رجال الدين المتحجرين في إيران والعراق كانوا يأخذون كتب الإمام ومنشوراته التي يتم تهيتها بمشقة بالغة، وبذريعة توزيعها في البصرة وغيرها من مدن العراق وإيران من قبل أشخاص ذوي نفوذ وموثوق بهم، يلقون بها في الآبار والأنهر.

إن معاناة الإمام ومتاعبه لم تكن ناتجة فقط عن الضغوط التي مارسها نظام الشاه وأميركا ضده، بل أن تقويض سلطة النظام الشاهنشاهي والوقوف بوجهه كان متيسراً عبر القيادة والنهضة الدينية والشعبية وبذل الغالي والنفيس - وقد تمت الإشارة إلى ذلك -؛ ولكن ما الذي يمكن فعله تجاه أولئك الذين يهّبون لشن حرب شعواء ضد الإسلام الحقيقي باسم الدين والفقاهة والزهد والمظاهر القدسية الخادعة؟ لنقرأ معاً ما يذكره الإمام بهذا الشأن:

«في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣، لم تقتصر المواجهة على الوقوف بوجه رصاص أسلحة الشاه، فلو كان المواجهة تقتصر على ذلك وحده لكانت سهلة يسيرة، بل إن رصاص الخداع والتظاهر بالقداسة والتحجر .. رصاص السب والشتم والنفاق والازدواجية، كان يؤلم ويقطع الكبد أكثر ألف مرة من البارود والرصاص».

«أجل إن عيون علماء الدين المؤمنين الصادقين كانت تبكي دماً في وحدتها وعزلتها، وهي ترى أميركا وخادمها بهلوي يطمحان إلى اجتثاث جذور الدين والإسلام، وإن عدة من رجال الدين المتظاهرين بالقداسة غير واعين لذلك أو لاهين عنه، وعدة أخرى عميلة اتضح أمرها بعد

انتصار الثورة، كيف كانت تمهد الطريق لإنجاح هذه الخيانة العظمى، وأمثال ذلك الكثير. لا أرغب في تصديق خواطركم أكثر من هذا».

أجل، إننا جميعاً - كل الذين شهدوا وقائع الثورة المؤلمة وأحسوا بمعاناة الإمام - نتحمل مسؤولية التعريف بتلك الوقائع كما هي، لكي يتنبه حملة لواء النضال وأجيال الثورة القادمة بأن ثورتهم التي أضحت مدعاة لمباهاة وفخر وعزة المسلمين، لم تتحقق في ليلة وضحاها.

ولا بد من التنويه إلى أن هذا الذي تمت الإشارة إليه لم يكن بدافع الرثاء وإقامة مجلس عزاء، بل للتعاض والتذكير بأنه من الممكن أن نبثلي به ثانية ما لم نتحرك برؤية واضحة فاحصة. ولا يخفى أن الكشف عن الأسماء والشخصيات التي خالفت الإمام والثورة لم يرد في هذا المقال، لعدم جدواه؛ فهذه الممارسات العدائية لا تقتصر على أشخاص معدودين، بل هي تيار مضاد للإسلام الحقيقي منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، ولقد سمّاه سماحة الإمام بـ «الإسلام الأميركي»، وتراه دائماً ينعق باسم الإسلام ويغيّر اسمه وشعاره وصورته كل يوم عند مواجهته لنهج الإمام والثورة.

إن خطر التقهقر والانحراف عن المسير قائم دائماً أمام كل ثورة، وإن المحافظة على وحدة الصف، وإتباع توجيهات سماحة القائد المعظم، والتحلي بالوعي، والتضامن والصمود حتى آخر نفس للدفاع عن مبادئ الثورة؛ هو الضمان الوحيد للقدرة على مواصلة المسير الذي اختطته الثورة.. لست أنا الذي يراودني هذا القلق لتتخذ عدة جاهلة أو غير واعية وأخرى واعية، ذريعة لاعتراض الصراط المستقيم للإسلام الأصيل الممثل بنهج الإمام، بل إن الإمام هو الذي يحذرنا قائلاً: «ما زالت الحوزات تعاني من نفوذ كلا التفكيرين - الإسلام الأصيل والإسلام الأميركي بين أوساطها، وينبغي أن نكون حذرين يقظين لئلا تنفذ فكرة

فصل الدين عن السياسة بين طيات أفكار المتحجرين، إلى أذهان طلبة العلوم الدينية الشباب . . ففي الحوزات العلمية ثمة من ينشط ضد الثورة وضد الإسلام المحمدي الأصيل. وهناك اليوم نفر من هؤلاء يطلق سهامه تحت شعار القداسة، إلى أصول الدين والثورة والنظام وكأن لا هم لهم ولا تكليف إلا هذا، أن خطر المتحجرين والحمقى المتظاهرين بالقداسة في الحوزات العلمية ليس بقليل، وعلى طلاب العلوم الأعزة ألا يغفلوا لحظة عن هذه الأفاعي الخادعة، فهؤلاء هم مروجو الإسلام الأميركي، وأعداء رسول الله ﷺ.

ولكي تتضح أكثر سمات أعوان الإسلام الأميركي، أعود ثانية إلى كلام الإمام . . حيث يحدد سماحته معالم الوجه الجديد لهذا التيار الحاضر في التاريخ أبداً، بقوله:

«على الشباب أن يعلموا أن طراز تفكير هذه الفئة موجود دائماً، بيد أن أسلوب التظاهر بالقداسة والمتاجرة بالدين اختلف عن السابق، فالمنهزمون بالأمس أصبحوا اليوم يمارسون السياسة، فأولئك الذين لم يسمحوا لأنفسهم التدخل في شؤون السياسة، أضحووا اليوم حماة للذين اخذوا على عاتقهم مهمة التآمر على النظام ومحاولة إسقاطه، وما فتنة قم وتبريز^١، التي تم تدبيرها بالتنسيق مع اليساريين وأنصار الملكية

^١ إشارة إلى التظاهرات التآمرية التي أقيمت في مدينتي قم وتبريز دعماً للسيد شريعتمداري وذلك في ١٩٧٩/٤/٢٤م، وقد نظّم تلك التظاهرات حزب «الشعب المسلم» بحجة الاعتراض على مقالة بعنوان «لأبد من انتزاع الذرائع من أيدي الخونة». نشرت في جريدة «اطلاعات» بتاريخ ١٩٧٩/٤/٢٢م. وقد انحل حزب «الشعب المسلم» بعد انفصاح أمر السيد شريعتمداري الذي كان يحمل لسنوات عديدة عنوان المرجعية الدينية.

والمطالبين بانفصال كردستان^١، إلا نموذج على هزيمتهم واندحارهم، إلا أنهم لم يكفوا عن ممارساتهم وقد ظهرت أياديهم في تدبير انقلاب «نوجه»^٢ إلا أن الله تعالى أخزاهم أيضاً.

«وهناك عدة أخرى من رجال الدين المزيفين الذين آمنوا بالفصل بين الدين والسياسة إلى ما قبل انتصار الثورة، وكانوا يحنون رؤوسهم على أعتاب البلاط؛ أصبحوا فجأة متدينين وراحوا يوجهون تهمة الوهابي^٣ وما هو أسوأ منها، إلى علماء الأعزاء الأتقياء الذين عانوا من أجل الإسلام أنواع العذاب والتشرد والسجن والنفي.

«ففي الأمس كان الحمقى المتظاهرين بالقداسة لا يكفون عن ترديد أن الدين لا علاقة له بالسياسة، وأن النضال ضد الشاه حرام .. واليوم ينعتون مسؤولي النظام بأنهم ماركسيون .. فحتى الأمس القريب كانوا يعتبرون وجود محلات بيع الخمر وأماكن الفحشاء والفسق والفجور وممارسات الحكومة الظالمة، أمراً مفيداً ونافعاً يعجل في ظهور الإمام

^١ كردستان إحدى محافظات الجمهورية الإسلامية وتقع شمال غربي إيران، فلم تكد تمر سوى أيام قلائل على انتصار الثورة الإسلامية، حتى شرعت مجموعة مرتبطة بالاستكبار العالمي باحتلال معسكرات هذه المنطقة، وكان الهدف الأساسي لهذه الفئة تجزئة البلاد وتوجيه ضربة إلى الجمهورية الإسلامية الفتية.

^٢ المحاولة الانقلابية الفاشلة التي اعد لها في قاعدة الشهيد (نوجه) الجوية، كانت إحدى المؤامرات التي خطط لها الاستكبار العالمي بزعامة أميركا لإسقاط الجمهورية الإسلامية الفتية، وكان مرسوماً لتلك المحاولة الانقلابية أن تنفذ في ١٠/٧/١٩٨٠م من خلال انطلاق عدة طائرات مقاتلة قاذفة من هذه القاعدة (القاعدة الجوية الثالثة بهمدان) وقيامها بقصف مقر إقامة سماحة الإمام قده وبعض النقاط الحساسة في طهران، وبالرغم من التخطيط الطويل الواسع لهذه المؤامرة، إلا أنه تم إحباطها قبل موعدها بفضل جهاز الاستخبارات.

^٣ ظهر المذهب الوهابي على يد محمد عبد الوهاب النجدي (نهاية القرن ١٢ وبداية القرن ١٣هـ) بإيحاء من الاستعمار الإنجليزي. وتكفر الوهابية جميع فرق المسلمين سنية وشيعية، وتضعها في مصاف عبدة الأصنام، وتعد احترام وتعظيم قبر الرسول صلى الله عليه وآله وقبور الأئمة عليهم السلام بدعة ونوعاً من الشرك. وللوهابيين نشاطات ثقافية ودعائية مستغلة ثروات المسلمين في الجزيرة العربية، وهم في الحقيقة أداة لتنفيذ المخططات الجهنمية للقوى العظمى.

الحجة - أرواحنا فداء - واليوم إن ارتكب سهواً خلاف شرعي بسيط في مكان ما، فإنهم يصرخون «وإسلاماه».

«فالحجّية»^١ التي حرمت النضال في الأمس، وبذلت قصارى جهدها من أجل بحبوحه النظام لإفشال اعتصام «المصاييح» في الخامس عشر من شعبان لصالح الشاه، أصبحت اليوم تدعي الثورية أكثر من الثوريين.

«كما أن «الولائيين»^٢ في الأمس أساءوا بسلوكهم وتحجرهم إلى سمعة الإسلام والمسلمين، وأضعفوا عملياً موقف حماة الرسول وأهل بيت العصمة والطهارة، ولم يكن عنوان الولاية بالنسبة لهم غير وسيلة للتكسب؛ أضحوا اليوم ورثة الولاية وبناتها ويتحسرون على الوضع الذي كانت عليه في عصر الشاه.

حقاً، من الذي كان يصدر اتهامات من قِبل الأميركي والروسي والالتقاطي، واتهام تحريم الحلال وتحليل الحرام، واتهام قتل النساء

^١ كانت «رابطة الحجّية» تنظيمًا واسعاً استطاع من خلال أسلوب العضوية فيه واجتماعاته شبه السرية أن يستقطب قوى متدينة كثيرة. نشأ انحراف هذه المنظمة عن الإسلام الأصيل من اعتقاد مؤسسيها وموجهيها بعد التدخل في الشؤون السياسية، وأدى هذا الانحراف إلى تبديد طاقة الشباب والمثقفين الذين التحقوا بها، في التصدي للعقيدة البهائية الجوفاء بدلاً من مجابهة نظام الشاه الفاسد. وفي الوقت الذي حرم فيه الإمام عليه السلام عام ١٩٧٨م إقامة المهرجانات بمناسبة الثالث من شعبان - ذكرى ميلاد الإمام الحسين عليه السلام - والنصف من شعبان - يوم ميلاد الإمام المهدي (عج) احتجاجاً على جرائم الشاه، سعت هذه المنظمة إلى إفشال ذلك الإضراب بكل ما أوتيت من قوة. فالانحطاط الفكري الذي كانت عليه وتفسيرها الخاطيء لانتظار الفرج وشروط ظهور الإمام المهدي (عج) قد دفع بها إلى إدانة أي جهاد سياسي وأي جهود تبذل من أجل حكم الصلحاء للبلاد.

^٢ المقصود بأهل الولاية أو الولائيين: تيار متحجر يدّعي محبة أهل البيت عليهم السلام والاعتقاد بولايتهم، وهذه الفئة ترفض النشاطات السياسية والجهادية الرامية لإقامة حكم إسلامي في زمان غيبة المهدي (عج) «الإمام الثاني عشر للشيعا» وترى خطأ تلك الحركات بحجة رفضها لحكم غير المعصوم. وأدى هذا النمط من التفكير إلى انجرارها لخدمة النظام الملكي والتصدي لأنصار الثورة الإسلامية. إن عدم إيمان هؤلاء بالاتحاد مع مسلمي سائر المذاهب الإسلامية وتكفير دعاة وحدة العالم الإسلامي، قد وجه نشاطاتهم باتجاه حفظ مصالح المستعمرين.

الحوامل، وتحليل القمار والموسيقى؟ هل كان يصدها غير المتدينين أم المتحجرين والحمقى والمتظاهرون بالقداسة؟

من الذي رفع عقيرته بتحريم النضال ضد أعداء الله والاستهزاء بثقافة الشهادة والشهداء، والتشكيك بمشروعية النظام والطعن والتندر بمواقفه؟ هل هم العوام أم الخواص، ومن أي فئة من الخواص؟ من الذين يتسترون بزي رجال الدين أم من غيرهم؟ لأترك ذلك، فالكلام فيه لا ينتهي»

لقد وددت في هذا المقال المختصر الإشارة إلى صفحة من صفحات السّفر غير المكتوب لمظلومية الإمام، وما أشرت إليه لا يتعدى حدود المقدمة والديباجة، ذلك أن ألم فراقه والمشاكل الكثيرة حالت دون التطرق إلى المزيد، وأنا هنا ألفت الأنظار على جانب من المعاناة والآلام التي تجرع مرارتها سماحة الإمام في سبيل تحقيق انتصار الثورة. وأسأل الله تعالى أن يوفقني لتدوين صفحات أخرى من هذا الكتاب، وأن أصارحكم أنتم أحباء الإمام وأنصاره بمكنونات قلبي.

وأنتهز هذه الفرصة لأحيي ذكرى الشهداء من علماء الدين الأفاضل، الذين نفضوا أيديهم في غربتهم من كل شيء ورفعوا صوتهم بصدق وإخلاص وشجاعة في كل شبر من البلاد مؤكدين أحقية نهج الإمام، وأوصلوا نداء الإمام المطالب بالحق، ومظلوميته إلى أسماع الحوزات العلمية والشعب الإيراني والمسلمين في العالم، وكانوا مصداقاً حياً للعبارة التي كان يكررها الإمام دائماً: «في أي نهضة وثورة دينية وشعبية، كان علماء الإسلام في طليعة حاملي لواء التضحية والشهادة».

إن أحاديث سماحة الإمام وكتاباته تفوح منها معاناة رجل شجاع لا يدع فرصة إلا ويسلب المبادرة من الخصم في ساحة الصراع؛ وفي الوقت ذاته لا يخفي تألمه وامتعاضه من الذين لا يعرفون معنى الألم والعذاب. وأنا أنتهز هذه المناسبة لأدعو الأخوات في الجمعية النسوية الإيرانية

وجميع الراغبين في التحقيق في تاريخ الثورة بأن يعدوا دراسة في هذا المجال تعتمد أحاديث الإمام، تليق بشأنه والثورة الإسلامية الدامية، وأن يبرهن بوضوح للمسلمين الحقيقين كافة من إنهن سيواصلن نهج الإمام في غيابه، ولن يُعَدَنَّ مطلقاً إلى عصر الجاهلية الذي سبق مجيء الإمام، إن شاء الله.

مقدمة كتبها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني

لكتاب «خلوت خورشيد»

بسم الله الرحمن الرحيم

خلوة الشمس

كما أن لكل ذرة في الكون اجتلاءً، ولمخبأ أسرارها اختلاءً، تسير عليه، من الثرى حتى الثريا؛ فكذلك للشمس بعد تجليها خلوة تذيب فيه مشاعل عشقها كل الذين يتمنون الحضور في حريمها، حيث الذكر والتسبيح فقط، «وإن من شيء إلا يسبح بحمده»^١.

وطالما أراد العرفاء المتيمون بيان هذا الشعل التي تذيبهم بالسنة الاستعارة والتشبيه، ولكن حيث لم يتيسر لهم وصف ما يجري في أعماقهم وخلواتهم، نراهم اكتفوا بالتعابير. يقول حافظ: الشمس شعلة من النار الكامنة في صدري.

ويقول عارف آخر:

في بيت القلب لا مجال إلا للحبيب وفي مختلى الحبيب لا مكان للأغيار.

^١ الإسراء: آية ٤٤.

أما مرشدنا وشيخنا وعارف عصرنا، الذي أخفى جميع لهيب عشقه ومعاناته في قلبه وصدره، فيقول: في خلوة السكاري، لا «أنا» ولا «نحن».

وبنفي جميع مظاهر الوجود المادي اعتبر خلوته فناءً في الله ومحوً في جماله. فمع أنه كان يحمل لوحده أعباء جميع آلام أسلافه في هداية الجيل العاصي والمغفل، حتى آخر لحظة من حياته؛ نراه يمضي الليالي الأخيرة من عمره - كما كان دائماً - في التكبير والتسبيح، وكانت له خلوة لا تخرق.. فيها أحرق لهيب عشقه القلوب، وأذاب بعروجه أرواح محبيه، وصار الحزن عليه أسطورة خالدة.

واليوم، ها نحن والعقبة، «وما أدراك ما العقبة، فك رقبة»^١. وهو الذي اجتاز هذه العقبة، وحطّم سلاسل العبودية وأغلال الرق، وصار عصرنا عصر الخميني.. الخميني الذي غدا شمس معرفة وتحرير الإنسان، وغدا اسمه وذكره إشعاعاً من الشمس في وادي الفكر البشري.

^١ الآياتان ١٢ و ١٣ من سورة البلد.

نص الكلمة التي ألقاها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني

في مؤتمر «أهل البيت (عليه السلام)» الدولي

بتاريخ: ١٩٩٠/٥/٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أود في البدء أن أعرب عن شكري لسماحة القائد المعظم آية الله السيد الخامني، على دعوته لإقامة هذا المؤتمر الذي يهدف إلى ترسيخ أسس التضامن وتوفير فرص تلاقي الأفكار والتعرف على مشاكل العالم الإسلامي وعالم التشيع .. كذلك اشكر المسؤولين عن إنجاح هذا النوع من المؤتمرات واللقاءات.

مما لا شك فيه أن العلوم الإسلامية، لاسيما فقها، تركز على أحاديث الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، فمع أن كلاً من الكتاب والإجماع والعقل له دور فاعل ومؤكد في الكثير من العلوم الإسلامية، إلا أن الجزئيات المتداولة في البحوث الإسلامية لاسيما الفقه، وليدة الأخبار والأحاديث والروايات الصادرة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في مختلف أيام حياتهم، وإن الفقيه هو الذي درس هذه الأحاديث وتبين الصحيح منها والسقيم، وجمع بين

الروايات المتعارضة واستخرج الحكم الشرعي من بين ثناياها ووضعها في متناول أيدي الناس والمجتمع، ولهذا نرى أن معظم الاختلافات في الفتاوى ناشئ من هنا، كما أن أكثر الاختلافات الأصولية تعود إلى ذلك أيضاً. وإن الاختلافات في الروايات بحد ذاتها له تفسير لا يتسع المجال لعرضه هنا، ولكن أحد أسبابه يعود إلى مظلومية هؤلاء العظام - الأئمة الأطهار عليهم السلام - وعدم تمكنهم من إظهار الحق والحقيقة كاملة. فمن الواضح إن المضايقات السياسية والعزلة التي كانت مفروضة على الأئمة الأطهار عليهم السلام لم تسمح لهم مطلقاً ببيان المسائل الدينية والعقائدية بصورة صريحة؛ حتى إنهم كانوا أحياناً يطرحون بعض المسائل من باب التقية، مع إنها لم تكن محل اهتماماتهم أصلاً - نحن أنفسنا كان لدينا مثل هذا إلى حد ما في عهد الشاه - هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن الفئات التي كانت تملك السلطة والقوة، كانت تروي ما تعتبره مفيداً لها على أنها أحاديث نبوية وأحياناً تنسبه إلى الأئمة الأطهار. ومن هنا لا سبيل أمام الشيعة للتحقق من أحاديث الأئمة الأطهار وتعاليمهم، إلا بالرجوع إلى الخير في الفقه، العالم بحقيقة ما صدر عنهم عليهم السلام ولهذا السبب بالذات يحظى العلماء والفقهاء بمنزلة مرموقة واعتبار سام لدى الشيعة، وإلا فإذا ما تجرد الفقيه من مهمته في توضيح رأي الإمام المعصوم، فإنه لا يختلف عن غيره من الناس العاديين، فإن ما يضيفي الاحترام والتقديس على الفقيه هو عمله لأنه ينقل عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، وفي الوقت نفسه فإن الأئمة الأطهار عليهم السلام لا ينطقون بغير الذي عرضه رسول الله صلى الله عليه وآله بوصفه دين الإسلام. وعليه فالشيعة هم المسلمون الحقيقيون العاملون بسنة رسول الله. ويبدو أن ثمة روايات بهذا الشأن تفيد بأن أهل السنة الحقيقيون هم الشيعة. والخير بالفقه إذا ما ابتعد عن تعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام انتفت حجية آرائه، وبالطبع يثار هنا سؤال، وهو: إذا لم يكن

الفقيه نفسه عادلاً، فلماذا لا ينبغي للآخرين أن يأخذوا برأيه؟ إذا لم يكن الفقيه عادلاً ولم يطبق الحكم على نفسه، فلا يستبعد أن يكون قد بني آرائه بدافع أهوائه النفسانية وحب الدنيا وتوجهاته السياسية؛ فتكون حائلاً دون حركة لحقيقة آراء الأئمة الأطهار عليهم السلام وهنا يرد هذا السؤال: إن مثل هذا الفقيه ربما ابتعد عن العدالة فيما بعد، فلماذا لا يصح العمل بآرائه؟ لأول وهلة، قد لا يبدو وجهاً آخر غير «التبعد»، فمن أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام يستفاد إن الإحاطة الفضلى بكنه الحقيقة تثير موضوع العلمية. تطرح سمة «الأعلم» في مسألة «التقليد». ونظراً لأن الفقه الشيعي فقه حيوي، فإنه يتحتم على الفقيه لأجل الإحاطة بآراء الأئمة الأطهار، أن يأخذ بنظر الاعتبار كل الأبعاد. حيث تكتسب معرفة أوضاع العالم وأحواله ودورها في الاجتهاد معنى لها. ويصبح الزمان والمكان جزءاً من النواة المركزية للاجتهاد.

لقد كان لسماحة الإمام اهتمامات في هذا الموضوع، إلا أنه للأسف لم يتم التأمّل فيها حتى الآن. فمن وجهة نظر الإمام لا يعد الزمان والمكان علة وشرطاً في تحقيق عنوان ثانوي، بل يشكلان مع بقية الشروط والعناصر موضوع الاجتهاد، ويقودان المجتهد إلى حقيقة حكم الله تعالى الذي يمثل الهدف الأول. لنتمعن في عبارة سماحة الإمام الآتية:

«بالنسبة لأسلوب الدراسة في الحوزات وتحصيل العلوم فيها، أنا أؤمن بالفقه التقليدي والاجتهاد الجواهري¹، واعتبر التخلّف عن ذلك غير جائز.

¹ الفقه التقليدي: أسلوب في استنباط واستخراج الأحكام الشرعية يعتمد المصادر الفقهية المعتبرة والرصينة، ويعمل به فقهاء الشيعة منذ عهد المعصومين وحتى يومنا هذا. ويرى البعض أنه يتعارض مع حيوية الفقه، إلا أن حيوية الفقه الناجمة عن دور الزمان والمكان، تتحقق - من وجهة نظر الإمام عليه السلام - في إطار الفقه التقليدي، وتتحكم في استنباطه. واجتهاد الجواهري مقتبس عن الأسلوب الذي انتهجه الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر - من علماء الإمامية في القرن الثالث عشر الهجري - في كتابه القيم المعروف بـ «جواهر الكلام» والذي

فالاكتهداد بهذا الأسلوب هو الصحيح؁ ولكن هذا لا يعني أن الفقه الإسلامي غير حركي. فالزمان والمكان عنصران أساسيان في الاجتهاد. والمسألة التي كان لها حكم ظاهري في السابق؁ يمكن أن يكون لها حكم جديد بسبب العلاقات السائدة بين السياسة والاجتماع والاقتصاد في نظام ما؛ فمن خلال المعرفة الدقيقة بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمسألة يتبين أن المسألة موضوع البحث التي تبدو في ظاهر أمرها وكأنها لا تختلف عما كانت عليه فيما مضى؁ غدت في الحقيقة مسألة جديدة تقتضي حكماً جديداً؁ لاشك.

لابد للمجتهد من الإحاطة بمسائل عصره. فمن غير المعقول لدى الناس والشباب وحتى العوام أيضاً؁ أن يقول لهم مرجعهم ومقلدهم إنني لا أفتي في المسائل السياسية. إن من سمات المجتهد الجامع الإحاطة بسبل التعامل مع الأساليب والمحاولات الخادعة للثقافات الوافدة؁ والتحلي بالبصيرة التي تؤهله لامتلاك الرؤية الاقتصادية والتعرف على أبعاد النظريات الاقتصادية السائدة في العالم؁ ومعرفة المناهج السياسية وحتى السياسيين وأساليبهم ومعادلاتهم السياسية؁ والإحاطة بنقاط القوة والضعف في كل من القطب الرأسمالي والشيوعي؁ اللذان يتحكمان بسياسات العالم.

لابد للمجتهد من التحلي بالذكاء والفراسة اللازمة لقيادة وتوجيه المجتمع الإسلامي؁ وغير الإسلامي أيضاً. وفضلاً عن الخلوص والتقوى والزهد؁ ينبغي للمجتهد أن يكون بحق؁ مديراً ومدبراً.

شرح فيه «شرائع الإسلام» للمحقق الحلي. وبدأ صاحب الجواهر بتأليف هذا الكتاب وله من العمر ٢٥ سنة؁ وأمضى في تأليفه مدة ٣٠ عاماً. وتوفي = بالنجف الأشرف في غرة شعبان عام ١٢٦٦هـ وترى الحوزات العلمية أن تدريس «جواهر الكلام» أمر لابد منه لسعة مواضعه وتنوعها؁ ولهذا يسمى الفقه المتداول في الحوزات بـ «الفقه الجواهري».

إن النص المذكور آنفاً، يعالج واحدة من المسائل التي كانت محل اهتمام الإمام. فالعلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في نظام ما، من الممكن أن توجد حكماً جديداً لقضية ما، كان لها حكماً آخر قبل تغيير العلاقة.

إن «العلاقة» في حديث الإمام تحظى بأهمية كبيرة، لماذا؟ لأن الموضوع لم يحصل له تغيير ظاهراً، وأن العلاقات الاقتصادية أو السياسية هي التي تدخلت فغيّرت الظروف، ومن هنا ولأجل معرفة العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ينبغي للمجتهد أن يكون محيطاً بقضايا عصره.

إن معرفة العلاقات السياسية والاقتصادية تستمد وجودها من معرفة أبعاد الثقافة العصرية. فالتحلي بالبصيرة والرؤية الاقتصادية وإدراك نقاط قوة وضعف الرأسمالية والشيوعية، تعتبر من سمات المجتهد الجامع، لأنها مؤثرة في أصل الاجتهاد، وإلا فلا توجد أي سنخية بينهما. فما علاقة المفاهيم الأصولية من قبيل العام والخاص والمطلق والمقيد، بدور الامبريالية في أميركا اللاتينية، أو دور الشيوعية في العالم الإسلامي، بيد أن العلاقة تصبح بحد ذاتها من صلب الاجتهاد، بوحى من حركية فقها وفاعليته، علماً إن أمثال هذه العلاقات لا تكون سبباً في أن تتخلى الأحكام الأولية¹ عن مواقعها لتحل محلها الأحكام الثانوية؛ بل تصبح

¹ ورد في الكتاب والسنة كثير من الأحكام والنظم للعلاقات الاجتماعية التي يحتاج إليها المسلمون، وقد تحدد إطار كل منها بصورة كلية أو جزئية، ويطلق على هذه المجموعة من الأحكام «الأحكام الأولية». غير أن الحكومة الإسلامية قد تواجه خلال إدارتها للمجتمع قضايا ومشاكل لا يمكن حلها إذا ما تم العمل وفق الأحكام الأولية الثابتة، وفي مثل هذه الحالات، فوض الإسلام للحاكم الشرعي استخدام حق ولايته في ضوء ظروف ومصالح المجتمع الإسلامي، وسمح له بحل مثل هذه المشاكل من خلال وضع بعض الأحكام والأنظمة، وتسمى هذه المجموعة من الأحكام بـ «الأحكام الثانوية» وتعرف كذلك بالأحكام الحكومية، والمسلمون ملزمون بالعمل بها.

سبباً في ان يكتسب الموضوع حكماً آخر دون أي تغيير ظاهري - طبعاً
فرض ذلك صعب جداً - «ولكن المهم هو الإدراك الصحيح للحكومة،
وعلى أساسه يتمكن النظام الإسلامي من لصالح المسلمين. وإن وحدة
الرؤية والعمل ضروريان. وهنا بالذات يكون الاجتهاد المصطلح
بالحوزات غير كافٍ. فالشخص وإن كان الأعلم في العلوم المعهودة لدى
الحوزات، إلا أنه يظل عاجزاً عن تشخيص مصلحة المجتمع، أو لا
يستطيع التمييز بين الأفراد الصالحين والنافعين عن غيرهم؛ وبصورة عامة
إذا كان الفقيه يفتقد في المجال الاجتماعي والسياسي إلى الرؤية
الصحيحة وإلى القدرة على اتخاذ القرار؛ فإنه لا يعد مجتهداً في المسائل
الاجتماعية والإدارية، وليس بإمكانه أن يمسك بيده زمام أمور المجتمع».

إذن من وجهة نظر الإمام، المجتهد هو الذي يدرك أبعاد الحكم
ومتطلبات المجتمع بنحو سليم، وإن الاجتهاد المصطلح المتعارف عليه
في الحوزات، من الطبيعي أن لا يدعوا إلى الإحاطة بمعاناة الدولة ووعي
متطلبات المجتمع الإسلامي. فمن الممكن أن يكون شخص ما هو الأعلم
في العلوم المتداولة في أوساط الحوزات، إلا أنه يجهل المجتمع
ومصالحه، فلا يمكنه إدارة شؤونه. إذن ففقيه الحوزة ع افتقد إلى الرؤية
السياسية والاجتماعية، يبقى مجرد خبير يضع خبرته تحت تصرف
الشخص الذي يمسك بزمام أمور المجتمع. فعلى سبيل المثال، إن الذي
كان يدرس في الحوزات كل هذه الفترة، إن التعزيرات¹ هي العقوبات
التي يحددها القاضي.

¹ التعزيرات في الفقه الإسلامي تطلق على العقوبات التي ينطأ تعيينها بالقاضي، وبإمكان قاضي
المحكمة الإسلامية أن يحدد مقدار العقوبة في ضوء وضع المجرم ونوع الجريمة وظروف
وقوعها، شريطة أن لا يتجاوز الحد.

فمن الممكن أن يصدر القاضي في مدينة ما حكماً معيناً في جرم ما، يكون له حكم آخر لو ارتكبه شخص آخر في مدينة أخرى، بل قد يصدر القاضي حكماً جديداً في نفس المدينة ولكن من بيده زمام الأمور يقول: إن وحدة الرؤية والعمل ضروريان للنظام. ففي هذه الحالة تحدد حالات الجرائم وأحكامها وتطبق بالسواء في مختلف أنحاء البلاد. وهذا يعني إن مختلف التعزيرات تتخذ لها صورة مكتوبة محددة.

وكما نرى أن توحيد الأحكام هذا ضروري من قبل الذي يمسك بزمام الأمور ويكون مجتهداً في المسائل الاجتماعية والسياسية أيضاً، وهنا ليس باستطاعة الفقيه غير السياسي أن يتحدث بمثل هذا، لأنه لا يتعدى حدود أحد الخبراء.. لنقرأ هذا النص لسماحة الإمام الذي يقول فيه: «الحكومة هي الفلسفة العملية للفقه كله».

أي إن الحكومة في نظر المجتهد الحقيقي هي الفلسفة العملية لمختلف أبعاد الفقه في كل مناحي الحياة الإنسان.. الحكومة هي مصداق البعد العملي للفقه في التعامل مع المعضلات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية.. الفقه هو النظرية الواقعية المتكاملة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللحد. وأن الهدف الأساس يتمثل في كيف يتسنى لنا تجسيد الأصول الرصينة للفقه في حياتنا وحياة المجتمع، وأن نجد حلولاً لمعضلاتنا؟ وإن أشد ما يخشاه الاستكبار هو أن يجد الفقه والاجتهاد بعده العيني والعملي، وأن ينمي لدى المسلمين القدرة على المواجهة.

فالفقيه الذي لا شأن له بالتطبيقات العملية وبإيجاد حلول للمعضلات التي يعاني منها المجتمع؛ يهرب من الواقع ويقول: إن المعضلة لا تعينني، أنا أتحدث عن حكم الله. لكن الفقيه الذي يمسك بزمام الأمور، يتطلع

إلى تطبيق أحكام الفقه على عمل الفرد والمجتمع. إنه يتطلع على حلول إسلامية لجميع المعضلات السياسية والاجتماعية والعسكرية التي يعاني منها العالم الإسلامي. ومتى كان الفقيه كذلك وقف ضده عالم الاستكبار، وإلا لو بقي في حدود الخير يمارس عمله في المدارس الدينية فلن يتعرض له أحد، لأن الفقه الذي يدرسه ويدرسه لا يجد تطبيقاته العينية والعملية.

لقد اتضح الآن لماذا كان سماحة الإمام قده يعتبر الاجتهاد المصطلح في الحوزات غير كافٍ.. فهل بالإمكان وعي حكم الله تعالى من دون الخوض في قضايا الاقتصاد الامبريالي والألاعيب السياسية لعالم الاستكبار، والحسابات العسكرية الدقيقة والتركيبية الاجتماعية لكل شعب وبلد؟ هل بمقدورنا أن نحدد مصالح الإسلام والمسلمين في عالمنا المضطرب الراهن، ونحن جالسون في زاوية إحدى المدارس؟ هل يتسنى للفقيه أن يكون مجتهداً واقياً من دون الإحاطة بأبعاد الثقافة الغربية المتآمرة، ومن دون التوفر على بصيرة ورؤية اقتصادية، ومن غير الإحاطة بأبعاد النظام الاقتصادي المهيمن على العالم، ومن غير درك النوايا السياسية والسياسيين، ومن دون الاطلاع على إستراتيجية الأقطاب العالمية؟

وهنا يتضح بعد نظر إمامنا العزيز في الفصل بين المرجعية والقيادة.

إنكم أيها الأعزة تجتمعون في هذا المكان بدعوة من قائدنا العزيز لتدارس مشاكلنا معاً، ولنتعرف على المشاكل التي يعاني منها كل من العالم الإسلامي والعالم الشيعي. وكما يتضح إن مشكلات عالم الإسلام والتشيع وليدة عدم الفهم الصحيح لتعاليم الأئمة الأطهار. فمتى ما تم التعرف على أهداف أئمتنا العظام، فليس الشيعة وحدهم سيصبحون يداً واحدة في مواجهة عالم الاستكبار، بل باستطاعة إخوتنا من أهل السنة أن

يوحدوا كلمتهم أيضاً، وبهذه الوحدة نحول دون تحكم الاستكبار وعملائه في البلدان الإسلامية، ولا يجرؤ أحد بعد ذلك على النيل منا.

ولا يخفى أن تعاليم الأئمة الأطهار تنسجم مع تطلعات المستضعفين والمحرومين في الوقوف بوجه القوى الظالمة ومقارعة الإقطاعيين والرأسماليين مصاصي الدماء، والنزوع على التحرر والاستقلالية، والابتعاد عن الأهواء النفسانية، والعمل بأحكام القرآن الكريم والرسول الأكرم ﷺ فهل إن حياتنا - نحن الذين نزعم بأننا شيعة الأئمة الأطهار - والقيم السائدة فينا تنسجم مع تعاليمهم في خدمة عباد الله؟ هل نحن على استعداد للتضحية ببعض ما لدينا في سبيل الفقراء والمحتاجين؟ إن الاكتفاء برفع شعار مناصرة المستضعفين والمحرومين دون محاولة ترجمته عملياً لا يجدي نفعاً ويستوجب اللعن، فإذا كنا لا نعمل بالتكاليف فكيف نجرؤ على الادّعاء بأننا شيعة أمير المؤمنين؟ هل يمكن أن نكون من شيعة علي عليه السلام ونحن نجلس إلى موائد فيها كل ما لذ وطاب؟ هل يصح أن ندعي انتسابنا إلى الأئمة الأطهار، وأبنائنا ينعمون بمختلف وسائل الرفاه في وقت يتحسر أبناء الفقراء على ليلة واحدة ينامون شبعي؟ هل من الإنصاف أن ندعي ذلك في وقت يعاني فيه إخواننا المسلمون في بعض الأقاليم الإسلامية من شظف العيش والحرمان؟ إننا إن ارتضينا عيشة الفقراء فنحن حقاً من شيعة الأئمة الأطهار ونكون قد جسدنا أحد أهدافهم. أما إن كان يفرحنا المدح والثناء وإن كان بغير حق، ويغضنا النقد وإن كان بناءً، فلنكن واثقين بأننا لسنا من شيعة مولى المتقين أمير المؤمنين. فإذا كانت قلوبنا تطمئن لغير الله، وإذا ما طلبنا رضا سواه، فلا شك إننا لسنا من شيعة الأئمة الأطهار عليه السلام.

إننا نعلم جميعاً أن أمثال هذه القضايا لا تحل بالشعارات والمؤتمرات، لابد لنا من العمل. ينبغي لنا التأسّي بالخميني الكبير لكي يكتسب كلامنا عبر كلام الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وحينها باستطاعة جملة واحدة من كلامك أن تزلزل الشرق والغرب من حولك.. ينبغي لك التأسّي بالخميني لتتمكن بإشارة واحدة منك أن تدفع المحرومين في بلادنا الإسلامية للنزول إلى الشوارع.. ينبغي أن نكون خمينيين حتى نتمكن من ارتشاف زعاف قرار وقف إطلاق النار كارتشاف الماء، ونلقى الحبيب بسكرة التضحية والإيثار.

إننا نؤمن بأن أهداف نظامنا وتطلعاته تستمد وجودها من أهداف النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام). وإن نظامنا اليوم قد اتخذ قراره وعقد العزم على تجسيد تعاليم الإسلام العظيم وتطلعات أئمتنا الكرام. ومن الطبيعي إن هذه التعاليم والتطلعات هي في ذروة الجمال والصفاء والمحبة والتوحيد والعبودية، وما زالت بيننا وبينها فاصلة غير قليلة.

إن الذي يقود مسيرة تحقيق هذه الأهداف، هو الخميني الكبير وتلميذه العزيز سماحة آية الله الخامنّي قائد الثورة الإسلامية الكبير ونظامنا المبارك. وإن هذا النظام سيواصل بإذن الله تعالى تطبيق النهج الذي اختطه له مؤسس الجمهورية الإسلامية.

فالإمام الراحل وسماحة آية الله السيد الخامنّي هما في غاية البساطة من حيث مستوى المعيشة، أما من حيث الصلابة في مواجهة أعداء الإسلام فهما كالأئمة الأطهار. كما إنهما لم يألوا جهداً في الدفاع عن المحرومين والمقهورين ولن يكفّا عن الدفاع عن التطلعات الإسلامية لمسلمي العالم.

إن ما نتطلع إليه هو أن تنظروا انتم إلى هذا النظام مثلما ننظر نحن إليه، وأن تسعوا لتحقيق أهدافه في بلدانكم.. فمن حقكم أن تفتخروا بأن

نظاماً أقيم في زمن سيطرة الكفر والإلحاد والتحليل الخلقي، تطوَّع للدفاع عن الإسلام والقرآن والرسول الأعظم والأئمة الأطهار، وإنه بسبب أهدافه هذه يتعرض إلى أبشع صور الإرهاب والنهب والإيذاء والتهم والافتراء. وقد قدم شخصيات كبيرة^١ في مذبح الشهادة من أجل المحبوب، أمثال الشهيد المطهري وبهشتي وشهداء المحراب، وباهنر ومحلاتي ورجائي، وقدوسي وهاشمي نجاد ومئات الأشخاص من العلماء والمفكرين الكبار.

إننا وبسبب دفاعنا عن الرسول الأكرم والأئمة الأطهار عليهم السلام نتعرض إلى أشرس حملة دعائية تشنها وكالات الأنباء العالمية والمشفرون عليها الذين لا شك أنهم من الجواسيس البارزين لأجهزة الأمن والاستخبارات الشرقية والغربية، فبسبب دفاعنا عن الرسول الأعظم والأئمة الأطهار فرضت علينا الحرب^٢.. وبسبب دفاعنا عن الرسول الأعظم والأئمة الأطهار طعننا وتطعننا من الخلف معظم الدول الإسلامية.. بسبب دفاعنا

^١ بدأ الاغتيال ضد نظام الجمهورية الإسلامية باستشهاد الأستاذ المطهري على يد منظمة الفرقان، وأعقب ذلك استشهاد العشرات من الشخصيات الفذة والبارزة في البلاد من العلماء والجامعيين، وإلى جانب ذلك الظالمة الجبانة على يد المنافقين والملكيين وجواسيس = صدام والموجهة من قبل الإرهاب الدولي، اقترح أحد أعضاء الحزب الديمقراطي في الكونغرس الأميركي حذف اسم منظمة المنافقين من قائمة الإرهابيين، ويقد النظام العراقي لهذه المنظمة الإرهابية مساعدة سنوية بمقدار ٥٠ مليون فرنك، وهو ما يدل على حجم المؤامرات المحاكة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية من قبل الوكالات التجسسية والتنظيمات المحلية في تلك الفترة.

^٢ بانتصار الثورة الإسلامية في إيران، فقدت أميركا إحدى أكثر المناطق الإستراتيجية حساسية في العالم فتوسلت بمختلف الأساليب لإركاك الثورة؛ فكان الغزو العسكري (حادثة طبس)، وحاكة المؤامرات الانقلابية قائمة على أساس هذه السياسة. وعندما فشلت في كافة هذه المحاولات، لجأت إلى حيلة جديدة وهي حث النظام العراقي - المعروف بمغامراته - بفرض حرب على الثورة الإسلامية وخلال هذه الحرب التي دامت ثماني سنوات، فقد مئات الألوف من الناس أرواحهم وتعرض أكثر من ذلك للعوق والأسر والتشريد، فضلاً عن الخسائر الفادحة التي بلغت مليارات الدولارات، وبالرغم من فرض مثل هذه الحرب الشرسة الواسعة، إلا أن القوى العظمى وعميلها صدام العفلي لم يحققوا أيّاً من أهدافهم.

عن الرسول الأعظم والأئمة الأطهار حرمونا من الحج. حرمنا آل سعود^١ الذين لا يعرفون الله، وبوحي من عمالتهم لأمركا، ومن هذه النعمة الإلهية العظيمة، وما فتئوا يمارسون ضدنا وضد الشيعة في العالم أنواع التهم والافتراءات .. بسبب دفاعنا عن الرسول الأعظم والأئمة الأطهار، وقف الشرق والغرب ضدنا .. بيد أن كل ذلك لم يفت في عضدنا ولن يزلزل عقيدتنا، ولقد قاومنا كل الضغوط والصعوبات والعقبات التي وضعت في طريقنا بقوة وحزم. ففي سبيل تحقيق أهدافنا تلك، وقفنا أمام ثقافة الغرب المنحطة إلى حد التضحية بأرواحنا، ودافعنا عن ثقافة التشيع المظلومة. وما تفجير مبنى الحزب الجمهوري ومبنى رئاسة الوزراء^٢، ومراكز التربية والتعليم، والمصانع وحرق المزارع، إلا بسبب دفاعنا عن الأهداف الحقة لمحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام. فالدفاع عن الأهداف الإسلامية في كل نقطة من هذا العالم، ليس سوى دفاع عن الأئمة الأطهار عليهم السلام فإذا ما تناثرت أشلاء أعزتنا في جبهات القتال كتناثر أوراق الزهور! وإذا ما

^١ آل سعود، سلسلة الأمراء الوهابيين الذين حكموا الجزيرة العربية منذ عام ١١٤٧ هـ، (١٧٣٥م) وحتى يومنا هذا، وغيروا اسم الجزيرة إلى «العربية السعودية» وتعتقد الوهابية بأن كل المذاهب الإسلامية سنية كانت أم شيعية مذاهب مشتركة كافرة عابدة للأصنام، ولم ينجم عن حكم هذه الأسرة للجزيرة العربية سوى معاناة سكانها من الارتباط بالأجنبي والحرمان المادي والمعنوي. وكان رؤساء هذه الأسرة دائماً في خدمة الاستعمار الإنجليزي وتنفيذ أهدافه ومخططاته. ثم أصبحوا في الآونة الأخيرة في خدمة الامبريالية الأميركية. والجدير بالذكر أن آل سعود قد ارتكبوا مجزرة مروعة في عام ١٩٨٧م تنفيذاً لأوامر تلقوها من أميركا، حيث قتلوا على ما يربو على ٤٠٠ حاج إيراني وغير إيراني في بيت الله الحرام، فأضافوا بذلك وصمة عار أخرى إلى سجلهم الأسود، كما امتنعوا عن استقبال الحجاج الإيرانيين لمدة ٤ أعوام.

^٢ إشارة إلى الانفجارين المروعين اللذين نفذتهما العناصر المناقفة المتسللة. فالانفجار الأول وقع في المكتب المركزي للحزب الجمهوري الإسلامي بتاريخ ١٩٨١/٦/٢٨ وأدى إلى استشهاد الدكتور بهشتي و٧١ شخصاً آخر من كبار مسؤولي نظام الجمهورية الإسلامية الفتية ممن هم في مستوى وزير، وعضو مجلس الشورى الإسلامي، ومدير دائرة ومؤسسة كبيرة، والانفجار الثاني وقع في مكتب رئيس الوزراء بتاريخ ١٩٨١/٨/٣٠، وأدى إلى استشهاد رئيس الجمهورية محمد علي رجائي ورئيس الوزراء حجة الإسلام الدكتور باهنر.

تعرض حزب الله في لبنان إلى أشد حملات أعداء الإسلام؛ وإذا ما تعرض أنصار الثورة في بلدان الخليج الفارسي لا سيما الكويت إلى أشد أنواع التعذيب واستشهدوا في مذبح الحب والإيثار والشهادة؛ وإذا ما قتل الوهابيون - عملاء الاستعمار في العربية السعودية - المسلمين في مذابح مروعة؛ وإذا ما كانت قلوب مسلمي أفريقيا تنبض لإيران والثورة والإسلام؛ وإذا ما تقطعت أجساد أعزتنا المسلمين في كشمير؛ وإذا ما استشهد المسلمون الفلسطينيون في الأراضي المحتلة بصورة فجیعة؛ وإذا ما أربع الإسلام أميركا وانجلترا وسائر القوى الكبرى؛ فكل ذلك نتيجة لدفاعنا عن الرسول الأعظم والأئمة المعصومين.

لقد أصدرنا حكم إعدام سلمان رشدي^١ بوحى من دفاعنا عن الإسلام وعن رسول الله والأئمة الأطهار، دون أن نعبأ بالضجة التي افتعلتها ضدنا الدول سواء التي تدعي الإسلام أو غيرها؛ ولن نتراجع عن ذلك قيد أنملة. إن دفاعنا عن الإسلام الأصيل وعن الأئمة الأطهار، كان سبباً أن ننت

^١ بعد صدور الكتاب الخرافي الحافل بالكفر المسمى (الآيات الشيطانية) للمرتد سلمان رشدي، والذي نال فيه بصورة مباشرة من المقدسات والعقائد الإسلامية، اصدر سماحة الإمام الخميني رحمته الله بياناً في ١٤/٢/١٩٨٩ خاطب فيه مسلمي العالم قائلاً:

«بسمه تعالى: إنا لله وإنا إليه راجعون. ليعلم كافة المسلمين الغيارى في العالم أن مؤلف كتاب (الآيات الشيطانية) - الذي نظم وطبع ضد الإسلام والرسول الأكرم صلوات الله عليه - وكذلك ناشريه المطلعين على فحواه، محكومون بالإعدام. وأطلب من المسلمين الغيارى أن يعدموا هؤلاء على الفور حيثما وجدوهم، كي لا يجرؤ بعد اليوم أحد على النيل من مقدسات الإسلام. ومن يقتل في هذا الطريق فهو شهيد إن شاء الله. على أنه لو كان هناك من يعرف بمكان مؤلف الكتاب، إلا إنه لا يملك القدرة على إعدامه، فعليه أن يعرفه للناس كي ينال جزاء عمله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. روح الله الموسوي الخميني».

والجدير بالذكر إن حكم ساب النبي هو القتل، وهذا الحكم تتفق عليه المذاهب الإسلامية كافة. لمزيد من الاطلاع راجع: ١- جواهر الكلام، ج ١ ص ٤٣٢. ٢- الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٥ ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

بالأصولية، ورغم أنهم يصفوننا بذلك للدلالة على رجعتنا، إلا أننا نفتخر بذلك بكل سرور، وأمثال ذلك ما لا يتسع المجال لذكره.

باختصار، لقد دفعنا ثمناً باهظاً في سبيل أهدافنا هذه، وأنا هنا لم أذكر سوى نزر من يسير مما يعود إلى الأحداث التي شهدناها بعد الثورة، وإلا فإن شهداء أجلاء أمثال آية الله سعيدي وآية الله غفاري^١، إضافة على مناضلين كبار سجنوا وعذبوا وأعدموا قبل الثورة، وهذه مأساة بحد ذاتها يطول سردها، وأنا هنا أدعوكم للتضحية من أجل الهدف الكبير المتمثل في الدفاع عن الإسلام والنبى أكرم الله والأئمة الأطهار عليهم السلام، وأن لا تخشوا الموت والشهادة والسجن والتعذيب؛ فإن الطريق وإن كان وعراً وشاقاً إلا أن ثماره حلوة لذيدة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

^١ آية الله سعيدي هو أحد العلماء المجاهدين في العهد الملكي الجائر، وقد سجن مراراً وتعرض للتعذيب لتأييده الإمام الخميني قده ولخطاباته التي تنشر الوعي بين الجماهير وتحركهم. استشهد في ليلة التاسع من حزيران عام ١٩٧٠م تحت تعذيب جلاوزة الشاه. أما آية الله الغفاري فقد سجن مراراً وتعرض للتعذيب لمناصرة الإمام قده. ثم استشهد في سجن (آوين) تحت تعذيب جلادي نظام الشاه وذلك في ١٩٧٤/١٢/٢٨م.

نص الحديث الذي أدلى به حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني
في الجلسة الختامية لمؤتمر الفكر الإسلامي الذي عقد تحت عنوان:
«الثورة الفقهية للإمام الخميني»

بتاريخ: ١٩٩٢/٠٢/٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد شكري للمشرفين على إقامة هذه المؤتمرات والندوات، أود أن
أتحدث - استناداً إلى كتابات سماحة الإمام - عن قضية ربما تكون موضع
تساؤل البعض، مع إنها بالنسبة لي مفروغ منها.

في اعتقادي، إن البعد العرفاني والفقهية من أبعاد شخصية الإمام أكثر
مجهولية من أي بعد آخر، فالإمام ومن خلال تعرضه للمسائل المستجدة
ولو بإيجاز، كان يهدف على حلول للمعضلات التي تواجه النظام، من
خلال الإطار الفقهي العام. غير أن الحرب والقضايا الداخلية الطارئة لم
تمنح الفرصة الكافية للاستفادة من آراء الإمام ونظراته على أفضل نحو.

أولاً: الإسلام دين عالمي جامع وشامل، اختاره الله تعالى لإدارة العالم وجعله آخر الأديان، فنحن نؤمن بأن الإسلام قادر على إدارة العالم بأفضل صورة، نهضت بذلك أحكامه الأولية. أما الأحكام الثانوية، فهي للحالات الاضطرارية التي تتطلب حلولاً عاجلة لمعضلات المجتمع الإسلامي، ولكن إدارة المجتمع بواسطة الدين تعتمد في الأساس على الأحكام الأولية وإلا لما أطلق عليها سمة الأولية.

فأحكام الإسلام الأولية تجيب عن كل شيء إلا الحالات النادرة التي تتطلب عنواناً ثانوياً، فإذا ما وجدت مسألة لا نجد حلاً لها في أحكام الإسلام الأولية، وكان لابد للفرد أو المجتمع من اتخاذ حكم اضطراري من وجهة النظر الدولية؛ فذلك يعني إن عدة من الأحكام الكلية لأي دين تكفي، وما يتبقى يقع على عاتق ولي أمر المسلمين وممثليه في المحافظات والأقاليم. فعلى سبيل المثال، عندما يقول المسؤولون في النظام: إذا حذفنا الربا من البنوك فسوف تعلن إفلاسها، وما لم نفرض الضرائب إضافة إلى الخمس^١ والزكاة^٢، فسوف تعجز الحكومة عن إدارة البلاد. ومن هنا لابد من أخذ الضرائب بالقوة.

^١ الخمس من الواجبات الإسلامية، وهو يتعلق بعد إحراز الشروط بالأموال السبعة التالية:

١- الغنائم التي تؤخذ في الحرب من الكفار الحربيين.

٢- المعادن.

٣- الكنز. =

٤- ما استخرج من البحر بالغوص كالؤلؤ والمرجان.

٥- المال الحلال المختلط بالحرام مع عدم تميزه وعدم معرفة مقداره.

٦- الأرض التي يشتريها الكافر الذمي من المسلم.

٧- ما يفضل من مؤونة سنة.

^٢ الزكاة: ضريبة الحكومة الإسلامية، وتجب - مع توفر الشروط - في تسعة أشياء هي: ١- الإبل. ٢- البقر. ٣- الغنم (الأنعام الثلاثة) ٤- الذهب. ٥- الفضة (النقدان) ٦- الحنطة. ٧- الشعير. ٨- التمر. ٩- الزبيب (الغلات

إن فحوى هذا الكلام، أن أحكام الإسلام الأولية عاجزة عن إدارة المجتمع، وينبغي للمسلمين أن يفكروا في سبل لتنظيم شؤونهم؛ أو أن يتولى أحد الأفراد بوصفه ولي أمر المسلمين وضع القوانين! فإذا كان الأمر كذلك فما هو دور الدين إذن في إدارة شؤون الناس؟

ثانياً: من جهة أخرى، إن مواكبة الحياة تتطلب اتخاذ قرار جديد في كل لحظة، ولا بد من اختيار سبل سليمة لإيجاد حلول لمعضلات النظام والناس. فعلى سبيل المثال، إذا ما اعتنق الصينيون الإسلام، فكيف يتمكن من توفير اللحوم التي يحتاجها هذا العدد الهائل من الناس. هل يتمكن إطعام مليار شخص من لحوم الأغنام والأبقار والجمال وغير ذلك من الحيوانات المحللة. فالذين قدموا من تلك البلاد يذكرون أن الناس هناك يأكلون كل ما يجدونه في البر والبحر والجو، بدءاً بالدواب والحيتان وانتهاءً بالفئران والحشرات، ومع ذلك لا تسد حاجة المجتمع الصيني من اللحوم، وفي الوقت نفسه يصرّح الأطباء والخبراء بأنه إذا لم يأخذ الإنسان كفايته من اللحوم فسوف يصاب بأمراض عديدة وخطيرة. فإذا ما أفتى ولي أمر المسلمين بأن كل شيء جائز أكله حتى إشعار آخر؛ هل باستطاعتنا أن نقول إن الإسلام يلبي حاجة المجتمع؟ فإذا لم نقل بذلك فالمسؤولون الصينيون هم الذين سيدعون إلى ذلك، وإن لم يدعوا لذلك فإن الناس أنفسهم سيفعلونه.

ثالثاً: المطلعون على الفقه الإسلامي يدركون جيداً مدى صعوبة تجاوز أو اختراق الفقيه للأحكام الإسلامية حتى في مسألة اجتماعية واحدة، ولكن رغم هذه الصعوبة فثمة سابقة طويلة في أوساط الفقهاء وتوجد

الأربعة)، وهناك نوع آخر من الزكاة يعرف بزكاة الفطرة ويجب في ليلة عيد الفطر، ومقدار هذه الزكاة ما يقارب ثلاثة كيلو غرامات من الطعام المتعارف أو ثمنه.

حالات غير قليلة في هذا المجال. فمثلاً كان لدى الفقهاء فتوى معينة في موضوع ما إلى فترة ما، ثم تغيرت فيما بعد، فعلى سبيل المثال بالنسبة لما يسمى بمنزوحات البئر، كان هناك إجماع حتى عصر العلامة الحلي قده على نجاسة البئر. وأن الأئمة الأطهار كانوا قد أوضحوا الحالات التي يتنجس فيها ماء البئر وأعطوا أحكاماً مختلفة لكل حالة حتى يتطهر البئر، وإن فئة كبيرة من الفقهاء الذين سبقوا عصر العلامة كانوا قد أجمعوا على نجاسة ماء البئر إذا لامسته النجاسة، ومما يذكر إن أحاديث نجاسة ماء البئر بدرجة من الوضوح لا مجال للطعن فيها لكثرة حالات الابتلاء بها. فقد ذكرت أكثر من خمسين حالة وأنواع الحيوانات والنجاسات التي تسقط في البئر بنحو من الأنحاء، وحدد لكل حالة حكمها في الطهارة، مثلاً إذا ما سقط فأر في البئر، استخرج من مائه عدد معين من الدلاء المملوءة حتى يطهر، وإذا ما كان جسده متفسخاً تستخرج كمية الماء دفعة واحدة وهكذا... بيد أن المرحوم العلامة قده أفتي بأن ماء البئر لا يتنجس، وإن الأحاديث الواردة بهذا الشأن هي من باب الاستحباب. ومن حينها أجمع المتأخرون عن عصر العلامة بطهارة ماء البئر، وكما ترون إنهما اجماعان متناقضان، أي أن أحكام الأئمة الأطهار في هذه المسألة كانت واجبة الطاعة حتى عصر العلامة، وبعدها أصبحت تفيد الاستحباب. صحيح أن العلامة استند إلى أحاديث من قبيل «ماء البئر واسع لا يفسده شيء»^١ ولكن هذه الأحاديث نفسها كانت بين يدي القدماء أيضاً. يذكر أحد الفقهاء المعاصرين بهذا الصدد: حاول العلامة أن يجد حلاً للمسلمين، وإلا فلا يوجد أدنى شك في صحة الأحاديث التي تتحدث عن نجاسة ماء البئر. فالناس كانوا يعانون من هذا الابتلاء،

^١ حديث للإمام الرضا عليه السلام وسائل الشيعة، ج ١، ص ١٤٠-١٤١.

وفي كل يوم كان يسقط في آبارهم فأر أو كلب أو قطرة وغير ذلك ويموت فيه، وكان لابد من استخراج ماء البئر والتخلص منه، في وقت كان الناس في وقت كان الناس في أمس الحاجة إلى الماء، وغير مستعدين لفعل ذلك في كل مرة، فجاء العلامة وأوجد حلاً للمعضلة وأفتى بعدم وجوب استخراج ماء البئر والتخلص منه، لأن البئر أصلاً لم يتنجس في الفروض التي ذكرت.

في عصرنا الحاضر أفتى سماحة الإمام في مسائل من هذه القبيل، ومع أن هذه الفتاوى كانت موضع سخرية البعض، إلا أنها تحدثت عن رؤية جديدة إلى العديد من الموضوعات. فنحن جميعاً أن القاضي في الإسلام يتمتع بمطلق الحرية في اتخاذ الحكم. مثلاً لو ارتكب أحد الأشخاص في تبريز ذنباً ما، فإن قاضي تبريز يصدر الحكم الذي يراه مناسباً مع الذنب، ولكن إذا ارتكب نفس الذنب أحد الأشخاص في بندر عباس مثلاً، فمن الممكن أن يختلف الحكم الذي يصدره قاضي المدينة؛ فذلك يعود إليه ولا شأن لأحد به. ولكن في نظامنا الإسلامي طرح موضوع توحيد الأحكام فصادق عليه الإمام، فهل يحق لنا القول: من الآن فصاعداً ينبغي أن تسود وحدة الرأي طبقاً لفتوى الإمام، نظراً للظروف الاجتماعية والسياسية الاستثنائية، حتى تعود الظروف إلى ما كانت عليه في السابق أو تستجد ظروف أخرى. في حين نحن نعلم أن الظروف تتعقد يوماً بعد آخر، ومن المستحيل أن تعود إلى سابق عهدها أبداً. كما أن التطلع لحلول ظروف جديدة يحتاج على زمن طويل . . وإن نظير هذا الوضع يمكن أن نجده بالنسبة للأحكام الأخرى. فعلى سبيل المثال: التراضي بين العامل ورب العمل من الأصول الثابتة في الإسلام. ولكن نحن نقول إن أرباب العمل يجحفون حقوق العمال ولذا فهم مجبورون على إتباع ما

يفرض عليهم في وقت قد يكون العامل راضياً عن ربّ العمل ومستعداً للعمل معه دون الحاجة إلى فرض شروط معينة عليه. قد نزع من هذه الشروط فرضت استثناءً لردع أرباب العمل. بيد أن الأوضاع العالمية بنحو الأمل المرتجى في الإصلاح لا يتعدى الوسائل.

وعليه فإن اقتضى الأمر أن نشرّع قانوناً بدلاً من قوانين شرعنا المقدس ونبرره بأنه حالة اضطرارية... فلا يحق لنا إذن أن نعترض على أولئك الذين يزعمون بأن الإسلام غير قادر على إدارة العالم.

رابعاً: نعلم جميعاً بأن أي موضوع إذا ما حصل له تغيير جوهري فإنه سيكتسب حكماً جديداً. وإن هذا الحكم الجديد يعد من الأحكام الأولية له.

إن محور البحث يبدأ من هنا، وهو: إذا لم يكن الموضوع قد تغير تغيراً جوهرياً ذاتياً، وإنما مجرد تغيير في الصورة والشكل، فما هو حكمه في هذه الحالة؟ أي إذا ما تبدلت الظروف الاجتماعية لمجتمع ما، أو أن الأوضاع الاقتصادية تغيرت بنحو غيرت فيه العلاقات الاجتماعية والسياسية الموجودة في المجتمع؛ فهل تكتسب الموضوعات حكماً جديداً وإن لم يحصل لها أدنى تغيير؟ طبعاً أنا أتحدث بصورة عامة، ولكن دعوني أشير إلى مثال: إذا ما تحولت الخمرة إلى خل، فإن كل الأواني والوسائل المرتبطة به تصبح طاهرة دون تغيير آخر. وكلما بقيت الخمرة في إناء آخر فإن ما يتصل بها فقط ينطبق عليه حكم النجاسة.

لنعد إلى أصل الموضوع. يقول سماحة الإمام:

«بالنسبة لأسلوب الدراسة في الحوزات وتحصيل العلوم فيها، أنا أؤمن بالفقه التقليدي الجواهري، واعتبر التخلف عن ذلك غير جائز. فالاجتهاد بهذا الأسلوب هو الصحيح، ولكن هذا لا يعني أن الفقه الإسلامي غير حركي، فالزمان والمكان عنصران أساسيان في الاجتهاد. والمسألة التي

كان لها حكم ظاهري في السابق، يمكن أن يكون لها حكم جديد بسبب العلاقات السائدة بين السياسة والاجتماع والاقتصاد في نظام ما، فمن خلال المعرفة الدقيقة بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمسألة يتبين أن المسألة موضوع البحث التي تبدو في ظاهر أمرها وكأنها لا تختلف عما كانت عليه فيما مضى، غدت في الحقيقة مسألة جديدة تقتضي حكماً جديداً، لا شك».

إن قول الإمام: «الزمان والمكان عنصران أساسيان في الاجتهاد». لا يعني بالتأكيد إن أكل لحم الكلب المحرم مثلاً، قد يكون حلالاً إذا دفع الهلاك، فمثل هذا ذكره جميع العلماء، ولم يهدف الإمام أن يضمن منشوراً سياسياً عقائدياً مثل هذه المسألة المعلومة للجميع، بل المسألة شيء آخر، والإمام يتطرق إليها من هذا المنطلق؛ وهو أن مسألة لها حكم معين، يصبح لها حكم جديد دون أن يطرأ لها - حسب الظاهر - أي تغيير. فالموضوع لم يتغير إلا أن العلاقات الاجتماعية لم تعد هي نفسها، أو الأوضاع الاقتصادية قد تغيرت وأصبحت معقدة. عموماً لم تعد العلاقات الاقتصادية السابقة نافذة في المجتمع وكذلك العلاقات السياسية. ومن هنا فإن الموضوع الأول لم يمسه أي تغيير وكان حكمه الحرمة حتى الأمس، إلا أنه صار حلالاً بسبب تغيير العلاقات السائدة اليوم على السياسة والاقتصاد والاجتماع. فهل استند الإمام إلى تغير هذه العلاقات؟ لنضرب مثلاً. إن معدناً ما كان حتى الأمس ملكاً لصاحبه، ثم تنتقل ملكيته للدولة وتضع الدولة يدها عليه وتعتبره ثروة وطنية. فمثل هذا لا يعد حكماً اضطرارياً أو ثانوياً، بل حكم أولي. فالحكم الأولي للمعدن في الظروف السابقة يؤكد الملكية. بينما الحكم الأولي له في ظل الظروف الجديدة

التي طرأت يسقط عنه الملكية الشخصية. صحيح أن الموضوع لم يتغير فيما يبدو، إلا أن حكمه تغير نتيجة لتغير الظروف الخارجية المحيطة به.

لنمعن النظر ثانية في قول الإمام: «المسألة التي كان لها حكم ظاهري في السابق، يمكن أن يكون لها حكم جديد بسبب العلاقات السائدة بين السياسة والاجتماع والاقتصاد في نظام ما، فمن خلال المعرفة الدقيقة بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمسألة يتبين لنا أنها غدت في الحقيقة مسألة جديدة تقتضي حكماً جديداً، لا شك».

ومن هنا نرى أن الإمام على الرغم من إنه بالنسبة للمسألة الخاصة بالمعدن وارتباطها بالعلاقات القديمة السائدة في المجتمع، كان قد أفتى بتبعيتها، إلا أنه في معرض رده على سؤال مجلس الرقابة الدستورية^١ لسماحته من إنكم وجميع العلماء تعتبرون المعادن للمالك أمراً مسلماً، إلا إن الأمر غير واضح في قضية النفط فهل يتبع للملكية الشخصية، بأن يكون لبئر النفط مالكاً مثلما هو الحال بالنسبة لبقية المعادن أم لا؟

يقول الإمام في جانب من رده على هذا السؤال:

«إذا افترضنا أن المعادن والنفط والغاز ضمن حدود الأملاك الشخصية، فما أنها ثروة وطنية تعود للجيل الحالي والأجيال القادمة المتتابة على مر الزمان، فهي خارجة عن نطاق الأملاك الشخصية».

^١ من أجل صيانة الأحكام الإسلامية والدستور في الجمهورية الإسلامية وعدم تعارض قرارات مجلس الشورى الإسلامي مع تلك الأحكام والدستور، هناك مجلس آخر يدعى «مجلس الرقابة الدستورية» يتولى دراسة تلك القرارات، ويتألف من ستة فقهاء عدول من أصحاب الوعي وستة حقوقيين من أصحاب الخبرة في مختلف الفروع الحقوقية (المادة ٩١ من الدستور) وينتخب هؤلاء لمدة ست سنوات (المادة ٩٢ من الدستور)، ولا تحظى قرارات مجلس الشورى الإسلامي بأي اعتبار قانوني من دون تأييد مجلس الرقابة (المادة ٩٣ من الدستور)، وتُعرض كافة قرارات مجلس الشورى على مجلس الرقابة من أجل المصادقة عليها ودراسة مدى تطابقها أو تعارضها مع المعايير افسلامية والدستور (المادة ٩٤ من الدستور).

إن هذا الحكم لا يمثل حكماً إدارياً أو ثانوياً، بل هو بمثابة حكم أولي للمعادن على ضوء العلاقات الجديدة.

وفيما يبدو أن رأي الإمام يستند إلى وسائل الإنتاج، ففي الحاضر كان المرء يحمل فأساً ويحصل بوسائله البدائية على قوته اليومي. وإذا ما أنتج أكثر فإنه لن يلحق ضرراً عاماً؛ وهو يدفع خمس ما يحصل عليه، فموضوع الخمس في المعادن متفق عليه، ولكن عندما تنتقل وسائل الإنتاج إلى العلاقات الاقتصادية ففي هذه الحالة يخرج المعدن من تبعيته للمالك؛ ناهيك عن البحث في وجوب الخمس على المعدن أو لا.

وكما هو واضح أن المعدن بقي معدناً، والذهب والفضة والنحاس تبقى هي هي، فما الذي حصل إذن؟ فحتى الأمس كانت في نطاق الملكية الشخصية وكان ينبغي للمالك دفع خمسها، إلا أنها أصبحت الآن ثروة وطنية ولا يحق لأحد تملكها. وهذا ما قصده سماحته بقوله: «إن الموضوع وإن لم يتغير في الظاهر إلا أنه في الحقيقة أصبح مسألة جديدة تقتضي حكماً جديداً».

ويذكر الإمام أيضاً: «إن قيمة الأملاك، أو استئجار الأرض - الحاوية على المعدن - يأخذ بنظر الاعتبار القيمة المتعارفة لها دون النظر إلى المعادن، ولا يحق للمالك أن يحول دون ذلك».

ينبغي أن نلفت إلى إنه في العلاقات الاقتصادية أو السياسية الجديدة لم يؤخذ بنظر الاعتبار ثمن أو بدل للإيجار أكثر من المتعارف لمالك المعدن. إنه حكم الله في العلاقات الجديدة. انظروا ثانية إلى عبارة الإمام. يذكر الإمام في جوابه على رسالة سماحة السيد قديري¹:

¹ أحد مدرسي الحوزة العلمية يقيم.

«إذا كان الأمر كما تذكرون في حلية الأنفال للشيعة، فإن هذا يعني إنه يجوز لهم أيضاً أن يزيلوا الغابات بالآلات المتطورة، ويهددوا بذلك سلامة البيئة وأرواح الملايين دون أن يعترض عليهم أحد».

إن كلام الإمام صريح وواضح، حيث كانت وسائل الإنتاج في السابق بسيطة وبدائية، أقصى ما كان يفعله الشخص هو أن يأخذ فأساً ويقطع شجرة يؤمن بها وقود الشتاء أو ينع منها باباً أو نافذة، ومثل ذلك لم يلحق ضرراً، لا بالبيئة ولا بالأفراد، بيد أن الأمر اليوم اختلف، فبحكم العلاقات السياسية والاقتصادية باستطاعة التاجر ومن خلال استعانتة بوسائل الإنتاج المتطورة أن يدمر كل يوم عشرات الهكتارات من الغابات، وأن يقوم بتصدير الأخشاب إلى خارج البلاد، وبالمقابل يستورد المعدات والمكانن الجديدة، وفي اليوم التالي ينتج أكثر من السابق، ويستولي على حقوق الآخرين، وليس باستطاعة أحد أن يمنعه عن ذلك. فالموضوع هو الغابة، وهي اليوم لا تختلف عما كانت عليه بالأمس. فلماذا إذن كان الاحتطاب في ظل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك، حلالاً، إلا أنه أصبح محرماً بوحى من العلاقات الجديدة التي سادت في الاقتصاد والسياسة والاجتماع؟ ليس ذلك إلا لأن المتغيرات الخارجية التي تحيط بالموضوع أكسبته حكماً جديداً دون أن يحصل تغيير جوهري لأصل الموضوع.

وأن المتغيرات الخارجية للموضوع تمثلت في العلاقات الجديدة التي تحكم سيطرتها على الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للعالم.

ومن هنا فإن سماحة الإمام، وبعد أن يؤكد على أن الحكومة من وجهة نظر المجتهد الحقيقي هي الفلسفة العملية للفقه وتطبيقاته في مرافق الحياة الإنسانية، يصرح: «الهدف الأساس هو كيف يتسنى لنا تجسيد الأسس الفقهية الرصينة في حياة الفرد والمجتمع، ونتمكن من

إيجاد حلول للمعضلات التي نواجهها، وأن أشد ما يخشاه الاستكبار هو ألا يكسب الفقه والاجتهاد مصاديقه العملية وأبعاده العينية، وأن ينمي لدى المسلمين القدرة على المواجهة».

استناداً إلى رأي الإمام، فالهدف الأساس هو إيجاد حلول للمعضلات التي يواجهها المجتمع والمسلمون في نطاق الأسس الفقهية الرصينة، فإذا تقرر أن نجد حلولاً للمعضلات عن طريق التشريعات التي نضعها تحت عنوان أحكام ثانوية واضطرابية، فما هي إذن الأسس الفقهية الرصينة؟ فإن قلت إن أحد الأسس الفقهية الأحكام الثانوية، فلا بد من القول أن المجتمع في هذه الحالة ستم إدارته طبقاً للقوانين التي يضعها مجموعة من الخبراء لإيجاد حلول لمعضلات النظام والمجتمع، ومثل هذا يوجد في مختلف أنحاء العالم، فما هو دور الإسلام إذن؟ بيد أن العلاقات الخارجية إذا ما قادت إلى تغيير الحكم ففي هذه الحالة تكون كل الأحكام نابعة من الإسلام ولن يساء إلى أحكامه مطلقاً.

وأخيراً بقي أن نتساءل عن الآيات والأحاديث التي استند إليها سماحة الإمام في استنباط آرائه واجتهاداته. وهذا ما يقع على عاتق مدرسي الحوزة العلمية في قم المحترمين، حيث أنهم بعيدون عن مشاغل الطهرانيين ويتوفر لهم الوقت الكافي الذي يمكنهم من دراسة الآيات والأحاديث في هذا الشأن. إذ إن قيمة هذا النوع من البحوث وأهميتها في الحوزات العلمية لا تقل عن بحوث الطهارة أو الصلاة. ولا شك في إن البحوث المبتكرة تصحبها ردود أفعال متنوعة، وقد قال الإمام عليه السلام: «ينبغي لنا أن نعمل على اختراق حواجز الجهل والخرافة لكي نصل إلى النبع الزلال للإسلام المحمدي الأصيل، فالإسلام غريب في عالم اليوم، وإن إنقاذه من غربته يتطلب تضحية، وأسأل الله أن أكون أحد ضحاياه».

«الإمام، الحوزة، والسياسة» مقال كتبه حجة الإسلام والمسلمين

السيد أحمد الخميني في أيار عام ١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث عن أبعاد شخصية الإمام الخميني قده، ليست مهمة سهلة . . فشخصيته مجهولة لمسلمي العالم في مختلف أبعادها العلمية والأخلاقية والعرفانية والسياسية والجهادية . . فالإمام بتأسيسه نظاماً جديداً لم تعهده المعادلات السياسية العالمية، قد هبأ الأرضية لصحوة الشعوب المظلومة وبعث فيها الأمل. ومما لا شك فيه إن الشعوب الرازحة تحت نير الظلم ستكتسب مع انطلاقة عصر عرف باسم الإمام الخميني، قوة وعزماً أكبر من نضالها العقائدي. فقد فتحت اليوم نوافذ الأمل أمام هذه الشعوب، وإن هذه النعمة الإلهية قد تحققت على أيدي سماحة الإمام الخميني نصير مظلومي العالم الإسلامي ومرشدهم ومقتداهم، وإننا جميعاً نتحمل المسؤولية الخطيرة في الكشف عن أسرار شخصيته وأبعادها المجهولة.

يبدو أن سماحته التحق بالحوزة العلمية بمدينة أراك في سن الحادية والعشرين. وآنذاك كانت مدينة أراك أحد المراكز العلمية في إيران، وكان يدرس فيها المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قده^١ مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم. يقوم المرحوم آية الله الحائري بزيارة مدينة قم. فيجتمع حوله عدد من العلماء ويلتمسونه البقاء في قم، وعندها يقرر سماحته الإقامة في قم، يتوجه إليها طلبته بما فيهم سماحة الإمام.

^١ آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (١٢٧٦-١٣٥٥هـ) من كبار فقهاء ومراجع التقليد الشيعة في القرن الرابع عشر الهجري. بعد تلقيه الدروس الأولية، سافر إلى النجف وسامراء فأخذ عن أساتذة كبار مثل الميرزا الشيرازي الكبير، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والآخوند الخراساني، والسيد كاظم اليزدي، والسيد محمد الأصفهاني الفشاركي. ثم قدم إلى أراك عام ١٣٣٢هـ. بعدها سافر إلى قم عام ١٣٤٠هـ. فأقام فيها بإصرار فضلاء هذه البلدة، وأسس حوزتها العلمية، ونشأ في حوزة دروسه علماء كبار يتصدّروهم سماحة الإمام الخميني قده. من آثاره: «درر الفوائد» في الأصول، و«الصلاة» و«النكاح» و«الرضاع» و«المواريث» في الفقه.

يدرس سماحة الإمام مقدمات العلوم في مدينة قم لدى المرحوم آية الله الحائري، وفي ذات الوقت الذي يتجه إلى دراسة الفقه والأصول والفلسفة والأخلاق. يمارس سماحته التدريس أيضاً. وفي هذه الفترة درس سماحته الفلسفة لدى المرحوم آية الله الرفيعة، ووفقاً لما نقله سماحته، درس «المنظومة» لدى المرحوم آية الله الرفيعة على مدى أربع سنوات. وما أن انتهى من دراسة «شرح المنظومة»^١ حتى يواصل سماحته دراسة الفلسفة من خلال حضوره درس «الأسفار»^٢ عند السيد أبي الحسن القزويني؛ يقول الإمام في هذا الصدد: «حضرت درسين أو ثلاثة فأدركت أنني لست بحاجة إلى دراسة (الأسفار) لديه».

ثم يقوم سماحة الإمام بدراسة قسم كبير من «الأسفار» مع المرحوم السيد ميرزا خليل كمرئي^٣، وفي الوقت ذاته كان منشغلاً بتدريس

^١ منظومة بالعربية في المنطق والحكمة، وهي من أشهر تصنيفات الشيخ الملا هادي السبزواري (ت عام ١٢٨٩هـ) وعلى هذه المنظومة شرحان هما: «الآلآء المنتظمة» و «غرر الفوائد» ويعرف كلاهما بـ «شرح المنظومة».

^٢ كتاب الأسفار - واسمه الكامل «الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة» - أحد مصنفات صدر المتألهين الملا صدرا الشيرازي (٩٧٩-١٠٥٠هـ) وقد قسّم صدر المتألهين المسائل الفلسفية إلى أربعة أقسام على اعتبار أن الفكر نوع من السلوك ولكنه ذهني:

١- المسائل التي هي أساس ومقدمة لبحث التوحيد، وهي في الحقيقة سير الأفكار من الخلق إلى الحق (السفر من الخلق على الحق).

٢- مباحث التوحيد ومعرفة الله والصفات الإلهية (السفر بالحق في الحق).

٣- مباحث أفعال الباري، العوالم الكلية للوجود (السفر من الحق إلى الخلق بالحق).

٤- مباحث النفس والمعاد (السفر في الخلق بالحق). وهو من الكتب المشهورة والمتداولة التي تدرس في الحوزات العلمية.

^٣ ولد آية الله الحاج ميرزا خليل كمرئي عام ١٣١٧ هـ. في كمره التابعة لمدينة خمين، وكان من أوائل تلامذة آية الله الحائري، أعتقل عام ١٣٥٤ هـ بأمر من رضا خان في فتنة «فرض السفور»، ثم أطلق سراحه بعد شهر ومنع من الخروج من البلاد. أنتخب آية الله الكمرئي في كراتشي عام ١٣٧١ هـ رئيساً لمؤتمر العالم الإسلامي.

«المنظومة» حيث كان يحضر درسه طلاب كثيرون منهم آية الله الشهيد مرتضى مطهري^١.

وكان الإمام يقيم درس الأخلاق في المدرسة الفيزية، يحضره جمع غفير من الطلبة والكسبة وغيرهم. وكان سماحته يطرح موضوعات درس الأخلاق بأسلوب يتناسب ومستوى إدراك الأشخاص العاديين، ووفقاً لما أفاده أحد الذين كانوا يحضرون دروس الإمام في الأخلاق: كانت هذه الدروس مؤثرة جداً، حيث كانت تتعالى أصوات البكاء والنحيب والإغاثة من المستمعين للدرس؛ خصوصاً عندما كان الإمام يتحدث عن مسائل الآخرة والمعاد، إذ كانت تترك تأثيراً عميقاً في نفوس الحاضرين.

وفي أحد الأيام يلتقي الإمام المرحوم السيد لإلهي، وهو من العارفين السالكين ومن شخصيات مدينة قزوین. وكان المرحوم الشيخ شاه آبادي^٢ - العارف الكبير وأستاذ الإمام - حاضراً هذا اللقاء. يقول الإمام:

وسافر على القدس عام ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م) وتباحث - باقتراح من آية الله البروجردي - مع الشيخ محمود شلتوت حول الوحدة الإسلامية. خلف هذا العالم الكبير حوالي ٧٠ أثراً. توفي عام ١٤٠٥هـ.

^١ كان الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري من العلماء الملتزمين الفاعلين، ولعب دوراً مؤثراً للغاية في تقديم الصورة الحقيقية للإسلام، وتركت محاضراته العديدة حول مختلف المسائل والمواضيع الدينية، وقلمه البارع في تدوين المقالات والكتب لمختلف الطبقات الاجتماعية، تأثيرات كبيرة على الحوزات العلمية والمراكز الجامعية. عيّنه قائد الثورة الإسلامية الكبير رئيساً لـ «مجلس الثورة» بُعيد انتصار الثورة الإسلامية، واستشهد في الول من مايس عام ١٩٧٩م على يد أحد أفراد منظمة «الفرقان» الإرهابية. خلف الشهيد مطهري ما يزيد على ٥٠ كتاباً وعشرات المقالات والأشرطة المسجلة، وقال سماحة الإمام الخميني رحمته الله في آثاره «... آثاره، وقلمه ولسانه جميعها تربية وتحيي الروح... وأوصي طلبة الجامعات والطبقة المثقفة الملتزمة أن لا تدع كتب هذا الأستاذ العزيز يطويها النسيان بالدسائس المضادة للإسلام». أضف إلى ذلك أن الأستاذ مطهري كان من أبرز تلامذة سماحة الإمام رحمته الله حيث قرأ عليه لسنوات عديدة الفقه، والأصول، والفلسفة، والأخلاق، والعرفان.

^٢ الميرزا محمد بن محمد جواد حسين آبادي الأصفهاني الشاه آبادي (١٢٩٢-١٣٦٩هـ) فقيه وأصولي، وعارف، وفيلسوف بارز في القرن الرابع عشر الهجري وكان أستاذاً لسماحة الإمام الخميني رحمته الله في العرفان والأخلاق. درس في الحوزات العلمية بأصفهان وطهران والنجف على يد فضلاء مثل الميرزا هاشم چهار

تبادلنا أطراف الحديث قليلاً، وسألت سؤالين أو ثلاثة من المرحوم الشيخ الشاه آبادي الكبير، ولما سمعت جواباً شافياً وافياً عرفت أن سماحته من أهل الفلسفة والعرفان. فلما عزم المرحوم شاه آبادي على الخروج من المدرسة - مدرسة دار الشفاء المجاورة للمدرسة الفيضية - خرجت معه أيضاً. وفي الطريق سألته عن مدى استعداده لتدريس «المنظومة» و «الأسفار» وغيرها؟ فأجاب: لا طاقة لي على ذلك.. وأخيراً أقنع الإمام المرحوم شاه آبادي الكبير بتدريس العرفان، فدرس لديه «الفصوص» لابن عربي¹ على مدى ست سنوات.

وهنا أود أن أشير إلى ملاحظة قيمة ذكرها لي الشيخ مرتضى الحائري اليزدي، ابن المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس سره. قال: مع رحيل سماحة الإمام عانت بعض العلوم من فراغ كبير، ومن هذه العلوم العرفان؛ إذ لا يوجد في الوقت الحاضر شخص كالإمام سبر أغوار هذا العلم بعمق.

يذكر سماحة الإمام: «ذات يوم وفيما كنت في طريقي على المدرسة الفيضية، رأيت مجموعة من الطلاب يتناقشون بشأن كتاب «أسرار ألف

سوقي، والميرزا هاشم الاشكوري، الآخوند الخراساني، والميرزا محمد تقي الشيرازي. وانبرى للتدريس في قم وطهران، وكان سماحة الإمام قدس سره يذكره باحترام كبير. من آثاره «شذرات المعارف» الإنسان والفطرة» القرآن والعرة» الإيمان والرحمة» منزل السالكين» وحاشية على الكفاية».

¹ محمد بن علي بن محمد العربي (ولد ٥٦٠ هـ ١١٦٥ م، توفي ٦٢١ هـ ١٢٢٤ م) أعظم عارف في القرن السابع الهجري ومن كبار متصوفي الإسلام على مدى القرون. وقد اشتهر بـ «ابن عربي» و«محيي الدين» و «الشيخ الأكبر». حظيت آثاره المهمة في العرفان والتصوف بمراجعة وبحث وتدريس وشرح وتفسير جميع المتصوفة والمهتمين بالعرفان منذ عصره وحتى يومنا هذا، وفهم كتبه لاسيما «الفصوص» أمر في غاية الصعوبة، ولا يكاد يفهمها إلا عدة قليلة في كل زمان، وينسب إليه حوالي (٢٠٠) أثر أهمها: «الفتوحات المكية» «فصوص الحكم» «التجليات الإلهية» إنشاء الدوائر» و «تفسير القرآن» ويعد «الفصوص» من الكتب الدراسية الرئيسية والمهمة في العرفان. وقد كتب عليه أكابر العرفان من بعده شروحاً وحواشي. ولسماحة الإمام الخميني قدس سره حواشٍ نفيسة عليه.

عام^١ فقلت في نفسي إننا نقيم درس الأخلاق في وقت استطاعت أمثال هذه البحوث أن تنفذ إلى الحوزات». ومن لحظتها يقرر الإمام الرجوع وعدم مواصلة طريقه إلى الفيضية. وفي اليوم التالي لم يذهب للإلقاء الدرس، وخلال شهر أو أربعين يوماً يتخلى الإمام عن كل مشاغله تقريباً ويتفرغ لتأليف كتاب «كشف الأسرار»^٢.

إن كل من عرف الإمام في أيام شبابه وكان على علاقة به، يعلم جيداً أن سماحته كان من أهل الرياضة النفسية. إذ كان سماحته يحيي الليالي بالتهجد والذكر والمناجاة، ولم يحضر جلسة تسمع فيها الغيبة مطلقاً، ولم يسمح باغتيال أحد أمامه أبداً، وكان خلقه هذا معروفاً في الحوزات العلمية.

وإلى جانب تهذيب النفس لم يغفل الإمام عن النشاطات السياسية، فقد كانت له مشاركة فاعلة في الأحداث السياسية التي شهدتها المجتمع سواء في عصر المرحوم آية الله الحائري اليزدي، أو زمن المرحوم آية الله البروجردى^٣.

^١ صُنِفَ كتاب «أسرار ألف عام» في عام ١٣٢٢ هـ (١٩٤٣م) على يد شخص يدعى على أكبر حكيمي والكتاب متأثر بالفكر الوهابي، نشر لمواجهة الفكر الشيعي وعلماء الدين.

^٢ «كشف الأسرار» كتاب سياسي عقائدي اجتماعي، صُنِفَ عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٤م) أي بعد سنتين من عزل رضا خان عن العرش. وردَّ فيه الإمام الخميني عليه السلام على الشبهات والدعايات المضادة للدين والعلماء الواردة في كتاب «أسرار ألف عام» وأكد الإمام في هذا الكتاب على أصالة المذهب الشيعي والدور البناء لعلماء الإسلام، بالاستناد على الحقائق التاريخية واستعراض ونقد آراء قدماء الفلاسفة اليونانيين والفلاسفة المسلمين والمعاصرين العرب. كما استعرض في هذا الكتاب فكرة الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه في عصر الغيبة، وأماط اللثام بالكامل عن السياسة اللا وطنية والعلمانية لرضا خان ومن كان يحمل أفكاره في البلدان الإسلامية آنذاك.

^٣ سماحة آية الله الحاج آقا حسين الطباطبائي المعروف بآية الله البروجردى (١٢٩٢-١٣٨٠ هـ) زعيم الحوزة العلمية (بعد آية الله الحائري) ومشيد المسجد الأعظم فيها، وأعظم مراجع تقليد شيعي منذ عام ١٩٤١م وخلال عهد محمد رضا شاه. سافر على أصفهان بعد دراسة المقدمات في بروجرد، فدرس فيها الفقه

فعلى سبيل المثال يتذكر سماحة الإمام الفترة التي لم يسمح فيها نظام رضا خان^١ لغير عدة معدودة من رجال الدين الذين باعوا أنفسهم، بارتداء زي علماء الدين؛ يتذكرها بمرارة ويقول: «إنها فترة صعبة جداً مرت علينا. كنا نذهب مع بعض الأخوة فجر كل يوم قبل طلوع الشمس - لئلا نتعرض لاعتداء رضا خان الشقي - إلى أحد ضواحي مدينة قم للدراسة والمباحثة والاحتفاظ بزينا، ومن ثم نعود إلى بيوتنا مع حلول ظلام الليل».

وفي هذا المجال كانت مواقف الإمام صارمة مع الذين يبررون الممارسات المخالفة للشرع، وسلوكيات النظام الحاكم وقتئذ، دفاعاً عن هوية علماء الدين الملتزمين. فمن القضايا التي كان يعتبرها الإمام ضرورية لحياة الحوزة العلمية بعد رحيل المرحوم الشيخ الحائري اليزدي، وجود سماحة آية الله البروجردي في مدينة قم، إذ إن سماحته كان من أهل العلم والفضائل، ومن الطراز الأول من العلماء، فبعد وفاة آية الله الحائري اليزدي، وخلال فترة زعامة المراجع الثلاثة من أصحاب السماحة الآيات الخونساري والصدر وحجت. بذل سماحة الإمام الذي

والفلسفة. حضر بالنجف دروس الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني ثماني سنوات، عاد بعد ذلك إلى إيران فأنبرى في بروجرد لتدريس العلوم العقلية والنقلية، واستدعى عام ١٩٤٤م إلى قم من قبل سماحة الإمام قده وسائر علماء قم، وبعد أن شاهد فشل الحركة الدستورية وأحداثاً من قبيل إعدام الشيخ فضل الله النوري، وكذلك التذمر الناجم عن عقم = النشاطات السياسية في مواجهة رضا خان، أحجم قدر الإمكان عن التدخل في القضايا السياسية، وداخلته الخشية من أن تنتهي مثل هذه الأعمال بضرر المسلمين. ولهذا كان يجابه بالاعتراض في بعض الأحيان.

^١ أجبر رضا خان الشعب الإيراني عام ١٩٣٥م على خلع الزي الوطني والتقليدي وارتداء الزي الغربي، ولم يستثنى في ذلك القرار الذي أطلق عليه اسم «وحدة الزي» حتى علماء الدين. وضاق الشعب ذرعاً بتلك الخطوات واستنجد بعلماء الدين الذين دعوا الشعب إلى الثورة؛ الأمر الذي أدى إلى إلقاء القبض على حوالي (١٠٠) من العلماء والخطباء المعروفين في البلاد وزجهم بالسجن. وبلغت تلك المضايقات حداً أحجم معه علماء الدين عن التردد في الشوارع، أو كانوا يخرجون من بيوتهم أحياناً في وقت متأخر من الليل ويسلكون الأزقة التي يقل المارة فيها.

كان يدرك أبعاد شخصية المرحوم آية الله البروجردى ومنزلته العلمية، جهوداً كبيرة لإقناع سماحته بالإقامة في قم. واتفق أن جاء المرحوم آية الله البروجردى إلى مدينة الري لإجراء عملية جراحية في مستشفى فيروز آبادي. ووفقاً لما ذكرته والدتي، قام الإمام بكتابة أكثر من خمسين رسالة إلى علماء الدين في مختلف أنحاء العالم يدعوهم لأن يرجوا السيد البروجردى بالمجيء إلى قم. ونتيجة لمساعي العلماء وجهودهم الكبيرة لا سيما سماحة الإمام يوافق المرحوم آية الله البروجردى على الإقامة في قم، مما أضفى على حوزة قم الفتية قوة وشوكة لا سيما بنيتها العلمية. لما توفي آية الله البروجردى، كان الإمام في سن الثانية والستين تقريباً. فقام بعضهم بطبع وتوزيع رسائلهم العلمية المدونة من قبل. وتعهد البعض بدفع الرواتب التي كان المرحوم السيد البروجردى يدفعها إلى الطلبة. أما الإمام فبقي بعيداً عن هذه القضايا، ولم يحضر الاجتماعات التي أقيمت لهذا الغرض، سوى اجتماع أو اثنين؛ وواصل جهوده في البحث والتدريس وتربية تلامذته. إن سماحة الإمام لم يخط طوال حياته خطوة واحدة للاستحواذ على المرجعية؛ وإن خير دليل على هذا الادعاء شهادة تلامذته. فمما يذكر في هذا الصدد إن السيد ميرزا جعفر السبحاني تلميذ الإمام وصاحب تقريراته في الأصول، كان يتردد على دروس سماحته أربعة عشر عاماً بالكامل، كان قد تصور أن عزوف الإمام عن إقامة مجلس الفاتحة على روح المرحوم آية الله البروجردى، بسبب عدم امتلاكه المال الكافي، فقام بجمع الأموال من الطلاب، إلا أن الإمام لم يكن راغباً في إقامة مجلس الفاتحة على روح المرحوم البروجردى، لشيوع صور في الحوزات العلمية مفاده إن إقامة الفاتحة من قبل أحد العلماء الكبار، يفسر بأنه تعبير عن الرغبة في الاستحواذ على المرجعية.

فلم يبادر الإمام الخميني على مثل ذلك أبداً، وكرّس كل وقته وجهده لتعليم الطلبة وتربيتهم لخدمة الحوزة ومستقبل الإسلام.

بعد وفاة آية الله البروجردي، كان سماحة الإمام يأتي في فصل الصيف مع أفراد عائلته إلى مرقد «إمام زاده قاسم» بطهران. وحاول وقتئذ آية الله السيد هادي الشيرازي تولي المرجعية. إلى أن سمّحته توفي بعد أشهر قليلة. فجاء بعض العلماء من قم على الإمام وأصروا عليه أن يقيم مجلس الفاتحة على روح السيد الشيرازي. إلا أن سماحته قال لهم: «لا أقيم مجلس فاتحة ولا أحضر مجلس فاتحة».

وكما ذكرت فإن مثل هذه التصرفات تفهم في أجواء طلبة العلوم الدينية بأنها نوع من المبادرة إلى تولي المرجعية. فما زلت أتذكر جيداً وقتها جاء المرحوم الشيخ إشرافي - صهرنا - من مدينة قم وطرح الموضوع ثانية على مسامع الإمام وقال له: «إن فضلاء قم بعثوني لسماحتك لأطلب منك أن تفعل ذلك» ولكن الإمام لم يقتنع، وبعد الإلحاح اضطر الإمام إلى أن يبعث برسالة.

مثل الإمام الخميني الوجه البارز لنضال الحوزة ضد النظام سواء في زمن المرحوم الشيخ الحائري أو المرحوم السيد البروجردي، فإثر الأحداث السياسية التي شهدتها البلاد خلال زعامة السيد البروجردي، اختير الإمام من قبل المرحوم السيد البروجردي وعدد من العلماء، كمبعوث لهم على الشاه. إذ اتفق رأي المراجع والعلماء على ضرورة إرسال مبعوث عنهم ينقل آرائهم بصراحة وحز إلى الشاه، وإن هذه المهمة لا يمكن أن يؤديها أحد غير الحاج السيد روح الله - سماحة الإمام الخميني - وخلال لقاءين جمعه مع الشاه أكد سماحة الإمام على وجهات نظر المراجع والعلماء بصورة رائعة، وحذّر الشاه من عواقب سياساته.

وفي قضية إعدام الشهيد نواب صفوي ورفاقه من أعضاء حركة «فدائيي الإسلام»^١ كان الإمام ممتعضاً من موقف المرحوم السيد البروجردي وبقية المراجع، لقد اتخذهم موقفاً حازماً ضد نظام الشاه والضغط عليه لإنقاذ حياة هؤلاء.. لقد لحقت بالإمام من هذا الموقف صدمة روحية كبيرة. ففي تلك الأيام كانت الظروف بنحو يعد نضال علماء الدين ضد الشاه عاراً من وجهة نظر المتحجرين. حيث كانوا يطالبون بخلع زي علماء الدين من هؤلاء الذين يريد النظام إعدامهم حتى لا يساء إلى منزلة رجال الدين، وكان ذلك على طرفي نقيض تماماً مع رأي الإمام الذي يؤمن بأنه ينبغي لرجل الدين أن يستشهد بزيه المقدس لكي يدرك أبناء الشعب إن هذه الفئة حاضرة في الساحة. المتحجرون كانوا يعتبرون النضال ضد الشاه أمراً مشيناً، وفي وقت كان النضال الذي يخوضه علماء كبار أمثال الشهيد نواب صفوي، في نظر سماحة الإمام حركة تبعث على إنارة طريق الإسلام والثورة وطريق المناضلين.

وبطبيعة الحال يجب أن نأخذ الأجواء التي سادت الحوزة بنظر الاعتبار، ولا نلقي اللوم على السيد البروجردى، ففي مقابل الفكر الرجعي للمتظاهرين بالقداسة الذين كانوا يرفضون النضال ضد نظام الشاه الظالم، كان ينتصب الفكر الثوري التحرري لسماحة الإمام. إن المتحجرين والحمقى المتظاهرين بالقداسة لم يكونوا مستعدين حتى للاطلاع والتأمل

^١ منظمة «فدائيان إسلام» (فدائيو الإسلام) التي تأسست عام ١٩٤٤م، تعد من أقدم الأحزاب والتنظيمات الدينية التي تؤمن إيماناً راسخاً بالإسلام وبدور علماء الدين في قيادة الأمة، وقد أسسها الشهيد السيد مجتبی نواب الصفوي. من النشاطات العسكرية لهذه المنظمة اغتيال (عبد الحسين هزبر) والفريق رزم آرا (من رؤساء وزراء الشاه). وتم اعتقال السيد مجتبی نواب الصفوي وباقي أعضاء هذه المنظمة في عام ١٩٥٥م من قبل جلاوزة الشاه وحكموا وأعدموا بسرعة.

في أفكار الإمام وآرائه في العرفان والفلسفة. بل وصل الحد إلى درجة أنهم إذا ما أرادوا أن يمسكوا كتاب «المنظومة» يستعينون بخرقة لئلا يتنجسوا، أو أنهم يعتبرون الشخص الذي يدرّس الفلسفة عديم الدين. ومن هنا نرى أن مدرسي «المنظومة» و «الأسفار» في قم كانوا يتعرضون إلى هجوم المتحجرين وافتراءاتهم. بيد أن الروحية التي تحلى بها الإمام وقدراته العلمية والجهادية إضافة إلى توفيق الله تعالى ولطفه، مكنته من مواجهة الجمود الفكري للمتحجرين إلى حد كبير، وأعتقد أن نضال الإمام ضد المتظاهرين بالقداسة داخل الحوزة، كان أصعب بكثير من نضاله في ساحة الصراع السياسي، إذ إنه لو لم يتمكن من تحطيم حاجز المتحجرين الذين يضعون حداً فاصلاً بين الدين والسياسة، لما كان بمقدوره أن يخطو بقوة وثبات في مسيرة النضال الطويلة والشاقة. ومن هنا كان الإمام يرى أن الوعي الديني ينبغي أن يبدأ أولاً من داخل الحوزة، وعندها يمكن أن نتوقع التحول خارج الحوزات.

لقد دخل ساحة النضال بأيد عزلاء إلا من الإيمان الصادق، وعمل على إرساء الدعائم الفكرية والاعتقادية للثورة الإسلامية، وقد تحمل في هذا المسير سهماً خيثة، لإيجاد تحول داخل الحوزات العلمية وإرسال قواعدها الصحيحة، فمن جهة كان عليه العمل على إنقاذ طلبة العلوم الدينية ممن أظهروا استعداداً وكفاءة في المجال العلمي والنضالي، من أجواء الجمود الفكري السائد؛ وكان عليه من جهة أخرى أن يتفرغ لقيادة مسيرة نضال الشعب الإيراني وتوجيهه ضد نظام وأسياده بزعامة أميركا. وفي هذا المجال يعتبر الإمام نمط تفكير المتحجرين عقبة كأداء في مسيرة النضال الثوري للشعب الإيراني، لذلك بنى الأسس الاعتقادية للحوزة على تنمية الأفكار الإسلامية الثورية الأصيلة، لكي لا ينظر إلى إعدام رجال الدين من قبل عملاء الشاه، على أنه أمر يسيء إلى الحوزة

وعلماء الدين، بل على العكس يمثل وثيقة وسنداً يشير إلى الحضور الدائم لثقافة الإسلام في ساحة الصراع.

وتتواصل مسيرة النضال، حتى آثار الإمام موضوع المرجعية وجعل منها القضية الأولى على حد تعبير بعض السادة^١. وفي المرحلة أيضاً يصوّب المتحجرون سهامهم إلى الإمام بدلاً من تصويبها إلى نظام الشاه. وأخيراً ينجح الإمام من خلال إعدادة لتلامذة ثوريين، في التغلب على هذا النمط من التفكير، وأن يقود ببصيرته الفريدة الثابتة، نضال الشعب إلى الانتصار.

مقتطفات من حديث حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني لدى لقائه

الشخصيات العلمية المشاركة في المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد

بتاريخ ١٩٩٣/٤/٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

^١ المراد به سعي نظام محمد رضا شاه بهلوي المستبد لاعتقال سماحة الإمام الخميني عليه السلام. وكان بعض علماء يرى أن لدى المراجع من القوة ملا يجرؤ معها أحد أن يحدث نفسه باعتقالهم. غير أن الإمام الخميني عليه السلام الذي كان يعتقد إن الإسلام دين سياسي أيضاً، لم يكثر لذلك أصلاً وثار ضد الشاه وظلمه دون أن يخشى من احتمال اعتقاله على يد جلاوزة النظام، وبالفعل أدت نشاطاته الثورية على اعتقاله. وتمخض عن تلك الاعتقالات والزج في السجون والنفي المتكرر، انتصار الثورة الإسلامية وإقامة نظام الجمهورية الإسلامية.

تركزت معظم جهود المستعمرين في القرن الماضي في البلدان الإسلامية على عزل المسلمين عن ثقافتهم؛ فلا بد للشعوب الإسلامية من العودة إلى الذات واسترجاع هويتها الإسلامية الأصيلة. وعن تكريم الجهود العلمية للشخصيات الإسلامية خطوة قيمة على طريق الوعي العميق للفكر الديني.

لقد عانى قادة الدين وفقهاء الإسلام كثيراً منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، في سبيل التعرف على الدين الإسلامي وتعريفه. وإن بوسع المفكرين والباحثين الاستفادة من التراث العلمي للشخصيات العظيمة أمثال الشيخ المفيد^١، للإحاطة بأبعاد الفكر الديني، ومن أجل الإلمام بأبعاد هذه الشخصيات الفذة، ينبغي أن لا تقتصر جهودنا على مناسبة معينة كالألفية أو المئوية أو غيرها. إن الاطلاع على الثقافة الإسلامية الأصيلة والإحاطة بأبعادها، من الأمور الضرورية لكل باحث ومفكر إسلامي، فكما أن الاطلاع على نتاج سعدي^٢ وحافظ^٣ ومولوي^٤ وكرماني^٥

^١ الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان (٣٣٦ أو ٣٣٨ - ٤١٣ هـ) الملقب بـ «الشيخ المفيد» و«ابن المعلم» ومن كبار فقهاء ومتكلمي ومحدثي الشيعة. تولى الرئاسة العلمية لبغداد وحظي برعاية واهتمام ولي العصر (عج)، فنجد في الكتابين الصادرين إليه منه (عج) تعبيرات مثل «الأخ السديد» و«الشيخ المفيد» و«الولي المرشد» و«الولي المخلص» و«ناصر الحق» و«الداعي إلى الحق». أكمل الشيخ المفيد دراسته على يد علماء الشيعة والسنة والزيدية مثل: جعفر بن محمد قولويه، والشيخ الصدوق، وابن جنيد، والاسكافي، وعلي بن أبي الجيش البلخي، ومن أشهر تلامذته: السيد المرتضى علم الهدى، والسيد الرضي، والشيخ الطوسي، والنجاشي، والكراجكي، وسالار بن عبد العزيز. خلف ما يقرب من ٢٠٠ مصنف، ومن أشهر مصنفاته: الإرشاد، والاختصاص، وأوائل المقالات، والأمال، والمقنعة.

^٢ مشرف الدين مصلح بن عبد الله الشيرازي المعروف بسعدي، أديب وخطيب كبير وشاعر إيراني قدير عاش في القرن السابع الهجري (وفاته بين ٦٩١ و٦٩٥ هـ) نظم سعدي كتاب «بوستان» في عام ٦٥٥ هـ ثم ألف كتاب «گلستان» في عام ٦٥٦ هـ وفضلاً عن هذين الكتابين له قصائد وغزليات وترجيع بند ورباعيات فارسية، ومقالات وقصائد عربية جمعت كلها في كلياته. ترجمت آثار سعدي وطبعت بمختلف اللغات العالمية.

^٣ الخواجه شمس الدين محمد حافظ الشيرازي (ولد في شيراز مطلع القرن الثامن الهجري، وتوفي فيها عام ٧٩٢ هـ) قرا التفسير والحكمة والأدب العربي، وحفظ القرآن ولهذا لقب بحافظ، وبرع في الغزل الصوفي، دفن في الحافظة بشيراز. ترجم ديوانه إلى مختلف لغات العالم.

وسائر الأدباء الكبار، يساعد في إثراء أبعاد الأدب والعرفان الإسلامي، فإن مطالعة نتاج الفقهاء والفلاسفة من أمثال الشيخ المفيد والكليني^٣ والملا صدرا^٤ ونظائرهم، تغني الأفكار وتزيد من خصوبتها وعمقها، ومما لاشك فيه أن جهل المفكرين والكتّاب والجامعيين بالنتاج العلمي للشخصيات الإسلامية، يمثل أحد أهم عوامل نفوذ الثقافات الأجنبية المخربة إلى بلدان المسلمين. وإن ما ينبغي الاهتمام به اليوم أكثر مما مضى في الجامعات والمؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث، هو

^١ جلال الدين محمد بن سلطان العلماء محمد بن الحسين الخطيبي (ولادته: بلخ ٦ ربيع الأول ٦٠٤ هـ وفاته قونية، الأحد ٥ جمادى الآخرة ٦٧٢ هـ) من آثار مولانا في النظم والنثر: ١- المثنوي (ويتألف من ٦ أجزاء ويشتمل على ٢٦ ألف بيت)؛ ومحتويات المثنوي هي حكايات متسلسلة منظومة ذات عبر دينية وعرفانية تقدم الحقائق المعنوية بلغة سهلة. ٢- ديوان غزل معروف بـ «الديوان الكبير» أو «كليات الشمس» ويتألف من ٥٠٠٠٠ ألف بيت. ٣- رباعيات. ٤- كتابات مولانا. ٥- فيه مافيه. ٦- المجالس السبعة.

^٢ كمال الدين أبو العطاء محمود بن علي بن محمود المعروف بالخواجوي الكرمانى، شاعر إيراني معروف (ولادته ٦٨٩ كرمان - وفاته ٧٥٣ هـ شيراز) كان يقلد سعدي في الغزل، وفضلاً عن ديوانه، له «خماسيات» بأسلوب النظامي، قبره في مضيق (الله أكبر) بعض قصائده في مدح أمراء عصره، وبعضها الآخر عرفاني يحكي عن مشربه الصوفي. له غزليات رائعة قلّد فيها السنائي والطار والمولوي وسعدي.

^٣ محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المعروف بـ «ثقة الإسلام» (توفي ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ) من كبار محدثي الشيعة وشيخ مشايخ أهل الحديث، وقد فاق أقرانه في هذا العلم على مدى التاريخ. سمع الحديث عن ما يقرب من أربعين راوياً، ونقل عنه الحديث عدد كبير من الفضلاء مثل جعفر بن محمد بن قولويه، وهارون بن موسى التلعكبري. والكليني أو مؤلفي الكتب الأربعة، حيث ألف خلال سنوات عديدة كتاب الكافي العظيم في ثلاثة أقسام: «الأصول»، «الفروع» و «الروضة». وله أيضاً كتب: «الرجال»، «رسائل الأئمة»، «الرد على القرامطة» و «تعبير الرؤيا».

^٤ محمد بن إبراهيم الشيرازي (٩٧٩ - ١٠٥٠ هـ) الملقب بـ «صدر الدين» و «صدر المتألهين» والمعروف بالملا صدرا، من كبار حكماء الإسلام، ومؤسس «الحكمة المتعالية» وصاحب آراء رائعة في الفلسفة. وتفوقت مدرسته الفلسفية - من بعده - على سائر المدارس الفلسفية الأخرى، وغدّ أغلب الحكماء الإسلاميين الذين جاؤوا من بعده من أتباع مدرسته. أهم آثاره: «الأسفار الأربعة» الذي يضم آراءه وأفكاره الفلسفية بشكل واسع ومفصل، ومن آثاره الأخرى: تفسير القرآن، وشرح أصول الكافي، والمبدأ والمعاد، ومفاتيح الغيب، والشواهد التربوية، وأسرار الآيات، وحاشية على الشفاء. من تلامذته: المحقق الداماد، والمير فندرسكي، والشيخ البهائي. ويعد الملا محسن فيض الكاشاني، وعبد الرزاق اللاهيجي (فياض) من تلامذته المعروفين.

التعريف بآراء ونظريات الشخصيات العلمية الإسلامية العظيمة، التي بقيت مجهولة لأسف حتى الآن، ولا يخفى أن التعرف على نظريات العلماء والمفكرين الغربيين عمل مفيد وضروري، كالتعرف على آراء ونظريات الفيلسوف (بوبر) غير أنه في الوقت نفسه ينبغي أن لا نغفل عن الإحاطة بنظريات وآراء فلاسفة إسلاميين كبار أمثال الملا صدرا، التي لا غنى للباحثين والمفكرين من الاطلاع عليها، ومما يؤسف له أن نظريات وآراء المفكرين الإسلاميين بقيت مهملة، مقارنة بنظريات مفكرين أمثال هيغل وفويرباخ وروسو وماركس وسارتر إلى غير ذلك من المفكرين والفلاسفة الغربيين وقلما حظيت بالبحث والدراسة والاطلاع، نتيجة لنفوذ الثقافة الغربية إلى بلادنا منذ الثورة الدستورية^١ وحتى يومنا هذا. وكلنا أمل في أن تتمكن جهود الباحثين والمفكرين الإسلاميين من دراسة هذه النظريات واطلاع الباحثين والمهتمين عليها بالنحو الذي يليق بها.

ملخص كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني التي ألقاها في الجلسة الختامية للندوة التي عقدت تحت شعار [أبعاد الحكم التاريخي لسماحة الإمام الخميني بحق مؤلف كتاب «الآيات الشيطانية»]
بتاريخ ١٩٩١/٣/٤

^١ إن الأوضاع المضطربة التي شهدتها إيران في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والإرهاق الذي ألمّ بالشعب بسبب جور الحكام والولاة وموظفي الدولة المعتدين الآثمين، وضعف وهشاشة مظفر الدين شاه القاجاري وعدم كفاءته في إدارة شؤون البلاد، وبقظة الشعب ووعيه المتنامي، وحركة العلماء ورجال الدين، قد ساعدت بمجملها على توفير الأرضية لثورة عرفت بالحركة الدستورية أو «حركة المشروطة» التي تكللت بالنصر في عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) بعد جهاد شعبي طويل، ومع أن هذه الحركة لم توجه الوجهة الصحيحة، لكنها أحدثت تحولاً في تطور النظام الاجتماعي لإيران، وتحطيم التمايز الطبقي، وتقويض قوة أصحاب البلاط وكبار الملاكين، وإقرار القانون والعدل. لكنها لم تحقق النتيجة المرجوة؛ لتسلل العناصر المتغربة عزل علماء الدين عن المسرح السياسي والحكم، فعاد النظام الملكي الوراثي إلى الحكم من جديد بعد الانقلاب الذي قام به رضا خان والد شاه إيران السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحياناً يستعصي حل المشكلات على يد الرأسماليين، فيلجأ الحكام اضطراراً إلى عناصرهم الثقافية ويستنجدون بهم طالبين عونهم، وقد رأينا نموذج ذلك بوضوح في قضية سلمان رشدي. فقد شهدنا كيف أن الغربيين لما عجزوا عن إغراء المسلمين لصرف أنظارهم عن قتل سلمان رشدي، لجأوا مباشرة إلى مفتي مصر الأول واستنجدوا به ليفعل شيئاً يحول دون اندفاع المسلمين لمواجهة هذه المؤامرة، ومفتي مصر بدوره وبدافع إيجاد حل للأزمة، أعلن أن سلمان رشدي مرتد، وطبقاً لأحكام الإسلام باستطاعة المرتد أن يتوب، وقد تاب هذا العميل، ومن هنا فلا معنى للحكم بقتله. بيد أننا شهدنا بعد صدور فتوى مفتي مصر، كيف أن العالم اهتم بشوق أكبر بتنفيذ حكم سماحة الإمام.

إن الثورة الإسلامية الإيرانية لا تختص ببقعة معينة، وإن كل من كان يرى فيها انطلاقة على طريق تحقيق تطلعات المسلمين ومصالحهم، لا يتردد في التضحية والتفاني من أجل هذه الثورة. وبوحي من هذه الثورة أخذت النساء في كل من انكلترا وفرنسا تذهب إلى مقاعد الدراسة بالحجاب الإسلامي.

ولما رأى الاستكبار إنه عاجز عن إلحاق الهزيمة بالثورة الإسلامية على الصعيد السياسي والعسكري، بدأ يفكر في المجال الثقافي ويبحث عن نقاط للتغلغل والإساءة إلى هذه الأمة العظيمة. فلما أصدر الإمام الخميني حكمه بإباحة دم سلمان رشدي، اتصل بي العديد من الأشخاص في إيران معربين عن قلقهم من إن موقف الإمام سيقود إلى قطع علاقتنا مع البلدان الأوروبية.

جانب من كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في المشاركين

في مؤتمر «دراسة أفكار الإمام الخميني ومواقفه التربوية»

بتاريخ ١٩٩٤/٤/٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

يشكل التعريف بالنتاج الفكري والعلمي لسماحة الإمام الخميني (قده) أحد المتطلبات الأساسية للمراكز العلمية والجامعات والحوارات، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الشخصية العلمية للإمام (قده) مظلومة ومجهولة، وإن ذلك ناشئ عن أن البعد السياسي والجهادي لشخصية الإمام قد غطى على أبعاده العلمية ونتاجه الفكري والثقافي، وأنا أنتهز هذه الفرصة لأدعو أساتذة الحوزة والجامعات وأصحاب الرأي للاهتمام بتعريف النتاج الفكري والعلمي لسماحة الإمام في المحافل والأوساط العلمية؛ لأن أمثال هذه المحافل والمراكز العلمية تتطلب بحوثاً أكاديمية ومناهج علمية، ومما يؤسف له إن قلة من الأساتذة والباحثين والمفكرين محيطون بالنتاج الفكري والعلمي لسماحة الإمام (قده). كما أن ثمة فئة تتصور خطأ إن أبعاد شخصية الإمام قد اتضحت بعد كل ما قيل عنها، لم تعد هناك حاجة إلى طرح أفكاره وآرائه العلمية والتعريف بها، ومن هنا فأنا أدرك جيداً مظلومية الإمام (قده) في مختلف نشاطاته العلمية، حتى في الفقه والأصول. فالناس تجهل الكثير عن أفكاره في السياسة والاقتصاد والأخلاق إلى غير ذلك.

ومهما يكن، فقد كان الإمام (قده) يؤمن بقوة بضرورة التزام الروح العلمية في تدريس العلوم، وتنمية القدرة على الاستنباط لدى الطلاب، وطالما أكد سماحته أن لا يقتصر التدريس على المحفوظات، وإن كان يدعو على تنمية المستوى العلمي للطلاب والجامعيين عن طريق أساليب البحث والتقصي العلمي. وقد تجلّى ذلك بوضوح في أسلوب تدريسه (قده) وطريقته الاجتهادية في نقل المفاهيم، إذ كان سماحته يرجح التفكير والاجتهاد في بحث المسائل العلمية على تعلم الألفاظ والمفاهيم التجريدية.

إنني وفي الوقت الذي أقدر جهود المشرفين على إقامة مؤتمر دراسة الآراء التربوية لسماحة الإمام الخميني قَدْ تَبَيَّنَ أدعوهم لتركيز بحوث المؤتمر على طرح آراء وأفكار الإمام بعيداً عن الأهواء الشخصية والافتراضات المسبقة. ينبغي لنا التعريف بشخصية الإمام كما هي بعيداً عن التعصبات والأغراض الشخصية.

نص الكلمة التي ألقاها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في مراسم

افتتاح مؤتمر «دراسة الأفكار والآراء التربوية للإمام الخميني»

بتاريخ ١٩٩٤/٩/١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على والسلام على رسوله وأمين وحيه، والسلام عليكم ورحمة الله

بعد مرور سنوات عديدة على رحيل سماحة الإمام، ورغم كل المشاكل والمعاناة والإعلام المضاد الذي لا يكف ليل نهار عن الإساءة إلى سماحة الإمام والثورة وتشويه صورتها؛ نرى أن المجتمع الإسلامي بقي وفيّاً للأهداف والتطلعات والقيم التي طرحها سماحة الإمام، ليس هذا فحسب بل بات أكثر شوقاً ولهفة للتعرف على المزيد من أبعاد حياته ونداءاته وتوجهاته والإحاطة بأسرار نجاحه؛ فنزداد ثقة واطمئناناً ونذكر أن ثمة قضايا أبعد من الجوانب المادية اقترنت بمسيرة هذه الثورة الربانية. وأنا شخصياً أرى أن السر الذي يكمن وراء هذا الاهتمام المتزايد للمجتمع الإسلامي - وحتى التوجه المطرد للشعوب غير الإسلامية - بآراء الإمام وأفكاره؛ يتمثل في النية الخالصة وطهارة الذات والنفس التي اتسم بها سماحة الإمام. فقد وضع سماحته نصب عينيه هذه المقولة الأخلاقية وكان يرددتها باستمرار: «أحرص على إصلاح علاقتك مع ربك، عندها ستصلح أمورك كلها».

بطبيعة الحال في مثل هذه الندوات والمؤتمرات سيستولي الأساتذة المحترمون والعلماء والفضلاء بحث ودراسة الأفكار والآراء التعليمية والتربوية التي يؤمن بها سماحة الإمام وما أراه ضرورياً في هذه الفرصة الوجيزة التي سنحت لي، هو التذكير ببعض الملاحظات:

في نظرة إجمالية سريعة على البحوث والدراسات المشاركة في المؤتمر، التي تناولت مواقف الإمام وآرائه التربوية، ندرك أن أصحابها على إحاطة كاملة بالبحوث التربوية، وهي بحق بحوث تستحق التقدير، وبإمكانها أن تحتل مكانها كأسس جيدة للإحاطة بآراء الإمام التربوية.

ولكن ينبغي الالتفات إلى ملاحظة مهمة وإيلائها عناية أكبر، وهي أن السنة النبوية - التي هي أحد أركان مصادر الفقه - لا تنحصر بقول الرسول ﷺ بل تشمل فعله وتقريره أيضاً، وإن هذه العناصر الثلاثة تمثل المرتكز والأساس لاستنباط الأحكام، وبعيداً عن التشبيه، فإذا ما كنا نؤمن بأن آراء ونظريات ومواقف الإمام الخميني بصفته أحد أتباع النبي الأكرم ﷺ والمؤمنين الحقيقيين به؛ تعكس آراء الإسلام الأصيل، وهذا ما تؤكد هذه المؤتمرات، وكنا نعتقد بأن بقاء النهضة الثقافية والسياسية التي أوجدها الإمام ومواصلتها منوطة بالتزام نهج سماحته؛ فإنه ينبغي إضافة على استكشاف آراء وأفكار سماحته من بين ثنايا مؤلفاته وأحاديثه وبياناته، الالتفات بالدقة نفسها إلى سيرته العلمية وسلوكه وتصرفاته، وأنني لعلني يقين من أن المواقف الإرشادية والتربوية التي حفلت بها السيرة العملية والممارسات السياسية والاجتماعية والتعبدية والسرية لسماحة الإمام؛ بإمكانها أن تدلنا على الأهداف التربوية التي كان يتطلع إليها الإمام، وسبل تحقيقها، وهي باعتقادي أسمى مقاماً وأكثر تعبيراً مما تضمنته أقوال سماحته ومؤلفاته، علماً إن المؤتمر الذي أقيم في العام الماضي لبحث ودراسة الآراء الاقتصادية لسماحة الإمام، والذي اهتم باستخراج آراء الإمام الاقتصادية من ثنايا مؤلفاته وأحاديثه وبياناته؛ نادراً ما أخذت بنظر الاعتبار البحوث التي شاركت فيه، السيرة العملية للإمام والمواقف التي صدرت عن الإمام في المسائل الاقتصادية، وأحكامه الفقهية في المجال الاقتصادي وسلوكه في هذا المجال.

ولحسن الحظ أن اللجنة المشرفة على إقامة هذا المؤتمر أخذت هذا الجانب بنظر الاعتبار، وقد تم إعداد مجموعة من الذكريات والمواقف

التي تتحدث عن الجوانب العملية لسيرة الإمام، إلا أن ذلك ما زال دون مستوى الطموح.

برأيي إننا لا نستطيع أن نصرح أن سماحة الإمام الخميني كان يعتبر الموضوع الفلاني هدفاً تربوياً، والأسلوب الفلاني أسلوباً تربوياً صحيحاً إلا إذا ضممنّا إلى أحاديث الإمام وكتابات سيرته العملية وتصرفاته التربوية، والصورة التي تجلت بها تلك الأفكار والأهداف في حياته العامة والخاصة. فربما تجد الكثير من الأبحاث التربوية التي صدرت عن الإمام في مقام التأليف أو التوجيه، تؤكد على المسائل والقضايا ذاتها التي تتطرق إليها المذاهب التربوية الأخرى، من قبيل الاهتمام بتربية الطفل في سنه الأولى، وتقديم التربية على التعليم إلى غير ذلك؛ ولكن إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار شمولية الشخصية التي تطرح هذه الموضوعات وانسجامها الفكري، لا سيما في أبعادها الاعتقادية، وعرفنا عمق تأثير هذه المفاهيم في واقع حياتها، عندها سيتضح التباين الكبير بينها وبين المذاهب الأخرى.

إنني أتحدث فقط عن أهمية النية ودورها باعتبارها أحد الأركان المهمة في كثير من العبادات، والتي هي أمر باطني قلبي؛ فالحديث النبوي: «ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»^١ لا يمكن قبوله أو توجيهه بالمعايير المادية، ولا بد من تقصي جذوره في حقيقة معرفة الله لدى الإمام علي عليه السلام والنفس الطاهرة النزيهة والنية الخالصة لهذا الإنسان الكامل، وهذه الحقيقة هي التي توضح الحد الفاصل بين المذهب الإسلامي في التربية وبقية المذاهب.. وبتعبير آخر أن الوعي الصحيح لأسس التعليم والتربية الإسلامية وأهدافها وأساليبها، يكون ممكناً متى ما

^١ حديث للرسول صلى الله عليه وآله المستدرک: ج ٣ ص ٣٤ - بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٢٠١.

أخذنا بنظر الاعتبار المنظومة الفكرية والعقائدية وأسس الرؤية الكونية الإسلامية.

إن التخصص في العلوم الإنسانية وغيرها من الفروع العلمية التي تستمد وجودها من مستلزمات عصر سيادة الآلة والتكنولوجيا، رغم كل المزايا والتقدم الذي حققته وتحققه، قد ابتلى بآفة أساسية تمثلت في تجاهل الارتباط الحقيقي بين الظواهر والأشياء، وتبعاً لذلك الارتباط الحقيقي بين فهم الإنسان وإدراكه والحقائق الخارجية.

التربية بنظر الإمام هي وليدة معرفة الإنسان، وبالتالي انعكاس لمعرفة الوجود ومعرفة الله تعالى أو ما يسمى بالرؤية الكونية التوحيدية. ومن الممكن أن تكون أساليب التربية واحدة أحياناً، إلا أن أهدافها متباينة. حتى الأهداف ربما تبدو متشابهة في الظاهر في نظرة تخصصية، إلا أنها تتباين في الأصول التي تنطلق منها وحتى أنها متضادة، ومن هنا فإن ما يحظى بأهمية خاصة للتعرف على المذهب التربوي لدى الإمام - والذي هو المذهب الإسلامي في التربية - هو الأسس الفكرية والفلسفية والعرفانية التي تمثل الدعامة والمنشأ الحقيقي لتلك الآراء التربوية والأسس الفكرية والاعتقادية والرؤية الكونية للشخص.

إن الاهتمام ببحوث نظير: ما هي حقيقة الوجود؟ وما موقع العالم والطبيعة في حقيقة الوجود؟ وأين موقع الإنسان في عالم الوجود؟ وهل الإنسان في شموليته أو في حقيقة ذاته، موجود مادي؟ أم إلهي؟ وما هي طبيعة علاقة الإنسان مع الظواهر الأخرى وبمبدأ الوجود؟ وما هي طبيعة علاقة الإنسان بخالقه؟ هل ثمة حدود لحركة الإنسان الجوهرية؟ وما هي طبيعة هذه الحدود؟ إن الاهتمام بمقولات من هذا النوع والتعرف على إجاباتها، يعيننا في الإحاطة بأسس المذهب التربوي الذي كان يؤمن به

الإمام. وفي غير ذلك فأن التناول المجرد لبحوث التربية والتعليم من منظار أحد المذاهب أو الأشخاص، لن يوصلنا إلى شيء.

وبتعبير آخر ينبغي لنا عندما نبحث في بيان الأهداف أو الأساليب التربوية، أن نلتفت إلى العلاقة بين هذه الأساليب والأهداف، وكذلك ارتباط الأهداف بالرؤية الكونية للفرد.

وفي تصوري أن السبب الذي يقف وراء ضعف المناهج الدراسية لا سيما الدروس الدينية للمراحل التعليمية المختلفة في نظامنا التعليمي وهامشية تأثيرها رغم توفرها على نقاط تربوية كثيرة، هو أن موضوعات المناهج الدراسية خصوصاً المسائل المتعلقة بالعلوم الطبيعية والعلوم البحتة، لا تنظم وتدون طبقاً لنظام فكري واحد ومحدد. ولعل السبب في ذلك انعدام العلاقة المنطقية المنسجمة بين نوع الأفكار التي تغذي بها العلوم الطبيعية الطالب، والاحتياجات التي تحصيها هذه العلوم عن الإنسان، ونوع الشخصية التي يمنحها تعليم هذه العلوم إلى الأفراد؛ وبين البحوث الدينية والعقيدية والتربوية. في حين إن «تربية الإنسان» في الرؤية الإسلامية مثلت أولى مهمات الأنبياء - على حد قول الإمام الخميني - وإن هداية الإنسان التي كانت وراء فلسفة بعثة الأنبياء وإنزال الوحي والكتب السماوية، ليست من باب توفير احتياجات الإنسان الثانوية، بل إن التربية الصحيحة والهداية الصحيحة تمثل الأرضية لتحقيق إنسانية الإنسان. التربية الصحيحة هي التي تنمي طاقات الإنسان الحقيقية في مختلف الأبعاد وتدفعها لممارسة نشاطها؛ التربية هو منشأ الحضارة الحقيقية، فإذا كان المجتمع يقتفي في نظامه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، وفي نمط حياته المعيشية؛ الأصول والقيم والأفكار غير الدينية وغير الإلهية، ولا سبيل لديه غير الالتقاط والتقليد والاستعارة؛

فإن طرح وعرض حتى أسمى الموضوعات التربوية، لن يتمكن من إيجاد مثل تلك الحضارة.

إن السبب الذي يقف وراء نجاح الإمام في السير بالنهضة قدماً وتحقيق انتصار الثورة، وأن يكون له هذا التأثير في التحولات الثقافية والاجتماعية للشعب الإيراني، وحتى في الكثير من المجتمعات الإسلامية، وأن يتزايد هذا التأثير يوماً بعد آخر؛ يعود إلى أن سماحة الإمام كان يسير على خطى نظام عقائدي وفكري واضح المعالم وكان متمسكاً به في كل أقواله وأفعاله، وفي بحوثه وتدريسه، وفي زعامته الدينية وفي نهضته وثورته وفي أفكاره الاقتصادية، وفي نهج إرادته السياسية ونوع حكومته المنتخبة، وأنا هنا لا أريد الدخول في مقولته: هل توجد علاقة منطقية بين المبادئ الأخلاقية والقيم التربوية، والأسس الفلسفية والرؤية الكونية أم لا؟ ولكن أود أن أكد بأن نفي وجود نوع من العلاقة الوثيقة والمنسجمة بين المقولات القيمة والتربوية، وأسس علم الوجود والمعرفة الإنسانية لدى معظم المذاهب، هو بالواقع إنكار لأمر بديهي.

فإذا ما حاول مجتمع يتطلع للتنمية الصناعية، الأخذ بالأصول والمباني والثقافة السائدة في البلدان الغربية المتقدمة، والتي امتزجت بصورة عميقة ومعقدة بالصناعات المتوافرة والاحتياجات الاستهلاكية؛ أو على الأقل تجاهل تعارض هذه الأصول والمباني والثقافة مع واقعته الثقافي والمفاهيم الدينية التي يؤمن بها أبنائه؛ وأن نفس هذا المجتمع إذا ما أراد أن يأخذ بالمسائل القيمة والأخلاقية والاعتقادية فإنه يعود إلى ثقافته الذاتية وديانته، وهكذا لو ابتلي بهذه الازدواجية في بقية قضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ فمثل هذا المجتمع ليس فقط لن يحقق التنمية

الحقيقية، بل أنه يضيف مشكلات إلى مشاكله الاقتصادية والصناعية نتيجة لتأثره بعناصر الثقافة الآلية السائدة في المجتمعات الغربية.

إذن فإذا كنا نؤمن بأن نهج الإمام التربوي كان نهجاً موفقاً، وبمقدوره أن يأخذ بيد المجتمع على طريق تكامله؛ فيجب أن نتذكر دائماً أن بحوث الإمام التربوية تجد معناها ونجاحها في ظل نظام هادف وقيمي محدد ومنسجم ومتماسك.

وفي ضوء كل ما ذكر يمكن القول: أن كل الذين يحيطون بحياة الإمام الخميني ومراحل نهضته، يدركون جيداً إن الإمام قبل أن يكون سياسياً وثورياً حازماً، وقبل أن يكون مرجعاً دينياً منح الزعامة الدينية معناً جديداً؛ كان مربياً كبيراً ومعلماً نموذجياً استطاع بوحى من استيعابه العميق للمبادئ الأخلاقية وأصول التربية والتعليم الإلهي، أن يجسد ذلك عملياً في ميدان المجاهدة مع النفس والتهذيب والتركية، وأن يسمو في مدارجها، ثم يتوجه إلى تربية وتعليم جيل يأخذ على عاتقه مسؤولية مواصلة النهضة الإسلامية.

إن من يطمح في التعرف على سر نجاحات سماحة الإمام وصموده، يجب أن يكون التي ظلت طفولته ونشأته وشبابه. ففي مرحلة شبابه يقدم الإمام على تصنيف مؤلفات من قبيل «شرح دعاء السحر» و «مصباح الهداية» و «سر الصلاة» و «آداب الصلاة»، ويتولى تدوين المفاهيم الإسلامية العرفانية العميقة في وقت كان هذا الفرع من المعارف الدينية يطوي مراحل غربته، إن النكات الأخلاقية المستندة إلى الأسس العرفانية والتربوية، التي تضمنتها مؤلفات من قبيل «شرح الأربعين حديثاً» و «تفسير سورة الحمد» والأحاديث الأخلاقية لسماحة الإمام؛ تؤكد إن أي تحرك سياسي واجتماعي لا يستهدف تربية وتعليم أفراد المجتمع الإنساني، هو جهد عقيم عديم الجدوى من وجهة نظر الإمام.

إننا ومن خلال دراسة بيانات وكتابات سماحة الإمام في حقل التربية والتعليم، ندرك جيداً أن سماحته يؤمن بأن التعليم مع نبله وشرفه، ودوره في التمهيد لدراسة فروع العلوم المختلفة بدءاً بالعلوم التجريبية ومروراً بالعلوم الفنية والتقنية وانتهاءً بالعلوم النظرية البحتة، وحتى العلوم الإلهية، وعلى حد قول الإمام حتى «علم الأخلاق والتوحيد»؛ ما لم يقترن بالتربية الصحيحة والتزكية فسيسمى وسيلة في خدمة الأقوياء، ثم يولد هذا العذاب والآلام والظلم الذي شهدناه ونشهده اليوم في المجتمعات الرأسمالية والصناعية، و - حتى الأمس - في المجتمعات الشيوعية.

لماذا يلتزم الصمت أدعياء المدنية والتقدم وأصحاب السلطة أمام كل هذه الجرائم النكراء والمظالم والخianات التي تمارس في أقصى نقاط العالم، وهم أنفسهم الموجدون والداعمون لهذه الفجائع؟ لماذا؟ لأن الذين يتحكمون بمصائر هذه المجتمعات هم من المتعلمين غير المهذبين، فالرأي العام الغربي يديره ويتحكم به أشخاص لم ينهلوا من التربية الإلهية والقيم السامية لمدارس الأنبياء، وأنهم لا يفكرون بغير السلطة والثروة، وفي هذا الصدد يشبه سماحة الإمام القوة المستندة على الأسلحة الحديثة والتقدم التكنولوجي الموضوع تحت تصرف الأفراد غير المهذبين، بقرون البقرة الوحشية التي لا تعمل إلا تخريباً وتدميراً.

إن الأنظمة التي استندت إلى محاربة الدين وتقديس الإنسان وأصالته والتوجه المادي، وألقت بظلالها بعد عصر النهضة على العالم الغربي والمناطق الواقعة تحت نفوذه، في كل مقابل الفكر التوحيدي؛ لم تقدم أي عون في إيجاد حلول للمشكلات الأساسية التي يعاني منها المجتمع الإنساني، وهكذا نرى أن رقعة الصراعات تتسع كل يوم في هذه المجتمعات وتشتد أزماتها الداخلية ومعاناتها النفسية. فما دام الاعتقاد بالله

والتربية الإلهية غائباً عن السلوك الفردي والعلاقات الإنسانية والمجتمعات البشرية، فإن المجتمع الإنساني لن يرى وجه السعادة وستواصل معاناته وآلامه. لقد علمنا الإمام الخميني طوال مراحل انتصار الثورة الإسلامية المعجز، وخلال مرحلة النضال ضد أعتى الأنظمة العميلة للغرب وأميركا، وعبر مواقف صمود شعبنا، التي تبعث على الفخر والاعتزاز في مواجهة القوى العالمية في مرحلة ما بعد الانتصار؛ أن سر نجاحه وموفقيته يكمن في الاهتمام بالتربية السليمة للجيل الذي ينبغي له أن يأخذ على عاتقه مسؤولية التحولات.

إن إيجاد حلول لمشكلات المجتمع الأساسية، وتحقيق الرفاه، والسعي لتحقيق التنمية الاقتصادية والصناعية، والعمل على اغناء الثقافة العامة وإثرائها، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع المجالات؛ كل ذلك لا يمكن تحقيقه بغير تربية وإعداد أفراد متعلمين ومهذبين وكفويين. ومن هنا يعتبر الاهتمام بدور التربية في المراحل المختلفة لنمو شخصية الإنسان، واستيعاب أهداف وأصول وأساليب التربية الإسلامية الصحيحة؛ مفتاح حل لجميع المعضلات.

إن الثورة الإسلامية والنهضة التي أرسى دعائمها الإمام الخميني، بإمكانها أن تواصل نهجها وطريقها كلما التزمت بهذا الأهداف والأساليب التي استعان بها الإمام في حث الجماهير العظيمة للنزول إلى ساحة النضال وتحمل أعباء المسؤولية، وقد شهدنا النموذج العيني لنجاح هذه الأساليب في وقائع الدفاع المقدس. فهل حقاً إن الجيش المتسلح بأحدث الأسلحة، والدعم العسكري والاقتصادي والإعلامي الخارجي، إلى غير ذلك من العوامل الأخرى؛ هي التي حققت كل هذه الانتصارات والمفاخر للثورة، أم إن إيمان الأفراد الذين نهلوا من التربية الإلهية،

وضحوا من أجل القيم التي ما زال العالم المادي يجهلها حتى يومنا هذا،
هو الذي صنع هاتيك المعجزات؟

إن آراء الإمام التربوية تستسقي وجودها من الفكر القرآني الذي
يصرح به الله تبارك وتعالى بعد أن يقسم سبع مرات بمظاهر الطبيعة
والنفس الإنسانية، قائلاً عز من قائل: «قد أفلح من زكاها، وقد خاب من
دساها»^١. وهذا يعني أن فلاح الإنسان والمجتمعات الإنسانية لا يتحقق إلا
من طريق واحد وهو تزكية النفوس الإنسانية وتربيتها، وفيما عدا ذلك لا
يوجد غير التيه والأزمات الاجتماعية المتلاحقة والخسران المبين.

كان الإمام يردد دائماً أن «العالم في محضر الله». فللايمان بالله والرؤية
الكونية التي تنطلق منه القدرة على تربية أشخاص بهذا المستوى، وما دام
هذا التصور العقائدي بعيداً عن الحياة العامة، فإن السعادة والاستقرار
الحقيقي والحضارة الواقعية تظل بعيدة المنال.

الملاحظة الأخرى التي أرى من اللازم الإشارة إليها هنا هي أن أمثال
هذه المؤتمرات والندوات والملتقيات إذا حصرت اهتمامها على الأبعاد
الظاهرية والدعائية، وأهملت الأبعاد العلمية والمضامين الحقيقية التي
ينبغي بحثها، فإنها لن تتمكن من تحقيق شيء يذكر، بل ستزيد من
وعورة الطريق أمام المفكرين الذين يتطلعون إلى الاهتمام بمثل هذه
البحوث.. فلا بد من تكريس كل الجهود والهمم لعرض وأداء انجاز
علمي لائق. يجب أن نكرس كل الجهود لاستكشاف الأهداف
والأساليب التربوية التي تضمنتها أحاديث الإمام وخطاباته ولقاءاته،
والأهم من ذلك الأساليب التي حرصت على التمسك بها طوال حياته،
بنحو واقعي وبعيد عن أي مبالغة أو ضيق أفق، ثم شرحها وتوضيحها وفقاً

^١ الآيتان ٩ و ١٠ من سورة الشمس.

لمتطلبات المقاطع السنوية المختلفة وميادين النشاطات الاجتماعية المتعددة.

ومرة أخرى أكد أنه ينبغي أن لا ننسى أن سماحة الإمام لم يكن من جملة أولئك المنظرين الذين يكتفون بعرض النظرية فحسب وينيطون مهمة العمل بها إلى الآخرين، سواء في مجال الفقه أو البحوث الفلسفية والأخلاقية والتربوية. بل إن الإمام كان يبادر إلى تجسيد ما يؤمن به عملياً قبل أن يوصي الآخرين بالعمل به.

وكما سبق ذكره، إن سماحة الإمام كان يعتبر تربية الإنسان وتزكيته وتهذيبه، وراء فلسفة بعثة الأنبياء. وإذا ما سئل عن دوافع الإمام من كل هذا الدرس والبحث والنضال والنهضة؟ يمكن أن نجيب بجملة واحدة: «بناء الذات والآخرين».. فمن أجل تحقيق هذا الهدف، نهض سماحته بأعباء جهاده الطويل والموفق، وقاد الثورة في جميع مراحل النضال الحافلة بالأحداث والمعاناة، من نجاح إلى آخر استناداً إلى المبادئ والقيم السامية للعرفان والفلسفة الإسلامية والأساليب التربوية.

ومما يؤسف له أن المشاكل التي اعترضت مسيرة نضال الإمام، وما تعرض له من حصار ونفي وإبعاد، ومشاكل قيادة النظام والمجتمع طوال الفترة التي أعقبت الانتصار؛ قد حالت دون توفر الفرصة اللازمة لتدوين آرائه وأفكاره ونظرياته بشكل منظم ومنسجم. فرغم وجود عشرات المؤلفات للإمام في كل من الفقه والأصول والعرفان والأخلاق، وتقاريرات دروسه وبحوثه الفلسفية؛ إلا أن كثيراً من آراء الإمام الاجتهادية والفقهية والفلسفية والتربوية يكمن في مناقشاته العلمية ورسائله وأحكامه وخطاباته، وينبغي استخراجها وتوضيحها وعرضها إلى جانب بقية آثاره التخصصية. علماً إن الشيء نفسه يصدق أيضاً على سائر

نشاطاته مثل بحوث علم الرجال وعلم الحديث والتفسير وبحوث التربية والتعليم.

إن للإمام بحوثاً معمقة في مجال علم الإنسان والفطرة وغاية خلق الإنسان، وسبل تحقيق الأهداف الإلهية، وأساليب النضال ضد المفسدات النفسانية والردائل الأخلاقية وبحوثه الفلسفية وأحاديثه الأخلاقية، والتي ينتظر من أصحاب الرأي الاهتمام بها واستخراجها. ولا شك أنها لا تقل وضوحاً وتحديداً عن آرائه ومواقفه السياسية وتصوراته لمفاهيم من مثل الأمن والقومية والأحزاب والسيادة والمنظمات الدولية، التي هي الأخرى للأسف لم يتم عرضها حتى الآن بصورة بحوث مستقلة، وعليه فإن من ينتظر من هذا المؤتمر والمؤتمرات المشابهة الأخرى، وما هو مهم، انجاز بحوث ودراسات علمية رصينة في هذا المجال.

وفي ختام حديثي، أتقدم بالشكر والاعتذار للحضور الكرام، ولسماحة آية الله جوادى آمللي، تلميذ الإمام وممن نشأوا في مدرسته التربوية والعلمية، والذي تولى مسؤولية توجيه المشرفين على إقامة هذا المؤتمر رغم كل مشاغله الدراسية ومرضه. وكذلك أشكر المشرفين على إقامة هذا المؤتمر ومؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ومسؤولي جامعة إعداد المعلمين ومركز الجهاد الجامعي، والأساتذة والفضلاء المحترمين وجميع الذين تجشموا العناء لإنجاح هذا المؤتمر.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا ويسدد خطانا جميعاً على طريق الذود عن الأفكار والقيم التي جاءت بها نهضة الإمام، ومواصلة مسيرته وتحقيق أهدافه، وأخيراً وكمسك الختام، وعلى أمل الاستفادة من هذه الأجواء العلمية والمعنوية، أكثر فأكثر، أذكّر نفسي والآخرين بالآية الكريمة: «قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقدمة كتبها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني لكتاب الكوثر
«مجموعة خطابات الإمام الخميني وشرح وقائع وأحداث الثورة الإسلامية»
بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر ...^١

الثقافة والمدنية والعناصر الإيجابية في الحياة الاجتماعية، مدينة قبل كل شيء لتضحيات عظماء دعوا - بأفكارهم السامية - البشرية إلى القسط والعدل والحرية للانطلاق نحو السعادة والخلود والحقائق التي تسمو على محسوسات ومشاهدات العالم المادي. وهؤلاء فئتان: فئة اكتفت برسم معالم الطريق، ودافعت عن مدرسة فكرية من خلال نشاطاتها الفكرية والثقافية، أو أرست قواعد نظام فكري ومذهب فلسفي معين. وفئة أخرى نراها - فضلاً عن تأسيسها لحركات ونهضات ثقافية - تنزل إلى الميدان لتغيير الأوضاع السائدة وإحلال النظام المطلوب، وتخوض الجهاد من أجل تحقيق أهدافها، مسترخضة روحها ووجودها في سبيل تلك الأهداف. وأفراد هذه الفئة عظماء برهنوا في ميدان العمل على مشروعية نهجهم وفكرهم، كما أنهم صنعوا أكثر التحولات الاجتماعية ديمومة وعمقاً، وشيدوا الثقافات والحضارات الحقيقية، وأثروا في مساحة واسعة من الحياة الفردية والاجتماعية للنوع البشري.

ولا شك أن أسطع المشاهد في التاريخ البشري وأكثرها تألقاً وإشعاعاً مرهونة لدور وجهود هذه القافلة التي يقف في طليعتها أنبياء الله وأوليائه. ولا يمكن فهم ظاهرة الثورة الإسلامية ونهضة الإمام الخميني، إلا من

^١ سورة الكوثر: الآية ١.

خلال هذا المسار وضمن هذا الإطار، وفي الواقع، لولا حركات الأنبياء والثورات التي حصلت استمراراً لنهجهم، لما كانت الحياة البشرية في ظل الطغاة وعباد الهوى، سوى مستنقع نتن يطفح بالظلم والجور.

عندما حمل الإمام الخميني مشعل هداية الأمة الإسلامية وحيداً، قلما كان من يصدق أن إشعاعاته ستمتد في يوم على أقصى نقاط العالم، وتضيء طريق المجاهدين والمناضلين في شرق العالم وغربه.

ولا تنبع أهمية استقرار ماضي الأمم والثورات من كونه يميّط اللثام عن الحقائق ويسد الطريق بوجه التحريف فحسب، بل لأنه يمثل ضرورة لا بد منها للحفاظ على سلامة مسيرة الأجيال القادمة.

لقد ظهرت كثير من الحركات والنهضات الإسلامية في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية خلال الفترة التي كان فيها مصير الإسلام بيد الحكام الفاسدين - حيث مزق أعداء دين الله أمة نبي الوحدة بسلاح التفرقة، وجزؤوا البلاد الإسلامية الشاسعة إلى دويلات يعبث بها أمراء فاسدون - واستمرت حتى بداية الطريق أو منتصفه، أو انحرفت بسبب الخيانة، حيث تقف عوامل عديدة وراء تلك الإخفاقات؛ منها فقدان الإمكانيات اللازمة، وعدم ملائمة الظروف، وفي كثير من الأحيان غياب الزعيم الحازم والقوي.

وظلت الشعارات والأفكار المؤيدة للإسلام حية حتى وقتنا هذا بفضل هذه الحركات الجهادية المستمرة والثورات الأصيلة رغم كل الأحداث المريعة التي واجهتها الأمة الإسلامية خلال مسيرتها.

إن ظهور النهضة العلمية في أوروبا - التي تدين في جزء كبير منها إلى التجارب والعلوم والفنون الإسلامية، حيث اعترف بهذه الحقيقة المؤرخون الغربيون المنصفون وكتبوا عنها - وما تلاها من تطور صناعي

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قده.....

واختراعات واكتشافات متلاحقة، قد فرض السلطة السياسية الغربية كحقيقة مرة على العالم الثالث والبلدان الإسلامية، وأدى إلى اتساع الهوة بينها لصالح الغرب بمرور الزمن.

إن السياسة التوسعية للغرب - التي هي جزء لا يتجزأ من الثقافة الغربية الاستعمارية الجديدة - وما حصل من تطور، عمل على توفير الرضية المناسبة للسيطرة على أجزاء واسعة من بلاد المسلمين أو تعميق تلك السيطرة، وانضمت بعض البلدان الإسلامية بشكل رسمي إلى سلسلة المستعمرات الأوروبية. وتفاقت مشاكل العالم الإسلامي بظهور أميركا كقوة مستبدة ومعتدية جديدة، هذا فضلاً عن أن الحروب العالمية قد خلّفت آثاراً مأساوية كثيرة وأدت إلى مزيد من الهيمنة الغربية، واستمال الغرب تيارات وعناصر هشة ذات ثراء ونفوذ في البلدان الإسلامية، ثم سلطها عليها بشتى الحيل والوسائل.

فالإسلام الذي هو آخر الأديان الإلهية وأكملها وحصيلة جهود الأنبياء كافة، والذي اجتاز حدود إيران وبلاد الروم خلال فترة قصيرة بفضل تضحيات الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه، قد أقصي في مثل هذه الظروف مظلوماً وغريباً عن الحياة الاجتماعية للمسلمين، وفقدت أغلب المظاهر والمفاهيم الدينية والحياتية محتواها بتدخل القوى الاستعمارية ودعايات الأعداء وتحريف وعاظ السلاطين، ليحولوا الإسلام إلى مجرد ديانة فردية وطقوس عبادية.

كما أن ظهور الشيوعية بشعاراتها الخادعة ذات المظهر الثوري وما زرعه من آمال واهية في قلوب الكثير من أبناء أوروبا ثم أبناء آسيا وأفريقيا، لم يترك أية تأثيرات إيجابية على الظروف المؤلمة التي كانت تعيشها المجتمعات الإسلامية، بل عمل على تبلور قوة استكبارية أخرى.

فالحرب الشعواء التي خاضتها الشيوعية ضد الدين، وتشكيل الأحزاب اليسارية العميلة في كثير من البلدان الإسلامية، ومجيء بعض الحكومات المرتبطة بالمعسكر الشيوعي، قد فتح أمام المسلمين صفحات أخرى من الشقاء والعناء.

وبدلاً من أن يكون اكتشاف المصادر النفطية العظيمة في منطقة الخليج الفارسي وكثير من البلدان الإسلامية، نافذة أمل في تحسين أوضاع العالم الإسلامي المزريّة، أصبح محفزاً قوياً حرّض القوى المتنفذة في العالم على مزيد من التسلط والتناول.

إن التكتل السياسي الجديد وتحول العالم إلى معسكرين بعد الحرب العالمية الثانية، وسّع من نطاق غزو الشرق والغرب للعالم الإسلامي والتسلط عليه والتوسع على حسابه؛ فاندلعت نتيجة لذلك نار الحروب الإقليمية، ووضعت الأرض المقدسة وقبلة المسلمين الأولى تحت تصرف الصهاينة، وقام الكيان الإسرائيلي الغاصب مثل خنجر في قلب العالم الإسلامي، وقمعت بعنف الصحوّة النسبية للمسلمين وهبّتهم الناجمة عن احتلال القدس خلال ردود الفعل الأولى، وأسدل ستار النسيان على فكرة اتحاد البلدان الإسلامية في مواجهة الأعداء الجدد، من خلال طرح الشعارات القومية. ومع أن بعض القوميين الذين يحظون بتأييد الجماهير، مثل جمال عبد الناصر، قد افلحوا خلال مرحلة تاريخية في إنجاز بعض الخطوات الإيجابية، غير أن التيار القومي بشكل عام كان بمثابة أداة يروج لها الشرق والغرب معاً للحيلولة دون الاتحاد الحقيقي للمسلمين، وحصر غضبهم على وضعهم المتفجر في منطقة خاصة واحتوائه.

فالقومية العربية، والقومية التركية، والقومية الإيرانية، ونزعات من هذا القبيل، لم تشكّل في يوم ما جبهة رصينة في مواجهة الثقافة الغربية

الغازية، فضلاً عن أنها كانت عاملاً في تفاقم الصراعات الداخلية وصرف أنظار الرأي العام الإسلامي عن أعدائه الحقيقيين، فكانت - في الحقيقة - أدوات بيد المستعمرين.

وقد استطاعت إيران، بصفتها إحدى مناطق العالم الإسلامي الحساسة، أن تؤدي دورها طوال عصور مختلفة، وحظيت بالاهتمام منذ القرون الإسلامية الأولى كونها مركزاً للدفاع عن ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ضد الأمويين^١ إلا أنها في العصر الحديث لم تكن في وضع أفضل من سائر البلدان الإسلامية، حيث اقتطعت أجزاء مهمة من أراضيها في العهد القاجاري^٢ بسبب خيانة ملوك هذه السلالة، وقمعت الحركة الدستورية التي تزعمها العلماء والفقهاء بعد أن بعثت الأمل في قلوب الشعب، وخرج زمام الأمور من أيدي العلماء تحت ضغوط الحكومة وخيانة المثقفين غير المتدينين، وانحرف مسار تلك الحركة وانتهى الأمر بتعزيز سلطة الملوك.

وكان الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به إيران، ومياه الخليج الفارسي الدافئة، وسعة الأرض وخصوبتها، وتنوع المناخ، وكثرة النفس، واكتشاف المصادر العظيمة من النفط والمعادن، ومتاخمتها لروسيا القيصرية ثم الاتحاد السوفيتي السابق، من بين العوامل التي أثارت طمع

^١ الإمام أبو عبد الله الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. الإمام الثالث من أئمة الشيعة، ثار في سنة ٦١ هـ على الحكم الفاسد ليزيد بن معاوية (ال خليفة آنذاك)، والتقى الإمام مع عدة قليلة من الأنصار بجيوش يزيد بأرض تدعى «كربلاء»، وقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام مع أولاده وأنصاره - البالغ عددهم ٧٢ شخصاً - في تلك الملحمة التاريخية، كما وقعت نساؤهم وأطفالهم في أسر الجيش الأموي.

^٢ حكمت السلالة القاجارية إيران منذ عام ١٧٧٩م وحتى عام ١٩٢٥م (١٣٣٤ هـ) وبعد الحكم القاجاري كارثة بالنسبة لإيران لعدم كفاءة الملوك السبعة لهذه السلالة، ونشبت خلال حكمهم حروب عديدة أدت إلى عقد معاهدات مشينة نصت على اقتطاع أجزاء واسعة من الأراضي الإيرانية الخصبة. وعانى الشعب الإيراني خلال فترة حكم السلالة أنواع التخلف السياسي والثقافي والاقتصادي وغيره.

القوى الجديدة في هذه البلاد. غير أن الإيمان الذي كان عليه الشعب الإيراني ومشاعره الدينية العميقة كانت تقف في وجه المستعمرين دائماً، وإن الانقلاب الذي قام به رضا خان في الثاني والعشرون من شباط عام ١٩٢٠ إنما دبره البريطانيون كما كشفت عنه الوثائق التاريخية واعترافات زعماء النظام البهلوي، ونجم عن ذلك أن فرضت على الشعب الإيراني إحدى أكثر أساليب الحكم دكتاتورية، وفي الواقع، كان رضا خان يحاكي أتاتورك^١ في السياسة الاستعمارية المتمثلة بضرب الدين والتبعية للغرب؛ فقد أصدر مرسوماً يمنع فيه إقامة الشعائر الدينية^٢ ودعا إلى خلع الحجاب بشكل رسمي. وواجه الانتفاضات المتفرقة التي قام بها المؤمنون والعلماء في مشهد وأصفهان وباقي المناطق الإيرانية بعنف، مثلما حدث في مجزرة مسجد (گوهرشاد)^٣ بمشهد في ١٢ تموز ١٩٣٥.

^١ أسس (مصطفى كمال أتاتورك) الجمهورية بعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية. فعمل بقوة - من خلاله رفعه لشعار «بناء البلد» - على نشر الثقافة والأفكار الغربية، وهدم المعتقدات الدينية والثقافة وإلغاء التاريخ الإسلامي للبلاد. ومن خطواته الرئيسة على هذا الطريق الفصل التام للدين عن السياسة، وتبديل الحروف التركية بحروف لاتينية، وفرض الزي الغربي، والابتعاد عن الدين والتعاليم الدينية والمساجد، وقام رضا خان في إيران بأعمال مماثلة لأعمال أتاتورك.

^٢ من أولى الخطوات التي نفذها رضا خان في بداية عهده، منع تدريس القرآن والتعاليم الدينية وإقامة صلاة الجماعة في المدارس. كما عطل المراسم الدينية في سائر مناطق إيران، ومنع مجالس العزاء الحسيني، وفرض القيود على مجالس التآبين العادية، وبعد أن عاد من تركيا حيث التقى بأتاتورك في مطلع عام ١٣٠٧ هـ ش (١٩٢٨م) أخرج زوجته وبناته أمام الشعب سافرات وبدون حجاب. ثم أصدر في عام ١٩٣٦م قانون «السفور» الذي يتعارض بشكل صارخ مع المعتقدات الدينية للشعب الإيراني.

^٣ انتفض علماء خراسان بعد قرار رضا خان القاضي بوحدة الزي وخلع الحجاب. وأصدر رضا خان أوامره إلى جلاوزته باقتحام مسجد گوهرشاد وصحن الإمام الرضا (عليه السلام) وقمع المنتفضين، فارتكبوا مجزرة بحق الأبرياء، وألقوا القبض على ما يقرب من مئة من العلماء والوجهاء، واقتادوا بعض العلماء الكبار إلى طهران وتمت محاكمتهم، وقام جلاوزة رضا خان وبكل وحشية بوضع أجساد الشهداء وكذلك الجرحى في الشاحنات التي نقلتهم خارج المدينة حيث دفنوا في خندق حفر لهذا الغرض. ويعرف هذا الخندق بـ «المقتل».

وعقد في طهران مؤتمر الحلفاء (تشرشل واستالين وروزفلت) تزامناً مع انتصاراتهم في الحرب العالمية الثانية التي احتلت القوات المعتدية خلالها أجزاء من مناطق إيران الشمالية والجنوبية. واقتضت السياسة الاستعمارية الجديدة تغيير أسلوب الحكم وتلقين الأساليب الجديدة للحكام العلماء وإيقافهم على ما حصل في العالم من تطورات. وقاموا بتنحية رضا خان عن السلطة - مثلما جاؤوا به من قبل - فنفوه عن البلاد، وأحلوا محله ابنه محمد رضا بهلوي^١ الذي خشع منذ صغره لإشراف ورعاية الحكومة البريطانية، حسب اعترافات صديقه الحميم الجنرال فردوست^٢.

^١ ولد محمد رضا بهلوي - آخر ملوك السلالة البهلوية - في أكتوبر عام ١٩١٩. وبعد الانقلاب الذي قام به أبوه رضا خان ووصوله إلى السلطة اتخذه ولياً للعهد ثم بعثه إلى سويسرا لإكمال دراسته. وعندما عاد إلى إيران أدخله إلى المدرسة العسكرية، وفي عام ١٩٤١م قام الحلفاء بإقالة رضا خان ونفيه، وتعيين ولده محمد رضا ملكاً على إيران. ويمكن تقسيم عهد محمد رضا شاه إلى مرحلتين: المرحلة الأولى (١٩٤١-١٩٥٥)، ولم يستطع فيها أن يكسب ما كان لبيه من قوة ونفوذ. والمرحلة الثانية (والتي منذ عام ١٩٥٥ وحتى سقوطه في عام ١٩٨٧)، فإنه قد حكم إيران خلال ما يقرب من ٢٣ عاماً كسلطان مستبد جائر مطلق العنان.

^٢ انخرط (حسين فردوست) في الدورة الخاصة التي نظمها رضا لولده محمد رضا بهلوي حينما كان طالباً في المدرسة العسكرية. ولهذا يعد فردوست من أقرب الأصدقاء لمحمد رضا بهلوي منذ طفولته، والأمين على أسراره، وعندما سافر محمد رضا بهلوي إلى سويسرا - كان حينها ولياً للعهد - رافقه فردوست في ذلك السفر رسمياً، وكان صديقه الحميم خلال سنوات إقامته هناك. وعندما اعتلى محمد رضا العرش، كان فردوست على جانبه دائماً. واستمرت تلك العلاقة بينهما حتى أخذ الشاه يقدمه في كل مكان على أنه صديقه الحميم، وكان بالنسبة للشاه عينه وأذنه، وقد تولى رئاسة أهم المؤسسات الاستخبارية لنظامه «مكتب الاستخبارات الخاص» والذي كان يعدّ المعلومات = خصيصاً للشاه، حيث كان يشرف فردوست من خلاله على الجهاز السياسي والأمني للبلاد، بل حتى على «السافاك» كما كان يقوم بتنظيم العلاقات الشخصية للشاه مع أهم المؤسسات الاستخبارية، وبعد انتصار الثورة الإسلامية قامت مؤسسة «اطلاعات» بنشر مذكرات فردوست عن العهد البهلوي تحت عنوان «ظهور وسقوط السلالة البهلوية». ومع الأسف فقد مات فردوست قبل أن يكمل مذكراته المهمة. وكانت وفاته في ١٧/٥/١٩٨٧م نتيجة تعرضه لنوبة قلبية، ولهذا ظلت المذكرات في رسم ملامح أحداث الفترة ١٩٤١-١٩٥٣ ناقصة بعد أن انتهت حياته.

وهكذا أضيف فصل آخر إلى مظلومية الشعب الإيراني وشقائه، وفي ظل هذه الأوضاع راحت الدول المنتصرة في الحرب تروج في بلدان العالم الثالث بما فيها إيران، لأمواج من الأفكار الغربية تحت عنوان «الثقافة» والأفكار الشرقية تحت عنوان «الثورية»، ويشترك هذان التياران في العداء الشديد للدين والشعائر الدينية.

وللأسف فقد نجحت إلى حد كبير الدعايات الواسعة التي كان يبثها الأعداء حول فصل السياسة عن الدين وعدم انسجام المقولات الدينية مع السياسة، ونفذت تلك الدعايات إلى أعماق أذهان الناس، والحوزات العلمية أيضاً، واقتصر دور العلماء على إجراء المراسم الدينية الصورية والوعظ والخطب الأخلاقية في ظل أجواء تستعربها الحملات الواسعة التي تشنها الحكومة والتيارات الفكرية والسياسية المنحرفة، حتى لقد عد تدخل العلماء في السياسة أمراً لا يليق بهم، بل ذنباً؛ ليس من وجهة نظر النظام الحاكم فحسب، بل الحوزات العلمية أيضاً. وأخذت مشاعر الشباب غير المحصّن تتجه نحو الأفكار المنحرفة لأحزاب مثل حزب توده (الحزب الشيوعي الإيراني) وملحدين مثل كسروي.

*

ولد الإمام الخميني في أسرة معروفة بالعلم والجهاد وذلك في العشرين من جمادى الآخرة عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) وشهد منذ طفولته الصراع الدائر بين أبيه الفاضل وإقطاعي وحكام المنطقة الذي انتهى باستشهاده. وتزامنت مرحلة طفولة الإمام وصباه مع اندلاع الأزمات السياسية والاجتماعية التي شهدتها إيران آنذاك، فوعى مبكراً القضايا السياسية وتحسس بمشاعره المرهفة المجبولة على مقت الظلم، الآلام والويلات التي يكابدها شعبه، واستوعب ظروف تلك المرحلة.

تلقى الإمام خلال فترة قصيرة مختلف العلوم الإسلامية اعتماداً على ما كان لديه من موهبة فريدة. ودرس فضلاً عن الفقه والصول، الفلسفة والعرفان أيضاً في أرفع مستوياتهما على يد أبرز أساتذة تلك الفترة. ثم هاجر إلى قم بشوق بعد أن انتقل إليها آية الله الحائري وأسس فيها نواة الحوزة العلمية.

وكما أشرنا من قبل فإن بريطانيا وباقي الدول الاستعمارية كانت تروج آنذاك للتيارات المناهضة للإسلام في البلدان الإسلامية. لهذا نجد جلاوزة نظام رضا خان يروجون للبهائية والوهابية في إيران بدعم من أدعياء الثقافة العلمانية.

وكان كتاب «كشف الأسرار» الذي صنفه الإمام عام ١٣٢٢هـ (بعد سنتين من نفي رضا خان) أول ردة فعل لسماحته في ظل أجواء خيم فيها الصمت والاضطراب؛ رد فيها التهم التي وجهها أعداء الدين، كما هاجم بشكل واسع الجرائم التي ارتكبها رضا خان والنظام البهلوي.

وبعد فترة من ذلك أصدر بياناً سياسياً شديداً اللهجة استهله بالآية الكريمة: «قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادي»^١ دعا فيه علماء الإسلام والشعب الإيراني إلى الثورة على الوضع القائم، إلا أن الخوف والصمت اللذين سيطرا على المجتمع وفكرة عدم التدخل في السياسة التي كانت سائدة في الحوزات العلمية، حالت دون اتخاذ أية خطوات أساسية في هذا المضمار. وكان الحل الوحيد هو إعادة التلاحم بين صفوف علماء الدين وخلق الوعي وتعزيز موقف الحوزات العلمية والعلماء كزعماء يثق بهم الشعب بعد الضربات الكثيرة التي تلقوها بفعل

^١ سورة سبأ: الآية ٤٦.

السياسة التي انتهجها رضا خان. وكان للإمام دور كبير في دعم المرجعية العامة لسماحة آية الله العظمى البروجردي بعد وفاة آية الله الحائري.

وهيأت الحرب العالمية الثانية الأرضية لبروز أميركا كقوة عالمية بسطت هيمنتها السياسية على المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ الأوروبي، في حين بقي الأوروبيون يصارعون المشاكل والأزمات الاقتصادية التي خلفتها الحرب ومنهمكين في حملات الاعمار والبناء، فالأميركيون الذين أشعلوا الحرب ظلوا في منأى عن الأضرار المباشرة لها وتسنى لهم فرض نظامهم الاقتصادي على العالم، ودأبوا في مد نفوذهم الشيطاني إلى البلدان الأخرى، واضطرت بريطانيا التي كانت ترى في إيران منطقة نفوذ تقليدي لها، إلى التخلي عن دورها للولايات المتحدة، وانصبت محاور النشاطات السياسية والاقتصادية الأميركية على موضوعين أساسيين هما السيطرة على المناطق النفطية وإقامة قواعد إستراتيجية في مواجهة الروس. فكانت إيران في ضوء هذين الأمرين في محور اهتماماتهم.

من جانب آخر، أزيح علماء الدين عن الميدان السياسي في إيران بعد الجهاد الذي خاضه المرحوم المدرس^١ الذي انتهى باستشهاده مظلوماً.

^١ كان (المدرس) أحد أبطال التحرر في التاريخ الإيراني ومن العلماء المطالبين بالاستقلال والمجاهدين ضد الاستبداد. ولد عام ١٢٨٧ هـ في إحدى قرى اردستان، أنهى دراسته الابتدائية في أصفهان والدراسة العليا في النجف الأشرف بالعراق. وقد جعلت لغته السهلة المفهومة وأخلاقه وطبعه المتسم بالشفقة والرأفة، وحياته البسيطة، منه إنساناً يتبوأ موقع قيادة في هداية الأمة. انتخب في الدورة الثانية لمجلس الشورى الوطني عام ١٣٢٨ هـ من قبل علماء النجف وإيران كأحد خمسة مجتهدين مشرفين على قوانين المجلس، وفي نهاية هذه الدورة انتخبه أهالي طهران ممثلاً عنهم في ذلك المجلس. وعرف (المدرس) بمعارضته للحكومة العميلة والخطوات غير الوطنية والخيانة، ورفضه القاطع لمعاهدة عام ١٩١٩م الخيانية التي أبرمتها الحكومة الإيرانية مع بريطانيا وعدم سماحه للمصادقة عليها في المجلس، ونتيجة لهذه المواقف أمر الانجليز باعتقاله مع مؤيديه حيث تعرض للتعذيب على يد رضا خان قائد القوزاق.. ثم أطلق سراحه بعد ثلاثة أشهر تحت ضغط الشعب

وقد سنحت لهم الفرصة للنزول ثانية على الساحة خلال انتخابات الدورة السادسة عشرة لمجلس الشورى الوطني (١٩٥٠-١٩٥٣م) وقامت منظمة فدائيان إسلام (فدائيو الإسلام) باغتيال رئيس الوزراء الفريق (رزم آرا) فأزاحت بذلك أكبر عقبة على طريق تأميم النفط.

وأدى دعم وتأيد آية الله الكاشاني للأقلية التي يتزعمها محمد مصدق في المجلس إلى المصادقة على لائحة تأميم النفط. وتمخض عن التظاهرات الشعبية التي اندلعت في ٢١ تموز عام ١٩٥٢م إقصاء (قوام السلطة) وتعيين (الدكتور مصدق) رئيساً للوزراء مما أرغم الشاه على الخروج من إيران. غير أن الجبهة الوطنية لم يرق لها وصول علماء الدين إلى سدة الحكم، وأدت معارضتها تلك إلى زج مصدق في مواجهة مع آية الله الكاشاني.

إن الصراعات الناشبة بين زعماء النهضة والأعمال الخيانية السرية والعلنية لحزب توده الشيوعي، قد وفرت بمجموعها الأرضية لتنفيذ المشاريع الأميركية، ووقوع انقلاب ١٩ آب ١٩٥٣ وإعادة الدكتاتور على إيران^١.

بتظاهراته المتزايدة. إن عمليات الفضح التي قام بها المدرس في المجلس قد كشفت عن الوجه الحقيقي لرضا خان، وساهمت معارضته لحكومة رضا خان ومشاريعه التي تملى عليه من قبل بريطانيا، بجعله من اصلب الشخصيات وأكثرها مقاومة للاستعمار والاستبداد. وشعر الأجانب وعملآؤهم بالخوف من نفوذ المدرس، إلا أن محاولاتهم لاغتياله باءت جميعها بالفشل. فقرروا خنق هذا الصوت التحرري الإسلامي المدوي باعتقاله ونفيه إلى مدينة كاشمر، ثم دسوا له السم عام ١٩٣٧م في أحد أيام شهر رمضان المبارك، وخنقوه بعد ذلك، فمات شهيداً ودفن في مدينة كاشمر نفسها.

^١ كانت عبارة عن سلسلة عمليات عرفت بـ «مشروع أجاكس» تقوم بها وكالة المخابرات المركزية الأميركية وطاورها الخامس في إيران بهدف الإطاحة بالحكم الوطني للدكتور محمد مصدق رئيس الوزراء آنذاك، وإعادة محمد رضا البهلوي إلى السلطة، وكان الدكتور محمد مصدق قد خاض صراعاً من اجل استعادة حق الشعب الإيراني من (شركة النفط الإيرانية البريطانية) و (الحكومة البريطانية)، وتمكن في عام ١٩٥٠م من الحصول على مصادقة مجلس الشورى الوطني ومجلس الأعيان على قانون تأميم النفط، وفي عام

ويستشف من علاقات الإمام الخميني مع آية الله الكاشاني واتصالاته به في تلك الأيام، وخطاباته وبياناته اللاحقة، أنه - على العموم - لم يكن متفائلاً بنتائج تلك النهضة، بسبب ما كانت تطرحه من أهداف، والأهم من ذلك انضواء بعض من لا يركن إليهم تحت لوائها. وبعد سنتين من ذلك الانقلاب ألقى القبض على أعضاء منظمة «فدائيان إسلام» وحوكم (نواب صفوي) مع رفاقه في محكمة عسكرية ثم نفذ فيهم حكم الإعدام (في ١٧/١/١٩٥٥).

وبمجيء العميل الأميركي المشير زاهدي، بدأت من جديد - ولكن بسرعة أكبر - مرحلة الخيانة والنهب الواسع للثروات الوطنية، فحجم النفط الذي نهبته الشركات الأوروبية والأميركية خلال الفترة ١٩٥٣ - ١٩٦٣م يفوق الكميات الهائلة التي نهبها البريطانيون خلال خمسين عاماً. وتعرض الاقتصاد في إيران لهجوم أميركي وغربي مباشر، وتحولت إيران خلال فترة وجيزة إلى قاعدة عسكرية لحفظ المصالح الأميركية في منطقة الشرق الأوسط الحساسة.

وعهد إلى المستشارين العسكريين الأميركيين مسؤولية التدريب والمواقع الحساسة في الجيش، وكانت الاتفاقيات الاقتصادية والتسليحية والسياسية الخاصة بالمنطقة تنظم وتوقع واحدة بعد أخرى من قبل الانقلابيين وفي إطار رعاية مصالحهم اللامشروعة.

ولم تتمخض أي نتائج إيجابية عن العودة المحدودة للجهة الوطنية وبعض التنظيمات السياسية الأخرى إلى الساحة السياسية خلال الفترة ١٩٦٠-١٩٦٣م، بل انتهى الأمر بتمزق تلك التنظيمات وتشتتها، في حين

١٩٥١م وافق على تولي رئاسة الحكومة بهدف تنفيذ هذا القانون وإلغاء عمل شركة النفط السابقة. وقد استطاع من خلال السياسة التي انتهجها أن يحد كثيراً من صلاحيات الشاه. غير أن المؤامرة الانقلابية المذكورة أسقطت حكومته الوطنية.

انشق جناح الجبهة الوطنية إلى تنظيم باسم «حركة حرية إيران» وذلك في عام ١٩٦١م.

وأملى مخططو سياسة البيت الأبيض على الأنظمة العميلة القيام ببعض الإصلاحات الظاهرية بهدف امتصاص الضغوط الجماهيرية والحيلولة دون اتساع النفوذ الشيوعي. ففي إيران فوض الشاه منصب رئاسة الوزراء إلى «الدكتور علي الأميني» بتأثير الضغط الأميركي، وتقرر خلق الأجواء السياسية الجديدة التي ترومها الولايات المتحدة من خلال القيام بسلسلة من الإصلاحات الشكلية وفي مقدمتها الإصلاح الزراعي.

إن مكانة الحوزة العلمية في قم - التي تعززت بجهود آية الله العظمى الحائري والحضور القوي لآية الله العظمى البروجردى وشخصيات بارزة كالإمام الخميني - مثلت عائقاً أمام الإصلاحات الأميركية، وبعد الثلثة التي حصلت بوفاة آية الله البروجردى وتجزئة المرجعية، رأت الطغمة الحاكمة في إيران أن الفرصة قد باتت مواتية لتمرير مخططاتها التآمرية بشكل سريع. واستطاع الشاه خلال زيارته لأمركا أن يحصل على موافقة البيت الأبيض بتغيير الوزارة وتعيين (أسد الله علم) رئيساً للوزراء. وتمت المصادقة على لائحة الإصلاح الزراعي^١ في عام ١٩٦١م فحظيت بدعم

^١ «الإصلاح الزراعي» أحد أهم مبادئ السياسة الاستعمارية الجديدة التي قامت حكومات البلدان الخاضعة للاستعمار بتنفيذها في هذه البلدان بدءاً من أميركا اللاتينية وانتهاءً بآسيا وأفريقيا. ولكي يحصل الشاه على ثقة أصحاب الرساميل الأميركية ويعبر عن تضامنه مع الإستراتيجية الجديدة وفتح باب جديد بوجه الاقتصاد الغربي من جهة، ولكي يحد من تردي الأوضاع الداخلية ويحول دون تصاعد التذمر الشعبي الذي ينذر بانفجاريات شعبية من جهة أخرى، فقد تبنى في عام ١٩٦٢م مشروع «الإصلاح الزراعي» واعتبره أحد المبادئ الستة لما يعرف بـ «ثورة الشاه والشعب» مما أدى إلى تدمير الاقتصاد الإيراني. فالإصلاح الزراعي الإيراني الذي ترافق مع الاستثمارات الأجنبية - ولاسيما الأميركية - في قطاعي التجارة والصناعة، قد الحق أضراراً بالغة بالزراعة الإيرانية، بحيث تحولت إيران خلال سنوات من بلد مصدر للقمح إلى مستورد كبير له! ومن جانب آخر فقد نزح سكان القرى الإيرانية إلى المدن للعمل كقوى عاملة رخيصة في المصانع والحقول الخدمية، حتى إن عشرين ألف قرية قد خلت من سكانها تماماً خلال ١١ عاماً (١٩٦٦ - ١٩٧٧م).

أميركي كامل، فضلاً عن إشادة وسائل الإعلام السوفيتية الرسمية بها. كما تمت المصادقة على لائحة مجال المحافظات في عام ١٩٦٢ والتي كان الهدف الأساسي منها إقصاء الإسلام، حيث الغي شرط الإسلام المفروض في المرشحين والناخبين، وحل شرط «القسم بالكتاب السماوي» بدلاً من القسم من «القسم بالقرآن المجيد». ووضح أن الهدف الأساسي كان تهيئة الظروف وإعداد الأرضية المناسبة لتنفيذ مخططاتهم اللاحقة وما يسمى بالثورة البيضاء^١.

^١ أعلن جون كيندي - الرئيس الأميركي الخامس والثلاثون - وهو يتظاهر بالتعاطف مع الشعوب، أن من أهم أهدافه دعم الإصلاحات الاجتماعية في البلدان النامية، وكان يهدف - في الحقيقة - من وراء ذلك مجابهة الخطر الشيوعي والمعسكر الشرقي، وعلى هذا الأساس، = كانت السياسة الخارجية لحكومة جون كيندي تجاه العالم الثالث تقوم على أساس إجراء إصلاحات من قمة الهرم إلى القاعدة في محاولة للجيلولة دون وقوع ثورات غاضبة معادية للاستعمار والاستبداد، وأعلن عن هذا المشروع في الثالث عشر من آذار عام ١٩٦١ تحت عنوان «الاتحاد من أجل التقدم»، وكان في نية كيندي أن ينفذ هذا المشروع في أميركا اللاتينية أولاً، ليدفع خطر ظهور كوبا أخرى، وقد نفذ هذا المشروع في غيران أيضاً تحت عنوان «الثورة البيضاء» ونجم عنه تبعيتها للولايات المتحدة سياسياً واقتصادياً. أما الوجه الآخر للعملة فهو أن المحاصيل الزراعية للولايات المتحدة قد زاد إنتاجها إلى حد كبير في عام ١٩٦٠م، لهذا قررت أن تصدر أغلب ذلك الإنتاج إلى البلدان الأخرى. غير أن هذا الأمر لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق تدمير الزراعة في هذه البلدان، وتعرضت البلدان المرتبطة بعجلة الامبريالية الأميركية لهجوم صدارتها. وفي عام ١٩٦١ حل (علي أميني) بدعم من أميركا محل رئيس الوزراء الإيراني «جعفر شريف إمامي» الموالي للانجليز. وما أن باشر أميني أعماله حتى ظهر بمظهر الإصلاح، فحل على هذا الصعيد مجلسي الشورى والأعيان، وقام بحملة اعتقالات واسعة في صفوف رجال الدولة عسكريين ومدنيين. وتلقى خلال الأربعة عشر شهراً من حكمه مساعدات أميركية تقدر بـ ٦٧/٣ مليون دولار، وتابع شاه إيران خلال تلك الفترة الخطوات ذات الظاهر الإصلاحي للدكتور أميني، وقد شعر بالانزعاج الشديد لتجاهل الحكومة الأميركية له، لهذا سارع بالسفر على أميركا والالتقاء برئيسها جون كيندي. وتعهد الشاه خلال ذلك اللقاء بتنفيذ بعض الإصلاحات في نظام حكمه، واستطاع إقناع الرئيس الأميركي بعزل علي أميني. وبعد عودته من أميركا قام بعزله بفضل الضوء الأخضر الذي تلقاه، وعين (أسد الله علم) رئيساً للوزراء. وبعد هذه التحولات أعلن الشاه عن المبادئ الستة لما يسمى بالثورة البيضاء، ودعا الشعب للاشتراك في استفتاء عام للإدلاء برأيه حولها. وتمت المصادقة على تلك المبادئ الستة في استفتاء صوري. وهذه المبادئ هي:

وهب الإمام لمعارضة تلك اللائحة ودعا المراجع والحوارات العلمية والشعب إلى الانتفاض. وفي أعقاب برقيات التحذير التي بعثها إلى رئيس الوزراء والخطابات التي ألقاها والبيانات التي أصدرها، وتأييد المراجع له، واندلاع التظاهرات الجماهيرية الحاشدة في قم وطهران وباقي مدن البلاد، أبلغت حكومة (أسد الله علم) مراجع قم بالتخلي عن ذلك القرار. غير إن الإمام الخميني أعلن عن وعي أن ذلك القرار يجب ان يلغى من قبل الحكومة بشكل رسمي وعلني، واضطر النظام آخر الأمر إلى التراجع عن موقفه والموافقة على إلغائه رسمياً. ويعد ذلك أول انتصار سياسي للشعب الإيراني بزعامة الإمام الخميني بعد انقلاب ١٩ آب.

وفي أعقاب هذا الحدث كشف نظام الشاه إعلامه الواسع المناهض لعلماء الدين، وأصرت أميركا على تنفيذ سياستها الجديدة في إيران، فتم

١- الإصلاح الزراعي.

٢- تأسيس جيش العلم لاستئصال جذور الأمية.

٣- بيع أسهم المعامل الحكومية للحصول على رصيد لدعم الإصلاح الزراعي.

٤- تعديل قانون الانتخابات بهدف اشتراك النساء فيها.

٥- تأميم الغابات والمراعي.

٦- اشتراك العمال في الأرباح الخاصة للمعامل.

وقد ازدادت هذه المبادئ بشكل تدريجي حتى وصلت إلى ١٩ مبدءاً، ونتج عن تطبيق الثورة البيضاء أن إيران التي كانت من قبل تتمتع باكتفاء ذاتي جيد إلى حد ما في المحاصيل الزراعية وكانت تصدر بعض تلك المحاصيل، أصبحت بحاجة ماسة إلى استيراد المواد الغذائية حتى أنها أنفقت في عام ١٩٧٧م مبلغ ٢/٦ مليار (١٣٪ من العائدات النفطية) على استيراد المنتجات الزراعية. ومن جانب آخر أصبح وضع الإنتاج الحيواني التقليدي أسوأ من الوضع الزراعي، واضطرت الحكومة إلى استيراد اللحوم من استراليا، وهولندا، وبلغاريا وبعض الدول الأخرى لتأمين الحاجة المحلية، ومما تجدر الإشارة إليه أن سكان المدن كانوا يشكلون قبل الثورة البيضاء ٢٥٪ من نفوس البلاد، في حين كان الباقون يسكنون القرى والأرياف ويمتهنون الزراعة والرعي. غير أن تنفيذ مبادئ الثورة البيضاء قد اضرّ بأوضاع الفلاحين، ودفع بهم الفقر والبؤس للهجرة إلى المدن الكبرى، ولم تؤد هجرتهم إلى اضطراب الحياة المدنية فحسب، بل وجهت ضربة قاصمة إلى الزراعة الإيرانية أيضاً.

تدوين مبادئ ما يسمى بالثورة البيضاء والعمل بها في ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٦٣ بعد إجراء استفتاء مزيف.

وعقد الإمام الخميني العزم على القيام بمجابهة شاملة للخطط السياسية لنظام الشاه، لوعيه لمخاطر تعزيز النفوذ الأميركي، وقلقه على مستقبل الحوزات العلمية؛ لهذا قام بإحياء روح الحماس الثوري في القلوب من خلال بياناته وخطاباته المدوية، في ظل ظروف كان الكبت يلقي بظلاله على مختلف جوانب حياة الشعب الإيراني.

لقد قال الإمام في خطابه التاريخي في ٢٠ شباط ١٩٦٣، بعد الاستفتاء الصوري: «لا تخشوا هذه الحراب الصدئة البالية فستكسر عن قريب. وليس بميسور النظام الحاكم مقاومة شعب عظيم بالحراب، ولا بد أن يهزم عاجلاً أم آجلاً».

واستعد طلبة الحوزة العلمية الشباب، والمؤمنون ب نهج الإمام، للانتفاض، فقام النظام بخطوة متسعة ووحشية تمثلت بمهاجمة المدرسة الفيزية يقم وذلك في ذكرى استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام^١ (١٩٦٣/٣/٢٢). وأصدر الإمام بياناً بهذه المناسبة عبر فيه بصراحة عن موقفه الحازم الرافض للاستسلام حيث قال: «لقد أحضرت قلبي اليوم لحراب جلاوزتكم، ولن أخضع للغة القوة ولاستبدادكم، وسأبين بعون الله أحكام الله كلما سنحت الفرصة، وسأفضح كل الأعمال المضرة بمصالح البلاد ما دام القلم بيدي».

وتحدث الإمام في بيان آخر بمناسبة أربعينية هذه الكارثة المروعة، عن تلاحم صفوف الثورة الإسلامية الإيرانية وانسجامها مع مصالح العالم الإسلامي؛ حيث قال: «إنني أعلن لرؤساء البلدان الإسلامي العربية وغير

^١ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، سادس أئمة الشيعة (٨٣ - ١٤٨ هـ).

العربية: إن علماء الإسلام في إيران والشعب الإيراني وجيشه النيل إخوة لأبناء البلدان الإسلامية، ويشاركونهم بالسراء والضراء، وهم منزعمون ومشمثرون من التحالف مع إسرائيل عدوة الإسلام وإيران. لقد قلت بصراحة: دع عملاء إسرائيل يضعون حداً لحياتي».

وذاع خبر قيام الإمام في أنحاء إيران، وتوترت الأجواء في قم وطهران وكثير من المدن الأخرى. وحل عصر عاشوراء^١ ١٣٨٣ هـ ش (٣/حزيران ١٩٦٣) فألقى الإمام خطاباً شديداً للهجة أزاح فيه الستار عن علاقات الشاه السرية وتحالفه وتآزره مع إسرائيل. وعلى أثر ذلك حوشر منزل الإمام من قبل القوات الخاصة للنظام في ليلة الخامس من حزيران، فاعتقل عند الفجر واقتيد إلى طهران. وتعد واقعة الخامس عشر من خرداد العظيمة (٥/حزيران/١٩٦٣) ذروة التأييد الشعبي لنهضة الإمام الخميني، إذ دوت في أجواء قم وطهران وباقي المدن الإيرانية هتافات «الموت أو الخميني».

كانت خطة البيت البض تقضي بإجراء الإصلاحات الأمريكية بهدوء في بلدان العالم لاسيما إيران - التي كانوا يسمونها (جزيرة الثبات والاستقرار) في منطقة الشرق الوسط المتوترة-. وانطلاقاً من هذا المبدأ أطلق على برنامج الشاه الإصلاحية اسم «الثورة البيضاء». إلا أن انتفاضة الخامس عشر من خرداد قد مزقت كل ما نسجه النظام. فكانت مواجهة دموية واسعة النطاق، وكانت لأول مرة في التاريخ الإيراني المعاصر، انتفاضة إسلامية خالصة يتزعمها العلماء بصورة كاملة وتهدف إلى إسقاط النظام الملكي الحاكم.

^١ استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) مع ٧٢ من أصحابه في العاشر من محرم عام ٦١ هـ (٦٨٠ م). وأطلق منذ ذلك الحين على هذه المناسبة اسم «عاشوراء الحسين» أو «عاشوراء» وقيم الشيعة الحداد في العشرة الأولى من محرم كل عام بهذه المناسبة.

وبدأت حملات الاعتقال والنفي في سائر مناطق البلاد بعد مجزرة الخامس عشر من خرداد، وزُج أنصار الإمام واحداً بعد آخر في السجون أو اقتيدوا إلى المنافي. وتم تنفيذ حكم الإعدام في أبطال مثل طيب والحاج رضائي اللذين يتصدران تظاهرات أبناء جنوب طهران في الخامس عشر من خرداد. وبدا أن الانتفاضة قد تم إخمادها واحتواؤها.

أعلم سماحة الإمام في المعتقل أن لا يرى صلاح الطغمة الحاكمة ولا الجهاز القضائي الملكي، وعلى هذا الأساس امتنع عن الإجابة خلال التحقيق المكرر معه.

إن ضغوط الرأي العام وأصوات الاحتجاج انبعثت من العلماء وأبناء الشعب في مختلف أرجاء البلاد، أجبرت النظام أخيراً على إطلاق سراح الإمام ونقله إلى قم في ٧/نيسان/ ١٩٦٤ بعد أشهر من الاعتقال^١. وأقيمت مهرجانات واسعة في قم بهذه المناسبة تعبيراً عن عزم طلبة العلوم الدينية والشعب، على مواصلة دعم الإمام الخميني وتأييده.

وتصور نظام الشاه أن الإمام الخميني عليه السلام سيتوقف عن جهاده ويلوذ بالصمت بعد مجزرة الخامس عشر من خرداد الوحشية واعتقال العناصر المؤثرة من في تلك الانتفاضة. إلا أن الإمام بمجرد خروجه من السجن، أصدر بياناً على أثر صدور حكم إدانة آية الله الطلقاني^٢ والمهندس

^١ بعد اعتقال سماحة الإمام عليه السلام نقل على طهران حيث سجن بنادي الضباط في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣م. لكنه نقل ثانية عند الغروب من نفس اليوم إلى سجن في معسكر قصر. وفي ٦/٢٥ من نفس العام حمل إلى زنزانة في معسكر «عشرة آباد»، ثم إلى دار أحد أفراد السافاك بمنطقة الداودية بطهران وذلك في ٦٣/٨/٢، ونقل منها إلى بعد أيام إلى دار أخرى في منطقة القيطرية بطهران. وظل في هذه الدار محاصراً من قبل رجال أمن النظام حتى السابع من نيسان من عام ١٩٦٤.

^٢ تلقى آية الله السيد محمود الطلقاني (١٩١٠ - ١٩٧٩م) العلوم الإسلامية في مدرسة الرضوية والفيضية بقم، ثم قدم إلى طهران عام ١٩٣٨م لتدريس وتبليغ المعارف الإسلامية، واعتقل في عام ١٩٣٩م بتهمة معارضة النظام البهلوي. كان يلقي محاضراته منذ عام ١٩٤٨م في مسجد «الهداية» بطهران حيث كان مركزاً

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره.....

بازرجان^١، حذر فيه من مغبة الأعمال التي ترتكبها الطغمة الحاكمة وخطر الاعتراف بإسرائيل وتحكمها بشؤون البلاد. كما أكد خلال خطابين^٢ عن عزمه على مواصلة الانتفاضة، فقال:

«الخميني لن يساوم وإن علقوه على المشانق. لا تتوهموا، فحتى لو ساومكم الخميني فإن أمة الإسلام لن تساومكم. فنحن ما زلنا في نفس الخندق الذي كنا فيه. ونعارض كل قراراتكم المخالفة للإسلام، وكل أنواع الاستبداد».

وكان رد الشاه على رسالة تهنئة الرئيس الأميركي بمناسبة إجراء الاستفتاء السوري قائلًا: «إن بإمكاننا أن نشق بحسن نية أصدقائنا

لتجمع العناصر المثقفة المتدينة في الجبهة الوطنية، وقد نجم عن ذلك تأسيس «حركة الحرية» فيما بعد. سافر إلى الأردن ومصر خلال الفترة ١٩٥١-١٩٥٢م، وشارك في النضال من أجل تأمين النفط، حيث أُلقي عليه القبض بعد انقلاب (٢٨ مرداد) بتهمة إخفائه لنواب صفوي زعيم فدائيي الإسلام في منزله، وقد سجن المرحوم الطالقاني مراراً بسبب جهاده وكفاحه، منها عام ١٩٦٤م لدعمه حركة الإمام الخميني قدس سره لكنهم أفرجوا عنه في عام ١٩٦٧م، ونفي عام ١٩٧١م إلى (زابل) ثم إلى (بافت) بكرمان. كما أُلقي القبض عليه عام ١٩٧٥م بسبب خيانة أحد المنافيين، وحكم عليه بالحبس مدة عشرة أعوام. وأطلق سراحه مع آية الله المنتظري وعدد من السجناء السياسيين في ١٩٧٨/١١/٩م. تولى بعد انتصار الثورة رئاسة مجلس الثورة وعضوية مجلس الخبراء. خَلَف آثاراً على صعيد تفسير القرآن والمعارف الإسلامية والاجتماعية والسياسية.

^١ تولى المهندس مهدي بازرجان (١٩٠٧-١٩٩٥م) مناصب عديدة في منشأة مياه طهران، وشركة النفط الوطنية فضلاً عن المناصب الثقافية (أستاذ جامعي وعميد كلية الهندسة) أبان عهد الدكتور مصدق، وكان له دور مؤثر في تأسيس «حركة حرية إيران»، وأمضى عدة سنوات من عمره في سجون الشاه، وفوض إليه زعيم الثورة مع عدد من الشخصيات الأخرى مهمة النظر في شؤون الموظفين المضربين في شركة النفط الوطنية خلال الفترة التي بلغت فيها الثورة الإسلامية ذروتها عام ١٩٧٨م. وعينه الإمام رئيساً للحكومة المؤقتة التي تم تشكيلها بعد انتصار الثورة الإسلامية. وقد استقال من رئاسة الوزراء بعد يوم واحد من احتلال الطلبة المسلمين السائرين على نهج الإمام لوكر التجسس الأميركي. وكان قد انتخب ممثلاً عن طهران في الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي. توفي عن ٨٧ عاماً بعد تعرضه لنوبة قلبية. خَلَف مؤلفات كثيرة منها: كتاب في الديناميكا الحرارية الصناعية، والمطهرات في الإسلام، والدرب الذي سلكناه، وصغار إلى ما لا نهاية، والدين في أوروبا وعلمية الماركسية.

^٢ بتاريخ ١٩٦٤/٤/١٠ و ١٩٦٤/٥/١٥م.

الأميركان أثناء تنفيذ مشاريعنا». ولم يكن ممكناً تنفيذ تلك المشاريع الجديدة دون الحضور المباشر للمستشارين الأميركيين. غير أن انتفاضة الخامس عشر من خرداد واستمرار جهاد الإمام قد كشفوا عن الخلفية القاتمة لإصلاحات النظام. وقررت أميركا إحياء لائحة الكابيتولاسيون (الحصانة القضائية) التي تذكر بالقرون الوسطى، بهدف المحافظة على أرواح رعاياها ومصالحها، حيث تمنح هذه اللائحة الحصانة القضائية للمستشارين العسكريين والسياسيين الأميركيين، وهذا يعني السماح لهم بارتكاب أي عمل مغاير للقانون والأخلاق دون أن يحق لأحد التعرض لهم. وكانت هذه اللائحة قد صادقت عليها حكومة (أسد الله علم) في عام ١٩٦٣، ثم عرضتها حكومة (علي منصور) على المجلس في العام التالي حيث حظيت بمصادقته أيضاً، وتعد اللائحة في الحقيقة خطوة علنية ورسمية لتحطيم الاستقلال السياسي والقضائي للبلاد.

وفور اطلاعه على هذا العمل الخياني، بذل الإمام الخميني جهوداً واسعة، فأرسل إلى مختلف مناطق إيران يخبر الشعب عن عزمه على إلقاء خطاب في العشرين من جمادى الآخرة ١٣٨٣ (٢٦/تشرين الأول/١٩٦٤) لفصح النظام. وامتنع الإمام عن استقبال مبعوث الشاه - الخائف - الذي اضطر آخر المطاف أن يبلغ رسالة النظام إلى الابن البكر للإمام (الشهيد الحاج السيد مصطفى)^١، بهذا المضمون: «لقد بلغت أميركا من القوة

^١ الحاج السيد مصطفى هو الابن البكر للإمام الخميني عليه السلام (١٩٣٠ - ١٩٧٧م) انبرى لتلقي العلوم الإسلامية وله من العمر ١٥ عاماً، وبلغ درجة الاجتهاد في السابغ والعشرين من عمره، برع في أغلب العلوم الإسلامية في شبابه. وكان أساتذته سماحة والده الإمام عليه السلام، والمرحوم آية الله البروجردي، والمرحوم الحاج السيد محمد الداماد، ألقى عليه القبض في ١٩٦٤/١١/٤م بأمر من نظام الشاه وظل سجيناً في سجن (قزل قلعة) مدة ٥٨ يوماً، وتوجه إلى قم بعد إطلاق سراحه. وكان يمتلك كآبيه العظيم روحاً لا تقبل التساوم، ويؤمن بضرورة الثورة الشاملة من أجل تقويض الحكم الملكي، وقد جاهد في هذا الطريق جهاداً متواصلاً. استشهد قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران بعام واحد، وهو بالسابعة والأربعين من عمره.

بحيث تعد مهاجمتها أخطر بكثير من مهاجمة الشخص الأول في البلاد. فإذا كانت نية آية الله الخميني إلقاء خطاب في هذه الأيام، فليحذر كثيراً من الاصطدام بالحكومة الأميركية ففي ذلك خطورة كبيرة وسيواجه بردة فعل قوية وعنيفة».

ورغم هذا التهديد الجاد من الحكومة، ألقى الإمام خطابه الشهير المناوئ لللائحة الكابتولاسيون في اليوم المحدد، وهاجم فيه بعنف المخططات المشينة المعادية للإسلام التي تنفذها الحكومة، وحذر العلماء والمراجع والحوزات العلمية والجيش الإيراني من مغبتها، وأعلن بصراحة: «على الرئيس الأميركي أن يعلم أنه اليوم أبغض إنسان لدى شعبنا... إن كل مصائبنا اليوم من أميركا».

وفضلاً عن هذا الخطاب أصدر الإمام بياناً شديداً للهجة ضد تلك اللائحة أيضاً. وعمت من جديد أمواج الغضب جميع أنحاء إيران، ورأى نظام الشاه أن الحل الوحيد لإخماد ذلك الغضب الجماهيري هو نفي الإمام خارج البلاد، فطوقت داره ثانية في فجر الرابع من تشرين الثاني ١٩٦٤ من قبل المئات من أفراد القوات الخاصة والمظليين فألقوا القبض عليه ونقلوه مباشرة إلى مطار مهر آباد بطهران، فحمل أولاً إلى اسطنبول - وفق خطة متفق عليها - ثم نفي منها إلى مدينة (بورسا) التركية؛ فعاش فيها تحت رقابة قوى أمن البلدين ومنع من ممارسة أي نشاط سياسي واجتماعي.

وفي الحادي والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٦٥ قام (محمد بخارائي) وأنصاره - وهم من الجمعيات الإسلامية المؤتلفة ومن مقلدي الإمام والمؤمنين بنهجه - باغتيال (حسن علي منصور) عقاباً على خيانتة، وقد ألقى القبض على أعضاء هذه المجموعة جميعاً ونفذ حكم الإعدام في أربعة منهم فيما حكم على الباقين بالسجن لفترات طويلة.

وتم احتواء انتفاضة الخامس عشر من خرداد بإبعاد عن أجواء الثورة، والاعتقالات الواسعة في صفوف أنصاره. وواصلت أميركا على عجل عملية التغير التي تهدف إليها في مختلف الميادين الصناعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية.

وفي الخامس من تشرين الأول ١٩٦٥ (٩ جمادى الآخرة ١٣٨٥) نقل سماحة الإمام من تركيا إلى العراق.

ومن جملة العوامل التي كانت تقف وراء هذا الإجراء: ضغوط الرأي العام واحتجاجات الشعب والعلماء، والمشاكل التي كانت تواجه الحكومة التركية في مراقبة نشاطات الإمام في أجواء لا تختلف كثيراً عن الجو الإيراني، وألهم من ذلك أوضاع النجف الهائلة والخمول المخيم على حوزتها.

لقد تصور النظام الإيراني أن نفي الإمام إلى العراق سيعمل على تهدئة الرأي العام من جهة، وسيكون وضع حوزة النجف من جهة أخرى، عاملاً طبيعياً مهماً يساهم في تحجيم نشاطات الإمام دون الحاجة إلى رقابة مباشرة.

كانت الحوزة العلمية في النجف مهذاً لتربية شخصيات مجاهدة بارزة كالمرحوم الميرزا الشيرازي ^١ وأحد حصون الدفاع في مواجهة

^١ آية الله الميرزا محمد حسن الشيرازي المعروف بالميرزا الشيرازي الكبير (الأول) المرجع الأعلّم في عصره، ومن أعظم علماء الإمامية (١٢٣٠ - ١٣١٢ هـ) وصاحب فتوى تحريم التبغ المعروفة. قدم في أوائل حياته من شيراز إلى أصفهان ودرس على علمائها، ثم ذهب إلى العراق وتلمذ على الشيخ مرتضى الأنصاري، ثم انبرى بعد ذلك للتدريس، وأبرمت الشركة الانجليزية (رجا) عام ١٣٠٩ هـ وفي أيام مرجعيته معاهدة مع ناصر الدين شاه القاجاري منح بموجبها امتياز حصر التبغ في غيران لهذه الشركة لمدة ٥٠ عاماً. فأصدر الميرزا الشيرازي فتواه الشهيرة التي تقول: «استعمال التباكو والتبغ اليوم بمثابة محاربة لإمام الزمان»، وذلك للحيلولة دون نفوذ الانجليز في إيران، وقد حملت هذه الفتوى ناصر الدين شاه على إلغاء امتياز الشركة الانجليزية.

هجمات الأعداء، إلا أنها كان يلفها الصمت والسكون خلال الفترة التي نفى بها الإمام وتسيطر عليها فكرة فصل الدين عن السياسة إلى حد كبير، وذلك بتأثير الدعايات الاستعمارية القديمة وسياسة النظام البعثي الحاكم في العراق.

ويُعد العيش في مثل هذه الأجواء مؤلماً للغاية لشخصية مجاهدة واعية متحسسة بمصائب العالم الإسلامي كالإمام الخميني.

ويتضح ذلك في آثار الإمام، فتجد المرارة تغلف حديثه عن ظروف حوزة النجف مع ما حظي من فوز من مجاورة وزيارة المشاهد المشرفة. فما إن وصل الإمام إلى النجف، حتى بدأت العراقيين والخصومات بصور متنوعة واستمرت إلى أن هاجر سماحته إلى باريس، ولم تكن تلك العراقيين صادرة عن الأعداء بل عن الإخوة ورفاق الدرب الجاهلين المتحجرين الذين حصروا أحكام الإسلام الشاملة لكل جوانب الحياة في عدة أبواب فقهية خاصة بالعبادات والمعاملات، ومن جانب آخر، حالت الرقابة التي فرضها رجال الأمن الإيرانيون والعراقيون دون ممارسة الإمام لأي نشاط سياسي علني.

ومع كل هذه الظروف أضحت حوزة الإمام الدراسية خلال فترة قصيرة إحدى أبرز الحوزات العلمية في النجف، وذلك بفضل فطنته وشخصيته العلمية والاجتماعية.

ومع اشتغال الإمام الخميني بالنجف في تدريس البحث الخارج وطرح الأسس النظرية للحكومة الإسلامية تحت عنوان «ولاية الفقيه»، كان يتابع أيضاً القضايا السياسية ذات الصلة بإيران والعالم الإسلامي رغم الصعوبات القائمة آنذاك، وكان على اتصال، بشتى الطرق، مع الثوريين في إيران وعوائل شهداء الخامس عشر من خرداد (الخامس من حزيران) والسجناء السياسيين. وبعد استقراره في النجف أشرف التحق به بعض

علماء الدين الإيرانيين الثوريين، فيما وافق الآخرون - متفادين - على اقتراح الإمام بالبقاء في إيران لكي يتواصل عن طريقهم بالانتفاضة داخل البلاد، ولكي يحافظوا على انجازات انتفاضة الخامس عشر من خرداد.

وفر وجود الإمام في العراق فرصة لسماحته ليتصل بصورة مباشرة وأفضل مما مضى بالمؤمنين والطلاب المسلمين خارج البلاد. وكان لهذا الاتصال دور عظيم في نشر أفكار الإمام وأهداف نهضته في الأوساط العالمية.

لقد بذل الإمام جهوداً عظيمة في دعم انتفاضة المسلمين الفلسطينيين ودول خط المواجهة أثناء الاعتداءات الصهيونية والحروب العربية الإسرائيلية. فكانت لقاءاته المتكررة مع زعماء المنظمات الفلسطينية المجاهدة، وإيفاء ممثلين عنه إلى لبنان، وتقديم شتى المساعدات المالية والمعنوية، وصدور فتواه التاريخية المهمة في اعتبار الدعم التسليحي والاقتصادي والمعنوي للثورة الفلسطينية والبلدان المعتدى عليها واجباً شرعياً. وتعد نشاطات الإمام الواسعة في هذا المجال هي الأولى من نوعها التي تصدر من أحد أبرز مراجع الشيعة في العالم.

أما في داخل البلاد فقد حافظ أبناء الإمام وأنصاره في الحوزات والجامعات وسائر شرائح المجتمع، على ارتباط الشعب وجيل الشباب بأهداف النهضة رغم أجواء القمع السائدة، وذلك من خلال مواصلة الجهاد، وطبع واستنساخ بيانات الإمام وكتبه ورسائله. وقد تعرض الكثير منهم في هذا الطريق للنفي والسجن والتعذيب، وارتقى بعضهم إلى درجة الشهادة. وما استشهاد آية الله وآية الله غفاري تحت تعذيب جلاوزة الشاه إلا نموذج من تلك التضحيات.

وخلال المراحل المختلفة، وإقامة المهرجانات المشؤومة بمناسبة مرور (٢٥٠٠) عام على الملكية^١ في إيران ومهرجانات الفن بشيراز^٢، الذي كلف الشعب الإيراني المظلوم مئات الملايين من الدولارات ورسخت الوجود الأميري في إيران والمنطقة، وأثناء تأسيس الشاه لحزب رستاخيز^٣ (البعث)، وعند توقيعه على اتفاقيات التعاون مع الكيان الصهيوني، مثلت بيانات الإمام وخطاباته في النجف الصرخة المدوية الوحيدة التي ترفع احتجاجات الشعب الإيراني إلى أسماع العالم، وتحفظ روح الثورة حية في القلوب والضمائر. وغالباً ما كان طلاب الحوزة الشباب الثوريين يحيون ذكرى الخامس عشر من خرداد كل عام بالتظاهرات وإقامة المهرجانات العامة والخاصة - في زمن الغربة والعزلة -

^١ منذ عام ١٩٦٦م نظم الشاه عدة احتفالات ومهرجانات في محاولة منه لإظهار قوته وكذلك لإلهاء الشعب، وأهمها تلك التي أقامها بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على الملكية في إيران. ولأجل إقامة هذه المهرجانات التي كان يعبر عنها بأعظم استعراض عصري في العالم، تم تشييد مدينة إلى جانب موقع «تخت جمشيد» الأثري مزينة بأرقى أنواع الزينة، واشترك في تلك المهرجانات ٩ ملوك و ٥ ملكات و ٢١ أميراً وعدداً من رؤساء البلدان ونوابهم ورؤساء الوزراء والوزراء. وكانت تقدم للضيوف أطعمة مطعم «ماكسيم» الفرنسي الدولي ذات الأثمان الباهظة. وكانت أواني الطعام والخمر والشاي وباقي الأواني المستخدمة في المراسم من أرقى وأنفس ما موجود في العالم، وقد أقيمت في الصحراء خلال تلك الاحتفالات آلاف القصور السيارة والخيام المؤثثة بأرقى أنواع الأثاث والمزينة بأجمل الزخارف، في حين كان أغلب أبناء الشعب يعاني من عدم توفر متطلبات المعيشة الضرورية كالماء والكهرباء والطب.

^٢ في مهرجان الفن بشيراز مارس أحد الممثلين العملية الجنسية مع إحدى الممثلات على مرأى من الناس! وقد وصلت الوقاحة إلى حد دفع السفير الانجليزي بارسونز كي يقول للشاه: «لو أجري مثل هذا العرض في مدينة مانشستر مثلاً، لواجه القائمون بالعرض مشاكل عديدة». وجوبه المهرجان المسمى بالفني استنكاراً عاماً، حتى أن الصحف التي كانت تخضع لرقابة صارمة اعترضت هي الأخرى على ذلك.

^٣ أمر الشاه بتأسيس أحزاب عديدة منها: «الوطنيون» و «إيران الجديدة». إلا أنه أعلن في عام ١٩٧٤م أن حزب «رستاخيز» (أي البعث) هو الحزب القانوني الوحيد في البلاد، وجعل الانتماء إليه أمراً قسرياً، وأمر كل من يعارضه بمغادرة إيران! وكان هذا الحزب يقوم على ثلاثة مبادئ: الولاء للدستور، الولاء للنظام الملكي، الولاء لثورة الشاه والشعب، وأعلن الإمام قدس سره عن مخالفة هذا الحزب للشرع بمجرد تأسيسه، وأفتى بحرمة الانتماء إليه وأكد أن فرض الانتماء إليه عمل مغاير للدستور.

كان أبرزها انتفاضة طلاب المدرسة الفيزية بقم عام ١٩٧٥م والتي استمرت ثلاثة أيام. ودوّت خلال هذه الانتفاضة هتافات «الموت لحكومة بهلوي» و «يعيش الخميني» رغم القمع الذي مارسه النظام وما مهدّ له من تمهيدات، واقتحمت قوات ما يعرف بـ (مكافحة الشغب) المدرسة الفيزية من السطوح واعتقلت حوالي ٥٠٠ طالب حوزوي، وأغلقت من جديد، أبواب المدرسة الفيزية لبعض الوقت. وكانت بيانات وخطابات الإمام تقف وحيدة تدعم وتنصر ذلك التحرك الشجاع.

ومن جانب آخر، استعجلت أميركا تنفيذ برامجها الإصلاحية (!) في إيران بعد قمع الحركة ونفي زعيمها، وتم خلال الفترة (١٩٦١-١٩٧٨م) تدمير الزراعة الوطنية والتقليدية في إيران، وأضحى هذا البلد الذي بوسعه إنتاج الكثير من المواد الغذائية والمحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية بما يفيض عن حاجته، يعتمد كثيراً على الأسواق الخارجية لسد حاجته من القمح والرز وباقي المحاصيل الأخرى.

وإضافة إلى مبادرة النظام إلى استخراج كميات هائلة من النفط، فقد استخدم عائداتها - التي تزايدت كثيراً بسبب أزمة الطاقة - في تطوير الصناعات التجميعية في مختلف الحقول الصناعية، الأمر الذي كان يفرض الحاجة الماسة لوجود الشركات الأجنبية، وبلغت حمّى الاستهلاك ذروتها لاسيما في البضائع الغربية.

وتركز اهتمام الصحافة ووسائل الإعلام في البلاد على بث روح النزعة الغربية والتنصل عن الإسلام، وإشاعة الفساد والتحلل الخلقي بمختلف الأساليب. كما كان يروج للزرادشتية والبهاية والماسونية علناً وبصورة رسمية. وتم تغيير التاريخ الذي تتبناه إيران من الهجري إلى

الملك الذي يبدأ من حكم السلالة (الأخمينية)^١ وفرض الاستبداد في أشنع صورته، ولم يلمس أي أثر للاستقلال لدى السلطات الثلاث، بل كان الشاه وعدة معدودة من حاشيته الفاسدة هم الحكام المطلقون للبلاد. وجرت الجامعات إلى الابتذال الثقافي وأضحى الميدان مفتوحاً أمام الغزو الفكري الذي شنه المتغربون والعلمانيون. وكان السافاك (الجهاز الأمني) الجهنمي الخاضع للشاه يملئ سياسته وأساليبه الأمنية والانضباطية على مختلف الأجهزة في البلاد. وفي حقيقة الأمر تعد هذه المرحلة من التاريخ الإيراني إحدى أحلك عهود الملوك المستبدين في هذا البلد. فقد كانت أكثر من ٨٠٪ من عائدات البلاد حكراً على عدة معدودة من الأثرياء المرتبطين بحكومة الشاه، يشكل البهائيون نسبة كبيرة منهم. وأصبح الجزء الأعظم من الأراضي الزراعية الخصبة وتلك المجاورة للسدود من نصيب بعض أقرباء الشاه والمرتبطين به.

وكانت الصراعات الداخلية للنظام تدور بصورة أساسية حول الاستيلاء على ثروة البلاد ونهب خيراته، مما أدى إلى معاناة أغلب أبناء الشعب من الفقر المدقع المتزايد، حيث كانت تلاحظ ملامحه القبيحة في مختلف زوايا حياة الناس في أغلب مناحي إيران وحتى في مناطق واسعة من العاصمة طهران.

ففي الوقت الذي كان أكثر سكان البلاد وحتى بعض المدن الكبيرة، محروماً من نعمة الماء الصالح للشرب، كانت الطائرات الخاصة تنقل

^١ في نهاية عام ١٩٧٦م وفي الذكرى السنوية لمولد رضا خان أقر مجلسا الشورى والأعيان خلال اجتماع مشترك، تغيير التاريخ الهجري الشمسي التاريخ الملكي، مع جعل بداية تأسيس الملكية على يد كورش مؤسس السلالة الأخمينية في ٥٢٩ ق.م، مبدءاً لهذا التاريخ. وقد ألزم مرسوم عام كافة المؤسسات والدوائر الحكومية والأهلية باستخدام هذا التاريخ في مكاتباتها، وأثارت هذه الخطوة الحكومية غضب الشعب وعلماء الدين.

باستمرار الملابس والأغذية الأوروبية والأزهار ووسائل الزينة لاحتفالات ومهرجانات الشاه وبطانته. وأصبحت الحرية بمعناها الحقيقي ضحية أنانية الشاه وغروره الكاذب. وكان ضيق المكان قياساً للعدد الهائل من السجناء السياسيين، إحدى المشاكل الكبرى التي تواجه السافاك. وكان السجناء السياسيون يتعرضون لأسوأ أنواع التعذيب منذ الساعات الأولى وبوحشية قد تقضي على حياتهم. وقد تناهت أخبار ذلك إلى أسماع الكثيرين من أبناء العالم، كانت الرقابة العلنية على نشر الكتب والمطبوعات تعكس مدى ظلم النظام. وطبقاً للاعترافات المثيرة التي أدلى بها أقرب الناس إلى الشاه، وحسب الوثائق الموجودة، فقد كانت السياسة الخارجية في تلك الأيام والخطوط العريضة للبرامج الداخلية ترسم وتنفذ من قبل سفراء أميركا والغرب في غيران. ويمكن أن ندرك عمق التدخل الأميركي في المصير الإيراني من خلال الصورة المؤلمة التالية؛ حيث احتشد في ليلة ٢٢ بهمن (١١ شباط ١٩٧٩) عدد كبير من المستشارين والأمنيين الأميركيين بالزي العسكري الرسمي في مقر قيادة أركان الجيش الإيراني ليتولوا بأنفسهم علناً مهمة القيادة وقمع الثورة.

وتعرضت العمليات الجهادية للاضطراب والمشاكل الكثيرة بعد الخامس عشر من خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣) واستمرت الحالة إلى ٩ كانون الثاني ١٩٧٨^١ حيث تم اعتقال العناصر المؤثرة في الحركة بعد نفي

^١ المراد بذلك مذبحه التاسع من كانون الثاني عام ١٩٧٨م والتي وقت بعد نشر المقالة المهيمنة «الرجعية الحمراء والسوداء في إيران» في صحيفة «اطلاعات» بعددها الصادر في ١٩٧٨/١/٧ والتي ذيلت باسم مستعار «أحمد رشيدى مطلق». وقد نالت تلك المقالة من الإمام الخميني عليه السلام وبقية المراجع، وبعد نشرها، اجتاحت الغضب جماهير الشعب، فاندفعت لجمع نسخ تلك الصحيفة وأضرمت فيها النار وراحت تطلق الشعارات المناوئة لحكومة الشاه في الشوارع، وبعد يومين من ذلك أضربت الحوزة العلمية في قم، وانطلقت الجماهير في صفوف متراصة نحو بيوت المراجع تعبيراً عن تضامنها معهم. غير أن زبانية النظام هاجمهم فجأة وسط الطريق وفتحت صوبهم نيران أسلحتها.

الإمام، لاسيما العلماء الثوريين، كما تصاعدت حدة إعلام النظام في محاولة في محاولة لمحو آثار تلك الانتفاضة.

وكانت الجبهة الوطنية منهمكة حينئذ في قضاياها الداخلية والتنظيمية، وقد فقدت انسجامها، فضلاً عن عدم تطابق مواقفها السياسية مع أهداف وشعارات انتفاضة الخامس عشر من خرداد التي كانت انتفاضة دينية خالصة. إما حزب توده الذي ظهر في الساحة السياسية لفترة وجيزة قبل انقلاب ١٩ آب بدعم من الدول الأجنبية، فلم يبق له أي تأثير فاعل داخل البلاد منذ عام ١٩٥٤ وحتى ١٩٧٩م، بعد وقوع انقلاب ١٩ آب والضربة التي تلقاها جناحه العسكري. وانضم بعض أعضائه -الذين ألقى القبض عليهم وتبرؤوا من الحزب - إلى صفوف السافاك، وفوض إليهم النظام مناصب مهمة.

وتطابق تفسير زعماء الحزب خارج البلاد لإصلاحات الشاه خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٦٣م مع مواقف إذاعة موسكو وصحيفة برافدا الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوفيتي، في اعتبار تلك الإصلاحات ضرورية من أجل اجتياز مرحلة التكامل التاريخي للاقتصاد الإيراني!! كما إنهم ضموا أصواتهم إلى صوت الشاه والدول الغربية في إدانة انتفاضة الخامس عشر من خرداد واعتبارها حركة رجعية مناوئة للإصلاحات التقدمية.

وأدى غياب القيادة السياسية الدينية القوية قبل عام ١٩٦١م، والنشاطات الثقافية للأحزاب اليسارية وحزب توده، وظهور وتنامي التنظيمات الماركسية في أميركا الوسطى واللاتينية ومناطق أخرى، ونشاط جواسيس البلدان الشرقية، أدى إلى انجذاب بعض الشباب والمثقفين الإيرانيين نحو الأفكار الماركسية المادية الملحدة، وبسبب الخيانات والمساومات والهزائم المتلاحقة لحزب توده، اتخذ بعض

اليساريين نهج الكفاح المسلح، فظهرت إلى الوجود تنظيمات جديدة مثل «منظمة فدائيي الشعب» وغيرها.

ومع أن نشاطات المنظمات اليسارية قد وجهت بعض الضربات لحكومة الشاه، إلا أن أفكارها وإيديولوجيتها الغريبة على الثقافة الوطنية وتجاهلها للحقائق الثقافية والاجتماعية للبلاد، وانتخابها لأساليب غير مناسبة وأفكار مطبقة في بلدان تختلف كلياً عن إيران، واعتمادها الكامل على الدعم الإعلامي والمادي للدول الشرقية، كانت من جملة العوامل التي أدت إلى اضطرابها وعقم نشاطاتها في إيران وتبديل الإمكانيات والقوى التي بالإمكان زجها في إطار جهاد الشعب.

وكانت هذه الانحرافات العقائدية، والأخطاء التاريخية الفاحشة، والتبعية المطلقة للقوى الأجنبية، السبب في انضواء أغلب العناصر اليسارية بعد انتصار الإسلاميه تحت راية العناصر المناوئة للثورة ومواجهتهم العلنية لأكثر الأنظمة المعاصرة شعبية. وقد امتازت التنظيمات في إيران بالصراعات الداخلية والانشقاقات المستمرة، وهي نتيجة طبيعية للمآزق الفكرية والتفاسير الخاطئة لظروف المجتمع الإيراني وأوضاعه.

ومثل انشقاق عدد من المثقفين المتدينين على الجبهة الوطنية وتأسيس «حركة حرية إيران» في عام ١٩٦١م، محاولة لمواجهة الانحرافات اليسارية في إيران وكسب الشباب المتدين وقد تركز نشاطها الرئيسي في الجامعات والأوساط المثقفة داخل وخارج البلاد. وبسبب الملاحم الدينية التي تمتاز بها هذه الحركة إضافة لارتباطها وتعاونها مع شخصيات نظير آية الله الطلقاني، قام نظام الشاه بردود فعل عنيفة إزاءها؛ منها الاعتقالات المتكررة لبعض زعمائها منذ تأسيسها وحتى عام ١٩٧٩م. وثمة عوامل عديدة حالت دون تمكن حركة الحرية - كما هو الحال

بالنسبة لباقي التنظيمات السياسية آنذاك - من أداء دور أساسي وحاسم في قيادة النضال وتنظيم قطاع واسع من الشعب الإيراني. ومن تلك العوامل: الإصرار على مواقف الجبهة الوطنية، وتقييم الظروف السياسية الإيرانية على أساس مرحلة تأميم النفط، وحصص قضايا الكفاح في إطار المشاكل الداخلية وتجاهل التحام القضايا الإيرانية بمشاكل العالم الإسلامي، وتهميش دور العلماء في انتفاضة الخامس عشر من خرداد والانتفاضات التي أعقبتها، وانتهاج سياسة محافظة والإصلاحات الجزئية والتدرجية، والقبول ببعض عناصر النظام الملكي، والأهم من ذلك تسلل بعض العناصر المشبوهة إلى صفوفها، ممن عثر على وثائق ارتباطهم بأميركا والغرب بعد احتلال وكر التجسس الأميركي بإيران.

وكانت معلومات مؤسسي هذه المنظمة عن الإسلام سطحية للغاية، لهذا كان طابعها التنظيمي وأدبياتها التربوية والعقائدية ونهجها الكفاحي مقتبساً تماماً عن التنظيمات اليسارية المحترفة ومزيجاً من الرؤى والأساليب الماركسية والماوية¹ وبعض ظواهر القضايا الإسلامية، وغيرها ذات النزعة الوطنية والثورية في الغالب. وتمكنت تحت ستار إسلامي من استقطاب عدد كبير من الشباب والجامعيين مقارنة بباقي الأحزاب والتنظيمات، لاستغلالها الفراغ الموجود، وانتفاعها بتجارب التنظيمات الأخرى، واعتمادها الكفاح المسلح. إلا أن مستوى الالتقاط الفكري الذي تردت فيه هذه المنظمة والتناقضات العقائدية الشديدة قد أدى إلى ارتداد عدد كبير من أعضائها وكوادرها - رسمياً - بعد اعتقال وإعدام مؤسسيها. فقام هؤلاء المرتدون ضمن حملة تصفية دموية بالقضاء على كافة العناصر التي تصر على الإطار الديني للمنظمة، وأصدروا بياناً

¹ نسبة إلى ماو تسي تونغ الزعيم الشيوعي الصيني الراحل.

بتأسيس أسوأ المنظمات اليسارية مثل «بيكار» (الكفاح). كما أن بعض أعضاء هذه المنظمة أعلنوا عن ندمهم بعد اعتقالهم وكتبوا صكوكاً تعبر عن توبتهم، الأمر الذي أنقذهم من عقوبة الإعدام، وقد أطلق على سراحهم من السجن بركة الثورة الثانية للشعب خلال عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩م. ففكروا حينئذ بإعادة هيكليتهم التنظيمية المتلاشية. غير أن الشعب الإيراني كان على معرفة تامة بالسجل الأسود لهؤلاء «المنافقين» بعد انتصار الثورة الإسلامية، ذلك السجل الذي احتوت صفحاته السود على الانفجارات والاغتيالات العمياء، واللجوء إلى أحضان الغرب وأميركا، والعمل كمرتزقة لصدام طوال الحرب، والتجسس لحساب الأجانب.

ولابد من الإشارة هنا، إلى أن الإمام الخميني كان الشخص الوحيد الذي وقف منذ البداية على الانحرافات العقائدية لهذه المنظمة وخواء شعاراتها، انطلاقاً مما كان يتمتع به من فكر لمّاح ووعي مدهش. وقد سأل الإمام عدد كبير من أنصاره والشخصيات العلمائية في تلك الفترة أن يؤيد المنظمة بنحو من الأنحاء ويدعمها، وكان جوابه الرفض دائماً. ولم يرحح الإمام عن موقفه الحازم منها حتى ذلك النقاش الذي احتدم مع ممثلي المنظمة الموفدين إليه في النجف الأشرف.

وبعد افتضاح انحرافات التنظيمات ذات الأفكار اللقيطة وتمزقها، ظهرت منذ عام ١٩٧٢م بعض التنظيمات المجاهدة الصغيرة، المؤمنة بنهج الإمام الخميني؛ أبرزها سبع منظمات ائتلفت فيما بعد وشكلت تنظيمًا واحدًا يدعى «مجاهدو الثورة الإسلامية». وكانت نشاطات وفعاليات هذه المنظمات تصب في رافد الثورة الشعبية، خصوصاً في دعم تظاهرات الشعب الإيراني وإضرابه خلال عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩م.

كانت منظمة «فدائيو الإسلام» من بين الأحزاب والتنظيمات الدينية المؤمنة بالكفاح المسلح وذات خلفية تنظيمية طويلة، وكان لديها اعتقاد راسخ بالإسلام ودور العلماء، ولا تميل إلى المذاهب الوضعية، وقد ظهرت إلى الوجود عام ١٩٤٤م بجهود العالم الثوري السيد الشهيد مجتبي نواب صفوي. وكان دعم العالم المجاهد آية الله كاشاني لنشاطاتها خلال مرحلة زمنية في بداية عهد الشاه، مبعث أمل بالنسبة للقوى المؤمنة وسنداً في مواجهة نشاطات الأحزاب العميلة مثل حزب توده (الحزب الشيوعي).

ومن بين الأعمال الجهادية التي قامت بها هذه المنظمة: الاستمرار في ممارسة النشاطات السياسية؛ واغتيال عبد الحسين هجير، والفريق رزم آرا (رئيس وزراء الشاه)؛ وعد محاولات غير موفقة لاغتيال الشاه وأفراد الأسرة المالكة وحسين علاء. وقام بعض أعضاء ومؤيدي «فدائيو الإسلام» وبعض التجار المؤمنين وأعضاء الهيئات الدينية بطهران ممن كانوا على صلة وانسجام فكري مع شخصيات مثل الشهيد مرتضى مطهري والشهيد الدكتور بهشتي^١؛ قاموا بتأسيس «الجمعيات الإسلامية المؤتلفة» في ضوء توجيهات الإمام الخميني وبدعم منه، وذلك بعد حادثة ١٥ خرداد (حزيران عام ١٩٦٣م). وأدت هذه الجمعية دوراً محموداً في توزيع واستنساخ بيانات وكتب الإمام وإجراء المراسم

^١ يعد الدكتور بهشتي من الوجوه العلمية والسياسية للثورة الإسلامية. وكانت إدارته للقوى الثورية وجمعها في إطار تنظيمي باسم «الحزب الجمهوري الإسلامي»، ذات تأثيرها فاعل في إجهاد مؤامرات الأعداء خلال الأشهر الأولى من انتصار الثورة الإسلامية. وهو أول شخص عينه سماحة الإمام الخميني قده رئيساً للمحكمة العليا في البلاد بهدف ترتيب أوضاع الجهاز القضائي. استشهد مع عدد من مسؤولي نظام الجمهورية الإسلامية في حادثة تفجير المقر المركزي للحزب الجمهوري الإسلامي بواسطة قنبلة موقوتة وضعها المنافقون المتسللون (منظمة مجاهدي خلق) وذلك في ١٩٨١/٦/٢٨م. خلف الشهيد مؤلفات عديدة في مختلف حقول المعرفة.

والاشتراك الفاعل في المسيرات والتظاهرات المؤيدة لانتفاضة الخامس عشر من خرداد وفي مواصلة الجهاد بعد نفي الإمام. ولا بد من الإشارة إلى أن الإعدام الثوري لحسن علي منصور في ٢١ كانون الثاني ١٩٦٥م، كان من تخطيط وتنفيذ الجناح العسكري لهذه الجمعية.

✱

كان حضور الإمام الخميني كزعيم لحركة علماء الدين ضد لائحة مجالس المحافظات واستفتاء الشاه الذي أدى إلى انتفاضة الخامس عشر من خرداد، سبباً في استقطاب تعاون ودعم مراجع غيران في تلك الفترة. وكانت اجتماعات الإمام ومفاوضاته مع المراجع غالباً ما تتبلور على شكل بيانات مشتركة أو منفصلة. وكان الطلبة الشباب وتلامذة الإمام الثوريين يدعمون الانتفاضة، غير أن الكثير من العناصر المعروفة في الحوزة ذات الرؤية السطحية والتي لم يكن بمقدورها فهم الانتفاضة أخذت تضع العراقيل بشتى الأساليب، وكانوا يشكلون قطاعاً واسعاً، بدءاً بالمعارضين للفلسفة والعرفان، وبعض المتنسكين الجامدين الذين يعتبرون السياسة شأنًا لا يليق بعالم الدين، وانتهاء بجمعية الحجية والولائيين الذي كانوا جميعاً يثيرون الشبهات حول أهداف الانتفاضة في اجتماعاتهم الخاصة والعامة.

وينبغي أن نضيف إلى هؤلاء، طلاب الدعة الذين يرون أن المرجعية والزعامة الدينية ليست سوى تقبيل اليد وكتابة الرسالة الفقهية وتسلم الأموال وكانوا ينظرون على حركة الإمام عامل قلب الوضع الذي هم عليه وكذلك أولئك الذين كانوا في تواطؤ علني أو خفي مع نظام الشاه. وقد تحدث الإمام - الذي يشهد الجميع بصبره وحلمه - في بيان له عن صعوبات الجهاد في ظل الظروف التي كانت تمر فيها الحوزة آنئذ، فقال:

«لا شك أن العلماء المهادين قد جرحوا من الداخل بشكل اكبر. لا تتصوروا أبداً أن تهمة التبعية واللا دينية وجهت إلى علماء الدين من الخارج فقط. فضربات بعض رجال الدين الجاهلين، أو العاملين المرتبطين كانت وما زالت أقوى بكثير من ضربات الآخرين.

«ففي بداية الجهاد الإسلامي، إذا أردت أن تقول الشاه خائن، كنت تسمع على الفور جواباً يقول: الشاه شيعي! فبعض المتظاهرين بالقداسة الرجعيين يحرمون كل شيء دون أن يجرؤ أحد على الوقوف بوجههم. إن الغصص التي تجرّعها أبوكم الهرم من هذه الفئة المتحجرة، لم يتجرّعها أبداً من ضغوط ومتاعب الآخرين... فكان تعلم اللغة الأجنبية كفرًا، والفلسفة والعرفان ذنباً وشركاً. ففي المدرسة الفيضية شرب - يوماً - المرحوم مصطفى - في صغره - الماء من جرة فقاموا بتطهيرها، لأنني كنت أدرس الفلسفة!!...»

وفي الخامس عشر من خرداد ١٩٦٣ كانت المواجهة سهلة إذا ما كانت مقتصرة على رصاص الشاه ونيرانه، ولكن كان رصاص الحيلة والتحجر والتظاهر بالصالح يواجهنا من الداخل، إضافة إلى رصاص السخرية والنفاق، وهو ما يحرق القلب والروح ويمزقها أكثر مما يفعل فيهما البارود بألف مرة... والحقيقة إن العلماء الأصلاء كانوا يكون دماً في العزلة والأسر»

ورغم كل هذه المعاناة فإن حضور الإمام القوي في خضم أحداث (١٩٦١-١٩٦٤) بالحوزة العلمية في قم، قد أحبط محاولات المعارضين. غير أن نفي الإمام كان بمثابة بداية لمرحلة طويلة من الظلمة والغربة لأنصاره في الحوزات، ونمو وتعزيز للأجنحة المعارضة. ولقد أتاحت حكومة الشاه والقمع الشديد للحركة. الفرصة لولادة ظروف رأى فيها أكثر العلماء أن المصلحة تقتضي التزام الصمت!! بحيث لم يكن خلال

الفترة التي سبقت التصاعد الجديد للحركة عام ١٩٧٨م - عدا بيانات الإمام وأنصاره - أي تحرك وبيان وخطاب علني يدل على متابعة أهداف الانتفاضة، وإذا ما شوهد فإنه نادر للغاية وباهت.

وقد انتهزت جمعية (الحجّية) الفرصة لتوسيع تنظيمها مستغلة النزوع الشعبي العام - لاسيما الشباب - نحو الأفكار الإسلامية التي نضجت ببركة انتفاضة الخامس عشر من خرداد. كان أسلوب العضوية في جمعية الحجّية والاجتماعات السرية التي تعقدها ذات جاذبية تستقطب العناصر المتدينة، إلا أن نشاطاتها كانت تجري لصالح السافاك، شاءت ذلك أم أبت. فطاقات الشباب والمثقفين الذين كان بإمكانهم أن يحملوا على عاتقهم جزءاً من أعباء الجهاد، كانت تبدد في دراسة نقاط ضعف الأفكار البهائية الجوفاء وأساليب مواجهتها دعائياً.

فلم يلتفت زعماء الحجّية أو لم يقبلوا حقيقة كون جهادهم ليس سوى جهاد ضد المعلنين، وهو - واقعاً - انحراف عن طريق الجهاد، لأن البهائية كانت أداة سياسية بيد نظام الشاه ونتيجة متمخضة عن السياسة الأميركية، ولم تكن حركة عقائدية أو فكرية. وتكمن خطورة البهائية في كون عناصرها حلقات في سلسلة مخطط عالمي يتبناه الكيان الصهيوني، وينيظ بهم الشاه المواقع الحساسة للبلاد على اعتبارهم جواسيس وحماة لمصالح الصهاينة وأميركا. ولهذا فإن الجهاد الواقعي ضد هؤلاء يتطلب خوض جهاد سياسي ضد العلل والأسباب، وهو ما لا يوجد في برامج الحجّية وأهدافها. فليس من باب الصدفة إذن، بقاء تنظيمات هذه الجمعية في منأى عن ملاحقة السافاك منذ تأسيسها وحتى انتصار الثورة الإسلامية.

فقد ورد في المادة التاسعة للنظام الداخلي لجمعية الحجّية: «لا تتدخل الجمعية في القضايا السياسية بأي شكل من الأشكال» وعلى هذا الأساس كان من شروط العضوية فيها تقديم تعهد تحريري (كتبي) بعد التدخل في السياسة. ونقرأ في إحدى وثائق السافاك الموقعة من قبل رئيس الدائرة الثالثة: «طلب مسؤول جمعية الإعلام الإسلامي (التابعة لجمعية الحجّية) في العاصمة من السافاك تقديم المساعدات اللازمة لمكافحة البهائيين علمياً ومنطقياً!!».

وورد في وثيقة أخرى موقعة من قبل رئيس الاستخبارات في اللجنة المشتركة لمكافحة الشغب: «حسب المعلومات فإن الحاج الشيخ محمود ذاكر زاده (تولايي) المعروف بالحلي من مسؤولي هذا الاجتماع (جمعية الحجّية) على تعاون مع الشعبة (٢١) لمديرية أمن واستخبارات طهران، فالأفضل الحصول منه على كافة المعلومات حول الاجتماع، قبل إحضار الباقيين».

وخلال الفترة (عام ١٩٧٩م) التي حرم فيها سماحة الإمام احتفالات الثالث، والنصف من شعبان احتجاجاً على جرائم نظام الشاه. نزلت جمعية الحجّية بكل ثقلها إلى الميدان لكي تحول دون ذلك الاضطراب.

إن الانحطاط الفكري للحجّية والتفاسير المغلوطة والسلبية لانتظار الفرج وشروط ظهور الإمام المهدي (عج) قد بلغت حدّاً بحيث أدانت أي جهاد سياسي وأية جهود تبذل من أجل حكم الصلحاء على الأرض، لأن ذلك - من وجهة نظرهم - يؤدي إلى تأخير ظهوره (عليه السلام). ومن الطبيعي أن مثل هذا المنطق الخانع يدين حركة (١٥ خرداد) وصرخات الإمام الموقظة.

والجبهة الأخرى التي فتحت بدعم من السافاك في الحوزات لمواجهة حركة الإمام الخميني تمثلت بمواقف وخطوات السيد محمد كاظم

شريعتمداري والتنظيمات التي تنسب إليه. وكان بعض خواص العلماء على علم بحقيقته منذ ٢٧ مايس ١٩٤٧ حينما خرج لاستقبال الشاه دون بقية العلماء رغم تحريمهم، وتحدث بين يدي الطاغوت ومدحه، وقد استطاع بعد وفاة آية الله البروجردي أن يطرح نفسه كمرجع في أوساط المجتمع خلال عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢م مستغلاً ظروف الحوزة والمجتمع وكذلك بفعل مسايرته الظاهرية للانتفاضة. ومع أن الشعب كان على وشك الثورة بعد نفي الإمام، غير أن الطغمة الحاكمة تمكنت من السيطرة على الأوضاع بدعم منه ومن العناصر التي على شاكلته. ويعد تقرير رئيس رئيس سافاك قم في ٧ حزيران عام ١٩٦٣ عن النداء الهاتفي والرسالة الجوابية للسيد شريعتمداري، نموذجاً على خطواته المضادة في تلك المرحلة. فنقرأ في التقرير: «في عصر اليوم المنصرم تحدث المشار إليه أعلاه هاتفياً مع تبريز... وقال شريعتمداري: «أوصيكم بأمرين: أ- أدعوا الشعب إلى الهدوء والامتناع الأكيد عن التظاهرات... لقد تظاهر الناس في قم، إلا أنهم جوبهوا بقوات الأمن الداخلي؛ فلا تتناسب الرصاصة مع الروح! فيجب إذن الحيلولة دون التجمع والتظاهر. ب - حاولوا أن لا تنالوا من جلاله (الملك) المعظم ولا تسيئوا إليه. أنا منزعج جداً من الخميني... لقد قلت للخميني أن لا يتعامل هكذا مع الملك وأن لا يعمل خلافاً للحكومة، إلا أنه لم يصغ لقولي حتى حلّ به ما حل. وعليكم أيضاً أن تعدوا طوماراً لصالحي».

وقد وجد السيد شريعتمداري الأجواء المناسبة له بعد غياب الإمام ونفيه من إيران؛ لهذا قام في غضون أقل من عام بتأسيس مؤسسة في قم تدعى «دار التبليغ» وذلك في ١٠/٩/١٩٦١م بهدف إيجاد مركز في مواجهة الجناح الثوري للحوزة ونهج الإمام. ومع إن فكرة تأسيس دار

التبليغ كانت قائمة منذ عام ١٩٦٢م، غير أن حضور الإمام ومعارضته كانا يحولان دون ظهورها رسمياً إلى الوجود. ويمكن الوقوف على حقيقة نشاطات دار التبليغ من خلال تقرير رئيس سافاك قم: «لا يمكن في الوقت الراهن إجبار كتاب مجلة «مكتب إسلام» على نشر ما نريد ... قد تصدر في المستقبل مجلة على هذا الغرار باسم دار التبليغ مرتبطة بالمدرسة التي شرع بها السيد شريعتمداري بتشبيدها، حيث بالإمكان إدارتها بشكل مباشر!!

التوقيع: بديعي مدير أمن واستخبارات قم».

لقد استغل مركز السيد شريعتمداري من قبل النظام كوسيلة للضغط على العناصر الوفية لنهضة الإمام الخميني. فالصراعات المستمرة التي كانت تخوضها بطانته في قم ومختلف مناطق إيران ضد السائرين على خطى الإمام ونشاطاتهم العدوانية طوال فترة نفي الإمام، قد أدت إلى وقوع أحداث لا تتسع هذه المقدمة لتناولها، نذكر منها تعاونه وتنسيقه مع خطة النظام في إجراء امتحانات رسمية من قبل وزارة التربية والتعليم لطلبة الحوزة العلمية، وإرسال المكلفين منهم إلى الخدمة العسكرية، بدافع تشخيص العناصر الثورية من جهة، وفرض هيمنة الحكومة على الحوزات من جهة أخرى.

وخلال عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩م وفي ذروة أحداث الثورة، اتخذ السيد شريعتمداري في مقابلاته وبياناته مواقف مضادة لمواقف الإمام الحازمة، ومن هذه المواقف تأكيده على الدستور السابق، وقبول النظام الملكي في مقابل فكرة إقامة حكومة إسلامية، ودعم مجلس السلطة الذي أسس بعد هروب الشاه، ومحاسبة الحكومة بدلاً من العامل الحقيقي الذي يقف وراءه الشاه شخصياً، وأميركا. وتعد فتنة «خلق مسلمان» (الشعب المسلم)

والتعاون مع المحاولة الانقلابية بنظام الجمهورية الإسلامية، من القضايا التي اطلع عليها الشعب الإيراني عن طريق اعترافاته التلفزيونية. وكان التيار الضال الآخر في الحوزة والمجتمع، الولائيين الذين عملوا على حرف مسار النهضة الجهادية عن أهدافها الأصلية من خلال زجها في القضايا المثيرة للنزاع، وكان هذا التيار يتشكل من عناصر غير متجانسة؛ يدفعهم العناصر الفاسدة من المعممين المزيّفين والمرتبطين بالنظام، حيث كانوا يشيرون في كل يوم مشكلة في المجتمع بذريعة ما، ويوجهون الرأي العام نحو قضايا هامشية والتصدي لشخصيات حركية فاعلة كالشهيد مطهري، مستغلين مشاعر الناس وحبهم وولاءهم الحقيقي لأهل البيت عليه السلام.

إن محاضرات ونشاطات بعض المفكرين الحوزويين والجامعيين في حسينية الإرشاد (خلال ١٩٦٩-١٩٧٩ وما بعد) دفعت طبقة كبيرة من الطلبة الجامعيين والمثقفين نحو إعادة النظر في المفاهيم والقضايا الإسلامية، وعرضت الإسلام للشباب مدرسة جهاد وعمل بنحو لم يسبق له مثيل.

وأضحت نقاط الضعف الموجودة في آثار الدكتور شريعتي^١ وحملاته الشديدة على علماء الدين وتفسيراته الجديدة للمقولات الدينية

^١ مارس الدكتور شريعتي نشاطات جمّة في حسينية الإرشاد بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٦م، ونشرت كتب كثيرة بالمحاضرات التي كان يلقيها. وواجهت أفكاره وآراءه معارضة بعض علماء الدين. ولم تتحمل الطبقة المثقفة المنشدة كثيراً إليه تلك المعارضة، ودارت على هذا الأساس مناقشات ونزاعات كثيرة حول أفكاره. واندفع مؤيدوه إلى معارضة العلماء عن علم أو جهل، كما قام عدد من رجال الدين بطرح القضية من على المنابر وبمختلف الصور عن علم أو جهل أيضاً، وصبت تلك النزاعات في مصلحة السافاك تماماً. توفي الدكتور شريعتي في ظروف غامضة بلندن في ١٩٧٧/٦/١٩م. وفي ذروة الخلاف والمنازعات الخطابية، دعا سماحة الإمام كافة الأجنحة إلى الاتحاد والتآزر، وقال في أحد خطباته بهذا الشأن: «في وقت أصبحت كل الأقلام وكل

والثورية التي كان بعضها مشوباً بأفكار مستوردة؛ أرضية لهجمات تيار ما يعرف بأهل الولاية أو الولائيين. وتحولت منابر الوعظ والخطابة لدى هذه الفئة إلى ميدان لقذف هذا أو ذاك بتهم العلمانية والوهابية وغيرها. كما أدت حملات المعارضة والتأييد لكتاب (الشهيد الخالد)^١ في وقت من الأوقات إلى إثارة مناقشات متضاربة حادة في أوساط الحوزات العلمية. وفي خضم ذلك الضجيج كان نظام الشاه المستفيد الحقيقي من تلك الظروف، فسعى من خلال تعميق الاختلافات ودعم المعارضين لنهج الإمام، إلى تشويه صورة المجاهدين. وكانت الخطوات المنحرفة المتطرفة لبعض عناصر الحوزات العلمية المتظاهرة بالجهاد يزيد الطين بلة ويؤيد الدعايات المسمومة للنظام. فاغتيال آية الله (شمس آبادي) بأصفهان^٢ والأحداث المشابهة نموذج لذلك، حيث كان السافاك يسخرها لصالحه.

الخطوات وكل الدعايات ضدنا ... لا تبعدوا الجامعة عنكم ... وأنتم أيها السادة المثقفون، لا تبعدوا عنكم مثل هذا الجناح الكبير (علماء الدين) الذي يقف الشعب خلفه. وعلى السادة أن لا يبعدوا هذه الأجنحة عنهم. عليهم أن يضموا هذه الأجنحة إلى بعضها ... ليمد كل منكم يد الأخوة للآخر ... لينتهز السادة هذه الفرصة ولا تدعوها تفلت من أيديكم».

^١ «الشهيد الخالد» اسم كتاب يتحدث عن حياة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام - الإمام الثالث من أئمة الشيعة - وفلسفة عاشوراء. وهو من تأليف السيد نعمة الله الصالح النجف آبادي، أثار بعد صدوره الكثير من ردود الفعل الموافقة والمعارضة.

^٢ قتل آية الله شمس آبادي إمام «مسجد سيد» بأصفهان، في عام ١٩٧٦م بأمر من مهدي الهاشمي وعلى يد مجموعة من جلاوزته في طريق أصفهان - قهديرجان. وحكمت محكمة أصفهان الجنائية على مهدي الهاشمي بالإعدام ثلاث مرات، كما أصدرت حكماً بالإعدام على ستة أشخاص آخرين. غير أن تلك القضية استمرت حتى انتصار الثورة الإسلامية، وظل جميع المتهمين أحراراً لم يسجن أي منهم. = وكان السافاك قد قام آنذاك وبأمر من الشاه بإشاعة أخبار كاذبة حاول من خلالها إثارة الشكوك حول الإمام. وفي عام ١٩٧٦م وعندما اغتالت عصاة مهدي هاشمي آية الله الشمس آبادي، روج السافاك أخباراً مفادها أن المتهمين بقتله إرهابيون من الموالين لآية الله الخميني (تراجع صحيفة اطلاعات ١٥/٥/١٩٧٦) كما أعلن في صحيفة

إن ما قيل كان نزرأ يسيراً من المشاكل والعقبات الهائلة التي واجهت جهاد الإمام بعد انتفاضة ١٥ خرداد وحتى زمن اندلاع شرارة الثورة ثانية في عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩م. ففي الوقت الذي كان فيه الإمام الخميني قدس سره يتحمل عناء البعد عن الوطن بجريرة التنديد بأميركا، وسهام افتراءات وعراقيل الدين والطبقة العلمائية في حوزة النجف، وعواصف الأحداث التي أثاروها في إيران، كان يجب عليه أيضاً - في ظروف الغربه والألم هذه - أن يجتاز بسفينة الثورة التي تحيط بها العواصف مضيقاً حافلاً بالأحداث.

والحقيقة أن هذه الفترة هي أصعب فترات الثورة الإسلامية وأكثرها اضطراباً لأن في كل لحظة من لحظاتها حادثة، وفي كل برهة عاصفة تحاول جر ثورة الإمام إلى الضياع وإطفاء المشعل الذي أضيء من جديد في (١٥ خرداد ١٩٦٣م) بعد ١٣ قرناً من غياب الإسلام عن مسرح الحياة.

ويجدر بنا هنا أن نشمن دور رجال بواصل طافوا بصلافة وتضحية كالفراشات حول الإمام بالنجف الأشرف وحول مشعل ثورته في إيران واحترقوا أثناء طوافهم وذلك خلال سني الغربه والعزلة. لقد ابتاعوا الاتهامات بأرواحهم، وهتفوا من على المنابر وفي خطاباتهم باسمه ودربه، وحرسوا كوكب الحرية في ليل الجور الشاهنشاهي الطويل المعتم، وقطعوا مراراً وتكراراً طريق قم النجف المحفوف بالمخاطر راكبين وراجلين، ونقلوا بيانات ورسائل وخطابات الإمام من يد ليد ومن قلب لقلب وبأضعف الإمكانيات، ووقفوا بالحوزات في وجه الغاصبين والمتآمرين، واشتروا بأرواحهم سهام البلاء والسجن والتعذيب والنفي

«كيهان» بتاريخ ١٩٧٦/٥/١٥ أن قتلة آية الله شمس آبادي من المؤيدين للخميني وكتاب «الشهيد الخالد». ونتيجة لهذه الدعايات المضللة للنظام قام البعض بإثارة الصخب والضجيج.

والتشرد، وأحيوا الشهادة بدمائهم الطاهرة في وقت فقدت فيه لونها ونضارتها، كي يشهدوا على الحقيقة التي أشار إليها الإمام فيما بعد بفخر: «منذ مئات الأعوام وعلماء الإسلام ملاء المحرومين والمستضعفين... لقد تحملوا في كل عصر أنواع المرارة والألم دفاعاً عن مقدساتهم الدينية والوطنية، وقدموا لذات الحق المقدسة الشهداء العظام فضلاً عن تحمل أنواع الأسر والنفي والسجن والأذى والكلام الجارح... ففي كل نهضة وثورة إلهية وشعبية، كان علماء الإسلام أول من طبع على جبينهم الدم والشهادة».

فكيف يمكن إذن أن نقارن ونساوي بين عظمة تضحيات هؤلاء الأئمة السابقين في الجهاد وبين مساهمة حديثي العهد بالنضال والمنضمين الجدد للثورة؟!

وتزامناً مع مجيء (جيمي كارتر) في عام ١٩٧٧م - من الحزب الديمقراطي - طرح البيت الأبيض وثيقة الدفاع عن حقوق الإنسان على مستوى واسع. وكان هدفه الأصلي من وراء ذلك، التعتيم على الجرائم الأميركية المرتكبة في مختلف بقاع العالم، وإسداد الستار على جرائمهم في اليابان وفيتنام وكوريا وفلسطين، ولكي يتخذ من هذه الأطروحة حربة يمارس من خلالها الضغط على خصمه الشرقي - الاتحاد السوفيتي السابق - مع العلم أن تنفيذ هذه السياسة لن يترك أدنى تغيير في البرامج التوسعية اللاإنسانية التي تنفذها أميركا في العالم ولا على ممارساتها الداخلية القائمة على الظلم.

إن تصاعد وعد الرأي العام العالمي والظروف العالمية الجديدة، تتعارض مع الأساليب الاستبدادية التي تحظى بدعم الأميركان. وفي إيران وجد الشاه أن قوته قد ترسخت بقمع المعارضين وسحقهم وتصفية التنظيمات التي كانت تتبنى نهج الكفاح المسلح. وكان إظهار إيران

بمظهر الثبات والقوة أمراً في غاية الضرورة للأمير كان بعد أن لعبت إيران رسمياً دور الشرطي بالمنطقة في أعقاب خروج القوات البريطانية من البلدان المطلة على الخليج الفارسي. وكانت إيران تعرف كراعية المصالح الأميركية والغرب في أكثر المناطق الحساسة المجاورة للاتحاد السوفيتي، ونموذج للحكومات المدعومة بشكل كامل من الغرب في العالم الثالث.

وكان استمرار حكم السافاك بصورته العنيفة والمباشرة، والسياسة الدكتاتورية المستبدة للشاه، تتعارض مع الطروح الجديدة ودعايات كارتر على صعيد على صعيد حقوق الإنسان. وهذا ما دفع بالأمير كان إلى أن يضعوا في جدول أعمال الشاه فقرة إصلاح الأسلوب السياسي في إدارة المجتمع، بدون إلحاق الضرر بأركان وعناصر النظام الملكي.

على أي حال، طبل الإعلام كثيراً للجو السياسي المفتوح في إيران في ظل ظروف فشلت فيها البرامج الأميركية السابقة وثورة الشاه البيضاء، وظهر أن بوابة الحضارة الكبرى لم تكن سوى سراب لا غير، وتفاقت حالة التذمر الشعبي والفقر والتمايز الطبقي العميق في المجتمع الإيراني. وكأول خطوة على هذا النهج الجديد تم إقالة (أمير عباس هويدا)^١ عن منصب رئاسة الوزراء الذي احتفظ به لمدة ١٤ عاماً، وتعيين التكنوقراطي الغربي «جمشيد آموزگار»^٢ بدلاً عنه.

^١ حفيد أحد البهائيين الإيرانيين المعروفين. درس في بيروت وعمل دبلوماسياً في وزارة الخارجية عام ١٩٤٤م. ثم أصبح في عام ١٩٦٠ عضو في مجلس إدارة شركة النفط الوطنية الإيرانية، وتولى وزارة المالية في حكومة منصور عام ١٩٦٤م. ثم خلف منصوراً كرئيس للوزراء في عام ١٩٦٥، وظل في هذا المنصب حتى عام ١٩٧٧، حوكم في عام ١٩٧٩ وأعدم. قيل أنه كان من أتباع الفرقة البهائية، وطبقاً لوثائق السافاك كان أحد العناصر الرئيسية في التنظيم الماسوني بإيران، وكان في تشكيلته الوزارية ماسونيون رسميون مرتبطون بالتنظيم الماسوني الصهيوني العالمي.

^٢ عينه الشاه رئيساً للوزراء بعد أمير عباس هويدا، وشغل المنصب لبعض الوقت.

إن بصيرة الإمام الثاقبة وانتهازه الصحيح للفرص السانحة، يدل على عمق معرفة سماحته بأوضاع العالم لا سيما قضايا إيران، رغم السنوات المديدة التي أمضاها بعيداً عن الوطن.

✱

في الثالث والعشرين من تشرين الأول ١٩٧٧ استشهد آية الحاج السيد مصطفى الخميني بطريقة غامضة، وكان أمل الإمام كما شهد بذلك أصدقاء الإمام وكثير من مناوئيه في الحوزات. وبالرغم من الضربة النفسية التي وجهتها هذه الحادثة لميدان الجهاد، إلا أن الإمام اتخذ إزاءها موقفاً مدهشاً وعظيماً حينما اعتبرها من الألفاظ الإلهية الخفية. وأقيمت مجالس تأبين ابن الإمام في كثير من المدن وفي منتهى العظمة. واغتنم الخطباء الثوريون الفرصة فبادروا إلى فضح جرائم النظام وإبلاغ أهداف الخامس عشر من خرداد. وتناقلت الألسن ثانية اسم الإمام الخميني بشكل واسع، فيما قرر النظام الانتقام.

ففي ذكرى خلع الحجاب على يد (رضا خان) نشرت صحيفة اطلاعات في عددها الصادر في ٧ كانون الثاني ١٩٧٨ مقالة بعنوان الرجعية الحمراء والسوداء في إيران لكاتب اختار اسماً مستعاراً هو (رشيدي مطلق)، وقد نال في مقالته من العلماء الثوريين والإمام. وكان الهدف الآخر للنظام من نشرها دراسة الظروف بعد بدء تنفيذ السياسة الأميركية الجديدة على صعيد ما يسمى بحقوق الإنسان، ولم يقف أنصار الإمام في الحوزة مكتوفي الأيدي، فأضربوا عن الدراسة في اليوم التالي وتظاهر عدد كبير من طلبة الحوزة العلمية وأهالي قم في شوارع المدينة، وانطلقوا نحو بيوت المراجع احتجاجاً على تلك المقالة ولكسب دعمهم وتأييدهم. وفي أثناء الليل زلزل هدير الجموع المحتشدة في المسجد الأعظم وهتافات «يعيش الخميني» و «الموت لحكم البهلوي» مدينة قم،

وأعيدت إلى الأذهان ذكريات الخامس عشر من خرداد عام ١٩٦٣م. وفي التاسع من كانون الثاني انطلقت منذ الصباح الباكر تظاهرات أوسع من تظاهرات اليوم السابق، ففتح عليها جلاوزة الشاه النار عصاراً فضرجوها بالدماء، واستمرت المواجهة حتى منتصف الليل، فأسفرت عن استشهاد وجرح مجموعة من المتظاهرين، وكانت هذه الحركة بمثابة شرارة الانفجار الذي حدث بعد عام من ذلك في ٢٢/بهمن ١٣٥٧ هـ ش (١١ شباط ١٩٧٩) بتدبير الإمام ومثابرة الشعب، وأسقط النظام الملكي المستبد.

وكانت تقام بشكل متوال مراسم تأبين شهداء انتفاضة التاسع من كانون الثاني بمناسبة مرور ثلاثة أيام وسبعة أيام وأربعين يوماً - بخاصة - على استشهادهم. وقد جرت تلك المراسم في تبريز ويزد وأصفهان وشيراز وجهرم والأهواز وطهران والمدن الأخرى، فكانت تضيف أبعاداً جديدة لتلك الانتفاضة.

وكانت البيانات الحماسية المثيرة تصل من الإمام المقيم في النجف بالعراق إلى إيران في كل مناسبة بأقصر وقت وبمختلف الوسائل، فتكثرت وتوزع على نطاق واسع بواسطة علماء الدين والشباب الثوري، فكانت الثورة بذلك تنطلق إلى الإمام خطوة خطوة.

وحرم الإمام احتفالات النيروز ومنتصف شعبان عام ١٩٧٨م، فتحولت إلى إضراب شعبي وثورة على النظام. وكان بيان الإمام الثماني - الذي أصدره بمناسبة حلول شهر رمضان نفس العام وفتواه بوجوب فضح جرائم الشاه من على المنابر ومن خلال مراسم التبليغ في هذا الشهر - قد نقل الثورة إلى أرجاء مدن وقرى إيران كافة. ودفعت ثورة محافظة أصفهان في شهر رمضان حكومة (آموزغار) إلى إعلان حالة الطوارئ في عدة مدن من هذه المحافظة. لقد تجاوز نطاق التظاهرات المنطق

المركزية واستمر لساعات طويلة. ووقعت كارثة سينما (ريكس)^١ في (عبادان) المدبرة من قبل جلاوزة السافاك وأدت إلى احتراق المئات فيها. وسقطت حكومة (آموزغار) فعهد النظام برئاسة الوزراء إلى (جعفر شريف إمامي)^٢ - العضو في مجلس الأعيان - لتشكيل ما عرف بحكومة الوفاق الوطني، في محاولة السيطرة على الأوضاع، وادعى (شريف إمامي) في حديث تلفزيوني أنه مقلد للسيد شريعتمداري ومؤيد لعلماء الدين. ثم قام بخطوة تكتيكية بإشارة من السفارة الأميركية بطهران تمثلت في منح الامتيازات؛ منها إلغاء التاريخ الملكي وإعادة اعتبار التاريخ الهجري تاريخاً رسمياً للبلاد.

وظل الإمام الخميني ثابتاً على مواقفه في دعوة الشعب للثورة حتى إسقاط النظام الملكي وإقامة حكم إسلامي. وكانت إقامة صلاة عيد الفطر في (٤ أيلول ١٩٧٨م) بإمامة الشهيد مفتّح^٣ في محلة (القيطرية) بطهران، وفي باقي مدن البلاد، استعراضاً لقوة المعارضين للشاه وتأييد الشعب لنضال الإمام. فاضطرت حكومة الوفاق الوطني إلى إعلان حالة الطوارئ في طهران و (١٢) مدينة كبيرة أخرى.

^١ حدثت كارثة سينما ركس بعبادان في التاسع من آب عام ١٩٧٨. وقد مات محترقاً في هذه الجريمة - التي أعدها لها من قبل عملاء النظام البهلوي - أكثر من ٤٠٠ إنسان بريء وبشكل مروع.

^٢ المهندس جعفر شريف إمامي، سياسي مخضرم تولى رئاسة مجلس الأعيان مراراً ومرتين رئاسة الوزراء. وفي عام ١٩٧٨ عينه الشاه رئيساً للوزراء في ذروة الجهاد الذي خاضه الشعب الإيراني المسلم، وأطلق على وزارته اسم «وزارة المصالحة الوطنية». لكن وزارته لم تخلف سوى العار بهد إعلان حالة الطوارئ في طهران و١٢ مدينة أخرى، وقتل المئات في ميدان ژاله (الشهداء حالياً) بطهران في «الجمعة الدامية» (١٩٧٨/٩/٨م). واضطر آخر الأمر إلى الاستقالة والتخلي عن منصبه إلى المارشال ازهارى، والهروب من إيران واللجوء إلى أحضان أسياده في أوروبا وأميركا.

^٣ كان الأستاذ الشهيد الدكتور محمد مفتّح، أحد أبرز أساتذة الحوزة والجامعة. استشهد في ١٩٧٩/١٢/٨م على يد المنافقين عمي القلوب، وسمي يوم شهادته في الجمهورية الإسلامية بيوم وحدة الحوزة والجامعة تمشيماً لجهوده الصادقة في التوحيد بين هذين الكيانين.

غير أن الشعب واصل تظاهراته رغم نزول الدبابات والناقلات المحملة بالجنود المسلحين إلى الشوارع، وكانت هتافات «الموت للشاه» تنطلق من حاجرهم طوال اليوم. غير أن الشاه قرر أن يثأر من الشعب فارتكب بواسطة حكومة (شريف إمامي) مجزرة ١٧ شهريور^١ (٨ أيلول ١٩٧٨) التي راح ضحيتها المئات في ميدان الشهداء بطهران.

وكان الإمام الخميني يبشر بالنصر بحزم وقوة ودون تردد، ويدين ويستنكر كل الهمسات التي تدعو إلى العدول عن المواقف المطالبة بسقوط النظام الملكي، ويحذر الأمة من باستمرار من الانقياد لمثل هذه الهمسات. وتزامناً مع تعاظم الثورة وقيادة الإمام الفريدة، نشطت السفارة الأميركية بطهران في إجراء مفاوضات مع معارضي الجبهة الوطنية مثل (سنجابي وصديقي) وغيرهم، وراحت تتناقل الألسن أسمائهم. ونزل السيد شريعتمداري إلى الميدان أيضاً بدعم إعلامي من الوطنيين و «حركة الحرية» رغم سابقته التي اشرنا إليها، فكان يجري مقابلة يومياً ويصدر بياناً ويطالب بالاشتراك في قيادة الثورة، وتم إطلاق سراح السجناء السياسيين على عدة مراحل، وفكر زعماء التنظيمات، الذين أطلق

^١ ١٧ شهريور ١٣٥٧ هـ ش (١٩٧٨/٩/٨م) المعروف بـ «الجمعة السوداء» هو أحد أيام الثورة الإسلامية الحافلة بالأحداث. فبعد التظاهرات العظيمة التي لا مثيل لها في الرابع من أيلول عام ١٩٧٨م والتي جرت في طهران بعد صلاة عيد الفطر، انطلقت تظاهرات مشابهة في السابع من أيلول بطهران أيضاً. وتقرر القيام بتظاهرات ومسيرات أخرى في اليوم التالي (صباح الجمعة) في ميدان ژاله (ساحة الشهداء حالياً) بطهران. وهرع المواطنون في صباح الجمعة نحو هذا الميدان، وبلغ عدد المجتمعين في الساعة السادسة صباحاً زهاء مئة ألف شخص. وطوقت قوات الشاه المسلحة الميدان من أربع جهات وسددت فوهات رشاشاتها نحو الحشود الجماهيرية، وفي تلك الأثناء أعلنت الإذاعة فجأة عن إعلان حالة الطوارئ في طهران و ١٢ مدينة أخرى! فما كان من قوات الشاه إلا أن رشقت الجماهير المحتشدة بوابل رصاصها فاستشهد في ذلك اليوم ما يربو على أربعة آلاف شهيد فيما جرح كثيرون، إلا أن نظام الشاه أعلن أن عدد الشهداء كانوا ٥٨ والجرحى ٢٥ شخصاً!

سراحهم بإعادة تلك التنظيمات المتمزقة، دون أن يبادروا إلى تأييد الثورة في أشهرها الأولى لكونها ثورة إسلامية محضة ويوجهها العلماء ويقودها سماحة الإمام، لأنهم لا يملكون دوراً فيها، بل فسروها أحياناً بطريقة سلبية ووجهوا إليها الانتقادات. غير أن جماهيرية الثورة والتظاهرات العظيمة في عيد الفطر وانتفاضة (١٧ شهر يور) اضطرتهم إلى النزول للميدان كل حسب ما يلائمه من ظروف، في محاولة لقطف الثمار. وتصاعدت حمى الاجتماعات واللقاءات السياسية، وادعاءات السبق الجهادي، ورفع اللافتات الحزبية في التظاهرات.

إلا أن طبيعة الشعارات التي كان يرفعها الشعب وأسلوب تنظيم التظاهرات وانطلاقها من المساجد، وتقدم علماء الدين لصفوف المتظاهرين، أكدت عمق تأثير بيانات الإمام على الأمة. وامتدت الاضطرابات بالتدريج إلى الدوائر الحكومية، فكان إضراب عمال شركة النفط ضربة عنيفة إلى النظام، واستجاب العاملون في البريد والبرق والهاتف ووسائل الإعلام والمصارف وباقي المؤسسات والدوائر الحكومية لنداء الإمام بالانضمام إلى المضربين.

ولم تتمكن الحكومة العراقية من السيطرة على نشاطات الإمام. فأجرى المسؤولون الأمنيون ومنهم (سعدون شاكر) مدير الأمن العراقي آنذاك عدة لقاءات معه، هددوه فيها من مغبة الاستمرار في نشاطاته السياسية. وقد أشار سماحته في إحدى خطاباته إلى بعض تلك اللقاءات قائلاً: «... لقد قال بشكل رسمي بما أننا لدينا بعض الالتزامات إزاء الحكومة الإيرانية، فلا يسعنا أن نتحمل نشاطاتكم. عليكم أن تكتبوا شيئاً ولا تتحدثوا ولا تبعثوا بالأشرطة الصوتية من هنا فهذا يتعارض مع التزاماتنا؛ فقلت له: إنه واجبي الشرعي، واعملوا أنتم بواجبكم أيضاً».

وورد في جزء من تقرير السافاك حول النتيجة التي أسفر عنها لقاء المسؤولين الأمنيين العراقيين بالإمام ما يلي: «استمرت المفاوضات مع (سعدون شاكر) مدة ثلاث ساعات ونصف، وتحظى الأمور التالية بالأهمية... كانت (لسعدون شاكر) لقاءات مع الخميني ويعتقد أنه رجل صلب ومصر على متابعة خططه وجهاده، كما يرى أنه لا يمكن ثنيه عن عزمه في تحقيق أهدافه. لقد قال الخميني رداً على مطالبته بالتخلي عن نشاطه السياسي: «إنني سياسي وديني، ولا يمكن أن أتنازل عن أفكاري السياسية...».

وفي أعقاب ضغوط الحكومة العراقية، عقد سماحة الإمام العزم على القيام بهجرته التاريخية، المكمل لمساره الجهادي الطويل الحافل بالأحداث، وقد خطرت تلك الهجرة في ذهن الإمام وفسحت المجال كي تدوي صرخة الحق المنطلقة من حنجرة مرجع ديني شيعي، في قلب أوروبا والعالم الغربي. وتحدث الإمام. وتحدث الإمام نفسه عن الدافع الذي أمله عليه اتخاذ تلك الخطوة قائلاً: «كان قرارنا أن نذهب إلى الكويت ثم إلى سوريا... لم تكن لدينا أية نية في الذهاب إلى باريس. وربما كان ذلك من القضايا التي لم يكن لنا فيها دخل، ولكل الذي جرى -ومنذ البداية - كان إرادة الله... كان يجب أن تتحقق إرادة الله».

ومن جانب آخر، طبقاً لاعتراف قائد القوات الجوية بكرمانشاه ووثائق السافاك، فإن هذا الجهاز بمجرد اطلاعه على قرار الإمام بمغادرة النجف، أعد خطة لاختطافه عند دخوله على الحدود الإيرانية ونقله على العاصمة ومنها على نقطة مجهولة. فقد وجه رئيس السافاك إلى رئاسة أركان الجيش أمراً جاء فيه: «لما كان هناك احتمال دخول المذكور أعلاه (روح الله الخميني) إلى البلاد عن طريق البر أو الجو، فإنه يجب اختطافه ونقله

مع مرافقيه إلى العاصمة بطائرة أو مروحية عسكرية على الفور. نرجو إصدار الأوامر إلى أمراء المعسكرات والقواعد والحكام العسكريين للمدن الحدودية للتعاون مع أجهزة المخابرات والأمن المحلية».

وطوق بيت الإمام بالنجف من قبل القوات البعثية بعد فشل مفاوضات مسؤولي مديرية الأمن العراقية. إلا أن الإمام لم يتراجع عن مواقفه المعلنة، فأبلغ بقرار مجلس قيادة حزب البعث العراقي بضرورة الخروج من العراق. فقرر سماحته الذهاب إلى الكويت، إلا أن السلطات الكويتية لم تسمح له بدخول أراضيها بعد ساعات من التأخير، فعاد من مرافقيه إلى البصرة. فكان القرار الآخر الذهاب إلى سوريا، غير أن موافقة الحكومة السورية أو السماح للإمام بنشاط سياسي لم يكن بالأمر الواضح. فلاحق فكرة توقف الإمام لفترة قصيرة بفرنسا واعتبارها فرصة لإبلاغ رسالته إلى مسلمي أوروبا والإعداد للرحيل إلى بلد آخر. وكانت الفكرة باقتراح مني. وبعد أن بحث الإمام هذا الاقتراح وأوضاع البلدان الأخرى، أعلن عن عزمه على الذهاب إلى باريس.

وفي صبيحة الخامس من تشرين الأول عام ١٩٧٨م غادر الإمام بغداد متوجهاً إلى باريس، وكنت برفقته مع بعض أنصاره، ولم يحفظ بعض الكتب الأمانة في نقل الحوادث التاريخية، وحاول أن يوحي بأن شخصاً أو تنظيمًا خاصاً كان وراء قرار الإمام بالهجرة إلى فرنسا، في حين أن الحقيقة مختلفة تماماً، ولم تكن إلا كما ذكرت.

يقول الإمام في ختام وصيته: «بلغنا ادعاء البعض أن ذهابي إلى باريس قد تم بواسطتهم، وهذا كذب، فإني قد اخترت باريس بمشورة من أحمد بعد رفض الكويت استقبالي، فقد كان هناك احتمال إغلاق الحدود بوجهي من قبل الدول الإسلامية لأنها خاضعة لتأثير الشاه، ولم يكن هذا الاحتمال قائماً في باريس».

والتقى ممثلو قصر الاليزيه بالإمام فور وصوله إلى باريس وأبلغوه قرار الحكومة القاضي بعدم السماح للإمام بممارسة أي نشاط سياسي على أراضيها. وأجابهم سماحته بذات الحزم الذي أجاب به المسؤولين العراقيين، فقال: «كنا نعتقد أن الوضع هنا ليس كالعراق، لكنني سأقول كلمتي أينما ذهبت. وسأسافر من مطار لمطار ومن مدينة لأخرى حتى أعلن للعالم أن كل الظالمين في هذا العالم قد وضعوا يداً بيد ليحولوا دون وصول صوتنا نحن المظلومين، غير أنني سأوصل صوت شعب إيران الشجاع إلى الدنيا، وسأقول للعالم ما الذي يحدث في إيران».

وفي أعقاب تحذير الحكومة الفرنسية، انهالت البرقيات ورسائل الشخصيات السياسية والدينية والمنظمات وطلبة الجامعات والعلماء داخل البلاد وخارجها على الرئيس الفرنسي (جيسكار ديستان) والمسؤولين الفرنسيين تدعوهم بإصرار إلى فسخ المجال لقائد الثورة. ودفعت شعبية الإمام وضغط الرأي العام المسؤولين الفرنسيين إلى التخفيف من ضغوطهم وإن لم يتخذوا موقفاً رسمياً معلناً بذلك.

وكان الإمام يعمل باستمرار خلال إقامته في نوفل لوشاتو بضواحي باريس ولا يخلد إلى الراحة إلا ساعات قلائل في اليوم. فكان يقود الثورة الإسلامية لحظة بلحظة من خلال خطابه المستمرة في طلبة الجامعات والزوار، ولقاءاته المتلاحقة مع وكالات الأنباء، وبياناته العديدة حول الأوضاع في إيران. وتصدرت بذلك قضايا إيران والثورة الإسلامية أخبار العالم.

وفي غيران أخفقت حكومة «الوفاق الوطني» برئاسة العميل الانجليزي المخضرم وأستاذ الماسونية الكبير - شريف إمامي - في تقديم أي عون لنظام الشاه، في ظل حزم الإمام والتفاف الجماهير حوله.

وحدثت خلال الفترة القصيرة من حكومة شريف إمامي مذبحه ١٧ شهريور، وكارثة المسجد الجامع بكرمان، وإعلان حالة الطوارئ، والمجازر الواسعة في مختلف المدن، والتي أعقبتها الإضرابات الشعبية العامة. وقد خاطب سماحة الإمام الشعب الإيراني في بيان أصدره بمناسبة مأساة ١٧ شهريور قائلاً: «ليت الخميني كان بينكم، وليته قتل إلى جانبكم في جبهة الدفاع والانتصار لله تعالى. أيها الشعب الإيراني، كونوا واثقين أن النصر حليفكم عاجلاً أم آجلاً».

ومع بدء السنة الدراسية الجديدة في أواخر أيلول، أدى إضراب المدارس والجامعات إلى تفاقم النظام، واندلعت تظاهرات واسعة في الشوارع المحيطة بجامعة طهران بمناسبة حلول ذكرى نفي الإمام، وذلك في الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٧٨. وانطلقت من حناجر عشرات الآلاف من طلاب المدارس والجامعات صرخات الموت لأمركا لتدل على أن خطاب الإمام الخميني ضد الكابيتولاسيون (الحصانة القضائية) قبل أربعة عشر عاماً قد ثماره.

وارتكبت جلاوزة حكومة الوفاق الوطني مجزرة أخرى بحق المتظاهرين أثناء أدائهم صلاة الظهر^١، وأدى هذا الأمر إلى سقوط حكومة شريف إمامي في اليوم التالي وقيام الحكم العسكري بصورة

^١ في ١٦/١٠/١٩٧٨م، احتشد أبناء (كرمان) في المسجد الجامع بالمدينة لإجراء مراسم أربعينية شهداء السابع عشر من شهريور (الثامن من أيلول). ولم يشعر المحتشدون إلا وهم يتعرضون لهجوم مفاجئ من قبل أفراد السافاك والشرطة ومجموعة من الأوباش الذين كانوا يحملون الهراوات المدببة والأسلحة. وأطلق رجال الشرطة القنابل المسيلة للدموع داخل المسجد، وانهال الأوباش بهراواتهم على رؤوس الناس بوحشية، فقتلوا بعضهم وجرحوا البعض الآخر، ومزقوا المصاحف، ثم هاجموا الحوانيت ونهبوها، وجوبه الأشخاص الذين تعرضوا للضرب ونجو من المهلكة، برصاص جلاوزة النظام المتربصين خارج المسجد فسقطوا مضرجين بدمائهم، وتعد كارثة المسجد الجامع بكرمان من أحداث الثورة المرة، وإحدى الجرائم الوحشية للنظام البهلوي الهمجى الفاسد.

رسمية. فكلف الفريق أزهارى^١ - المعروف بـ «جزار طهران» لارتكابه مجزرة شهر محرم - بتشكيل الحكومة. وأصدر سماحة الإمام بياناً في أعقاب سقوط حكومة شريف إمامي أعرب فيه عن شكره وامتنانه للشعب وقال: «أعزائي اصبروا فإن النصر قريب والله مع الصابرين».

وحل محرم عام ١٩٧٨ وعبر الشعب الإيراني عن تعلقه بأهداف سيد الشهداء التي تناقلها وحفظها على مدى القرون. فصعد أبناء الشعب إلى سطوح المنازل في الساعة التاسعة من ليلة أول محرم - باقتراح من العلماء المناصرين للإمام - وراحوا يطلقون هتافات التكبير و «الموت للشاه»، مما دفع بجلاوزة الحكومة العسكرية إلى إطلاق النار بصورة عشوائية، وامتدت التظاهرات إلى الشوارع وسقط كثير منهم شهداء وجرحى فأصدر الإمام الخميني بياناً بهذه المناسبة جاء فيه:

«إن الشعب الناهض الذي انتفض وقرر أن تكون حركته الأصلية شرعية إلهية، ليسخر من هذه الأسلحة المتصدئة. فأبناء هذا الشعب هم من شيعة أعظم رجل في التاريخ الذي فجر التاريخ بفئة قليلة ودفن السلالة الأموية في مزبلة التاريخ إلى الأبد. وبعون الله تعالى سيدفن هذا الشعب السائر بصدق على نهج الإمام الحسين عليه السلام، بدمه، سلالة إبليس البهلوية في مقبرة التاريخ، ويرفع لواء الإسلام في سماء البلاد بل البلدان كافة».

^١ كان الفريق أول (غلام رضا أزهارى) رئيساً لأركان الجيش الشاهنشاهي، وقد أمر بعد سقوط حكومة شريف إمامي بتشكيل حكومة عسكرية من تسعة وزراء. ووعد عند حضوره إلى مجلس الشورى إنه سينيهي الاضطرابات بكل ما يملك بقوة، لكنه أخفق في هذا الأمر، بل أدرك عن كثب أنه لا يمكن لأي حكومة أن تجهض هذه الثورة الشعبية، وتظاهر في الأيام الخمسة عشر الأخيرة من مجموع أيام حكمه البالغة ٥٥ يوماً، بالإغماء والمرض والرقاد في المستشفى، حتى وافق الشاه استقالته وازعاً بذلك نهاية لحكومته العسكرية.

وطلب الإمام في هذا البيان الاستمرار في الإضرابات والتظاهرات حتى إسقاط النظام، كما طالب الجنود بالهروب من الثكنات العسكرية. وأخذ الجنود يهربون أفواجا، موجّهين بذلك موجّهين بذلك ضربة موجعة أخرى إلى النظام في أكثر قواعده حساسية وخطورة. وسرى ذلك التمرد إلى حرس الشاه الخاص، حيث قتل في يوم عاشوراء عدد من ضباط حرس الشاه في معسكر لوزان برصاص الجنود الثوريين.

وفي أعقاب بيانات الإمام اندلعت تظاهرات عظيمة بطهران في يومي تاسوعاء وعاشوراء بدعوة من آية الله الطلقاني ورابطة العلماء المجاهدين، حيث قدّرت وكالات الأنباء المشاركين فيها بـ (٣ - ٤) ملايين متظاهر. وكانت تلك التظاهرات في الواقع استفتاءً شعبياً على دعم الإمام ورفض الشاه.

ولم تكن لدى «أزهاري» وسائل يعبر فيها عن وجود حكومته سوى استخدام الدبابات والرشاشات. وكانت الدوائر الحكومية الحساسة والقطاعات الصناعية والتجارية والثقافية في البلاد كافة تعيش الإضراب تقريباً، وأصبحت التظاهرات الشعبية والاشتباكات بين أفراد الحكومة والشعب تجري ليلاً ونهاراً. ونشر موظفو المصرف المركزي قائمة تكشف أن المرتبطين بالنظام قد اخرجوا من البلاد خلال شهري أيلول وتشرين الأول عام ١٩٧٨ من العملة الصعبة ما يعادل ١٣٠ مليار ريال. وأدى نشر هذا الخبر لأن يسحب الناس أرصدتهم من المصارف مما أدى إلى شل الهيكلية المالية للنظام.

وكانت الحكومة العسكرية قد أعلنت من قبل أنها لن تدفع رواتب الموظفين والعمال المضربين عن العمل، فأمر سماحة الإمام بتأسيس لجان لدعم المضربين، وفي مشهد استشهد وجرح المئات من المتظاهرين.

وواجه الشهب ظهور الشاه من على شاشة التلفزيون بمظهر العاجز المتضرع التائب، بالرفض فطلب من السفيرين البريطانيين وأميركي بتذلل أن يعثرا له حل. وفشلت الحكومة العسكرية أيضاً، وتناقلت الألسن أسماء عناصر من الجبهة الوطنية كخلفاء محتملين لأزهاري، فأعلن الإمام في لقاءاته أن كل من يفاوض الشاه ويقبل برئاسة حكومته، يكون قد خان الشعب، ولا بد من مواجهته.

وبعد المداولات السرية بين رؤساء ثلاث دول أوربية (فرنسا وبريطانيا وألمانيا) ورئيس الولايات المتحدة في (غواد الوب) طرح «شاهبور باختيار» كآخر أمل للغربيين، وفي أعقاب ذلك قدم الجنرال (هايزر) إلى إيران، ووصلت المساعي المبذولة خلف الستار إلى ذروتها، وفكرت أميركا في تكرار انقلاب ٢٨ مرداد (١٩ آب)، فوضعت باختيار على رأس الوزارة في ٣ كانون الأول ١٩٧٨، وكان أحد وزراء حكومة مصدق وعضو فعالاً في الجبهة الوطنية.

ثم هرب الشاه من البلاد بعد ١٣ يوماً من ذلك وفق معد من قبل. وطلب الناطق باسم البيت الأبيض ووزارة الخارجية البريطانية بشكل رسمي من العسكريين الإيرانيين الوقوف إلى جانب باختيار، وتولى الجنرال (هايزر) مهمة تنسيق القوات العسكرية في إيران، ولم يعبأ الإمام الخميني بتحذيرات الحكومة الفرنسية التي اشتدت لهجتها ثانية. وبعد فرار الشاه تم تأسيس مجلس الوصاية على العرش، ولكنه في الحقيقة لم يكن سوى الاسم وعقد الاجتماعات. وقد أدت مواقف الإمام الصلبة إلى انحلاله واستقالة رئيسه^١.

^١ خفّ جلال الطهراني رئيس مجلس الوصايا على العرش إلى باريس لالتقاء بالإمام، إلا أن الإمام - وكما أعلن من قبل - أكد أنه لن يستقبله ما لم يتنح عن رئاسة مجلس السلطة. وبالفعل أعلن عن تنحيه عن منصبه بشكل رسمي؛ فوافق الإمام على استقالته.

وأكد الإمام الخميني في بيان ذي عشر نقاط أصدره بمناسبة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) ضرورة تأسيس مجلس للشورة في إيران، كما أن تظاهرات الأربعين كانت أوسع من تظاهرات عاشوراء. وأعلن الإمام في بيان له:

«لقد ولى الشاه وتقوض النظام الملكي، وهربت أموال الشعب إلى خارج البلاد ثم هربوا واحداً تلو الآخر، وسيحاسب الشعب الشجاع هؤلاء في أول فرصة... سألتحق بكم قريباً... أنذروا ممثلي محمد رضا البهلوي الذين اغتصبوا المجلس بوجوب إخلاء بيت الشعب... ونوجه إنذارنا ثانية إلى أعضاء مجلس السلطنة (الوصاية) الذي هو فرع من ذلك الجذر غير القانوني، ليتنحوا عن المجلس».

والجدير بالذكر أن هذا المجلس كان يحظى بدعم الوطنيين والليبراليين وأنصار سياسة الخطوة خطوة، غير أن العمق الفكري الذي كان يتمتع به الإمام وصلابة رأيه كانا أعظم من أن يتأثرا بمثل هذه التفاسير والإيحاءات، واقتربت ثورة الشعب من أيام النصر العظيمة، وأفرح خبر قرب عودة الإمام إلى الوطن قلوب الملايين رجالاً ونساءً، وهرعت الأفواج الجماهيرية نحو طهران من مختلف أنحاء البلاد لاشتراك في مراسم الاستقبال، وأصدر باختيار أوامره بإغلاق مطارات البلاد، في حين كانت الأمواج البشرية - التي غص بها شارع الثورة حتى ساحة الحرية - تحذر الحكومة في شعاراتها من أنها ستلجأ إلى السلاح لو أصرت على منع الإمام من دخول البلاد، واعتصم العلماء الثوريون وأساتذة الحوزة في مسجد جامعة طهران وانظمت إليهم أعداد هائلة من الجماهير وعدد كبير من مختلف الشخصيات؛ الأمر الذي أجبر الحكومة على الانسحاب من موقفها وإلغاء قرار إغلاق المطارات.

وحطت آخر المطاف في مطار (مهر آباد) بطهران الطائرة التي كانت تقل زعيم أعظم الثورات المعاصرة وأكثرها أصالة، رغم معارضة كل من الشرق والغرب له، وذلك في الساعة التاسعة والنصف صباحاً من يوم ١٢ بهمن ١٣٥٧ هـ ش (١ شباط ١٩٧٩)، بعد رحلة طويلة من الجهاد. وبذلك تكون قد انصرمت فترة من الانتظار الشعبي دامت خمسة عشر عاماً، وقد اعترف الكثير من المراقبين الأجانب ووكالة الأنباء العالمية، كما شهد الشعب الإيراني أيضاً بإجراء إحدى أعظم مراسم استقبال في التاريخ، وبعد أن ألقى الإمام كلمة قصيرة في المطار، انطلق نحو مقبرة الشهداء «جنة الزهراء»^١، فكانت السيارة التي تقله تشق بصعوبة بصعوبة طريقها وسط الأمواج البشرية الهائلة الممتدة من المطار وحتى جنة الزهراء. وتعذر عليها السير داخل مقبرة الشهداء نفسها للحشود الجماهيرية العظيمة، فاضطر سماحته الانتقال بطائرة عمودية إلى المنصة المعدة التي تبعد مئات الأمتار، ووضع في النهاية قدمه على تراب «جنة الزهراء» حيث ألقى خطابه التاريخي العظيم الذي لا يمحي من ذاكرة الشعب الإيراني.

ولم تكد تمر عشرة أيام على قدوم الإمام حتى حانت لحظات الانتصار، وخلال هذه الأيام العشرة التي سميت بعشرة الفجر، كانت تفد على الإمام كل يوم في محل إقامته بمدرسة العلوي والرفاه أفواج الزائرين المشتاقين القادمين من سائر أرجاء البلاد لمبايعة زعيمهم، ومن أبرز تلك المبايعات بيعة ضباط وضباط صف القوة الجوية ف (٨ شباط) والتي مثلت بداية النهاية الحتمية للنظام الملكي الظالم، وأعد المستشارون

^١ مقبرة لدفن الموتى، تضم أيضاً رفات آلاف الشهداء، ويقع إلى جوارها المرقد الطاهر للإمام الخميني قدس سره فإليها يهرع الكثيرون لزيارة مرقد الإمام الطاهر وقبور شهداء الثورة الإسلامية والموتى.

العسكريون والسياسيون الأميركان آخر خطط مؤامراتهم ومجازرهم، وانتفضت القوى المؤمنة بالثورة في القوة الجوية التي مثلت مركز الوجود الأميركي، وفي عصر (١٠ شباط) أعلنت حالة الطوارئ الكاملة، ونزلت الدبابات والمصفحات بهدف القيام بمجزرة دموية رهيبة وقمع الثورة بفضاعة، وهذا ما اعترف به فيما بعد رجال الحكومة البائدة المعتقلون وما سجلته الوثائق التي عثر عليها، غير أن الإمام أحبط من خلال قرار مهم وخطير، مساعي أميركا والحكومة العميلة، حيث أبلغ الشعب بمختلف الوسائل وعلى جناح السرعة:

«إن إعلان حكومة الطوارئ اليوم خدعة ومخالف للشرع وعلى الشعب أن لا يعبأ به أبداً».

وخلال مدة قصيرة وبتكتاف الرجال والنساء، تم إحداث المتاريس في المراكز الحساسة من طهران وفي شوارعها وأزقتها وبدأ الاشتباك بالفعل، ولم تمض أكثر من (٢٤) ساعة حتى سقطت كل مراكز النظام الواحدة تلو الأخرى، بث «صوت الثورة» (الإذاعة) إلى العالم خبر سقوط الطاغوت وانتصار ثورة الخامس عشر من خرداد التي فجرها الإمام والأمة.

وخلال الأحداث العديدة التي مرت بها البلاد من شباط ١٩٧٩ وحتى الثالث من حزيران ١٩٨٩^١، لعبت أميركا دور الخصم الأصلي تناصرها جميع الدول الغربية على شتى الأصعدة، والاتحاد السوفيتي في كثير من الأحيان، فضلاً عن إسناد ودعم الأحزاب والتنظيمات اليسارية واليمينية

^١ كان الإمام الخميني قده يعاني من أزمة قلبية رقد على أثرها عام ١٩٧٩م في مستشفى القلب بطهران لبعض الوقت إلا أن سبب وفاته هو مرض اعترى جهازه الهضمي. فقد خضع سماحته لعملية جراحية بتوصية من أطبائه، لكنه ودع الدنيا الفانية في الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم السبت الثالث من حزيران عام ١٩٨٩، بعد عشرة أيام من الرقاد في المستشفى.

في إيران، والتي استهدفت بمجملها مجابهة الثورة الإسلامية؛ هذه الأحداث هي من السعة والتنوع بحيث لا تستوعب هذه المقدمة حتى ذكر عناوينها.

من نماذج هذه الأحداث: تكتل صفوف المنظمات المسلحة، واشتباكات (گنبد) و (کردستان)^١، وفتنة حزب خلق مسلمان (الشعب المسلم)، وخيانة (بني صدر) والليبراليين^٢ والمأساة الدامية المؤلمة التي طالت الشهيد بهشتي و(٧٢) شخصية أخرى من أفضل أنصار الإمام، واستشهاد باهنر ورجائي، وشهدا المحراب^٣، والاغتيالات التي نفذها المنافقون، وفرض أطول حرب في عصرنا الحاضر بدعم كامل من الشرق والغرب حيث استمرت ثماني سنوات، وقصفت فيها المدن والمؤسسات النفطية والاقتصادية، وفرض الحظر الاقتصادي والتسليحي والسياسي على

^١ (گنبد) إحدى المدن الشمالية، و (کردستان) محافظة تقع شمال غربي إيران. لم تكد تمر أيام على انتصار الثورة الإسلامية حتى قامت التنظيمات المرتبطة بعجلة الاستكبار العالمي باحتلال معسكرات هاتين المنطقتين، وكان الهدف الرئيسي لها تجزئة البلاد وتوجيه ضربة للجمهورية الإسلامية.

^٢ كان الدكتور السيد أبو الحسن بني صدر، من بين أولئك الذين درسوا وعاشوا خارج البلاد قبل الثورة الإسلامية. ودفع به انتصار الثورة الإسلامية للعودة إلى إيران شأنه شأن آخرين. ونظراً لخلفياته ومستواه العلمي وتخصصه فقد أصبح عضو في مجلس الثورة، ثم تولى الإشراف على وزارة الاقتصاد والمالية، كما تم انتخابه خلال الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي ممثلاً عن طهران. وانتخب رئيساً للجمهورية في أول انتخابات لرئاسة الجمهورية جرت في البلاد. وعينه قائد الثورة الإسلامية الكبير قائداً عاماً للقوات المسلحة. وكشفت الأيام عن ماهيته التي تتعارض مع ثقافة الثورة الإسلامية، وأدى تعطشه الشديد للسلطة إلى إيجاد توترات وصراعات سياسية باتت تهدد الثورة الإسلامية تهديداً جدياً. ونتيجة لتلك الظروف، بادر الإمام إلى عزله عن قيادة القوات المسلحة، كما عزل عن رئاسة الجمهورية بعد أن صادق مجلس الشورى الإسلامي على عدم كفاءته السياسية. هرب بني صدر مع بعض مؤيديه بصورة تدعوا إلى القرف بعد انفجار المقر المركزي للحزب الجمهوري الإسلامي في ١٩٨١/٦/٢٨م واستشهاد ٧٢ من خيرة مسؤولي البلاد.

^٣ يطلق تعبير شهداء المحراب على حجج الإسلام السادة الصدوقي إمام جمعة يزد، والأشرفي الأصفهاني إمام جمعة كرمشاه، ودستغيب إمام جمعة شيراز، والقاضي الطباطبائي إمام جمعة تبريز، والمدني إمام جمعة تبريز أيضاً. وقد استشهد هؤلاء الخمسة على يد المنافقين أثناء إقامة صلاة الجمعة.

إيران من قبل أميركا والغرب وكثير من حلفائها، وحياسة المؤامرات، وأمواج الدعايات المنسقة ضد النظام الإسلامي الفتى، وسنتطرق بإيجاز إن شاء الله إلى أهم هذه الحوادث في سجل خطابات الإمام ضمن هذه الفترة.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى الحقيقة التالية: في ضوء الأدلة الموثقة وما شاهدناه ونشاهده من أحداث في بقاع مختلفة من العالم؛ وفي صميم الثورات، والتغيرات والإصلاحات التي طرأت على العالم المعاصر، كان ممكنا لكثير من الأحداث التي تعرضت لها الجمهورية الإسلامية أن تحرفها عن مسارها وتنتهي بها إلى الإخفاق، إلا أن الألفاف الإلهية، وفطنة الإمام، ووفاء الشعب الكبير ووعيه قد أحبط كل المؤامرات، بحيث كان عدد أبناء الشعب الذين ودعوا جثمان إمامهم الطاهر في عام ١٩٨٩ - بعد ١١ عاماً من تحمل المشاق والصعاب - أضعاف أولئك الذين استقبلوه عام ١٩٧٩، وحبهم ومقاومتهم أشد، وعزمهم على استمرار نهج الإمام والثورة أقوى، ونظامهم الذي شيدوه أكثر استحكاماً رغم كل المؤامرات والأحداث التي كانت هي الأخرى أشد وأكبر من أي وقت مضى.

عزيزي القارئ بين يديك «كوثر الثورة الإسلامية»^١ وكلام رجل عظيم عاش كفاحاً طويلاً بإيمانه العميق بالله والإسلام واعتقاداً بدور الأمة، فقاده من مرحلة لأخرى بحزم ودفع الضريبة اللازمة، فتغلب بشعار «الشهادة وانتصار الدم على السيف» على الأسلحة المتطورة وأقام نظاماً إسلامياً مستقلاً وسط دهشة العالم ورغم تكاتف أعداء الإسلام، وفصح أتباع الإسلام الأميركي، وأوجد انبعاثاً وثورة في قلوب ملايين المسلمين الذين

^١ كلمة (كوثر) مقتبسة من أول آية للسورة الثامنة بعد المائة في القرآن الكريم، وهي تعني الخير الكثير.

أنهكهم حكم الظالمين، ونفخ روح الحقيقة في المناسك والمفاهيم الإسلامية، وأحى البراءة من المشركين كركن من أركان الحج الإبراهيمي، وجرب بشكل عملي في نظام الجمهورية الإسلامية وعلم الآخرين أيضاً، أن سياسة لا شرقية ولا غربية هي الطريق الوحيد لنجاة العالم الثالث، وثار على أميركا باعتبارها عدوة البشر الأول وشيطان القرن الأكبر، ودعا الشعوب إلى الثورة ضد الفرعونية المعاصرة، وتحطيم الهيمنة الأميركية، وجسد عملياً دروس المقاومة والوقوف بوجه غطرسة القوى الكبرى، وفتح باب الجهاد والدفاع في سبيل الله في إيران وفلسطين وأفغانستان والجزائر والجزيرة العربية ونقاط مختلفة من البلاد الإسلامية، وأظهر المعنوية، والتقوى، والعرفان، وحقائق ما وراء المحاسبات المادية في عصر التحكم الكامل للفكر المادي، وأصدر فتوى قتل المرتد «سلمان رشدي» لجريمتيه في اهانة المقدسات الإسلامية، وأصر على موقفه هذا رغم كافة التهديدات الأميركية والغربية، وأسمع العالم صوت تهشم عظام الماركسية قبل أن يصدق الآخرون بذلك، وزرع روح الثقة بالنفس والعودة إلى الهوية الإسلامية في المجتمعات الإسلامية لا سيما لدى جيل الشباب، وأطلق على حرب الفقر والغنى حرب الصالحين والمستضعفين المقدسة، وفضّل الحفاة وسكان الأكواخ على المترفين وسكان القصور، وحمل لواء محاربة الحرمان والدفاع عن المستضعفين، وتحرير فلسطين من مخالف الصهيونية، كما كان يعتقد أن ولاية الفقيه هي أكثر الأساليب إلهية وشعبية وإنه النهج الصحيح الوحيد لحكم المجتمع إدارته وفضل جهاد الإمام الخميني وتعاليمه، طرح في عصرنا الراهن التيار العظيم والمتعاضم للإسلام النقي - أو الأصولية الإسلامية على حد تعبير

الأعداء - بشكل جدي كحقيقة لا يمكن إنكارها في ميدان المعادلات الثقافية والسياسية العالمية. ولا شك أن ثقافة الإسلام وحضارته القادمة ستكون مدينة وقبل أي شيء آخر لقيادته وتضحيات الشعب الإيراني في عصره.

إن كل صفحة من كتابات الإمام وخطاباته تفوح بالمعاناة الطويلة والجهاد المضني الصلب الذي خاضه سماحته ضد الواقع المرير والأفكار الضالة. ولم يكن «الكوثر» من نتاج كاتب أو مفكر عاش رخي البال في بيئة هادئة، بل هي حقائق ووقائع جرت على لسان وقلم قائد الثورة في الأحداث والأزمات الشديدة لتاريخ الثورة الإسلامية المنصرم، وهو لهذا يعد بحق مرشداً ودليلاً لأولئك الذين ينهجون منذ الآن فصاعداً نهج الإمام. إنه ميثاق الثورة الإسلامية وتاريخ وثائقي لأكثر الثورات شعبية وأصالة في العصر الحاضر.

ولا يسعني إلا أقدم جزيل شكري للمسؤولين والعاملين في مختلف أقسام مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الذين بذلوا غاية الدقة في إعداد هذه المجموعة، ولأخي العزيز السيد عزيز الأنصاري¹ الذي قدم جهوداً كبيرة في تدوين الملاحظات والهوامش. وأتمنى أن تنظم وتشر خطابات الإمام الخميني وبياناته ولقاءاته ورسائله بنفس هذا الأسلوب. ولما كانت أسماء الأشخاص والأماكن وتواريخ الأحداث والوقائع قد وردت في أحداث الثورة ووقائعها، فمن المحتمل أن تكون هناك أخطاء وقعت رغم الدقة المبذولة، لهذا نهيب بكافة الباحثين والمؤرخين والقراء أن يطلعوا المؤسسة عليها وبشكل وثائقي كي يكونوا عوناً لها في تصحيح الطبعات القادمة. اللهم! وقفنا لانتهاج سبيل الإمام والثبات على الأصول والأهداف

¹ المشرف بالوكالة على مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قده.

التي تشهد بأحقيتها دماء آلاف الشهداء. ووفق اللهم الشعب الإيراني العظيم - الذي لم ينقض عهده منذ اللحظة التي عرف بها الإمام وحتى اليوم، وتحمل بإباء الشدائد الكثيرة، وفقه لمشاهدة الثمار النهائية للثورة ومزيد من العلو والرفعة للإسلام وتحقق الأهداف السامية للإمام.

أحمد الخميني

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني
في الندوة الدولية الرابعة لدراسة السيرة العملية والنظرية

لسماحة الإمام الخميني قدس سره

بتاريخ ١٩٩٣/٦/١

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل أن أبدأ حديثي، أتقدم بجزيل شكري وفائق تقديري لجميع السادة الحضور الكرام والمشرفين على إقامة الندوة الدولية لدراسة السيرة العملية والنظرية للإمام الخميني.

إنه لي بالأمر اليسير بيان الرؤى السياسية لسماحة الإمام في إطار فكره الأصيل. فقد طرح سماحته رؤاه بصراحة منذ عام ١٩٦٢م على شكل خطابات وبيانات ورسائل ومقابلات. وانطلاقاً من مسؤوليتي على صعيد تدوين ونشر تراث سماحة الإمام، رأيت من الضروري تقديم صور من رؤاه للحاضرين الكرام، كي أبين من خلال دراسة مقارنة أن الاختلاف في الفهم إنما كان بوحى الظروف التي أملت على الإمام اتخاذ مواقف متباينة.

فعلى صعيد السياسة الخارجية كان سماحته يرى أن العلاقات مع سائر البلدان يجب أن تبنى على أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وهو يعني رفضنا للهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية في ميدان العلاقات الدولية، ونحن مستعدون على هذا الأساس - أي رفض الإخضاع والخضوع - لإقامة السليمة مع الدول.

أما قضية الدفاع عن حقوق المسلمين - من وجهة نظر الإمام - على صعيد العلاقات الدولية، فهي من أهم الواجبات. وقد لا تنسجم هذه الرؤية مع الثقافة والرؤى السائدة في العالم، حيث أن ما تأكده المنظمات الوطنية والحدود الجغرافية. فلو أراد شعب من الشعوب الإسلامية أن يسعى لتحرير نفسه فلا يعارض ذلك أحد، لكن لو أرادت فئة إيرانية - على سبيل المثال - أن تتحرك على طريق تحرير وإحقاق حقوق مسلمي كشمير، أو فلسطين، ولبنان، والبوسنة والهرسك، وطاجيكستان، والجزائر، ومصر، والفلبين، وغيرها، فإن ذلك مرفوض تماماً من قبل المحافل الدولية والقوى الكبرى (الأعضاء في مجلس الأمن).

فللإمام رؤية خاصة حول المسلمين والشعوب الإسلامية، ورؤية أخرى حول الحكومات. فالحكومات إن أرادت بناء علاقات معنا، فعليها أن توافق على شروطنا التي هي رفض الإخضاع والخضوع. فنحن لا نسمح لأية دولة التدخل في شؤوننا أو نهب ثرواتنا ونرفض الهيمنة الثقافية على بلدنا، وبالمقابل فإننا لا نفرض نفوذنا على أي بلد آخر. نحن نعتقد أن الإسلام لا يعترف بالحدود، وأن نقل رسالته السمحاء إلى سائر البلدان لا يعني التدخل في شؤونها، ونحن نقول بالأمية الإسلامية ونعتقد أن تصدير الثورة لا يعني التدخل في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية للآخرين. وبما أن الشعوب الإسلامية كانت سباقة في التعرف على رسالة الثورة الإسلامية، فقد أعطيناها الأولوية في علاقتنا

الثقافية وانتقال رسالة الثورة، ونعتقد أن الإسلام دين عالمي لا يقر الحدود، وعلى هذا الأساس نرى أنفسنا ملزمين بالاهتمام بمصير البلدان الإسلامية.

إن الشعور بالمسؤولية تجاه مقدرات الشعوب الإسلامية ليس أمراً عابراً، بل هو من المبادئ الإستراتيجية للنظام والثورة. وقد يطرح السؤال التالي: هل تريدون دعم الشعوب لنيل حريتها عن طريق النشاط الثقافي فحسب، أم إنكم ستتخذون خطوات عملية أخرى أيضاً؟. وكان هذا السؤال في الحقيقة أساس الاختلاف بين سماحة الإمام والوطنيين. فالإمام كان يقول نحن لا نجد أي فرق بين طهران وبغداد وبين عبادان والبصرة، وأينما سمعنا استغاثة المسلمين فلا بد من نجدتهم. فلو كنا نمتلك القوة لهاجمنا الاتحاد السوفيتي المعتدي لتحرير الشعب الأفغاني والجمهوريات المسلمة في آسيا الوسطى. في حين يقول الوطنيون إن أولوية المصالح الإيرانية تتحد في المصالح الوطنية، والدين أحد المصالح الوطنية، ونحن ندافع عن ديننا في إيران، لكننا نرفض أن نعرض أنفسنا للضغوط من أجل الدين في بلد آخر.

أما اختلاف وجهة نظر الإمام مع المحافظ الدولية ومنظمة الأمم المتحدة والبلدان الأخرى - سواء أكانت القوى العظمى الأعضاء في مجلس الأمن أم بلداناً أميركية أو أوروبية (السوق الأوروبية المشتركة) أو البلدان المسلمة أو غير المسلمة - فيجلى في قوله: «إذا تعرض مسلم في فرنسا للظلم فكأنما ظلم مسلم قريب منا في إيران».

كان الإمام شديد التمسك بالجوانب العملية في سلوكه السياسي الخارجي. كمثال على ذلك: عندما شنّ الكيان الصهيوني هجوماً واسعاً على جنوب لبنان، أرسلنا قوات حرس الثورة إلى هناك بأمر منه، وإن مثل

هذا السلوك لا ينطبق مع المعايير المتداولة في عالم اليوم. واشتبكت قوات الثورة الإسلامية مع الكيان الصهيوني وأميركا في جنوب لبنان بصورة مباشرة. ففي الوقت الذي عقد أعداء الإسلام العزم على إبادة المستضعفين، تحركت قوات حزب الله اقتداءً بإمامها ومقتداها، فسحقت خلال عمليات ناجحة (٢٢٠) جندياً من القوات الأميركية، وقضت مضاجع الكيان الصهيوني الغاصب من خلال العمليات التعرضية التي كانت تنفذها على حدوده مع لبنان، وألحقت به خسائر فادحة، فيما قدمت بدورها عدداً من الشهداء.

هذه حالة واحدة ذكرتها، وهناك حالات كثيرة من هذا القبيل ولكن لا يمكن ذكر بعضها لأسباب أمنية وسياسية، فيما لا تسنح الفرصة لذكر البعض الآخر، ولكن على سبيل المثال: فإن صدور فتوى هدر دم المرتد سلمان رشدي الذي يحمل الجنسية البريطانية، لا ينسجم مع أي من الضوابط المعمول بها في العالم الاستكباري.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء لا بأس أن أنقل إليكم عدة مقاطع من كلمات الإمام التي تعبر عن رؤاه ووجهات نظره:

«ستكون لنا مع كل البلدان علاقات ودية مع حفظ استقلالنا، والمعيار نحن وليسوهم .. فنحن تربطنا علاقات ودية مع الشعوب كافة. ولسنا في نزاع مع أي شعب، وإذا كان لنا نزاع فهو مع الحكام. فإن تعاملت الحكومات معنا باحترام فسنبادلها الاحترام أيضاً. فنحن نتعامل باحترام مع الحكومات إذا لم تتدخل في شؤوننا الداخلية وبادلنا الاحترام.

وقال في موضع آخر: «حكومتنا حكومة مستقلة، وستكون لنا علاقات طيبة مع سائر البلدان إذا لم تتدخل في شؤوننا الداخلية».

«إن علاقاتنا مع جميع الحكومات قائمة على أساس أننا لا نظلم مثلاً لا نرضى أن يظلمنا أحد. فنحن نعارض أي بلد يبتغي الظلم، سواء أكان

هذا البلد في الغرب أم في الشرق. ينبغي أن لا تكون لنا علاقات مع الدول الأجنبية التي تنوي ابتلاعنا. ولا ضرورة للعلاقة مع الدول التي تريد إخضاعنا عن طريق تلك العلاقات، بل ينبغي أن نتعامل معها بحذر.. فنحن نقف إلى جانب المظلوم، ومتى ما وجد مظلوم في أي قطب (في أي بلد) فنحن أنصاره».

نحن مكلفون بنصرة المظلومين ومعاداة الظالمين، وهذه الرؤى تتعارض بصراحة مع السياسة الاستكبارية؛ فضمن الإطار الوطني بالإمكان الدفاع عن المظلومين ومحاربة الظالمين، لكن هذا الأمر صعب للغاية في ما وراء الحدود. غير أن الإمام قد أعلن بصراحة عن رفض الحدود في مسار الدفاع عن المظلومين. فالمسلمون مكلفون بمؤازرة المظلومين والوقوف بوجه الظالمين، وبالمقابل فإن العالم الاستكباري يقول: «كونوا أحياء للمسلمين لكن لا تتحركوا لنجدتهم، غير أن الإمام يقول: «إننا لا نكتفي بالكلام والدعم المعنوي، ولا يسعنا الجلوس في بيوتنا وأن نلوذ بالصمت إزاء من يلحق الظلم بالمسلمين».

وانطلاقاً من ذلك، فقد اعتبر الإمام مؤازرة المسلمين المظلومين في أقصى نقاط العالم فريضة إسلامية. فكل مسلم ملزم باستئصال جذور الظلم. ونحن إذا فعلنا ذلك، كيف يمكن أن نتحمل التبعات؟ فالنظام الاقتصادي العالمي مرتبط ببعضه ولا بد أن يلجأوا إلى مقاطعتنا.

لقد قال الإمام بصراحة: «إننا نرفض أي تعامل يلحق الضرر بمصالح المسلمين»، أي نفضل الفقر والجوع بعز على الرخاء بذل. فالدفاع عن الإسلام وحزب الله مبدأ لا يتزعزع في سياسة الجمهورية الإسلامية. وحزب الله ليسوا أشخاصاً يقتصر وجودهم على الميادين السياسية، بل يحملون السلاح لخوض الجهاد ضد الظلم والاستكبار العالمي، ولن

يتوقفوا عن الجهاد لحظة حتى إزاحة الفتنة عن العالم وقيام حكومة العدل. فقد قال الإمام: «إننا مع حزب الله العزيز نقاتل الاستكبار أينما وجد، ولا يمكن أن نفصل أنفسنا عن سائر المسلمين، لأننا جميعاً أمة واحدة».

وتبلورت الإستراتيجية الجهادية للإمام في هذه الظروف وأصبحت أكثر صراحة؛ فـ «الاهتمام بأمور المسلمين من أعظم الواجبات». و «الجهاد أكثر وجوباً من الصلاة». و «الاهتمام بأمور المسلمين من فرائض الإسلام المهمة»، و «إننا واثقون أن الشعوب الإسلامية ستنتصر في المستقبل القريب على الاستعمار، ونحن لن نبخل بدورنا عن أي تضحية».

وقد هدد الاستكبار العالمي الإمام بإسقاط النظام، وفرض العقوبات الاقتصادية، وبتعطيل المصانع والمشاريع العمرانية والأساسية، لعدم امتلاك الوسائل والتقنية المتخصصة والعلوم اللازمة. فإذا احتاجت إحدى الطائرات لقطعة غيار وجب استيرادها من البلاد الأجنبية.

فرد الإمام على الاستدلال قائلًا: «عندما نكون خداماً للشعب، وعندما يدعمنا الشعب، فعندها سينتهي طمع الأجانب».

إن التوكل على الله العظيم وقوة الشعب الصامدة أنهك القوى العظمى رغم مرور أربع سنوات على رحيل سماحة الإمام. وأن عجز هذه القوى ناجم في الحقيقة عن ثراء الفكر المتجدد والمتطور للإمام، ووفاء أمتة لنهجه.

كان الإمام دائم التوكل على العلى القدير، ثم القوة الشعبية، ويكمن السر الحقيقي في انتصارات الإمام - والذي ظل مجهولاً للشرق والغرب حتى اليوم - في هذه النقطة. فنحن لا نعادي الشعوب، ولكن نعادي الحكومات الظالمة، سواء ظلمتنا أم ظلمت أخوتنا في الدين، ونعارض

أي حكومة تريد أن تجعل من قوتها الاقتصادية وسيلة لفرض هيمنتها السياسية وتحقيق أهدافها الاستعمارية.

وصرح الإمام على هذا الصعيد بقوله: «وماذا نفعل بالعلاقة مع أميركا، علاقتنا مع أميركا تشبه علاقة الذئب بالحمل». وماذا نفعل بالعلاقة مع الدول الأوروبية (دول السوق الأوروبية) إذا كانت تنوي إلحاق الظلم بنا؟ إن العلاقة بين القراصنة الدوليين وأمة ثائرة هدفها التحرر منهم، لا تصب إلا في صالح القراصنة. فيجب قطع الأيدي الخفية والظاهرة للمستعمرين دائماً، وإن تحرك أحد في النظام الإسلامي - الذي هو ثمرة دماء مئات الآلاف من الشهداء - لصالح الاستعمار، فيجب أن يسلم إلى الشعب، فالثورة والإسلام لا يمزحان مع أحد. وفي هذا يقول الإمام:

«متى رأيتم أحداً يفكر بالتساوم مع الشرق والغرب فامحوه من صفحة الوجود بدون محاباة أو تحفظ. فليس هناك مزاح مطلقاً».

فقد ذكر الإمام أن مرجعاً أن مرجعاً قد وصل إلى أعلى المراتب العلمية ثم تبين فيما بعد أنه عميل للاستعمار.

وخلاصة الكلام أنه لا مكان بيننا لمن يريد بيع مصالح المسلمين للمستعمرين في مقابل منافع قصيرة الأمد.

وبعد نهاية الحرب المفروضة، جاء البعض ليقول: إننا نتشدد كثيراً في مواجهة القوى الكبرى أو في تعاملنا مع أعداء الإسلام من خلال الحرب، في حين أن بإمكاننا تحقيق أهدافنا من خلال الطرق السلمية. وشاء التقدير الإلهي أن تظهر قضية سلمان رشدي، فوقفوا مسلمي العالم كافة إلى جانب الإمام، فاضطر المستعمرون لتعديل مواقفهم. وقال سماحته في هذا الشأن: «هل كنا نحن الذين أسأنا في قضية سلمان رشدي وكانت مواقفنا عدوانية؟ لقد برهنت هذه القضية على أن عالم الظلم والاستكبار

في صراع مع الإسلام، لأنهم دافعوا عن سلمان رشدي المرتد الوقح، ضاربين عرض الجدار المشاعر الدينية لأكثر من مليار مسلم ومتجاهلين عقائدهم».

وصراع الاستكبار العالمي مع الإسلام لا ينتهي أبداً لأن التصالح بين الحق والباطل أمر مستحيل، ولا بد أن يستمر جهاد المسلمين حتى يتحقق النصر النهائي للإسلام على جبهة الباطل. وإيران اليوم هي أم القرى بالنسبة للعالم الإسلامي ومرآة للأهداف الإسلامية العليا. لقد هاجم الاستكبار القيم الإسلامية في البوسنة والهرسك بوحشية، فهو لا يطبق رؤية النور المتألق لحقيقة الإسلام في أي مكان من العالم. وأنقل كلاماً آخرًا لسماحته ليكون مسك الختام:

«ما زال يوجد إلى الآن من يعتقد أن علينا إعادة النظر في سياستنا وأصولنا الدبلوماسية وأنا خدعنا أنفسنا، وعلينا أن لا نكرر الأخطاء الماضية. كما يرى أن الشعارات المتشددة للحرب قد جعلت الغرب يسيء الظن بنا مما يؤدي إلى عزلة البلد، ولو أننا عملنا بواقعية فإنهم سيتعاملون معنا بإنسانية ويبادلون شعبنا والإسلام والمسلمين الاحترام.

وهذه (قضية سلمان رشدي) نموذج أراد له الله أن يحدث في هذا العصر بعد صدور كتاب الآيات الشيطانية القائم على الكفر، وكشف من خلاله التفرعن والاستكبار والبربرية عن وجه الحقيقي في عدائه التاريخي للإسلام؛ لنخرج نحن عن سذاجتنا ولا نلقي كل شيء على عاتق الاشتباه وسوء الإدارة وقلة الخبرة، وأن ندرك تماماً أن القضية ليست أننا أخطأنا، بل هي إصرار مصاصي دماء العالم على ضرب الإسلام والمسلمين، وإلا فإن شخصاً مثل سلمان رشدي ليس مهماً إلى هذا الحد بحيث يقف خلفه الصهاينة والاستكبار العالمي.

على علماء الدين وأبناء حزب الله الأعزاء وعوائل الشهداء المحترمين أن يكونوا يقظين لئلا تذهب دماء أعزائهم هدراً بهذه التفاسير الخاطئة. وأخشى أن

يتربع محللو اليوم على كرسي القضاء بعد عشر سنوات ليقولوا: يجب أن ننظر إلى التبعات والآثار المترتبة على الفتوى الإسلامية وحكم الله، وبما أن السوق المشتركة والدول الغربية قد اتخذت موقفاً مضاداً لنا، فعلى إذن أن لا نكون سذجاً ولا بد من التزام الصمت إزاء أولئك الذين ينالون من الدين، وشخصية الرسول الأكرم ﷺ.

والخلاصة، إن علينا السعي لتحقيق الفقه العلمي للإسلام دون الاكتراث بالغرب المخادع والشرق المعتدي، وبعيداً عن الدبلوماسية المهيمنة على العالم، أما إذا ظل هذا الفقه محبوساً في الكتب وصدور العلماء فليس هناك من خطر يهدد طواغيت العالم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معلومات جديدة يكشفها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني

حول هجرة الإمام الخميني من النجف إلى باريس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن سبب هجرة الإمام إلى باريس يعود إلى إحداث وقعت قبل أن يتخذ قرار الهجرة بأشهر. فبعد تصاعد جهاد الشعب الإيراني، توصلت الحكومتان الإيرانية والعراقية خلال اجتماعات عقدت في بغداد إلى نتيجة مؤداها أن نشاطات الإمام لا تشكل خطورة على غيران فحسب بل على العراق أيضاً.

فاهتمام الشعب العراقي بالإمام والعواطف الجياشة للزوار الإيرانيين ليس بالشيء الذي يمكن للعراق أن يتجاهله، ولهذا السبب فقد تم استدعاء الأخ العزيز (السيد دعائي)¹ كي يبلغ الإمام بوضوح موقف مجلس قيادة الثورة العراقي، ويتلخص بالنقطتين التاليتين:

¹ أحد علماء الدين الملتزمين. كان أول سفيراً للجمهورية الإسلامية الإيرانية في العراق (قبل الحرب المفروضة)، وهو اليوم عضو في مجلس الشورى الإسلامي والمشرف على صحيفة «اطلاعات».

١- بإمكان سماحتكم أن تظلوا - كما في السابق - تمارسون حياتكم العادية في العراق، لكن بشرط الامتناع عن النشاطات السياسية التي تؤدي إلى توتر علاقتنا مع إيران.

٢- يجب مغادرة العراق في حالة عدم الامتناع عن النشاطات السياسية. وكان جواب الإمام وقراره حاسماً، فالتفت إلى وقال: هات جواز سفري وجواز سفرك، وتوجه السيد دعائي إلى بغداد، ثم لم نسمع شيئاً عن الجوازين.

وبعد فترة زار سعدون شاكر مدير الأمن العراقي سماحة الإمام وابلغه قضايا تتعلق بالعلاقات الإيرانية العراقية وأوضاع العراق والمنطقة وتقارير من هذا القبيل، ولم يتحدث في نهاية المقابلة بشيء أكثر مما ورد في الرسالة السابقة. وتحدث الإمام طويلاً، لكن كلامه للأسف لم يسجل، فمما قال وهو يشير إلى بساط غرفته: «حيثما ذهبت وفرشت بساطي فهناك منزلي» وقال: «أنا لست من أولئك الملالي الذين يتخلون عن واجبهم من أجل الزيارة» ونظير هذا الكلام.

ومضت فترة ولم يجدّ جديد. في حين كانت مشاعر الحب التي يبديها أبناء العراق وإيران للإمام خلال تشرفه بزيارة ضريح مولى المتقين، رائعة ومثيرة للغاية، وحوصرت داره آخر المطاف ولم يسمح لأحد بدخولها. واستدعي الأخ دعائي إلى بغداد وأبلغ بقرار «مجلس قيادة الثورة» الأخير في إخراج الإمام من العراق، وعاد معه جوازات السفر.

وسمح الإمام باطلاع بعض الأصدقاء المقربين - وكان عددهم يتراوح بين سبعة إلى ثمانية - على نيته في السفر إلى الكويت. وبعث أحد أصدقائنا في الكويت طلباً لزيارة لي وللإمام على الفور (وكان لقب العائلة مصطفوي، لهذا لم ترفض الحكومة الكويتية الطلب). وتم الحصول على ثلاث سيارات ثم تحررنا في اليوم التالي بعد صلاة الصبح.

و كنت في أحد تلك السيارات مع الإمام، وفي الآخرين أصدقائنا المقربون، وكانت ليلة سفرنا فريدة من نوعها في دارنا، فقد كانت والدتي وأختي، وحسين بن أخي، وزوجتي وزوجة أخي في حالة غير طبيعية، وكان كل اهتمامي منصباً على الإمام الذي خلد إلى النوم في الوقت المعتاد من كل ليلة، واستيقظ أيضاً مثل كل يوم قبل ساعة ونصف من صلاة الصبح لأداء صلاة الليل. ومازلت أتذكر أنه قد دعا كل من في الدار، وقال لا تقلقوا أبداً، فلن يحدث شيء.. لا يمكن السكوت، فماذا يكون جوابنا لله وللناس؟ فالمهم القيام بالواجب ولا يجوز التنصل عنه. ثم قال: ليس هذا فحسب، فلو قيل لي اسكت ليوم واحد فقط وعش هنا، كنت أعلم أن فيه ضرراً، فلن أقبل بذلك أبداً.

وعندما أردنا أن نستقل السيارات، لمحت في الظلام رجلاً غير معمم، وعندما دقت فيه فإذا به السيد الدكتور يزدي. لقد جاء من أجل أن يحمل رسالة من الإمام إلى الجمعيات الإسلامية الإيرانية في كندا وأميركا، وقد فوجئ بالوضع الذي كنا عليه، لعدم علمه بخبر هجرة الإمام، ثم استقل هو الآخر إحدى السيارتين الآخرين. وأدركنا عند الانطلاق أن سيارة عراقية سترافقنا، وتقرر أن يتابع السيد رضواني (عضو مجلس الرقابة الدستورية حالياً) الأعمال اليومية. وقد ذهب الجميع إلى صلاة الجماعة، ولكن من دون الإمام. تناولنا الفطور في أحد المقاهي في طريقنا، وكان خبزاً وجبناً مع الشاي.

وأدينا صلاة الظهر خلف الإمام عند الحدود العراقية، وتمت الإجراءات اللازمة على وجه السرعة، وانصرف طاقم السيارة العراقية بعد

أن ودعناهم، ولم يبق من الأصدقاء سوى المرحوم إملائي رحمه الله^١ والسيد فردوسي^٢ «ممثل طبس في مجلس الشورى) والسيد الدكتور يزدي، في حين عاد الباقون إلى النجف، وانطلقنا نحن الخمسة نحو الحدود الكويتية، فتم انجاز الإجراءات الرسمية الخاصة بالسادة يزدي وفردوسي وإملائي في حين بقيت أنا والإمام.

قيل لنا اصبروا! وظهر الأمر أن الكويت قد علمت بالأمر، وقدم من العاصمة شخص تحدث معنا لمدة ساعة كاملة، خلاصة حديثه أن الدخول ممنوع! فعدنا أدراجنا، وكان العراقيون بانتظارنا على الحدود.. أهلاً وسهلاً! فأخرونا منذ الساعة الثانية من بعد الظهر وحتى الساعة الحادية عشر مساءً. واستطاع المرحوم إملائي الذهاب إلى البصرة بأسلوب ذكي، وأطلع النجفيين على مجريات الأمور، ثم عاد وهو يحمل الخبز والجبن والكباب الشامي. وكان الإمام متعباً للغاية وقد تألمت لحاله كثيراً، وأدرك من ملامحي مدى تأثيري لتأخيرته كل هذا الوقت، فقال لي: هل أنت منزعج لهذه الأمور؟ فقلت: إنني منزعج كثيراً من أجلك. فقال: نحن أيضاً أن يحل بنا البلاء عند الحدود كالآخرين كي نلمس مضايقة واحدة من آلاف المضايقات التي يتعرض لها إخوتنا، فكن قوياً. فقلت: سمعاً وطاعة.

^١ حجة الإسلام والمسلمين محمد حسين إملائي، من أنصار الإمام قدس سره، وقد كان إلى جانبه في النجف ولعب دوراً في نقل رسائله وبياناته والقضايا الجهادية.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين (إسماعيل فردوسي بور) من أنصار سماحة الإمام، ولعب مع باقي حجج الإسلام في النجف دوراً في نقل رسائله وبياناته والقضايا المتعلقة بالجهاد.

وبينما كنا ملتفين حول الإمام الذي استلقى في غرفة غير نظيفة،
تفائلت بكتاب الله فإذا بالآيات: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ٢٤ قَالَ رَبِّ
اشرحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾^١

كونوا على ثقة إن قوة جديدة حلت في أوصالي. كانت آيات عجيبة
للغاية. لقد أخرجونا عبثاً ما يزيد عن تسع ساعات، في حين كنا قد قلنا لهم
أننا نريد الذهاب إلى بغداد. لقد غضب الإمام وهددهم. وكلما قلت لهم
لماذا تؤخروننا، قالوا يجب أن تصل إلينا الأوامر من بغداد. واتصلوا
ببغداد على الفور بعد غضب الإمام وأبلغوا المسؤولين بتصرف الإمام
معه. وكان الإمام قد قال لهم: إنني سأخبر العالم بكل ما ألقاه هنا!
وأبلغوا المسؤولين في بغداد بهذا، ولم يمر وقت طويل حتى جاءوا
يعتذرون ويقولون بأنهم لم يتمكنوا بالاتصال بالعاصمة، وإلا فإنهم غير
راضين عن هذا الوضع. ووجهوا كلامهم للإمام قائلين: نقسم عليك بالله
ألا نخبر العاصمة بما لقيته هنا، وما شابه من هذا الكلام. فماذا كانوا
يريدون من ذلك؟ ماذا كانوا يريدون بقولهم أن العاصمة ليس مقصرة بل
نحن المقصرون؟ إنهم لا يريدون أن يكتب الإمام شيئاً ضد العاصمة. ثم
طلبوا منا الصعود إلى السيارة بعد ذلك فيما احتجزوا الدكتور اليزدي.
فقال لي: لا تقلق، فليس من حقهم حجزني!^٢ وانطلقنا نحن الأربعة إلى
البصرة حيث أمضينا تلك الليلة في فندق جيد نسبياً، وكنت مع الإمام في
غرفة، بينما كان السيدان فردوسي وإملائي في غرفة أخرى. ورغم العناء

^١ سورة طه: الآيات ٢٤ و ٢٥ و ٢٩.

^٢ تولى بعد انتصار الثورة الإسلامية منصب مهمة منها: وزارة الخارجية، عضو مجلس الشورى الإسلامي،
الإشراف على مؤسسة كيهان وغيرها. تولى الأمانة العامة لـ «حركة حرية إيران» بعد وفاة المهندس بازرجان.
وكان يقصد إنه «يحمل الجنسية الأميركية» ولهذا فهو في حماية الولايات المتحدة، وليس بمقدور الحكومة
العراقية أن تتعامل مع مشيناً مع مواطن أميركي!

الذي لقيه الإمام، فإنه نهض بعد ثلاث ساعات من الاستراحة لأداء صلاة الليل، وصليت صلاة الصبح خلف الإمام، ثم سأله بعد الانتهاء من الصلاة عن عزمه، فقال إلى سوريا، فقلت له: وإذا لم تسمح لنا، وتعاملت معنا مثلما تعامل الكويت؟ ... وتم استعراض البلدان المجاورة واحداً واحداً. فعندما لم تسمح الكويت، فمن المؤكد أن الشارقة ودبي وما شابه لن تسمح هي الأخرى أيضاً. والعربية السعودية تكيل الشتائم، وأفغانستان وباكستان أمر غير ممكن. فلم يبق غير سوريا، وكان قرار الإمام صحيحاً، لكن لا يمكن العمل القيام بعمل غير مدروساً فيجب الذهاب أولاً إلى بلد لا يطلب تأشيرة دخول ثن الاتصال بالمسؤولين السوريين من هناك لمعرفة مدى استعدادهم لقبولنا بدون أي شروط، أي عدم فرض قيود على الإمام، فإذا كنا نقبل قيوداً لبقينا في العراق، سيما وأن منزلنا فيه.

فاقترحت على الإمام الذهاب على فرنسا، حيث أن توقفنا القصير فيها يمكن أن يكون ناجحاً وبإمكان الإمام أن يوصل صوته منها إلى العالم بصورة أفضل.

خلدنا إلى النوم، وعند الساعة الثامنة صباحاً قلت للمسؤولين العراقيين: نريد الذهاب إلى بغداد، فقالوا: بإمكانكم العودة إلى النجف، فقلت: لا نذهب ... وعادوا إلينا بعد ساعة وقالوا إن العاصمة تسأل عن هدفكم من ذلك. فقلت: نريد الذهاب إلى باريس، فتعجبوا من ذلك.

وقدم السيد يزدي حوالي الساعة الحادية عشرة فسررنا بقدومه. وأرادوا نقلنا إلى بغداد بالسيارة، غير أن الوضع الصحي للإمام لم يكن مساعدًا، فحملونا بالطائرة بعد إصرارنا على ذلك. واتصلنا بباريس فور نزولنا من الطائرة وأطلعناهم بعزمنا على التوجه إلى هناك. سألتني السيد

الدكتور حبيبي^١: ماذا أفعل؟ قلت له: لا تبعد عن الهاتف إلى حين وصولنا. وأمضينا تلك الليلة في بغداد، والتقينا أصدقاءنا ثانية. وتشرف سماحة الإمام في تلك الليلة بزيارة مرقد الكاظمين^٢ وكانت مشاعر الناس عجيبة، وانطلقنا صباح اليوم التالي إلى المطار، فأخروا الطائرة - التي كانت من نوع جمبوجت - لمدة ساعتين. وكنا نحن الخمسة في الطابق العلوي من الطائرة فضلاً عن ثلاثة أشخاص آخرين لا نعرفهم، وكانت تسيطر على الأصدقاء المودعين حالة عجيبة، فلم يكونوا يعرفون ماذا سيحل بالإمام. واستدعى العراقيون السيد دعائي، فعاد متأثراً، وخجل أن يخبر الإمام بما قالوه له: لكنه أخبرني بأنهم لن يسمحوا للإمام بالعودة. ما أصلهم وأوقحهم! فضحكت بتأثر.

كنا في الطابق الثاني كما قلت، ولم نكن قد رأينا الطابق الأول، لكن يبدو أنهم مسافرون يريدون الذهاب إلى أوروبا. وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات من إقلاع الطائرة، أدركنا أننا سجناء فيها، لأن أحداً أراد الذهاب إلى دورة المياه فتبعه أحد الأشخاص الثلاثة. ولكي نطمئن من الأمر، نهض المرحوم إملائي يريد النزول إلى الطابق الأسفل فلم يسمحوا له. وبدأنا نبحث عن المسألة فيما بيننا ورحنا نتساءل: هل يريدون قتلنا؟ هل يريدون اختطافنا؟ هل يريدون حبسنا في أحد البلدان؟ وغير ذلك من التساؤلات! وكان الإمام ينظر من نافذة الطائرة وكأنه لم يكن معنا في تلك الرحلة. وبعد كلام طويل تقرر أن ينزل السيدان يزدي وإملائي في جنيف، وأظن أنا إلى جانب الإمام، وإذا لم يسمحوا لهما بالنزول نقوم بإطلاق الصيحات والصرخات حتى نثير انتباه ركاب الطابق الأول، وقال

^١ النائب الأول النائب الأول لرئيس الجمهورية، (وقت صدور هذا الكتاب).

^٢ الكاظم هو الحابس لغيظه. والكاظمية مدينة في العراق تبعد فرسخاً عن بغداد. فيها مرقد إمامين من أئمة الشيعة هما الإمام موسى الكاظم، والإمام محمد الجواد عليهما السلام.

الدكتور يزدي لأحد أولئك الثلاثة: إننا نريد النزول في جنيف لبعض الأعمال . وبعد هنيئة أعلنت مكبرات صوت الطائرة أنه لا يحق لأحد الخروج من الطائرة عند هبوطها في مطار جنيف سوى القاصدين إليها! فانتابتنا الوسواس. وما زال الإمام يتطلع إلى الأسفل. ونفذنا ما اتفقنا عليه، وأمسك إملائي بأحدهم من الخلف بعد أن حاول منعنا من النزول فيما قفز يزدي إلى السلم!! فلم يفعلوا شيئاً سوى أن اثنين منهم وضعوا أسلحتهم - التي كانوا يخفونها حتى تلك اللحظة - في خزانة وخرجوا خلفهما، وحسب الاتفاق، كان السيد حبيبي في منزله عند الهاتف، وقد طُلب منه أن يجمع كافة أصدقائه في المطار، فإذا نزل جميع الركاب من الطائرة ولم نكن نحن بينهم، عليهم منع الطائرة من الإقلاع بشتى السبل (لأننا كنا نحتمل أن الطائرة ستقلع إلى بلد آخر بعد ترجل الركاب).

وصلينا صلاة الظهر والعصر خلف الإمام. وما هي إلا دقائق حتى رجع السيد يزدي وإملائي فسررنا بعودتهما. وعندئذٍ أخبرنا الإمام بما حدث وبالوسواس التي انتابتنا فقال لنا الإمام: هل جننتم!

وصلنا إلى باريس، وقررنا لا نخرج سوية لكي لا تثير العمام الانتباه، فخرج الإمام لوحده ثم تبعته أنا ثم لحق بنا السيدان يزدي وإملائي.

وجاء في الليلة الأولى مبعوثون من قصر الاليزيه وقالوا لي: إننا أصبحنا وجهاً لوجه أمام قضيتكم وأن آية الله قد حلّ بين ظهرانينا شئنا أم أبينا، لكن لو كان أماننا وقت أكبر لما سمحنا بذلك، وطلبوا موعداً للقاء الإمام، فقال الإمام: ليأتوا، فدخلوا على الإمام وقالوا له: لا يحق لك القيام بأدنى نشاط سياسي. فقال لهم الإمام: «كنا نعتقد أن الوضع هنا ليس كالعراق، لكنني سأقول كلمتي أينما ذهبت، وسأسافر من مطار لمطار ومن مدينة لأخرى حتى أعلن للعالم أن كلّ الظالمين في هذا العالم يداً

بيد ليحولوا دون وصول صوتنا نحن المظلومين، وسأوصل صوت شعب
غيران الشجاع إلى الدنيا، وسأقول للعالم ما الذي يحدث في إيران».

كان الإمام منهمكاً بالعمل في فرنسا ليل نهار، ولم يمر يوم دون أن
تكون له كلمة أو مقابلة أو بيان. فكان هذا الشيخ أبو الثورة يعمل بكل ما
أوتي من قوة وبلا كلل أو ملل، من إسقاط الملكية في إيران، وإلحاق
الهزيمة بأميركا في المنطقة بإذن الله.

كان الذين يشهدون لقاءات الإمام يقولون أنهم لم يشاهدوا إلى الآن
عالم دين يتحدث في غرفة مساحتها ١٢ متراً مربعاً، بدون تشريفات
ومراسم ومواعيد مسبقة وبدون كرسي ومنضدة، فيزلزل حديثه إيران.

وبدأ تردد السياسيين الذين جاؤوا من إيران والبلدان الأوروبية وآسيا
وأمریکا. وقالوا للإمام: اقنع بخروج الشاه، حيث لا يمكن دحر الجيش
وأمریکا، إلا أن الإمام أجابهم: لا تتدخلوا في شأن الشعب، فهو يريد
جمهورية إسلامية، وإن أردتم قول هذا الكلام بتصريح رسمي فإني
سأعرفكم للشعب!.

وطالما أكد الإمام أن الجيش منا، ولا شأن لأمریکا بالأمر، والشاه
زائل، ويجب استئصال جذور النظام الملكي وتحرير إيران.

وكان الشعب الإيراني على بصيرة كاملة، أو على حد تعبير أحد
الأصدقاء الأعزاء أن الإمام والأمة قد عرف كل منهما الآخر، أما
الآخرون فيطلقون كلاماً تافهاً! وكان الشعب يستخرج شعاراته من بيان
الإمام. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإمام يتميز بسرعة الكتابة، فقد كان
يكتب صفحة كبيرة خلال ربع ساعة، ولا شك أنها تعد مشكلة للآخرين
لأنهم يحسبون لكلام الإمام ألف حساب لا سيما أنه ذو أسلوب متميز في
الكتابة. فمع أن المتعارف عندما يراد اتخاذ موقف إزاء قضية معينة، أن

يقوم معاونون لرئيس الجمهورية أو أي شخصية أخرى بكتابة ذلك الموقف ثم قراءته عليه، فيقوم بإبداء ملاحظاته ثم تجري عليه الإصلاحات قبل أن يقوم بالتوقيع عليه، غير أن الإمام كان يكتب بياناته بنفسه، وليس هناك بيان لم يكتبه الإمام بكامله، وكنا نحن نقدم إليه التقارير فقط - وما زلنا كذلك - وباقي الأعمال بعهدته.

والعجيب أن نجد بعضاً - مع هذه الحقيقة - يدّعي بوقاحة أنه كتب البيانات للإمام! بل يقول: إننا قلنا له أن يلقي دروس الحكومة الإسلامية في النجف! وإننا قلنا له جاهد الشاه وجاهد بهذا الشكل! ونحن ونحن ونحن! وأنا هنا أعلن بصراحة:

١- لقد اتخذ الإمام قرار الهجرة بنفسه، ولم يتدخل أحد ولو بمقدار شعرة في مسألة ذهابه إلى باريس، وأنا الذي اقترحت عليه فكرة السفر إلى باريس، فوافق عليها.

٢- كان الإمام يكتب بياناته بنفسه وما زال كذلك، وهو حاضر فليكذب قولي إن كان الأمر غير ذلك، فكل من يدعي أنه قد جاء بالإمام أو أخرجه منها أو كتب كلمة للإمام فكلامه كذب محض لا صحة له، ولو كان لأحد ادعاء كهذا فأرجوا أن يكشف عنه اليوم، لأنه لا يقبل بعد الآن أي ادعاء.

والسبب وراء تأكيد علي هاتين النقطتين رغم أنهما خارجان عن إطار هجرة الإمام، فهو لئلا تنحرف الثورة عن مسارها الأصلي والأصيل، ولئلا تتحول الحركة الأصلية الشعبية الربانية للإمام إلى حركة سياسية مترشحة عن الغرب والشرق أو عن هذه الفئة أو تلك. فلقد قيل في غاية الوقاحة واللا تقوى إننا نحن الذين كنا إلى جانب الإمام في جميع تحركاته وأسفاره! وأرجوا عدم مؤاخذه الأصدقاء لي والقول بأن أحد لا يمكن أن يخطر في ذهنه مثل ذلك، لا سيما إزاء الإمام، ولا داعي لطرح

مثل هذه القضايا! إخواني وأخواتي، ما دام الإمام بين ظهرانينا - ونسال الله تعالى أن يحفظه حتى ثورة المهدي (عج) - فلا بد من توضيح ما يلي:

١- لم يكن يعلم بهجرة الإمام أحد غيري وبعض الأصدقاء المقربين بالنجف.

٢- إن الإمام هو الذي قرر الهجرة إلى فرنسا، ولا يرتبط ذلك التحرك بأي شخص أو فئة سياسية سواء داخل إيران أو خارجها.

فلا يدعي أحد غداً أننا جئنا كي نذهب بالإمام إلى باريس، أو قيل لنا في إيران: وجئنا إلى الإمام لنقول له إن الكفاح في فرنسا أفضل، وما شابه ذلك من هذه السفساف التي عن لم نوضحها في حياة الإمام، فستعد غداً عاملاً في وقوع أخطر الانحرافات لهذه الثورة العظيمة!

وبعد إقامة قصيرة استمرت يومين توجهنا نحو قرية تبعد عن باريس مسافة (٣٧) كم تدعى «نوفل لوشاتو»، حيث أقمنا في دار السيد عسكري، وقد أحسن إلينا كثيراً. كما تم استئجار دار أخرى في باريس لإرشاد من يريد أن يأتي إلى نوفل لوشاتو، فضلاً عن وجود سيارة هناك تقوم بنقل المشتاقين لزيارة الإمام مرة أو مرتين في اليوم. كانت ثلاثة أشهر حافلة بالذكريات، ولا يمكن كتابتها لأنها ستأخذ وقتاً كثيراً.

وخرج الشاه من إيران، وعقد الإمام العزم على العودة، وكان الجميع في إيران تقريباً يعارضون قدومه خوفاً على حياته، وكانوا يقولون أن الوقت مازال مبكراً. ولا يلامون في ذلك، فلم يكن للثورة غير الإمام، فماذا سيحدث لو تعرض الإمام لمكروه لا سمح الله!!

وكانت تتوالى الاتصالات الهاتفية عليّ تطلب إخبار الإمام بذلك، وكنت أخبره بالفعل، إلا أنه كان قد اتخذ قراره. وانتم تعلمون ماذا كان يجري في إيران، فقد أغلقوا المطارات، لكن دون أن يؤثر ذلك على قرار

الإمام، وكانوا يعلمون لو أن الإمام دخل البلاد فإنهم سينتهون ولا شك. وتم استئجار طائرة لهذا الغرض وتقرر أن يدفع كل من ثمن تذكرة سفره، وقد دفع الإمام عنه وعني .. واتخذت الشرطة الفرنسية التدابير الأمنية اللازمة للمحافظة على حياة الإمام بدءاً من الدار التي كان يقيم بها وحتى المطار. ورافقنا في تلك الرحلة ١٥٠ صحفياً، فكنا حوالي ٢٠٠ شخص وصلنا إلى طهران. وبعد أن تحدث الإمام في مطار مهرباد، لم يسمحوا له بالذهاب إلى جنة الزهراء، كانوا يقولون له أن الذهاب محفوف بالمخاطر.

وطلب آية الله المنتظري والمرحوم آية الله الطالقاني من الإمام من الإمام الذهاب إلى المنزل من المطار مباشرة. ولم يكن المرحوم الدكتور بهشتي موافقاً على ذهاب الإمام إلى جنة الزهراء أيضاً. وبعدما أبدى الجميع آراءهم على هذا الصعيد التفت الإمام إليّ وقال: أين السيارة؟ لقد عزمت الذهاب إلى جنة الزهراء، وذهبت إليها فعلاً، وكاد الإمام أن يختنق بعد حديث له في أوساط الجماهير، من شدة الزحام واضطرب وضعه الصحي، لكن الأمر انتهى بخير والحمد لله.

كان هذا موجزاً من ذكريات كثيرة جداً.

ومنذ قرار الإمام الهجرة من العراق وقيادة الثورة، حتى إسقاط النظام الملكي، عقد نظام الشاه وبالتنسيق مع الإدارة الأميركية، العزم على تكرار التجارب السابقة - الناجحة ظاهراً - في قمع انتفاضة ١٥ خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣) واعتقال الإمام، وأحداث ١٣ آبان (٤ تشرين الثاني)^١. وسنعمد في هذا المجال على الوثائق الموجودة في ملف نظمه السافاك حول سماحة الإمام يتألف من أكثر من خمسين مجلداً. إن تلك الوثائق

^١ قام نظام الشاه العميل بنفي الإمام الخميني (قده) إلى تركيا في (٤ تشرين الثاني ١٩٦٤) لمعارضته تطبيق لائحة الكابيتولاسيون (Capitulation) (الحصانة القضائية للرعايا الأميركيين).

تحدث عن هلع نظام الشاه الشديد من كفاح الإمام الخميني قدس سره وعودته إلى إيران. فقد ورد في تقرير سري لجهاز السافاك أعد خصيصاً لمحمد رضا شاه: «وردت معلومات تقول أن في أعقاب المضايقات الأخيرة التي قامت بها الحكومة العراقية لروح الله الخميني، أعلن المستشار إليه أنه عازم على مغادرة هذا البلد، ومعلوماتنا حول محل إقامته القادم تعتمد على ما قاله هو من أنه يريد الذهاب إلى الكويت ومنها إلى سوريا أو تركيا. ومن الطبيعي أن الحكومة العراقية بفرضها هذه القيود على [الإمام] الخميني، قد أصبحت في موقف لا يمكنها أن تتخذ معه في المستقبل أسلوب المداينة. ولكي تخرج من هذا المأزق الحالي فهي تفضل خروجه من هذا البلد، و [الإمام] الخميني الذي لم يعد قادراً على ممارسة نشاطاته ضد إيران بسبب تلك القيود، يفضل هو الآخر الخروج من العراق. وعلى هذا الأساس فإن خروجه من العراق بات أمراً وشيكاً. غير أن النقطة الأساسية هنا هي أين يذهب بعد خروجه من العراق؟ الاحتمالات في هذا الصدد عديدة، والمتوقعة هي كالاتي:

١- نظراً لحصول دعايات واسعة لصالحه في إيران خلال العام الأخير واعتقاده بوجود مؤيدين كثيرين له فيها، فمن المحتمل أن يتخذ قراراً مفاجئاً بالمجيء مع حاشيته إلى إيران، وهو يعتمد في هذا الشأن على اعتقاده بأن كثرة المؤيدين له داخل البلد ستكون رصيماً له في ممارسة نشاطاته بحرية لتحقيق أهدافه داخل البلاد.

٢- أن يذهب على سوريا. فالحكومة العلوية السورية التي يترأسها حافظ الأسد من المحتمل أن لا تتردد في قبول [الإمام] الخميني وذلك لعدائها للحكومة العراقية، والقراية المذهبية، وكذلك لتصوير نفسها بأنها راديكالية، وإن كان من الممكن أن يفقد في سوريا الإمكانات الكبيرة

التي كانت لديه في العراق. ورغم هذا فإنه سيستمر في نشاطاته السابقة اعتماداً على العناصر العديدة التي تتردد على لبنان، وعلى إمكانات المنظمات الفلسطينية.

٣- أن يختار تركية محلاً لإقامته، ومع احتمال وجود من يقدم له المساعدات في هذا الشأن، فالظروف السياسية والاجتماعية التركية تضع بين يدي المشار إليه تسهيلات كثيرة لممارسة نشاطات ضد غيران. ويتصاعد احتمال اغتياله في تركيا أكثر من سوريا على يد التنظيمات القومية الإيرانية التي ترى في نشاطاته خطراً على المصالح الوطنية.

٤- الذهاب إلى الكويت والإقامة فيها. وهذا الاحتمال ضعيف لأنه لا تتوفر لـ [الإمام] الخميني ظروف متعددة ذات أهداف سياسية معينة لا على الصعيد الديني ولا على الصعيد السياسي.

٥- ذهابه إلى بلدان مسلمة أخرى كباكستان، واليمن الشمالية، والعربية السعودية، وليبيا، والجزائر، ومصر ضعيف للغاية.

وفي ضوء الاحتمالات أعلاه، ففي حالة وقوع أي من الحالات المشار إليها، هناك جملة من القضايا المتوقعة ذات الصلة بالأمن الوطني الإيراني. ففي حالة اتخاذ [الإمام] الخميني قرار الإقامة في إيران، فليس من المصلحة أن يكون حراً ولو ليوم واحد، لأنه في هذه الحالة سيعطي الفرصة للفئات المعارضة والمخربة كي تجتمع حوله بتشجيعه، وهذا ما يؤدي على احتمال حدوث حرب أهلية. لهذا بإمكان الخطوات أدناه أن تحول دون وقوع الحوادث التي لا يحمد عقباها في حالة قدوم [الإمام] الخميني إلى إيران:

١- توضع المناضد الحدودية الجوية والبرية في طهران، وخسروي، وخرمشهر، وعبادان، وشيراز في حالة إنذار، كي تقوم بإيقافه عند دخوله البلاد وتحول بشدة دون الاتصال بالأشخاص غير المسؤولين.

٢- ينقل من النقطة الحدودية مباشرة إلى معسكر آمن في طهران بواسطة طائرة أو مروحية، ويوضع تحت رقابة مشددة.

٣- توضع وحدات الجيش والأمن الداخلي في كل أرجاء البلاد في حالة إنذار مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون أحداث غير محمودة ولقمع أي تحرك مخل بالأمن. وتعلن حالة الطوارئ في أي منطقة تحدث فيها اضطرابات واسعة النطاق مع عدم السماح للمشاهدين والعناصر الغوغائية بانتهاز أي فرصة.

٤- اطلاع الآيات والمراجع المقيمين في البلاد -الذين يعارضون عموماً [الإمام] الخميني في الباطن باستثناء بعض الأشخاص -بحساسية الموضوع كي لا يتخذوا خطوات غير مدروسة بسبب الخوف من أيديهم أو لبعض التحفظات والعقبات الأخرى.

٥- اعتقال كافة مؤيدي [الإمام] الخميني وعناصره المعروفة فوراً وفي جميع أنحاء البلاد، قبل أن تتسنى لهم الفرصة للقيام بتحركات مضادة أو اضطرابات.

أما إذا اختار [الإمام] الخميني بلداً آخر غير إيران، فتبدو الخطوات التالية ضرورية:

١- إعلان حالة الإنذار في وحدات الجيش والأمن الداخلي للحيلولة دون وقوع أحداث مخلة بالأمن ومنع تفاقم مثل هذه الأحداث.

٢- إعداد الإمكانيات اللازمة منذ الآن ليتمكن إقامة نظام سيطرة والحصول على المعلومات في الوقت المناسب، والوقوف على قراراته واتصالاته اللاحقة.

٣- الاتصال عبر القنوات السياسية بوزير خارجية البلد الذي يقيم فيه، والتأكيد على العلاقة بين الدولة الشاهنشاهية والبلد المضيف وإبلاغها

بآراء [الإمام] الخميني المضادة لإيران مع التحذير بأن إعطاءه أي نوع من الحرية في العمل ستترتب عليه نتائج تسيء في النهاية إلى العلاقات الحسنة بين البلدين.

الحقائق أعلاه كتبت لاطلاع جلالة الملك».

ويستشف من تقرير السافاك إلى الشاه أن النظام كان مصمماً على قتل سماحة الإمام بمختلف الطرق، وإن السافاك كان يخطط لاغتياله لو سافر على تركيا إلى تركيا، وإلقاء مسؤولية تلك الجريمة على عاتق «التنظيمات القومية الإيرانية التي ترى في نشاطه خطراً على المصالح الوطنية» كي يخفي بهذه الطريقة دوره بها.

✱

وكلما تصرم يوم، تصاعدت حدة غضب الشعب الإيراني المسلم ضد الشاه وأنصاره ومقتله لهم. وكانت بيانات الإمام وإرشاداته تصل على أيديهم بمختلف الصور، حيث كانت تؤكد جميعها على وجوب استمرار الجهاد الشعبي ضد النظام حتى إسقاط الشاه، الأمر الذي بث الرعب والهلع في أجهزة الشاه ومؤسساته العسكرية والأمنية والتجسسية.

والكتاب رقم ٨٤٣/٤٣٨٤ المؤرخ في ١٩٧٨/١٠/١١ المرسل من السافاك إلى رئيس أركان القيادة العامة للقوات المسلحة، يكشف عن مدى هلع النظام من عودة الإمام إلى إيران. ونص الكتاب كما يلي:

إلى: السيد رئيس أركان القيادة العامة للقوات المسلحة

من: السافاك

حول: روح الله الخميني

نظراً لاحتمال دخول المشار إليه إلى البلاد عن طريق أحد المنافذ الحدودية الجوية أو البرية، فلابد في هذه الحالة من نقله مع مرافقيه فوراً وبدون تلكؤ إلى العاصمة بطائرة أو مروحية عسكرية.

يرجى إصدار الأوامر إلى أمراء المعسكرات والقواعد الجوية والبرية
كي يبذلوا التعاون مع أجهزة الاستخبارات والأمن المحلية.

الفريق مقدم

مدير الاستخبارات والأمن العام

نسخة منه إلى:

مديرية الإدارة الثالثة تعقيباً على الكتاب رقم ٣١٢/٧٥٧٥ - ٥٧٧/٩
للاطلاع.

وكان مخطط اعتقال سماحة الإمام عليه السلام بعد وصوله إلى إيران ونقله
إلى نقطة مجهولة من قبل جلاوزة الشاه، في مقدمة مخططات النظام.
والبرقية التالية الموجهة إلى دوائر سافاك عبادان، وشيراز، وبوشهر، وبندر
عباس، وزاهدان، تشير إلى هذا المعنى أيضاً:

في أعقاب الكتاب رقم ٣١٢/٧٥٧٥ - ١٩٧٨/١٠/١١ تقرر أن يحضر
الموظف المسؤول في المديرية إلى المطار قبل هبوط الطائرة القادمة من
خارج البلاد، ثم يصعد إلى الطائرة بعد هبوطها مباشرة ويتحقق من
الركاب بصورة لا تثير الانتباه، وإذا ما وجد [الإمام] الخميني فيها، يقوم
بإخراج جميع الركاب منها عدا المشار إليه، ثم ينقله بعد ذلك إلى
العاصمة بطائرة مروحية عسكرية مع الإبلاغ عن ذلك في برقية سريعة.

٨٤٣/٧٢٨٥ - ١٩٧٨/١٠/٧ آصفي

نسخة منه إلى: رضائية - تبريز - كرمنشاه - مشهد - المديرية.

ولما كان هناك احتمال دخول المشار إليه عبر إحدى النقاط
الحدودية الجوية أو البرية للبلاد. فإنه يجب اتخاذ الاستعدادات اللازمة
منذ الآن في هذه النقاط، كي يحال دون اتصاله بأي فرد مشبوه فور
وصوله، وإعلامنا فوراً ونقله في طائرة أو مروحية عسكرية إلى العاصمة».

كانت الأجهزة الاستخبارية والأمنية للنظام مذهولة ومضطربة، ويدل على ذلك محتوى الكتب والبرقيات المتبادلة بينهم.

وبدأ الإمام هجرته التاريخية من النجف إلى باريس في ١٩٧٨/١٠/٠٥، لكن وبعد أربعة أيام من ذلك - وحيث استقطب في نوفل لوشاتو أنظار العالم، وتهافت على هذه القرية مئات الصحفيين والمراسلين والمصورين من أشهر وكالات الأنباء العالمية - نجد رئيس سافاك بندر عباس يكتب إلى مسؤوله في طهران طالباً منهم إرشاده! ونص البرقية «الفورية للغاية» و «السرية» التي بعثها سافاك بندر عباس إلى سافاك طهران كما يلي:

إلى: ٨٤٣ و ٣١٢

من: بندر عباس

استناداً إلى الكتاب رقم ٨٤٣/٧٢٨٥ - ١٩٧٨/١٠/٧، تم تشكيل لجنة تنسيق المعلومات بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٨ بهدف تنفيذ الأوامر الصادرة، وقد قدم أعضاء هذه اللجنة الاقتراحات أدناه، نرجو في حالة هبوط الطائرة الحاملة للفرد المذكور إصدار الأوامر اللازمة لكي نكون على بصيرة من الأمر:

- ١- هل يفتش هذا الشخص وأمتعته أم لا؟
- ٢- هل يبعث مخفوراً مع فريق عسكري أم مدني، وما عدد أفرادهِ؟
- ٣- كيف يتم التعامل مع مرافقيه؟
- ٤- ما لعمل إذا امتنع المرافقون عن الترحل؟
- ٥- القاعدة الجوية الملكية التاسعة على أهبة الاستعداد لإرسال طائرة،، لكن يجب أن يكون هناك تنسيق مع طهران ...

بهرام.

نسخة منه إلى: المديرية العامة الثالثة ٣١٢، استناداً إلى الرقم أعلاه، للاطلاع واتخاذ ما يلزم. الموضوع يتعلق باحتمال عودة [الإمام] الخميني إلى إيران.

بدأ الإيرانيون المقيمون في الخارج يتوافدون على باريس من مختلف البلدان لزيارة قائد الثورة الحازم، وكان الإمام يرسم طريق الجهاد الشامل للشعب المضحي الباذل للدماء لإسقاط «الطاغوت» عبر كلماته وبياناته ومقابلاته التاريخية الباهرة.

ولم يثر بعد ذلك موضوع عودة الإمام إلى الوطن حينما صرخ (جعفر شريف إمامي) في مجلس الشورى الوطني السوري: «أنا لست شريف إمامي السابق الذي تعرفونه قبل ٢٠ يوماً» في حين تصاعدت صيحات الاستحسان من حناجر أولئك الذين اجتمعوا تحت عنوان «ممثلي الأمة». إما سافاك الشاه فكان يبدو وكأنه لا يعرف بما يحدث، فكان يصدر الأوامر تلو الأخرى بانتظار أن يدخل الإمام إلى البلاد عبر الحدود الجوية أو البرية كي يبادر إلى اعتقاله وحمله على طهران على ظهر مروحية أو طائرة عسكرية، ثم نقله إلى إحدى الثكنات العسكرية والقضاء عليه دون أن يعرف بذلك أحداً!

ووثائق السافاك اليوم بين أيدينا، ونستطيع أن ندرك من خلال مطالعة محتوياتها أي بلهاء كانوا يوجهون هذا الجهاز الجهنمي، وما هي التفاهات التي كانت تترشح من أدمغته المريضة! فأصحاب هذه العقول الصدئة المريضة وصلوا إلى قناعة أن الإمام الخميني قُدِّسَ إلى إيران بنحو يترك الفرصة للشاه وعملائه ليفعلوا به ما يريدون، دون أن يفكر بمصير الإسلام والثورة والشعب الذي زلزل - بتعاليمه وأوامره - قواعد العرش الملكي من خلال تظاهراته ومسيراته وإضراباته. كمثل على ذلك هذه

البرقية التي أبرقها سافاك طهران إلى سافاك عبادان، وشيراز، وبوشهر،
وبندر عباس، وزاهدان، ورضائية، وتبريز، وكرمنشاه، ومشهد في
١٩٧٨/١٠/٩:

«إلحاقاً بالكتاب رقم ٨٤٣/٧٢٨٥ - ١٩٧٨/١٠/٧ أصدرنا الأوامر لطرح
فحوى ذلك الكتاب مع الحاكم العسكري في المدن التي أعلنت فيها
حالة الطوارئ ومع قائد المعسكر المحلي في سائر المدن، وأن يتم اتخاذ
كل الاحتياطات اللازمة، مع التنسيق المسبق حول وضع طائرة أو مروحية
على أهبة الاستعداد كي يتم على الفور حمل المشار إليه (الإمام
الخميني) إلى العاصمة، فيما لو دخل إلى البلاد عن طريق حدود هذه
المديرية، وكي لا يتوقف لفترة طويلة (عدة ساعات) في تلك المنطقة.
١٩٧٨/١٠/٩ - ٨٤٣/٤٣١٨

وأجاب ثابتي عن أسئلة رئيس سافاك بندر عباس التي سبقت الإشارة
إليها، كما يلي:

إلى: مديرية استخبارات وأمن هرمزكان
من: العاصمة

رداً على ١٧/٩٥٤٣ - ١٩٧٨/١٠/٩

- ١- لا داعي لتفتيش أمتعة المشار إليه ومرافقيه.
- ٢- يبعث معه عدد كافٍ من المراقبين عند الضرورة.
- ٣- لا بد من إنزال مرافقيه من الطائرة.
- ٤- إرسال مرافقيه إلى طهران أيضاً.
- ٥- أعطيت التعليمات الضرورية إلى الوحدات الجوية عن طريق رئاسة
الأركان.

١٩٧٨/١٠/١١ - ٣١٢/٧٦/٧٨

وتعليمات ثابتي الوحشية تؤكد على إنزال مرافقي الإمام الخميني عليه السلام من الطائرة بالقوة في حالة رفضهم النزول، وإرسالهم إلى طهران.

✱

وحل محرم عام ١٩٧٨م، وهو الشهر الذي اسماه الإمام الخميني «شهر انتصار الدم على السيف»، وأدرك نظام الشاه أنه شهر مصيري بالنسبة للثورة الإسلامية وأن دم «أنصار الخميني» سوف يغلي في تاسوعاء وعاشوراء الحسين وأنهم سيزلزلون أعمدة قصور الظلم الفرعوني، ويبدو أن سافاك الشاه ومع بلاهته وبلادته قد أدرك الأمر. انظروا على البرقية التالية:

إلى: مديريات خوزستان وفارس وهرمزكان
من: المركز ...

إلحاقاً بـ ٣١٢/٧٥٧٥ - ١٩٧٨/١٠/١ ونظراً لاحتمال قدوم الخميني إلى البلاد في شهري محرم وصفر عبر إحدى نقاط الحدود الجوية أو البرية، فيجب أخذ الاستعدادات اللازمة منذ الآن عند المنافذ الحدودية كي يتم قطع أي اتصال له بالشخصيات غير المسؤولة بمجرد قدومه، وإعلامنا بالأمر فوراً، وإرساله إلى طهران في أسرع وقت على ظهر طائرة أو مروحية عسكرية

طباطبائي ١٩٧٨/١١/٣٠

نسخة منه إلى: المديرية العامة للدائرة الثامنة (٨٠٠) للاطلاع واتخاذ الإجراءات اللازمة من حيث مراقبة الحدود الجوية لمهر آباد، إلحاقاً بالرقم أعلاه.

ولم يقف الفريق مقدم مدير الاستخبارات والأمن في الدولة (السافاك) مكتوف اليدين، فقد أحسن هو الآخر بالخطر من اقتراب

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني عليه السلام.....

شهري محرم وصفر، فاستنجد بأعوانه في الجيش والشرطة والدرك.
والكتاب أدناه يكشف عن مدى ذعر رئيس السافاك الذي كان إلى وقت

قريب يثير اسمه الرعب في القلوب

إلى: رئيس أركان القيادة العامة للقوات المسلحة

من: السافاك

الموضوع: روح الله الخميني

إلحاقاً بـ ٤٣٨٤ / ٨٤٣ - ١٩٧٨ / ١٠ / ١١. لما كان هناك احتمال بقدوم
الخميني إلى البلاد عبر إحدى نقاط الحدود الجوية أو البرية في شهري
محرم وصفر، نرجو إصدار الأوامر إلى القادة العسكريين في كافة المدن
الحدودية كي يكونوا على استعداد تام منذ الآن لقطع أي اتصال
للشخص المذكور مع أي جهة غير مسؤولة فور وصوله، وحمله إلى
طهران في أول فرصة بطائرة أو مروحية عسكرية بالتنسيق مع مديرية
الاستخبارات والأمن المحلية.

الفريق المقدم مدير الاستخبارات والأمن

نسخة منه إلى:

١- السيد المدير العام للشرطة الملكية للاطلاع واتخاذ ما يلزم.

٢- السيد آمر الدرك الملكي للاطلاع واتخاذ ما يلزم.

ومر شهران على إقامة الإمام الخميني في «نوفل لوشاتو»، وقد توصل
أغلب المحللين والرأي العام العالمي إلى أن الشاه زائل، وفضل عدد كبير
من زعماء ورجال الدولة والناهبين، الهروب على البقاء، حيث حملوا
معهم ثرواتهم الهائلة. إلا أن مهندسي سياسة وكالة المخابرات المركزية
الأميركية وعملائهم في السافاك الإيراني كانوا يأملون أن تعود المياه
إلى مجاريها. فالفريق الأول حسين فردوست، وهو من أقرب ندماء الشاه
وعميل انجليزي أميركي في البلاط، يقول:

«قدر السافاك عدد طلبة العلوم الدينية وعلماء الدين في البلاد بحوالي ٣٥٠ ألف شخص، وقد اعترف حتى (العقيد) بديعي رئيس سافاك قم بأنه لا يوجد إلا شخص واحد ذو نفوذ بين هذا العدد الكبير، الا وهو آية الله الخميني . . .».

«كان كل شيء على ما يرام، وإذا ما تعكّرت الأجواء (بين محمد رضا شاه وجيمي كارتر) فإنها سرعان ما تعود إلى طبيعتها. وما زالت ذكرى خطاب كارتر البليغ بقصر نياوران عالقة في الأذهان، حينما اندلعت التظاهرات في قم (١٩٧٨/١/٩) احتجاجاً على الإساءة إلى الإمام الخميني في مقالة صحيفة (اطلاعات)، واستمرت هذه التظاهرات وأخذ الوضع السياسي يتأزم يوماً بعد آخر، إلا أن القضية لم تحمل محمل الجد بعد . . ففي الخامس عشر من خرداد (حزيران عام ١٩٦٣) فوجئ محمد رضا وأميركا وبريطانيا وجهاز الاستخبارات بالأمر وأخذوا على حين غرة، وقد تكرر الأمر نفسه في أزمة عام ٧٨-١٩٧٩».

وما زال السافاك يعيش في ظل أجواء عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤م، ويوالي إصدار الأوامر في أعقاب الأوامر السابقة:

إلى: المديرية العامة للدائرة الثالثة/٣١٢

من: الدائرة العامة الثامنة/٨٤٣

عطفاً على ٣١٢/١٠٠٧٧ - ١٩٧٨/١١/٣٠، ابلغ فحوى هذا الكتاب إلى القسم المستقل في مطار مهر آباد للقيام بالمراقبة والخطوات الضرورية. نضيف إلى ذلك أن المحافظات أدناه ذات حدود دولية بإمكان الشخص المشار إليه [الإمام الخميني قدس سره] أن يدخل البلاد عن طريقها، لهذا فإن إبلاغ المديرية المذكورة أمر ضروري.

المدير العام

للدائرة الثامنة - آصفى.

آذربيجان الشرقية- آذربيجان الغربية - خراسان

سيستان وبلوچستان - بوشهر

وقام الشاه بتعيين جعفر شريف إمامي رئيساً للوزراء بدلاً من جمشيد آموز غار، عسى أن يحل عقدةً من مشاكله. لكنه أخفق في ذلك بل سارت الأوضاع ضد الشاه ولصالح أنصار الإمام الخميني قده.
ووصف ويليام سوليفان - آخر سفير أميركي بإيران - شريف إمامي كما يلي:

«... كان شريف إمامي رجلاً بديناً أصلع الرأس، وقوراً من حيث الظاهر، مغروراً إلى حد ما، لكنني لا أرى فيه أي عمق خلف هذا الظاهر، وهو يفتقد القدرة والاستعداد والفتنة اللازمة لحل مشاكل الشاه في تلك الأيام المتأزمة...».

ويعتقد سوليفان أن ضغوط الحكومة الإيرانية على الحكومة العراقية لإخراج سماحة الإمام قده من العراق في أيام وزارة شريف إمامي، من أكبر أخطائها. فقد ورد في الصفحة ١١٧ من كتابه «مهمة في إيران» بهذا الشأن ما يلي:

«... ارتكب شريف إمامي خطأ آخر أعظم من أخطائه الأخرى مشفوعاً بعدم الواقعية والخطأ في المحاسبة. فلما كان وجود آية الله الخميني في مدينة النجف الدينية بالعراق، شوكة في عين الشاه، فقد تصور إمامي أن إبعاده عن هذه المدينة يكون بمنزلة ضربة عنيفة للمعارضين في الداخل، وقد تهيأت الأمور للقيام بهذا العمل. فالحكومة العراقية لم تكن قلقة من نشاطات آية الله الخميني في غيران فحسب، بل من المشاكل التي تحتمل مواجهتها بسبب نشاطاته بين شيعة العراق أيضاً،

لهذا كانت تتحين الفرصة لتحول دون استمرار نشاط آية الله في العراق. وكان شريف إمامي يرى أن آية الله الخميني على اتصال بالمعارضين في الداخل عن طريق الزوار الإيرانيين الذين يسافرون على النجف ويبعث عن طريقهم أشرطة خطاباته، وإنه سيكون غير قادر على الاستمرار في ذلك الاتصال في حالة إخراجه من العراق. وعندما نفّذت تلك الخطة وتوجه آية الله الخميني إلى باريس، قال شريف إمامي لي وللسمير الانجليزي: بمجرد أن يصل الخميني إلى باريس فإنه سيمحي من الأذهان ..».

لكن وخلافاً لتصور رئيس الماسونيين، فإن هجرة الإمام من النجف إلى باريس ليس لم تمحه من الأذهان فحسب، بل ونظراً لأن كلام الإمام كان يحاكي إرادة ملايين المسلمين الإيرانيين، ويعتبر صرخة مدوية تطالب بالإسلام لأمة محمد ﷺ العظيمة، فقد كانت الثورة الإسلامية تحقق في كل يوم نجاحاً جديداً فيما كانت أميركا والشاه والغرب يتقهقرون إلى الوراء.

وولى شريف إمامي هو الآخر، وأعطى مكانه لجنرال ملكي ذي أربع نجومات - فريق أول ازدهاري - ولم يفلح هذا في تحقيق أي شيء رغم أعمال العنف والمذابح التي قام بها. وآل به الأمر إلى التنحي عن الحكم بعد «سلسلة من الإغماءات التي تقتضيها المصلحة» ثم هرب من البلاد بذريعة العلاج.

وأخذت أميركا التي باتت أضعف من أي وقت مضى تتوسل بما يسمى بوجهاء البلاد، إلا أن أيّاً منهم لم يكن مستعداً للتعامل معها حتى وجدوا شاهبور باختيار - من زعماء الجبهة الوطنية - فقبل رئاسة وزراء

الشاه بصفته طائر الأعاصير! وتسلم مرسوم التعيين من رجل كان - حسب قوله - يتحدث بسوء مدة ثلاثين عاماً.

وتحدث سولفان عن باختيار في الصفحة ١٦٦ من كتابه قائلاً:

«التقيت باختيار لأول مرة في اليوم الثاني من توليه رئاسة الوزراء، ووجدته في ذلك اللقاء واللقاءات الأخرى أشبه برجل فرنسي منه إلى رجل إيراني حيث كان يقلد الفرنسيين في تقاليدهم وحركاتهم وسلوكهم! كان يتكلم الفرنسية فقط من بين اللغات الأجنبية، ويرتدي الملابس الفرنسية، كما كانت طريقة كلامه وحركاته أشبه بنيل فرنسي! ومع أنني فهمت من خلال حديثي مع الشاه أن باختيار لن يلعب أكثر من دور «المحلل» لإيجاد طريق قانوني لخروج الشاه من البلاد، إلا أنني ومن خلال محادثاتي معه أدركت في غاية الدهشة إنه يحمل تصورات أخرى. فكان يتحدث بلهجة حماسية عن برامج حكومته وخططه لاختطاف الثورة من آية الله الخميني! فكان يعتقد أنه يتمكن - بعد خروج الشاه من إيران - أن يمسك بزمام قيادة الشعب الإيراني. لقد تجاهل قوة ونفوذ آية الله الخميني. وقال لي في لقاءتنا، إنه ينوي الذهاب لباريس لمقابلة (آية الله) ويقترح عليه الاكتفاء بحياسة مقام ديني خارج نفوذ الحكومة وأن يدع له القضايا السياسية وشؤون الحكم.

وأصغيت إلى كلام باختيار بهذا الشأن بدهشة، وبعثت تقريراً مفصلاً إلى واشنطن بمجرد عودتي إلى السفارة حول مباحثاتي معه وأفكاره الشخصية، وقلت في ذلك التقرير: إن باختيار من وجهة نظري ليس سوى «دون كيشوت»، ولا يدري إن سيل الثورة سيجرفه مع حكومته بعد عودة آية الله الخميني إلى إيران...».

ومحمد رضا المتغطرس الذي دعا في يوم ما عشرات الملوك والرؤساء من كافة أرجاء العالم إلى موقع (تخت جمشيد) الأثري، وأطلق

على نفسه مقابل مقبرة (باسار غاد و كوروش الأخميني) إنه «ملك الملوك» طلب من شخص مات قبل ٢٥٠٠ عام أن «ينام قرير العين لأنه - أي محمد رضا بهلوي - يقظان»؛ نراه يهرب من البلاد باكياً في ١٦ كانون الثاني عام ١٩٧٩، لكي ينجو من العقاب الذي يستحقه بسبب الظلم الذي ارتكبه مدة ٣٧ عاماً، ولجأ إلى أحضان أميركا، فكان باختيار أتفه من أن يستطيع الوقوف بوجه إعصار الثورة الإسلامية العظيم بعد أن أضحي مجرد حلقة في السلسلة الأميركية المنفرطة.

... وبذلك المسار الرائع لثورة الإمام الخميني عليه السلام التي تألفت في ١٩٧٨/١٠/٥ عند هجرته من النجف إلى باريس وإقامته مدة ١١٧ يوماً فيها، قد وصل إلى ذروته في الساعة التاسعة والدقيقة السابعة والعشرين والثانية الثلاثين من صباح الخميس ١٩٧٩/٢/١ حيث بزغت طلعة الإمام الخميني - كزعيم ناجح لأعظم الثورات الدينية في القرون الأخيرة - وهو يضع قدميه على سلم الطائرة في مطار طهران بعد خمسة عشر عاماً من النفي خارج البلاد.

وحينما قدم الإمام، كان يده مملوءة «بالنور» وأحضانه مفعمة بـ «الحرية» و «الانعتاق»، و لسانه ينطق بـ «الحق» ويدحض «الباطل». وقد تكللت الليالي العشر المباركة التي كانت حافلة بحديث الحب والدم والنار، بفجر التحرر و «يوم الله».

نبارك للأمة الإسلامية الذكرى السنوية الأولى لانتصار حركة الإمام والشعب الطويلة والشاقة والحماسية.

نص الحوار الذي أجرته مجلة «حضور» الفصلية مع

حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني

حول يوم الله (١٣) آبان، احتلال وكر التجسس الأميركي بطهران

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة: ما هي الظروف السياسية والاجتماعية التي دفعت نظام الشاه إلى نفي الإمام؟ ولماذا اختيرت تركيا أولاً ومن ثم العراق مكاناً لنفي الإمام؟

السيد أحمد الخميني: إن الأحداث التي تمخضت عن انتفاضة الشعب بقيادة المراجع وعلماء الدين لا سيما الإمام الخميني (قده)، ولائحة مجالس المحافظات التي طرحت عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ وانتهت بانتصار الشعب وتراجع النظام وتقهقره؛ وكذلك رد الفعل الحازم الذي أبداه سماحة الإمام تجاه إصلاحات الشاه الأمريكية - الثورة البيضاء - التي قادت إلى انتفاضة الخامس عشر من خرداد - الخامس من حزيران ١٩٦٣ - وقضية اعتقال سماحة الإمام وسجنه وفرض الإقامة الجبرية عليه، ثم إطلاق سراحه، وكذلك الحوادث الأخرى التي شهدتها تلك الأيام، كل ذلك جعل أميركا تصل على هذه القناعة وهي أن ليس بمقدورها تحقيق الإصلاحات التي تصبو إليها طالما بقي الإمام ومواقفه واستمر ضعف النظام؛ وما لم تكشف من الحضور المباشر لمستشاريها وجواسيسها والسيطرة على الأوضاع عن كثب، ومن هنا فكرت بإعادة طرح لائحة «الحصانة القضائية» المذلة التي كانت قد جمدت بسبب حوادث أعوام (١٩٦١ - ١٩٦٤). فقامت حكومة (منصور) بطرحها على المجلس النيابي ثانية في أكتوبر عام ١٩٦٤ والمصادقة عليها. وكانت اللائحة تنص على توفير الحصانة القضائية للعسكريين والمستشارين الأميركان، وعدم السماح للقضاء الإيراني بالنظر في جرائم الأميركيين التي يرتكبونها في إيران. وكما هو واضح مثلت اللائحة وصمة عار انتهكت حق إيران في السيادة بصورة صريحة، واعتُبرت عملياً بمثابة التوقيع على وثيقة مصادرة استقلال إيران السياسي والقضائي. وكما هو معلوم، أن شخصية كالإمام الخميني (قده) لا يمكنها أن تكون غير مكترثة تجاه إذلال النظام وخنوعه.

من جهة أخرى كان الشاه يخدع نفسه بأنه بسحقه لانتفاضة الخامس من حزيران واعتقال الإمام وكثير من أتباعه، قد قضى على أرضية أي نوع من التحرك المعارض والانتفاضة؛ لذا عمل على كسب المصادقة على اللائحة؛ وفي هذه الأثناء كان يعد العدة، من خلال الدعاية الإعلامية الواسعة، للاحتفال بالنصر في السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٦٤ - ميلاد الشاه المشؤوم -

وصل خبر المصادقة على لائحة الحصانة القضائية، الذي بثته النشرة الداخلية لمجلس الشورى الوطني، إلى الإمام. فأعلن بأنه سيتحدث في الرابع من آبان عن تبعات خطوة النظام المذلة هذه. وشاع الخبر في مدينة قم وبقية المدن.

سارع النظام بإرسال مبعوث إلى مدينة قم لتهديد الإمام وثنيه عما عزم عليه. غير أن الإمام امتنع عن استقبال مبعوث النظام. فالتقى أخي الشهيد السيد مصطفى وحذره بصراحة من العواقب الوخيمة المترتبة على أي موقف معادٍ للأمير كان .

لم تستطع هذه التهديدات أن تشي الإمام الخميني عن عزمه. وفي اليوم الموعود الذي تزامن مع الذكرى السنوية لمولد الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ومولد الإمام أيضاً؛ قام الإمام في واحد من أكثر خطابه التاريخية حماسة وإثارة، بفضح التدخل الأميركي في إيران وإدانته بشدة. ففي بداية خطابه أعلن صراحة عن موقفه بالنسبة لللائحة الحصانة - الكايتولاسيون - قائلاً: «لم يعد لإيران عيد. حولوا عيدنا إلى مأتم. زينوه ورقصوا فيه بصورة جماعية. لقد باعونا .. باعوا استقلالنا».

وبعد خطابه هذا، أصدر سماحة أيضاً منشوراً بهذه المناسبة. فاندلعت شرارة الثورة ثانية وكادت أن تحدث انتفاضة أخطر من انتفاضة الخامس من حزيران.

لقد أدرك الشاه والمسؤولون الأميركيون جيداً أن الإمام لن يجلس مكتوف الأيدي، وما دام في إيران فلن يكتب لأي من مشاريعهم النجاح. لذا تصوروا أن أفضل الحلول هو نفي الإمام وإبعاده عن ساحة الأحداث في إيران، وفي ليلة الرابع من نوفمبر، هاجمت القوات الخاصة للنظام منزل الإمام واعتقلته واقتادته مباشرة إلى مطار طهران ونقلته بالطائرة إلى منفاه في تركيا.

المجلة: ولماذا وقع الاختيار على تركيا ثم العراق كمحل لنفي الإمام؟

السيد أحمد الخميني: لو كنا حصلنا على الوثائق والمستندات السرية التي سرقها للأسف المنافقون والليبراليون أبان انتصار الثورة من أرشيف البلاط ووزارة الخارجية، لكان بالإمكان معرفة السباب الحقيقة التي قادت إلى اختيار تركيا في ضوء المباحثات التي أجرتها الحكومات المعنية بالقضية. ومهما يكن فإن اختيار تركيا لم يكن مصادفة، وإن كلاً من أميركا والشاه والحكومة التركية كانوا قد تدارسوا الأمر من قبل. فلا يخفى أن تركيا بلد إسلامي محاذ لإيران، إلا أن الحكومة العلمانية¹ المرتمية بأحضان الغرب تماماً وأتباع أتاتورك، الذين يمثلون أحد الوجوه المعادية للإسلام؛ كانوا قد عملوا على عزل هذا البلد عن مجموعة البلدان الإسلامية، وإلحاقه بالمجتمعات الغربية. فالإعلام المعادي للدين - الذي كان في ذروته - والحكومة العسكرية حالاً دون

¹ العلمانية: مذهب أنصار اللا دينية في المؤسسات وسواها.

نضوج الحركة الإسلامية في تركيا، وهو ما جعلها - في رأي أميركا والشاه - من أكثر المناطق مناسبة، حيث سيكون الإمام محاصراً تماماً، ولا تتوفر له أي فرصة للاتصال لا مع الشعب التركي ولا مع إيران. لكن نظام الشاه اضطر إلى تغيير منفى الإمام، نتيجة لأمواج اعتراضات المسلمين لا سيما الشعب الإيراني وعلماء الدين، وسيل البرقيات والرسائل الذي راح يتدفق من كل حذب وصوب على مسؤولي الحكومة التركية، فضلاً عن الضغوط التي كانت تمارس في داخل البلاد ضد النظام؛ كل ذلك دفع النظام إلى تغيير منفى الإمام.

وتشير الوثائق التي ضمنها الملف الذي وضعه السافاك للإمام، إلى أن الحكومة التركية أيضاً كانت تخشى اتساع دائرة الاعتراضات لتشمل الشعب التركي والأحزاب المعارضة، وكانت تطالب الشاه بنقل من تركيا، فكان العراق المنفى الثاني للإمام. وقد وقع اختيارهم لعدة أسباب، أولها أن نظام الشاه وطبقاً آراء المستشارين الأميركيين، كان يحاول أن يصور الأوضاع بأنها هادئة وأنه قد قضى على ركيزة الانتفاضة الداخلية، وإن نقل الإمام إلى العراق كان فرصة للتظاهر بأن الأحداث قد انتهت، موحياً بأن الإمام انتقل إلى النجف لمواصلة دروسه وأبحاثه في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، هذا من جهة. ومن جهة أخرى أن العلاقات الإيرانية العراقية كانت وقتئذٍ بمستوى جيد، وكان ثمة تعاون وتنسيق بين النظامين في مجال تبادل المعلومات الأمنية لإيجاد حلول لمشاكلها الداخلية، وقد ساعد ذلك رجال السافاك السريين والمأمورين الرسميين للسفارة الإيرانية في العراق، على مراقبة نشاط الإمام، بالتعاون مع أزملا الأمن العراقي.

والأهم من هذين العاملين، الأوضاع التي كانت سائدة في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف. الحوزة التي كانت في يوم ما مركزاً لعلماء كبار أمثال المرحوم الميرزا الشيرازي، والعلماء المناضلين الذين هبوا لمحاربة الاستعمار البريطاني ومظاهر الاستبداد. ففي تلك الأيام - عام ١٩٦٥ - حيث فلسطين في قبضة إسرائيل، والبلدان الإسلامية تحت سلطة الزعماء الذين باعوا أنفسهم، ومع كل هذه الظروف لم يصدر من هذه الحوزة أي تحرك أو نهوض، ولم يكن همها غيرا لدرس والبحث بمعزل عن الأحداث التي تشهدها تلك الأيام. كانت الضغوط والحملات توجه إلى الإسلام من كل حذب وصوب، بينما الحوزة تغط في سبات عميق وتعتبر التدخل في السياسة ذنباً لا يغتفر.

كما أن التحجر والجمود الفكري السائد آنذاك، وفر للنظام الإيراني فرصة مناسبة للتشديد من ضغوطه ضد الإمام، وفي الوقت ذاته إبقائه بعيداً عن اعتراض الرأي العام.

يعلم الله، لو لم تكن حكمة الإمام الخميني وفطنته وصبره الذي يبعث على الإعجاب، وجهاد أنصاره الثوريين، الذين أججوا فتيل الثورة وانتقلوا إلى العراق، أو بقوا في إيران وأبدوا مقاومة فريدة في تحمل السياط والسجن والتعذيب للإبقاء على بؤرة النضال ملتهبة دائماً؛ يعلم الله لو لم يكن ذلك لاستطاعت أميركا تحقيق أهدافها، ولأسدل ستار النسيان على نهضة الخامس من حزيران.

المجلة: ما هو دور الدول الاستكبارية لا سيما أميركا، في قضية نفى الإمام؟

السيد أحمد الخميني: كما أشرت، إن نفى الإمام تم بأمر من الحكومة الأميركية، بسبب معارضته الشديدة للائحة الحصانة القضائية الخاصة بالأميركيين في إيران، وكان الشاه يمارس دوره باعتباره المنفذ

للرغبات الأميركية ليس إلا. وإن الاتحاد السوفيتي الذي كان يدعي الدفاع عن نضال الشعوب، لم يصدر عنه أي اعتراض، بل إن التحليلات السياسية التي كانت تبث من راديو موسكو والمقالات التي نشرتها آنذاك الصحيفة الرسمية (البرافدا)، أيدت ودعمت برامج إصلاحات الشاه الأميركية، وأدانت انتفاضة الخامس عشر من خرداد، وقد أعلنوا رسمياً بأن هذه الانتفاضة والأحداث التي نتجت عنها، تحركات رجعية وإقطاعية ضد إصلاحات الشاه التي تدعوا إلى الرقي!

المجلة: باعتقادكم، لماذا رجح نظام الشاه نفي سماحة الإمام بدلاً من اغتياله أو سجنه؟ وإلى أي حد نجح النظام في تحقيق الأهداف التي خطط لها من قبل؟

السيد أحمد الخميني: ذكرت من قبل، إن الشاه وأميركا كانا يدركان جيداً إن الإمام لي من النوع الذي يساوم أو يتراجع. وإن وجوده حراً في إيران يشكل خطراً على كبراً على النظام، لأنه سينتهز أي فرصة لفضح تبعية النظام وعماله.

من جهة أخرى، فجر اعتقال الإمام في ليلة الخامس عشر من خرداد، انتفاضة شعبية عارمة في معظم المدن الإيرانية، وإن مواصلة اعتراضات العلماء وأبناء الشعب، دفعت النظام على استبدال سجن الإمام بالإقامة الجبرية، ثم إطلاق سراحه. إن أي تعرض لحياة الإمام كان بإمكانه أن يسحب البساط من تحت أقدام النظام، وقد برهن أبناء الشعب على ذلك في يوم اعتقال الإمام. لقد كان الإمام مرجعاً دينياً والمتحدث بآلام أبناء الشعب ومعاناتهم، وقائد نهضتهم، ولم يكن بوسع النظام أن يحتفظ بالإمام في السجن فترة طويلة، مثلما لم يكن بمقدوره أن يفعل ذلك من قبل أيضاً. من هنا لم يكن أمامه خيار آخر غير إبعاده عن الساحة الإيرانية.

ومن خلال هذه الخطوة سعى النظام إلى ضرب العلاقة القوية التي تربط أبناء الشعب بالإمام؛ وكان يسعى عبر الإعلام الموجه من جهة، وإيجاد أجواء الكبت القاتلة من جهة أخرى، إلى القضاء على النهضة الإسلامية واستئصال جذورها. إلا أن التقدير الإلهي كان شيئاً آخر.

المجلة: حبذا لو تعطينا فكرة عن الأوضاع التي كانت سائدة في الحوزات العلمية في فترة نفي الإمام؟

السيد أحمد الخميني: للأسف إن إعلام أعداء الإسلام كان قد ترك تأثيره في أوساط الحوزات العلمية، حيث استطاع أن يعمل على انزواء العلماء وإبعادهم عن الساحة السياسية والاجتماعية، فكان تدخل العلماء في الشؤون السياسية يثير شكوكاً حول تدينهم، وانشغلت الحوزات العلمية بفروع المسائل البعيدة عن أحكام الإسلام الاجتماعية. وعجت الأجواء السائدة فيها بالجمود والسطحية والتظاهر بالقداسة، وقد وصل المر إلى درجة تعد فيها دراسة بعض الفروع العلمية كالفلسفة والعرفان الإسلامي، كفراً ومعصية وكانت تعتبر النضال ضد الشاه يتعارض مع مكانة المرجعية وشؤونها!!

من الأنسب أن نستمع إلى وصف تلك الأجواء المؤلمة التي كانت سائدة آنذاك، من لسان الإمام الذي ورد في بيان خاطب به علماء الدين: «لاشك أن علماء الدين المجاهدين عانوا من النفوذ بين أوساطهم أكثر من معاناتهم من أعداء الإسلام. وتتصوروا أن تهمة ونعتهم بعديمي الدين، قد أطلقها الآخرون فقط ضد علماء الدين، بل أن طعنات رجال الدين العملاء الواعين وغير الواعين، كانت أقوى وأشد من إساءات الآخرين. ففي بداية الصراع لو أردت القول أن الشاه خائن، كنت تسمع مباشرة بأن الشاه شيعي. كان هناك عدة من المتظاهرين بالقداسة والرجعيين يعتبرون كل شيء حراماً، ولم يكن من يمتلك القدرة ليقف

في وجوههم. إن ما عاناه أبوكم العجوز من هؤلاء المتحجرين لم يعاناه أبداً من ضغوط الآخرين وأذاهم وشروورهم».

ويقول سماحته في جانب آخر من بيانه: «إن إشاعة فكرة (الشاه ظل الله) أو (لا يمكن مواجهة المدفع والدبابة بأيدي عزلاء) و (أننا غير مكلفين بالجهاد والنضال) أو (من الذي يتحمل مسؤولية الدماء المراقبة) والأشد إيلاماً من ذلك الشعار المضلل الذي يقول (الحكم قبل ظهور الحجة المنتظر - عج - باطل). وغير ذلك من الأقاويل الأخرى، مثلت عقبات مدمرة لم يكن بالإمكان مواجهتها بالنصيحة والنضال السلبي والتبليغ، ولم يكن من خيار غير النضال والتضحية الذي هباً الله تعالى وسيلته».

ويقول سماحته أيضاً: «في الخامس من حزيران ١٩٦٣ لم تقتصر المواجهة على أسلحة الشاه ودباباته فحسب. ولو كانت كذلك لهانت. بل كان أيضاً رصاص الخداع والجمود والتظاهر بالقداسة في الجبهة الداخلية. وكان رصاص السب والشتم والنفاق والازدواجية يفتك بالقلب والروح بشدة وقساوة أكبر من البارود والرصاص. حقاً كان علماء الدين المخلصون يكون دماً في عزلتهم، وهم يرون كيف تسعى أميركا وعميلها الذليل بهلوي إلى اجتثاث جذور الدين والإسلام، وإن عدة من رجال غير الواعين والحمقى المتظاهرين بالقداسة، وعدة أخرى من العملاء الذين اتضح هويتهم بعد انتصار الثورة؛ كانت تعبّد الطريق لهذه الخيانة العظمى».

إن عظمة ثورة الإمام تتجلى في نجاحها في مثل هذه الظروف. لقد نجح الإمام بنهضته في اختراق حاجز الصمت والسكون، وفي تمكين علماء الدين ثانية من أداء دورهم التاريخي في حمل لواء ثورة الشعب

على مر الأجيال، فقد تبدلت الأوضاع لدرجة اضطر فيها حتى أولئك الذين لم يكونوا مستعدين للتخلي عن المرجعية ولو لصالح الإسلام والمسلمين، للنزول إلى ساحة الصراع. فإن طلبة العلوم الدينية الشباب بفطرتهم الخاصة، وعلماء الدين الملتزمين الذين كانوا يكون دماً في عزلتهم وغربتهم بسبب الأجواء التي كانت سائدة في الحوزات؛ وجدوا ضالتهم والتحقوا بنهضة الإمام الربانية.

المجلة: حبذا لو تحدثنا عن دوافع وأهداف احتلال وكر التجسس الأميركي.

السيد أحمد الخميني: امتاز التدخل الأميركي في إيران بسابقته الطويلة. فبعد انحسار نفوذ البريطانيين في الساحة السياسية الدولية؛ احتلت أميركا - كممثلة للعالم الغربي - مكان الدولة الاستعمارية السابقة في معظم نقاط العالم، وقد أشارت الاعترافات والوثائق التي صدرت عن المؤيدين والمعارضين للنظام البهلوي بوضوح، إلى أن انقلاب رضا خان كان قد خطط الانجليز. وخلال أحداث احتلال إيران من قبل الحلفاء^١ قام الانجليز وبالتنسيق الكامل مع الأميركيين، بطرد عميلهم من إيران بصورة ذليلة وأجلسوا مكانه ابنه محمد رضا، وتزامناً مع اتساع صناعة النفط، واكتشاف المزيد من مصادر النفط العظيمة في الشرق الأوسط، كانت مهمة توسيع دائرة النفوذ الأميركي في بلدان العالم الغنية بالنفط في مقدمة أولويات البيت الأبيض.

وبناء على عوامل عديدة تم تقسيم المناطق الحساسة والغنية بالنفط واختيرت لكل منطقة دول وحكومات كحاميات للمصالح الغربية. ومثلت مناطق الشرق الأوسط والخليج الفارسي إحدى أكثر المناطق حساسية.

^١ بالرغم من حياد الحكومة الإيرانية في الحرب العالمية الثانية، احتلت القوات الروسية والبريطانية شمال وجنوب إيران في عام ١٩٦١م بهدف التصدي لألمانيا.

وقد تم زرع إسرائيل وتقويتها في قلب العالم الإسلامي، باعتبارها حليفاً مصرياً للأميركا والغرب. وفي الخليج الفارسي وقع الاختيار على الشاه ليكون شرطي المنطقة، فبادر الشاه لإقامة علاقات وطيدة مع إسرائيل، وإثر ذلك برزت جبهة متحدة في مقابل العرب والمسلمين المهتدين بهجوم إسرائيل والضغط الغربية.

إن حدود إيران الطويلة مع الاتحاد السوفيتي، والسواحل الإيرانية الإستراتيجية المطلّة على الخليج الفارسي والمصادر الغنية بالنفط والغاز والفحم الحجري والنحاس وغيرها في إيران؛ كل ذلك أضحى سبباً في أن تجند أميركا الكثير من خبراتها وطاقاتها لتقوية واستقرار نظام بهلوي العميل، حيث أوكلت المراكز الحساسة في الجيش والقواعد العسكرية المهمة إلى المستشارين الأميركيين، أو بيادقهم، وفي هذه الأثناء لعب زبانية السافاك ممن تدربوا في أميركا وإسرائيل، أدوارهم على أحسن ما يرام كحلقة في سلسلة النشاطات الجاسوسية.

ثم توالى الأحداث. فطرح استفتاء الشاه الأميركي - بحجة المصادقة على مبادئ الثورة البيضاء - في إطار السياسة الأميركية الجديدة. ثم سحقت انتفاضة الخامس من حزيران. وتلت ذلك المصادقة على لائحة الحصانة القضائية من قبل المجلس الاستعراضي للشاه. وبذلك أحكمت أميركا قبضتها على مختلف شؤون إيران دون مشكلة تذكر.

ثم أقدم النظام على إبعاد الإمام ونفيه بسبب معارضته لللائحة الحصانة القضائية المذلة. ومن يومها أصبحت أميركا عملياً المسير لمقدرات البلاد.

إن التدخل والنهب الأميركي في إيران لم يكن مجرد ادعاء. فمن حسن الحظ أن احتلال وكر التجسس¹ قد وفر فرصة لعرض الوثائق والمستندات التي لا تقبل الشك والتي تشير إلى مستوى جرائم أميركا وراء معانات الشعب الإيراني وتخلفه، خصوصاً في العقدين الأخيرين من عمر النظام البهلوي.

لقد أكدت كل من اعترافات قادة نظام الشاه وسفراء بريطانيا وأميركا في إيران، ووثائق وكر التجسس، هذه الحقيقة المرة وهي أن مذبحة السابع عشر من شهر يور، وإعلان الأحكام العرفية، الجرائم التي ارتكبتها أزمات النظام أثناء تصعيد أحداث الثورة ووصولها على ذروتها خلال عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨؛ كل ذلك تم وفق المخطط الأميركي والتنسيق الكامل الذي كان قائماً بين واشنطن وطهران.

وفي المرحلة التي أعقبت انتصار الثورة، لم تكن أية واحدة من المؤامرات والمخططات الجهنمية التي استهدفت النظام الإسلامي الفتى؛ بمعزل عن الدور الأميركي الحاسم، وفي هذا المجال أيضاً توجد الوثائق الكافية. فقد قام مسؤولو البيت الأبيض، رغم معارضة الرأي العام العالمي، بتوفير الأمان للشاه المجرم، ووضعوا الأموال والثروات الوطنية التي سرقها هو وأعوانه تحت تصرفه، وفي ذات الوقت الذي كانت إيران منهمكة بتعبئة أبنائها لأعمار البلاد، كانت السفارة الأميركية في إيران تمارس دورها كمركز للتجسس والتآمر ضد الثورة والنظام، وحاولت إقامة

¹ تصرفت سفارة الولايات المتحدة الأميركية بطهران خلافاً للعرف الدبلوماسي والقوانين الدولية قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية، وخططت للتجسس على نظام الجمهورية الإسلامية الفتى وتوجيه ضربة إليه. فهاجم فريق من الطلبة - الذين كانوا يطلقون على أنفسهم السائرين على نهج الإمام - تلك السفارة واحتلوها، وعثروا فيها على وثائق تؤكد تجسس أميركا على الثورة الإسلامية. ولهذا أطلقوا عليها اسم وكر التجسس بدلاً من السفارة، وبإيحاء من ثقافة الثورة الإسلامية أطلق على يوم احتلال وكر التجسس الأميركي، يوم جهاد الاستكبار العالمي.

علاقات سرية وعلمية مع الليبراليين، وفي هذا المجال كان مخطط الانقلاب وانتقال السلطة بالكامل على الليبراليين وإعادة النفوذ الأميركي من جديد إلى إيران، جاهزاً للتنفيذ. إن كل ذلك وغيره مما لا يتسع المجال لذكره، كان وراء إقدام أبناء الإمام الثوريين (الطلبة) على هذه الحركة الباهرة وتفجير ثورة عظيمة ثانية.

المجلة: كيف استقبل المسؤولون الرسميون والأحزاب السياسية وقتئذ خبر احتلال وكر التجسس الأميركي؟

السيد أحمد الخميني: كان الإمام الخميني قائم مقام بوصفه قائد الثورة، أول من أعلن عن تأييده لخطوة الطلبة الشجاعة، واعتبر حركتهم رد فعل طبيعي لأبناء الشعب على جرائم أميركا التي لا تحصى. وآنذاك أصبح الليبراليون الذين يشغلون المناصب الحكومية الحساسة، وجهاً لوجه أمام حركة الطلبة، وقد اعتبروها تصرفاً خطيراً، لأنه لا يمكن تبريره طبقاً لمعايير المحافظين وتحليلاتهم، لأنهم كانوا يسعون إلى تحسين العلاقات وكسب ثقة الأميركيين. وثمة مباحثات كانت قد أجريت من قبل بعض المسؤولين في الحكومة المؤقتة مع الأميركيين، وقد أثبتت الوثائق التي نشرت فيما بعد عمالة هؤلاء للسي آي آيه. إذ إنهم كانوا يهيئون الأجواء لعودة أميركا ثانية وممارسة نفوذها في السياسة الإيرانية؛ وفجأة جاءت حركة الطلبة لتقضي على أحلامهم.

وفي اليوم التالي لاحتلال وكر التجسس قدم المهندس (بازرجان) استقالته من رئاسة الحكومة المؤقتة، وقد قبل الإمام الاستقالة مباشرة رغم وساطة بعض الأشخاص، وأناط مسؤولية إدارة البلاد بمجلس قيادة الثورة. فما زلت أتذكر كنت حينها في مبنى رئاسة الوزراء في مقر عمل المهندس بازرجان، وكان الدكتور (سحابي) معنا. اتصلوا من قم وطلبوني

على الهاتف. أخبرني السيد (صانعي)^١ بأن الإمام قد قبل استقالة بازرجان. إلا أنني لم أظهر ذلك. كان سحابي وبازرجان يرددان أن الإمام سوف يرفض استقالتنا! وعلينا أن نضع شروطاً لقبول المسؤولية ثانية؛ أحد هذه الشروط إطلاق سراح الأميركيين المحتجزين في وكر التجسس الأمريكي. لم أرد عليهم بشيء، قمت وخرجت، فرأيت الشهيد (جمران)^٢، وذهبنا معاً إلى إحدى الغرف الفارغة في رئاسة الوزراء. . . اتصلت (بقطب زاده)^٣ في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون وأخبرته بالموضوع وطلبت منه أن يذاع نشيد «خميني يا إمام» مباشرة بعد الإعلان عن خبر قبول الإمام استقالة بازرجان، لكي يتنبه أبناء الشعب إلى أن خطراً كبيراً كان يهدد الثورة قد تم إزالته؛ ألا وهو استيلاء الليبراليين على السلطة. فقد

^١ عالم مجاهد وملتزم يتولى اليوم رئاسة مؤسسة الخامس عشر من خرداد.

^٢ بعد انتفاضة الشعب الإيراني المسلم في (١٩٦٣/٦/٥م)، ذهب الشهيد الدكتور مصطفى جمران (ره) مع مجموعة من أصدقائه إلى مصر (في عهد جمال عبد الناصر) لتلقي تدريبات على حرب العصابات. وبعد انتهائه لتلك الدورة التدريبية أخذ على عاتقه تدريب المجاهدين الإيرانيين خارج البلاد. ونظراً للموقع الاجتماعي الذي يتميز به لبنان، فقد وجد في جنوب لبنان منطقة مناسبة لنشاطاته، وتمكن من تأسيس «حركة المحرومين» و «منظمة أمل» بدعم من الإمام موسى الصدر. عاد إلى الوطن بعد انتصار الثورة الإسلامية، فوضع حجر الأساس لمؤسسة حرس الثورة الإسلامية من خلال تدريب أول مجموعة من الحرس. كما انبرى عن طريق تولي منصب مساعد رئيس الوزراء لشؤون الثورة، لحل المشاكل التي كانت تواجه النظام الإسلامي. وعينه قائد الثورة الإسلامية الكبير الإمام الخميني؛ وزيراً للدفاع، وانتخب نائباً عن طهران في انتخابات أول دورة لمجلس الشورى الإسلامي، ثم عينه زعيم الثورة ممثلاً عنه في مجلس الدفاع الأعلى. وقام بتأسيس قيادة حرب العصابات في مدينة الأهواز عند بدء الحرب المفروضة عام ١٩٨٠م. جرح في ميدان الحرب في موضعين من رجله اليسرى، ثم عاد للجبهات بعد شفائه. استشهد في الحادي والعشرين من حزيران عام ١٩٨١ عند إصابته بشظية في جبهة الحرب بمنطقة الدهلاوية.

^٣ صادق قطب زاده أحد الذين رافقوا الإمام الخميني قده من باريس إلى طهران. تولى بعد الثورة الإسلامية ولفترة قصيرة بعض المناصب منها رئاسة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون ووزارة الخارجية. نفذت الثورة فيه حكم الإعدام لما ثبت عليه من الخيانة.

شهدنا آنذاك كيف أن عدة تشبث بكل شيء لإقناع الإمام برفض الاستقالة، وإعادة الحكومة المؤقتة لتمارس نشاطها بتأييد وقوة أكبر، والتحكم بالأوضاع بما يصب في المسار الذي خططوا له منذ فترة طويلة. بيد أن الإمام كان أكثر فطنة وذكاءً من أن تخدعه هذه الممارسات.

إن فئات من أمثال بني صدر وأتباعه، كانت تتطلع إلى مواقع في الحكومة القادمة، لذا أعلنت بحذر شديد عن دعمها الظاهري لحركة الطلبة على أمل أن تحل القضية في المستقبل القريب، وبذلك تحاول أن تظهر للغرب بأن مسؤوليات مهمة في مستقبل النظام تنتظرها. ولا يخفى أن هؤلاء ومنذ البداية مارسوا ضغوطاً كبيرة على الطلبة لحل القضية وإطلاق سراح الجواسيس. أما أنصار الثورة والإمام فلم يتفقوا على رأي واحد. إذ إن البعض لم يكن قادراً على هضم فكرة مواجهة أميركا واعتقال الجواسيس الأميركيين وتحمل تبعات هذا الأمر. وقد تجلّى ذلك في مواقف التأييد التي أعلنوا عنها في الأيام الأولى لاحتلال وكر التجسس. حتى الأحزاب الإسلامية والشخصيات البارزة كانت قد أعلنت عن مواقفها بحيلة وحذر شديدين، ولكنهم لما رأوا دعم الإمام وتأييده المتواصل والشامل، وتأييد فئات الشعب كافة لحركة الطلبة؛ راحوا يدافعون عنها اقتداءً بموقف الإمام، وثمة الكثير الذي يمكن ذكره في هذا المجال، إلا أننا نوكل ذلك على فرصة أخرى، ولكن أود التأكيد إنه إن لم يكن الموقف الصريح والجريء لسماحة الإمام، لربما أدينت حركة الطلبة وقاد ذلك إلى اعتقال عناصرها وتقديم الاعتذار إلى أميركا. بيد أن تأييد الإمام كان قوياً كما عرفنا.

المجلة: باعتقادكم لماذا أطلق سماحة الإمام عليه السلام على احتلال وكر

التجسس الأميركي (الثورة الثانية)؟

السيد أحمد الخميني: لقد أشرت في حديثي إلى بعض العوامل التي قادت إلى هذه الحركة الثورية العظيمة. فبعد أن فشلت كل المخططات الأميركية للإبقاء على النظام الملكي ومنيت بالهزيمة في الحادي عشر من شباط عام ١٩٧٩؛ كانت أميركا تتابع - بالاستفادة من تجاربها العديدة في مواجهة الثورات في البلدان الأخرى - تنفيذ مخططين في آن واحد في إيران؛ تمثل الأول في محاولة إسقاط النظام الثوري عن طريق تفجير الصراعات الداخلية والقومية، واغتيال الشخصيات البارزة، وتدمير الانقلاب العسكري... الخ. غير أن الأميركان لم يكونوا متفائلين كثيراً بجدوى هذه المحاولات في ظرف تقف الجماهير في صفوف مرصوصة دفاعاً عن الثورة والنظام، ويتولى قيادة الثورة إمام في غاية الوعي واليقظة. وهذا ما دفعهم لتجنيد كل طاقاتهم وإمكاناتهم في إنجاح المخطط الثاني، والذي تمثل في دعم وتقوية الجناح المعتدل والمناصر للغرب في السلطة، والنفوذ إلى المراكز الحكومية والاستيلاء على السلطة تدريجياً عن طريق العناصر المبهورة بالغرب، واعتبار ذلك مرحلة انتقالية لعودة النفوذ الأميركي ثانية إلى إيران.

كانت السفارة الأميركية في إيران تمثل مركز قيادة ومتابعة تنفيذ المخططات الأميركية، باعتبارها أحد أهم مراكز التجسس خارج أميركا. وكانت رؤوس خيوط تحركات الفئات المعادية للثورة، بدءاً من الفئات اليسارية وانتهاء باليمين والمسكونين بالسلطة، تنتهي بوكر التجسس الأميركي. كما إن الاتصال بالعناصر المتنفة والوجوه المعتدلة كان يتم توجيهه عبر هذا المركز، الذي كان يقوم كذلك بتنظيم المعلومات والتحليلات التي تحتاجها أميركا لتمارس في ضوءها الضغوط السياسية والاقتصادية ضد إيران على الساحة الدولية. وبكلمة واحدة إن إغلاق مركز الفساد والتجسس هذا والكشف عن وثائق ومستندات المخططات

الأميركية في إيران والمنطقة، مثل الضمان لتثبيت الثورة وهزيمة أميركا ثانية على يد أبناء الثورة الإسلامية.

المجلة: كيف ترون معطيات الثورة الثانية على صعيد الداخل والخارج؟

السيد أحمد الخميني: لقد طال الحديث وسأحاول أن أشير باختصار إلى بعض معطيات حركة الطلبة الثورية. أعتقد أن أهم إنجاز حققته حركة الطلبة على صعيد الداخل والخارج، تمثل في تحطيم الغرور الأميركي. فمنذ الحرب الفيتنامية لم تلحق بأميركا هزيمة كالتى لحق بها على يد أبناء الإمام في هذه الخطوة الثورية. وهنا تعتبر اعترافات المسؤولين الأميركيين أفضل شاهد على هذا المدعى. وإضافة على ذلك فقد فضحت حركة الطلبة أهداف الليبراليين ونواياهم، فلو كانت الثورة سلّمت لهؤلاء لمسخت، فجاءت حركة الطلبة لتنقذ البلاد وتحول دون عودة أميركا ثانية إلى إيران؛ وبذلك استطاعت أن تعزز مواقع الجناح الثوري والقوى السائرة على نهج الإمام. فمنذ انتصار الثاني والعشرين من بهمن (١١ شباط) لم تتجلّ الوحدة الوطنية بهذه الصورة الفريدة، حيث هبت الجماهير عن بكرة أبيها لدعم وتأييد هذه الخطوة، وقد أعادت الحركة الحماس والاندفاع الثوري إلى صفوف أبناء الشعب؛ واستطاعت أن تكشف وتفضح المخططات الأميركية في غيران والعالم، وبالتالي تغلق أحد أكثر المواقع خطورة للتآمر ضد النظام والثورة. لقد تركت الحركة انطباعاً لدى المسلمين المناضلين في البلدان الأخرى وكذلك لدى حركات التحرر، بأنه من الممكن مواجهة أميركا وتهديد مصالحها غير المشروعة في العالم عبر التحركات المبتكرة التي تحظى بتأييد ودعم الجماهير. فإثر هذه الحركة اتضح للعالم أن إيران تدافع بشجاعة وثبات

عن مبادئ ثورتها وأهدافها، وتحمل لواء مكافحة الاستعمار بحق، كذلك أوضحت الحركة للعالم حزم وجدية الإمام في نضاله ضد الشرق والغرب أكثر من أي وقت آخر.

المجلة: يعتقد بعضهم إن احتلال وكر التجسس صعد من العداء الأميركي والتكتل الغربي ضد إيران، وصار سبباً في احتجاز الأموال الإيرانية وممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية ضد النظام الإسلامي. وبالتالي كانت سلبات هذه الحركة أكثر من إيجابياتها. فما هو رأيكم؟

السيد أحمد الخميني: من الطبيعي أن يقود احتلال وكر التجسس الأميركي في إيران والكشف عن الوثائق السرية لتدخلات أميركا في نقاط العالم المختلفة، إلى ردود فعل أميركية عنيفة، حتى إنهم بدؤوا يفكرون بهجوم عسكري واسع يشمل قصف المنشآت والمراكز الحيوية بدافع إضعاف النظام وإسقاطه. ومن الطبيعي أيضاً أن توجد الضغوط الأميركية مشكلات للنظام الإسلامي. فمن يخوض النضال لا يتوقع الراحة والدعة. لقد قطعنا يد أميركا في إيران، واستسلم جواسيسها أمام عظمة أبناء الشعب الإيراني. وقد أخرج الكشف عن حقائق التدخل الأميركي أميركا وأدائها، وإن احتلال وكر التجسس الأميركي قد بدد كل الجهود التي بذلتها أميركا على مدى تسعة أشهر من انتصار الثورة للقضاء عليها. وفي هذه الحركة تم عزل البراليين الذين كانوا محل ثقة الغرب، عن السلطة. لقد فضح احتلال وكر التجسس أساليبهم في النفوذ على الاستيلاء على السلطة، ومع كل هذا فمن الطبيعي أن لا تألوا أميركا جهداً في الإساءة إلى إيران. غير أننا بهذه الحركة لفتنا أنظار العالم إلى استقلالنا الحقيقي، الهدف الذي تضحي من أجله الشعوب بملايين الشهداء. لقد أنقذت هذه الحركة العظيمة الثورة من خطر السقوط والزوال بسبب مكائد المساومين والأعياب المحافظين.. لقد جسد

احتلال وكر التجسس نهج الإسلام الأصيل في العالم، وإن مثل هذا الانجاز الكبير كان يتطلب ثمناً باهظاً، وإننا لم نقدم غير النزر اليسير.

كلمة ألقاها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني
في مراسم افتتاح ندوة دراسة الآراء الدفاعية لسماحة الإمام الخميني قدس سره

بتاريخ ١٣٧٢/٦/٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الآراء الدفاعية لسماحة الإمام الخميني لا تعرف الحدود، وإن ما نظر له باهتمام بالغ هو الدفاع عن مصالح الإسلام العالمية. فمع أن الإمام كان يذوب حباً بالوطن الإسلامي، ويبيدي حساسية كبيرة تجاهه، وقد أكد مراراً أنه لن يسمح باقتطاع ولو شبر واحد من تراب الوطن الإسلامي؛ إلا أن عظمة الإسلام واقتداره العالمي كان بالنسبة له أصلاً ثابتاً.

إن الإسلام والأهداف الإلهية تشكل محور آراء سماحة الإمام الدفاعية. فمنذ بداية النهضة الإسلامية كان يفكر بالدفاع عن القيم الإسلامية، ويؤكد على تطبيق أحكام الله تعالى في كل نقطة من العالم. كان قدس سره يردد دائماً: «لو أن مسلماً في أفريقيا أو أميركا طلب العون منا، فإن واجبنا الإسلامي يحتم علينا أن نهب لتقديم يد العون له مهما كانت النتائج. لا يهمنا البلد، المهم بالنسبة لنا هو الإسلام». ولا شك أن هذا مثل يوضح مدى شمولية آراء الإمام الدفاعية.

إن محور صراع الإمام قدس سره مع القوميين يكمن في إن هؤلاء يعتبرون المصالح القومية هي الهدف، وما عدا ذلك قضايا ثانوية. لكن سماحة الإمام يعتبر المصالح القومية تكتسب أهميتها في ظل المصالح الإسلامية. وقد رأينا كيف أن المسلمين والمصالح في كل من البوسنة وفلسطين ولبنان كانت عرضة لهجوم الأعداء، وكان موقفنا في الدفاع عن

المسلمين المظلومين نابعاً من مبادئنا ومعتقداتنا الإسلامية .. إننا نتطلع إلى تحرير مستضعفي العالم ومحروميهِ، وإن تحقيق مثل هذا الهدف يتطلب مواصلة الجهاد الإسلامي والنضال التحرري حتى يتعبد طريق الحرية والعزة وعظمة المسلمين؛ ولن يتحقق ذلك إلا من خلال تشكيل خلايا المقاومة التي تعتبر من الأهداف الدفاعية لسماحة الإمام.

كان الإمام قده يؤمن بالمبادئ القومية في إطار أحكام الإسلام السامية، ولذا كان يبدئ حساسية كبيرة تجاه أهداف ومقدرات الوطن الإسلامي. ومما يذكر في هذا المجال أهداف ومقدرات الوطن الإسلامي. ومما يذكر في هذا المجال أن الإمام كان لا يتسامح أن الإمام كان لا يتسامح حتى في تسمية «أروند رود»^١ بـ «شط العرب» وكان قد أوصى بعد استخدام هذه التسمية. وفي ضوء الأيدلوجية الإسلامية كان سماحته يؤمن بقوة بضرورة الحفاظ على كامل تراب الجمهورية الإسلامية وعزتها واقتدارها.

إن قضية الدفاع لا تنحصر في المقاييس والمعايير القومية، أو في الأساليب والخطط العسكرية البحتة. فكما أن الثقافة الوافدة لا تعبأ بالحدود والمعايير القومية فإن الواجب الإسلامي يحتم على المسلمين كافة الدفاع السياسي والعسكري والثقافي بل الاقتصادي أيضاً، إذا ما تعرضت الثقافة الإسلامية لهجوم ما. وإن ما ينبغي لأفراد حزب الله والقوات المخلصة من أفراد التعبئة والحرس والجيش، التحصن به

^١ يبلغ طول هذا النهر ١٨٠ كم ويبدأ من التقاء نهري دجلة والفرات في العراق، ويصب في الخليج الفارسي. ويمر عبر الأراضي الإيرانية بمحاذاة مدينة خرمشهر ثم يصب في البحر غربي جزيرة عبادان. ويشكل نصف هذا النهر الحدود الإيرانية العراقية. يبلغ عرضه ٢٠٠ - ١٠٠٠ متر وعمقه ٩ - ١٥ م. ويعد أغرز الأنهار التي تصب في الخليج الفارسي.

واتخاذهُ خندقاً دفاعياً لهم في مواجهة الهجوم الاستكباري، هو الثقافة الإسلامية الأصيلة.

يجب أن لا ننسى الذين استجابوا لنداء ثورتنا واستشهدوا في سبيلها في كل مكان. فلو كان كانت آراء الإمام عليه السلام الدفاعية منحصرة بإيران الإسلامية، لما شهدنا تضحيات شخصيات عظيمة أمثال آية الله السيد الصدر^١ في العراق، والإمام موسى الصدر^٢ في لبنان، والسيد عارف الحسيني^٣ في باكستان، وعشرات المضحين الآخرين من نوابغ المسلمين في سائر البلاد الإسلامية. إن الدفاع آراء الإمام عليه السلام وأفكاره، يعد في الحقيقة دفاع عن الأيديولوجية الإسلامية، وإن أمثال هذه الشخصيات الغالية قد وعت آراء الإمام ونداءاته جيداً وسعت لتجسيدها عملياً.

^١ آية الله محمد باقر الصدر، عالم عراقي بارز نال درجة الشهادة الرفيعة مع شقيقته بنت الهدى على يد نظام صدام المجرم وذلك في الثامن من نيسان عام ١٩٨٠.

^٢ الإمام موسى الصدر، عالم ومجاهد إيراني تزعم حركة الشيعة في لبنان، وأوجد الدكتور جمران - بمساعدته - حركة المحرومين وجناحها العسكري «أمل» على أساس العقيدة الإسلامية. فقد هذا الإمام أثناء سفره إلى ليبيا ولم يعثر على أثر له حتى الساعة.

^٣ عالم جليل كان زعيماً للشيعة في باكستان. استشهد على يد الوهابيين المتعصبين في ١٩٨٨/٨/٤م.

كلمة ألقاها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني

في مراسم افتتاح الندوة الثانية لدراسة الآراء الدفاعية لسماحة الإمام الخميني قدس سره

بتاريخ ١٣٧٣/٦/٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وأمين وحيه، وعلى آله
الطاهرين المعصومين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ
حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾^١.

يمثل تدوين إستراتيجية طويلة الأمد للنظام والثورة الإسلامية خطوة
حيوية توضح معالم مسيرة الثورة وتضمن لها الاستمرارية، وتحدد نهج
السياسة المرحلية على المدى القريب، وتعمل على تركيز نشاط العناصر
المؤمنة بالثورة الإسلامية لتصب في صالح مبادئ الثورة وأهدافها، وأخيراً
توفر إمكانية تقييم نقاط القوة والضعف للبرنامج والخطط لكل مرحلة.
وفي هذا المجال يحظى بالأولوية موضوع تحديد التوجهات والسياسة
الدفاعية للنظام بشكل واضح ومحدد، لأنه من غير تحديد أطر النظام
الدفاعية لا يتيسر تحقيق الأهداف السياسية والثقافية والاقتصادية
والاجتماعية، وأظن أنه من الخطأ تقييم إستراتيجية الدفاع والنظام

^١ سورة التوبة، الآية ١١١.

الدفاعي بمعناه العام، من خلال المجالات الأخرى المطروحة في الحياة الاجتماعية. إذ إن النظام الدفاعي لأي مجتمع يمثل بالحقيقة أرضية تحقيق الأهداف والتطلعات في المجالات الأخرى وضمانها.

إن العمل الذي أنتم بصدد إعداد مقدماته، عمل ثيم جداً ومؤثراً ويستحق التقدير، خصوصاً ونحن نعيش متطلباته التنمية الاقتصادية والاجتماعية ونمر بمرحلة صعبة. فإذا ما تم في مثل هذه الظروف تجاهل نوع النظام الدفاعي الذي ينبغي له توفير الأمن والاستقرار اللازمين لمرحلة التنمية، فستتضرر الجهود المطلوبة لمرحلة التنمية بالدرجة نفسها، ونكون قد وضعنا نظامنا القيمي في مهب الريح.

إن الشعار الذي اختير لهذه الندوة والموضوعات التي تقرر بحثها ودراستها، يحكي بحد ذاته عن إنكم أيها الأعزة - بصفتكم طلائع جبهة الجهاد والدفاع المقدس - تدركون أهمية الموضوع تماماً، ووعيتهم نداء الشعب وقيادة الثورة بنحو سليم، من إن ضمان مواصلة المسيرة وسلامتها مرهون بالمعرفة الدقيقة والشاملة لأفكار ومواقف سماحة الإمام عليه السلام، وتداولين وتجسدين المبادئ والأهداف والأساليب والتوجيهات التي طرحها.

وبطبيعة الحال في مثل هذه الندوات، سيتحدث الخبراء والمتخصصون عن الأبعاد المختلفة والجوانب المتعددة لأقوال وأفعال ومواقف سماحة الإمام في القضايا الدفاعية، وسأحاول في هذه الفرصة المتاحة الإشارة إلى جوانب من أفكار الإمام الدفاعية، أرى الالتفات إليها أمراً ضرورياً واعتبارها بمثابة خلفية مسبقة ضرورية للتعرف على صورة واضحة للنظام الدفاعي الذي كان يؤمن به سماحة الإمام.

في البدء أود تأكيد ما سبق وأن أشرت له في معظم الندوات المشابهة، وهو أن معرفة أفكار الإمام الدفاعية من غير الالتفات إلى النظام العقيدي والانسجام الفكري والتلازم القائم في حياة الإمام بين الأقوال والأفعال والمواقف لا شك ستكون معرفة ناقصة وغير مجدية.

كان سماحة الإمام مدافعاً صلباً عن الإسلام الأصيل ومبلغاً له، لأنه كان يؤمن تمام الإيمان بأنه أكمل الأديان، ونظام لهداية الإنسان والمجتمع الإنساني، من قبل أن يولد الإنسان وحتى ما بعد الممات.

إن الباطل مسكون دائماً بالنفاق والتعددية والتشتت. أما الحق والدين الحق فهو ذو هوية واحدة غير قابلة للتجزئة. ويمتاز نظام الإسلام العقيدي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي والدفاعي، بشموليته لمختلف أبعاد الحياة الإنسانية، ويمثل في الحقيقة وجوداً واحداً ذا كيانات متصلة ببعض. ففي أبعاد الحياة الفردية يعمل على صياغة شخصيات موحدة تؤمن بالله الواحد الأحد. وفي أبعاد الحياة الاجتماعية يعمل على تشكيل الأمة الواحدة الموحدة، ومن هنا فإن النظام الدفاعي الذي حدد معالمه سماحة الإمام لضمان أمن وانتصار وتقدم الثورة والنظام الإسلامي، لا يتيسر التعرف عليه بعيداً عن النظام العقيدي والتربوي والأخلاقي إلى غير ذلك من منظومة الدين الإسلامي.

ومما لا شك فيه أن مفاهيم من قبيل تعارض المصالح وما يتبعها من حرب ودفاع، كانت قد ظهرت إلى الوجود منذ أن وطأت قدما الإنسان ميدان الحياة الاجتماعية حتى في أبسط صورها. ولعل قصة هابيل وقايل¹ تتضمن إشارات ذات مغزى في هذا المجال.

¹ هابيل وقايل هما ابنا سيدنا آدم عليه السلام. قتل قابيل أخاه هابيل حسداً له، لأن الله تعالى لم يتقبل قربانه وتقبل قربان أخيه.

ومنذ ذلك الزمن وحتى عصرنا الحاضر تواصل النزاع والصراع والهجوم والدفاع بمختلف صورته وأنواعه، رغم كل جهود الأنبياء والمصلحين التي تواصلت على مر التاريخ. وأنا هنا لا أبغي دراسة أبعاد هذه التجربة المؤلمة في تاريخ حياة الإنسان وتبعاتها؛ لا سيما وإن كل مذهب من المذاهب الفكرية المختلفة قد تناولتها انطلاقاً من أسسه الاعتقادية وتوجهاته الفكرية. وقد شهد العصر الحديث أيضاً زخماً كبيراً لهذا النوع من البحوث خاصة بعد الحربين الكونيتين المدمرتين.

لقد آمن بعضهم أن روحية التنازع تمثل غريزة ذاتية في الإنسان لا تتغير. واعتبرها البعض الآخر انعكاساً للأسس العمياء للجبر التاريخي. وبهذا الصدد بذل المتسلطون غاية جهدهم غاية جهدهم لتسخير كل الأفكار لصالح توسيع دائرة سيطرتهم ونفوذهم.

إن الغرب المادي الذي تجاهل الحقائق المعنوية والدينية، ووليد غير الشرعي الماركسية، لعباً دوراً نفاقياً في وجهين متناقضين تماماً. فقد حاولوا، مستفيدين من الفراغ الروحي الناتج عن الحرب وتوجه الناس الفطري للبحث عن الأمن والسلام، أن يرفعوا شعارات قبيل السلام العالمي والثبات الإقليمي والدولي، والحد من الأزمات، وتدمير ترسانات الأسلحة وأسلحة الدمار الشامل، ونزع السلاح، وأخيراً النظام العالمي الجديد والقرية العالمية، وقاموا بتأسيس منظمات من قبيل منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمة العالمية لحقوق الإنسان وعشرات المنظمات والاتحادات من هذا النوع؛ وفي الوقت ذاته حاول المؤججون الأصليون لشرارة الحروب النفوذ حتى إلى داخل أراضي الدول الأخرى، ولسنا بحاجة إلى دليل لإثبات الازدواجية وهذا التناقض في الأقوال والأفعال. فأي حرب لم يشتعل فتيلها باسم السلام؟ إن أدعاء حقوق

الإنسان والسلام العالمي يحشدون جيوشهم على بعد آلاف الكيلو مترات من حدودهم. وباسم الديمقراطية يعملون على إقامة الحكومات العسكرية في البلدان الأخرى ويطلبون نتائج الانتخابات ويرتكبون أبشع المذابح.

فإذا ما تهددت مصالحهم غير المشروعة - نظير ما شهدناه في حرب النفط - استنفروا كل قواهم وحاولوا إعادة الاستقرار الذي يضمن لهم استمرار تدفق النفط، وإن كلف ذلك تدمير كيان وثروات أمة كاملة. أما إذا كانت مصالحهم مرهونة بتفجير الأوضاع وخلق الأزمات، فإنهم لا يكفون عن مواصلة إراقة الدماء باسم السلام والعدالة. إن الأحداث المؤلمة التي شهدتها فلسطين والبوسنة نماذج حية على هذه الازدواجية المخزية، وإن النظام الدولي الظالم القائم لا يتلخص في الصراعات والنزاعات العسكرية فحسب.

إن العالم الغربي، وعبر رفعه شعار الدفاع عن الحرية والديمقراطية، يحاول أن يصور للعالم أكثر التصرفات الجنسية الحيوانية وقاحة، بأنها قانونية وتستحق الدفاع عنها. وفي الوقت ذاته يحاول علناً ورسمياً منع بعض مواطنيه من ممارسة أحد أهم حقوقهم الإنسانية المتمثل في اختيار الملابس الذي يرتأونه، ويصدر قانوناً يقضي بإخراج الطالبات المحجبات من مقاعد الدراسة. فهو يعتبر الليبرالية المطلقة العنان وتخدير المجتمع وتفسخه، ضرورة لاستمرار سلطته وتحقيق منافع الأقوياء. وإن الصحة والعودة إلى الذات والهوية خطر ينبغي سحقه والتخلص منه. ومما يؤسف له إن هذه الوقائع المؤلمة وتلك الأزمات والمذابح والحملات الظالمة لم يوضع حد لها، بل أخذت تزداد يوماً بعد آخر.

إن الذين يتطلعون إلى تطوير سبل الاتصال وزيادة الوعي العام، على أمل أن يأتي اليوم الذي ينعم فيه العالم بالسلام والثبات، مخطئون جداً.

فالحقائق المتوافرة وتجربة التاريخ البشري لا تدع مجالاً للشك في عجز
تمركز المعلومات والتقدم التكنولوجي وتكامل وسائل الاتصال عن أن
تضع حداً للحروب والنزاعات الإقليمية وصراع التسلط والهيمنة. بل على
العكس كلما كانت هذه الوسائل في متناول القوى الفاسدة، اتسعت دائرة
الآزمات وتبعاً لذلك ازدادت معاناة الشعوب.

إننا نحيا في عالم يقوم رئيس دولة تبدو في الظاهر أكثر دول العالم
سلطة وجبروتاً، وقد ملأت العالم ضجيجاً بشعاراتها بمناصرة حقوق
الإنسان والدعوة إلى الديمقراطية؛ بإعلان رسمي وقح من إن أميركا لن
تتوانى عن استخدام القوة في أية نقطة من العالم للحفاظ على مصالحها.

إن هذه الدولة نفسها كانت تدعم بصورة مباشرة ورسمية وعلى مدى
خمس وعشرين عاماً، واحدة من أكثر الحكومات استبداداً وديكتاتورية.
ولما انتفض الشعب الإيراني المظلوم للدفاع عن حقوقه، أخذت تنعته
بالإرهاب، وراحت تهاجمه بأكثر الأساليب ظلماً وعدوانية. إننا نحيا في
عالم أغمض عينيه عن هذه الحقائق المؤلمة، وراح يتهم قيادة النظام
الإسلامي وحكومته وشعبه بالتطرف.

إنني عندما كنت أتصفح توجيهات سماحة الإمام وإرشاداته فيما
يتعلق بالجهاد والدفاع المقدس، رأيت تنبؤات وتحذير أطلقها الإمام بات
خطرها اليوم محسوساً أكثر من أي وقت مضى. فقد أخذنا نشهد مؤخراً
موجة من عقد المؤتمرات وإصدار المؤلفات وكتابة المقالات وإلقاء
الخطب وإجراء الحوارات على المستوى العالمي، تبدو في الظاهر دفاعاً
عن الإسلام وحرصاً عليه، إلا أننا إذا ما تمعنا فيها نراها تنشد مجتمعة
هدفاً واحداً ألا وهو تحريف الإسلام والعودة به إلى غربته إنه الإسلام
الأميركي الذي حذر منه سماحة الإمام مراراً. فالإسلام الذي يتجاهل قوله

تعالى: ﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾^١، وهو الإسلام الأميركي.. فالإسلام الذي يهمل آيات الجهاد ويدعوا المجتمعات الإسلامية إلى الخضوع أمام الهجوم المتواصل الثقافي والاقتصادي والعسكري لعبدة المادة وأعداء الله؛ ليس سوى الإسلام الأميركي.

من وجهة نظر سماحة الإمام، المستقاة من التعاليم الإلهية، يعتبر الدفاع رد فعل مشروعاً يبادر له الإنسان للإبقاء على حياته المادية والمعنوية، وللذود عن كرامته وشرفه الإنساني، وهو فوق كل ذلك تكليف وواجب ديني. فالشخص أو المجتمع الذي لا يهب للدفاع عن حقوقه الحققة أمام الأخطار التي تهددها، مع قدرته على الدفاع ومواجهة العدو؛ مصيره الفناء والزوال، فضلاً عن أنه سيكون مسؤولاً أمام الله تعالى عن موقفه هذا وسيحاسب عليه. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^٢.

إن الدفاع باعتباره واجباً شرعياً، أوسع نطاقاً من العمل المسلح. كما أن الجهاد المقدس، الذي عبر عنه ببذل المال والنفس في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمة التوحيد، هو من صور الدفاع المشروع. ويبدو حتى الجهاد الأولي نوعاً من أنواع الدفاع بمعناه العام، يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾^٣. ولا يخفى أن هدف الإمام هو الدفاع عن أموال وأرواح وحرمة الأفراد والمجتمعات الإسلامية، وهو بحكم القرآن والسنة والعقل واجب إلهي غير قابل للانتفاء. وكما ذكرت فإن نطاقه يشمل أبعاد الحياة الإنسانية كافة، وإن كل من يحاول - عن وعي أو جهل، وبأي ذريعة كانت - أن يزرع روح

^١ سورة الفتح، الآية: ٢٩.

^٢ سورة الحج، الآية: ٣٩.

^٣ سورة التوبة، الآية: ٣٦.

اللامبالاة في المجتمعات الإسلامية تجاه هذا الواجب المؤكد؛ فإنه يمارس عمل الطابور الخامس.

إن انتصار الثورة الإسلامية ومواصلة مسيرتها، مرهون بعوامل مصيرية ثلاثة: إيمان الجماهير بالله تعالى، والقيادة الصالحة والحازمة، وجهاد الجماهير وتضحياتها واندفاعها للشهادة. ولاشك في أن مستقبل الثورة والنظام الإسلامي مرتبط أيضاً بهذه العناصر الثلاثة. فالاستعداد الدفاعي الشامل يعد شرطاً ضرورياً لتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي، وإنه لمن السذاجة أن يتصور المرء في عصرنا الحاضر أن الطامعين الفاسدين الذين يستحوذون على وسائل القوة والسلطة، يدعون الشعوب تعمل على اجتثاث مصالحهم غير المشروعة من بلدانها. ففي كل خطوة تخطوها هذه الشعوب على طريق الاستقلال واستعادة هويتها الإسلامية، لابد لها من أن تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة حملات العدو.

ولاشك في أن هجوم لا ينحسر في الحرب العسكرية. بل إن كل كلاً من الضغوط الاقتصادية والخطر التكنولوجي، والأخطر من كل ذلك الهجوم الثقافي ضد القيم والمبادئ التي صانت مجتمعنا حتى الآن؛ وسائل وأساليب ومجالات لن يغفل عنها أعداء الإسلام لحظة واحدة.

إنكم - أبناء الإمام الروحيين - تدركون اليوم أكثر من أي وقت مضى أهمية إصرار سماحة الإمام المتزايد على ضرورة تشكيل جيش العشرين مليون¹ في إيران الإسلامية، وتعبئة الإسلام العالمية. فأمر كما اليوم تمارس دورها كواحد من أشد أعداء الثورة الإسلامية حقداً - مع دعم وتأييد بعض الدول الأوروبية - في تصعيد ضغوطها السياسية والإعلامية، لفرض أنماط ثقافتها وسياستها المصدرة إلى المجتمعات الإسلامية والحيلولة

¹ «تعبئة المستضعفين» التي دعا الإمام إلى تشكيلها.

دون تحقيق أهدافها، ومن هنا فأنا أتصور إن الإبقاء على التأهب والاستعداد والحيطة ووعي المجتمع لأنواع الأساليب الهجومية الحديثة للعدو، تعد في الظرف حاجة ملحة أكثر من السابق بما في ذلك فترة الحرب المفروضة. وإن هذه المسؤولية الخطيرة والمقدسة التي تبعث على الفخر، تقع على عاتق طلائع الجهاد والشهادة وأفراد التعبئة الأعزاء. وكما ذكرت في بداية حديثي إن الاستفادة الكاملة من الإمكانيات والقدرات المتوافرة منوطة بتدوين نظام توجيهات وأفعال ومواقف قائد الثورة ومؤسس الجمهورية الإسلامية.

إن سماحة الإمام فضلاً عن أنه دُون وأوضح آرائه ونظرياته في مجال الأحكام وقضايا الدفاع الإسلامي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ من موقعه كمرجع فقيه وفيلسوف عارف بالإسلام؛ فإنه جسد عملياً أيضاً على مدى سنوات طوال من دور قائد النضال الإسلامي، وحقق انتصاراً على واحدة من أعتى الحكومات العميلة للعالم الغربي. وبعد انتصار الثورة مارس دوره أيضاً في قيادة الثورة الإسلامية ونظامها الفذ، بصفته القائد العام للقوات الدفاع المقدس للشعب الإيراني طوال ثماني سنوات، في مواجهة تكتل غير قليل من الدول، وإضافة إلى ذلك قاد مسيرات الثورة في العديد من الجبهات في مواجهة أعدائها في الداخل والخارج. ثم واصل نهجه في ضوء أكثر الأسس والأصول متانة، التي بإمكانها أن تحدد المعالم المهمة للنظام الدفاعي. وها هو قائد الثورة الكبير يواصل خطى القائد الراحل بالعزم والصلابة نفسها.

إن هذه الفرصة المتاحة للحديث عن نماذج من توجيهات سماحة الإمام بخصوص المبادئ والسياسة الدفاعية التي كان يؤمن بها سماحته؛ لذا سأكتفي بالإشارة إلى نصوص تمثل أبرز مواقف الإمام بهذا الشأن

وتبلور المحاور المهمة لأفكاره الدفاعية. وإن هذه النصوص بدرجة من الوضوح والصراحة لا تحتاج إلى شرح أو توضيح.

يقول سماحة الإمام الخميني:

– ينبغي أن يتركز جل اهتمامنا في إعادة بناء القوات وبلورة الكفاءات وانتقال التجارب العسكرية والدفاعية إلى جميع أبناء الشعب والمدافعين عن الثورة. ذلك أن الحرب إذا ما اندلعت لن تمهل للخوض في جميع الأبعاد، لا سيما تحديد معالم استراتيجية الدفاع الشامل. ولذا يجب الالتفات إلى هذه الأمور في الظروف الاعتيادية بعيداً عن الفعل والانفعال، مستفدين من كل الخبرات والتجارب والمؤهلات، وبذل المزيد من الجهود في اجتذاب المزيد من الطاقات المؤمنة بالثورة ونقل التجارب إلى الآخرين، والسعي في تدريب المواطنين على مختلف أساليب الدفاع الشامل، لتحقيق التعبئة العامة وبناء جيش العشرين مليون بصورته الواقعية المطلوبة.

– الملاحظة المهمة التي ينبغي أن نلتفت إليها جميعاً، ونجعلها أحد مبادئ سياستنا مع الأجانب؛ هي علينا أن ندرك أن أعدائنا والطامعين الدوليين إلى أي حد يطبقوننا، ويتحملون حريتنا واستقلالنا؟ بالتأكيد إن هؤلاء لا يعرفون حداً سوى عدولنا عن هويتنا وقيمنا الروحية والدينية، وكما ينص القرآن الكريم أنهم لن يكفوا عن قتالنا حتى نتخلى عن ديننا.

– لقد أعلننا مراراً في سياستنا الإسلامية الخارجية والدولية من أننا نتطلع إلى اتساع دائرة انتشار الإسلام في العالم، ووضع حد لسلطة الطامعين الدوليين. وإذا كان يحلو لأذئاب أميركا أن يسموا سياستنا هذه بالتوسعية، واتهامنا بالسعي لتشديد إمبراطورية عظمى؛ فإننا لا نخشى ذلك بل نرحب به. إذ إننا عقدنا العزم على اجتثاث جذور الصهيونية الفاسدة والرأسمالية

والشيوعية في العالم. إننا قررنا بعناية الله وعونه القضاء على الأنظمة التي تستمد وجودها من هذه المذاهب الثلاثة؛ ونشر إسلام رسول الله ﷺ في عالم الاستكبار، وستشهد الشعوب الرازحة تحت الأسر ذلك عاجلاً أم آجلاً.

— سنعمل على تصدير تجاربنا إلى العالم أجمع، وسنضع حصيلة خبراتنا النضالية ضد الظلمة في متناول مناضلي طريق الحق دون أن نطمع بشيء. وبديهي إن حصيلة تصدير هذه التجارب لن تكون غير بداية الانطلاقة للشعوب الرازحة تحت الأسر وتعزيز فرصها في الانتصار والاستقلال وتطبيق أحكام الإسلام.

— إننا بعون الله وقوته سنقطع أيدي الاعتداء والظلم في كل البلدان الإسلامية، وسنضع بتصدير ثورتنا - وهو في الحقيقة تصدير القيم الحقة وتبيان للأحكام المحمدية - خاتمة لسيطرة الطامعين الدوليين وتسلطهم وظلمهم، ونعبد الطريق بإذن الله تعالى لظهور منجي البشرية والمصلح العام وإمامة الحق المطلقة لإمام الزمان - أرواحنا فداء -.

— إنني أعلن وبصراحة، إن الجمهورية الإسلامية في إيران ستعمل بكل كيانه على إحياء الهوية الإسلامية للمسلمين في مختلف أنحاء العالم. وترى من حقها أن تدعوا مسلمي العالم للعمل على تولى الأمور في بلدانهم ووضع حد للنزعات السلطوية لأصحاب القوة والثروة والخداع.

— إننا نعلن بأن الجمهورية الإسلامية في إيران هي الملجأ والملاذ لمسلمي العالم الأحرار. وستقوم إيران - بوصفها حصناً عسكرياً منيعاً - بتوفير احتياجات جنود الإسلام وتوعيتهم بالأصول الإسلامية العقيدية والتربوية، وفي الوقت ذاته تدريبهم على أساليب النضال ضد أنظمة الكفر والشرك.

– ينبغي لقوات التعبئة في العالم الإسلامي أن تفكر في تشييد الحكومة الإسلامية الكبرى، وهو أمر ممكن لأن قوات التعبئة لا يقتصر وجودها على إيران الإسلامية وحدها. لابد من إيجاد خلايا المقاومة في جميع أنحاء العالم والوقوف بوجه الشرق والغرب.

– بقبولنا وقف إطلاق النار وإحلال السلام، يجب أن لا يتصور أحد أصبحنا في غنى عن تقوية البنية الدفاعية والعسكرية للبلاد، وتطوير صناعاتنا التسليحية؛ بل إن تطوير وسائل الدفاع وتنويعها هي أحد الأهداف المنطقية والأولية لإعادة البناء والاعمار.

– إن الشعب الذي يقتدي بنهج الإسلام المحمدي في معاداته للاستكبار وعبدة المادة والمتحجرين المتظاهرين بالقداسة، يجب أن يكون كل أبنائه من أفراد التعبئة، وأن ينظروا إلى الفنون العسكرية والدفاعية كأمر ضروري، فالشعب الأبوي، هو الذي يتمتع جميع أبنائه باللياقة القتالية اللازمة إذا ما داهمه العدو.

– إن الغفلة عن تشكيل جيش العشرين مليون ستقود إلى الوقوع في أسر القوتين العالميتين العظميين.

– إن حربنا حرب عقائدية لا تعرف الجغرافيا والحدود. ولابد لنا في حربنا هذه من التفكير بالتعبئة الكبرى لجند الإسلام في العالم أجمع.

– ينبغي لعلمائنا وعلماء البلدان الإسلامية أن يتشاوروا ويتحاوروا ويتدارسوا معاً سبل حل معضلات المسلمين ومشاكلهم، والعمل على تحريرهم من تسلط الحكومات الجائرة.. عليهم أن يهيئوا أنفسهم للتضحية من أجل مصالح المسلمين، ومواجهة غزوا الثقافات المبتدلة الشرقية والغربية الذي يستهدف القضاء على الأجيال وتطلعاتها. كما أنهم

مطالبون بتوعية أبناء بلدانهم بالتبعات السيئة المترتبة على تغربهم
وانبهارهم بالغرب والشرق ومظاهرها الخادعة.

— لقد بدأت اليوم حرب الحق ضد الباطل، والفقر ضد الغنى،
والاستضعاف ضد الاستكبار، والمحرومين ضد المترفين الذين لا يعرفون
معنى للألم .. وإني أقبل أيادي وسواعد جميع الأعزة في شتى بقاع العالم
ممن حملوا على أكتافهم بنادق النضال، وعزموا على الجهاد في سبيل الله
وإعلاء كلمة المسلمين. وأعث بسلامي وتحياتي الخالصة إلى جميع
براعم الحرية والكمال.

يصرح القرآن الكريم بأن الحرب تستمر حتى القضاء على الفتنة في
العالم؛ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾^١. وهذا يعني أن الذين يؤمنون
بالقرآن الكريم يجب أن يعملوا بضرورة مواصلة المعركة إلى الحد الذي
يقدررون عليه، لإزالة الفتنة من العالم. إلهي! ابق كتاب الشهادة مفتوحاً
للمتيمين ولا تحرمنا من الفوز بها أبداً.

إلهي! مازال بلدنا وشعبنا في بداية طريق النضال وفي أمس الحاجة
إلى سراج الشهادة. فأحفظ لنا هذا السراج المنير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

^١ سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

نص الحوار الذي أجرته مجلة حرس الثورة الإسلامية مع
حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في الذكرى السنوية للدفاع
المقدس

بتاريخ ١٣٧٠/٦/٣١

المجلة: نود أن نتعرف ونحن نقف على أعتاب الذكرى السنوية
الحادية عشرة للدفاع المقدس، على مشاعركم عند سماعكم نبأ العدوان
العراقي الوحشي على وطننا العزيز، وتوقعاتكم وقتئذ عن مصير الحرب
ونهايتها؟

السيد أحمد الخميني: بسم الله الرحمن الرحيم. عموماً لما كانت
أحداث الثورة الإسلامية في ذروتها، وكان الإمام يواصل قيادته لها من
محل إقامته بباريس، فإن من جملة القضايا التي كنا نفكر بها، الأخطار
التي ستواجهها الثورة بعد الانتصار. وكنا واثقين من أن المنافقين والأعداء
لن يجلسوا مكتوفي الأيدي. ففي ذلك الوقت قدم شخص من إيران - لا
أذكر اسمه - وكان من أعوان الشاه وأيديه، وقد اتضح فيما بعد أنه عضو
في وكالة المخابرات المركزية الأميركية، وكان مسؤولاً لمكتب شاهبور
باختيار في فترة ما؛ أعطانا رقم هاتف وطلب منا أن نتصل به متى ما

احتجنا إليه. وقد اتضح فيما بعد أنه رقم هاتف في مكتب بهلوي وباختيار. على أي حال، لم يوافق الإمام على لقاء هذا الشخص. وكنا نحن أيضاً نتوقع ذلك. فطلب أن يلتقي بي، وكان من جملة الأشياء التي ذكرها لي إن ثمة نزاعاً في منطقة (تركمن صحراء)، وفي (بلوجستان) نزاع من نوع آخر. وكانت هناك تحركات في مناطق كردستان وكذلك في جنوب البلاد. وحينها كنا نحتمل اندلاع حرب ضد الثورة. وبالفعل ظهرت بوادر الحرب في ذروة الأزمات التي برزت بعد الانتصار. وبالطبع كانت هناك تقارير تؤكد أن العراق منهمك في إعادة ترتيب مواقع قواته في مناطق مختلفة من حدوده مع إيران.

ولما بدأ العراق عدوانه ضد إيران وقام بقصف عدد من مطارات البلاد، أطلعني هيئة الأركان العامة على حقيقة الأمر وأنا بدوري أخبرت الإمام بما حصل.. لم يبد الإمام أية ردة فعل تدل على اضطرابه وقلقه لسماع الخبر. وحينها كانت الاشتباكات دائمة ولم يكن لدينا متسع من الوقت، كما أننا كنا نجهل الفترة التي ستستغرقها الحرب. وكانت معظم التحليلات لا تستبعد إطالة الحرب وإن ذلك مرهون بأوضاعنا الداخلية. إي إذا ما عجزنا عن السيطرة على الأوضاع واستطاع العدو أن يتقدم ويحتل المزيد من المناطق فبالأكيد ستنتهي الحرب سريعاً. لأننا كنا على اطلاع بأسلحة العدو، وما هو متوافر لدينا، حيث كنا نجهل أماكن مستودعات الأسلحة والمعدات، وكانت معلوماتنا محدودة عن القواعد العسكرية، لأن من كان يشرف عليها قد فر إلى خارج البلاد، وإن من بقي لم يكن يطمئن إليه وغير مستعد للتعاون معنا دون مقابل.

المجلة: لاشك كنتم طوال فترة الدفاع المقدس قرييين من سماحة الإمام أكثر من أي شخص آخر، وقد ساعدكم ذلك في الاحتفاظ

بالعديد من الذكريات عن مواقف سمحته في مراحل الحرب المختلفة. حبذا لو تحدثنا عن بعض ذكريات تلك الفترة.

السيد أحمد الخميني: من أكثر الذكريات التي احتفظ بها مرارة هي تلك التي تتعلق بالموافقة على قرار وقف إطلاق النار ٥٩٨. إما أعذب الذكريات فهي تلك التي تعود إلى تحرير مدينة خرمشهر. كان الإعلان عن خبر تحرير خرمشهر^٢ حوالي الساعة الرابعة عصراً. وفي مثل هذه الساعة كان الإمام يمارس رياضة المشي. فقد اعتاد الإمام على ممارستها

^١ أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة عدة بيانات وقرارات لإنهاء حرب العراق ضد إيران. وكان القرار ٥٩٨ آخر القرارات بهذا الشأن والذي حظي بموافقة الجانبين. وتمت المصادقة على هذا القرار باتفاق الآراء في الاجتماع رقم ٢٧٥٠ الذي عقده مجلس الأمن في ٢٠ تموز ١٩٨٧، بعد مشاورات مطولة ومواقفات مبدئية، وعُرض مشروع القرار من قبل الأعضاء غير الدائمين حيث أخذت آراؤهم بنظر الاعتبار إلى حد ما. ووافقت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على هذا القرار بشكل رسمي في ١٨/٧/١٩٨٨م، وتكون بذلك قد انتهت حرب الأعوام الثمانية بين العراق وإيران التي مثلت دفاعاً مقدساً بالنسبة لإيران.

^٢ كانت مدينة خرمشهر الساحلية، من أهم الموانئ الإيرانية التي تسد حاجة البلاد إلى البضائع الأجنبية قبل نشوب الحرب، وفضلاً عن هذا الموقع الإستراتيجي المهم، فإن وقوع هذا الميناء على مدخل نهر (اروند) والغطاء الذي كان بإمكانه أن يشكله لمدينة البصرة المهمة، قد أضفى عليه أهمية خاصة. ورغم المقاومة الشجاعة لسكان هذه المدينة العزل والذين حالوا دون سقوطها لمدة ٤٨ ساعة، إلا إنها وقعت في أيدي المعتدين البعثيين، فدخلوا بدباباتهم ومصفحاتهم، وكان صدام رئيس النظام العراقي يطلق على هذه المدينة اسم (المحمرة) ويعدها مع باقي مدن محافظة خوزستان جزءاً من الأراضي العراقية. وأدخلت القوات العراقية وبدعم مباشر من أميركا والكيان الصهيوني والرؤساء الرجعيين العرب أحدث المعدات العسكرية إلى هذه المدينة لتحصينها. وبعد التحول الذي حدث في القوات العسكرية الإيرانية خلال الأشهر الأولى من الحرب، شن الجيش الإسلامي عمليات مختلفة استطاع من خلالها استعادة الأراضي المحتلة وتطهيرها من دنس القوات البعثية المحتلة. وتم تحرير مدينة خرمشهر في ١٩٨٢/٥/٢٤م خلال عمليات «بيت المقدس» بعد ٥٨٧ يوماً من وقوعها في أسر القوات الصدامية. وكان لتحرير خرمشهر أصداء واسعة جداً على المستوى العالمي، وأدى إلى إلحاق المزيد من الفشل بالمشاريع الأميركية في المنطقة، وكذلك إلى إفشال مختلف الجهود التي كانت تبذلها القوى الرجعية حماية منها للسياسة الامبريالية في الحرب، فضلاً عن إضعاف الكيان الصهيوني لدرجة كبيرة. كان تحرير خرمشهر أحد أعظم إنجازات القوات الإسلامية في ميادين الحرب، ولا يمكن أبداً بيان عظمة ذلك الانتصار بأمثلة تقع ضمن إطار الحسابات المادية.

ثلاث مرات في اليوم. وفي كل مرة كان يمشي زهاء نصف الساعة. وفي تلك اللحظة كان المذيع بيده، لأننا كنا على علم مسبق أن القوات الإسلامية قد بدأت هجومها منذ الليلة الماضية وأن المواجهة مع القوات المحتلة كانت على أشدها.. فلما أعلن المذيع خبر تحرير خرمشهر كنت أتطلع إلى صورة الإمام، فرأيت انفراج أساريره، وعموماً لم يكن الإمام من النوع الذي يشغل نفسه كثيراً بالتفكير بالقضايا المؤلمة، وكذلك لا يسر كثيراً للأمور التي تبعث على البهجة والمسرة. ومما يذكر أن الإمام كان يعتقد بعد تحرير مدينة خرمشهر بأن من الأنسب أن توضع نهاية الحرب، ولكن المسؤولين عن الحرب طالبوا بمواصلة الحرب للعبور إلى ضفاف «اروند رود» لنتمكن من فرض تعويض للخسائر على العراق.. وعموماً لم يكن الإمام موافقاً على ذلك، وكان يقول لهم: «إذا أردتم مواصلة الحرب، فيجب أن تعلموا بأنها إذا استمرت بهذا الوضع الذي أنتم عليه الآن، ولم تتمكنوا من تحقيق نجاحات تذكر، فإنها ستستمر طويلاً، فلا بد لنا من إيصال هذه الحرب إلى مرحلة معينة تكلل بالنصر، وإن تحرير خرمشهر هو الفرصة الثمينة لإنهاء الحرب».

المجلة: يمكن القول بكل جرأة إن من أعظم مكتسبات الدفاع المقدس، المثل والقيم والثقافة الغنية التي جسدها المقاتلون المسلمون في سوح المعارك وميادين القتال والشهادة. برأيكم ما هي السبل الكفيلة للمحافظة على هذه القيم وتسخيرها لمواجهة الغزو الثقافي للاستكبار العالمي؟

السيد أحمد الخميني: إن ما يتبادر إلى الذهن هو أنه لو لم تكن الحرب لما كان بالإمكان دفع الخطر الذي واجهناه في السنتين أو الثلاثة التي أعقبت الحرب بهذه السهولة.. فمن حسنات هذه الحرب أنها عملت على ترسيخ دعائم الثورة. أي في ظل الحرب اشتد عود الثورة

وتمكنت من التخلص من أعدائها والكشف عن الفئات العميلة للشرق والغرب بالتدريج، وعزلها عن النظام على يد كوادر الثورة. ومهما يكن فالمهم هو إرساء دعائم الثورة، وأرجوا أن لا يفسر قولي هذا بأنه لو لم تكن الحرب لانهزمت الثورة، كلا، لو لم تكن الحرب لما تعرف العالم على البعاد الثقافية والأيدولوجية لثورتنا؛ وكانت الحرب سبباً في أن تبث أخبار إيران وسائل الإعلام العالمية من خلال متابعتها لأخبار الحرب طوال ثماني سنوات. لقد وقف العالم خلال سنوات الحرب على عظمة الثورة وقيادة الإمام وأفكاره، ومواقف الثورة من المفاهيم والقيم التي يتعامل بها الغرب. وبفضل ذلك ظهرت في نقاط كثيرة من العالم قوى وحركات إسلامية وخلايا المقاومة التي مثلت نقاط مهمة في مواصلة الحرب. فإذا ما شهدتم خلال قضية سلمان رشدي، التفاعل الرائع الذي استقبل به مسلمو العالم حكم الإمام الخميني، فإن مثل هذا الوعي انتقل إلى هؤلاء المسلمين أثناء حرب الثماني سنوات عن طريق أعدائنا، لأن الإمام كان محور جميع الأخبار، وكانت مواقفه وآراؤه إسلامية تماماً. ففي مرحلة الحرب تعرّف العالم والمسلمون كافة في مختلف نقاط الأرض، على الإسلام العزيز من خلال الرؤية الإسلامية التي جسدها الإمام الخميني. فعلى سبيل المثال، إن الثورة اليوم هي ذاتها لم تتغير، ولكن نظراً لانتهاء الحرب فإن وسائل الإعلام الغربية قلّما تتطرق إلى أخبار إيران رغم انجازاتها العظيمة على صعيد التنمية والاعمار. لكنها في الوقت نفسه تبحث عن أحداث تافهة تتمكن من خلالها الإساءة على سمعة إيران والثورة. ولاشك فهي لا يروق لها مواقفنا تجاه إسرائيل والرجعية في المنطقة لذا لا تحاول أن تبرزها في الأخبار والتقارير. ففي فترة الحرب عندما كانت تذاع أقوال الإمام من قبيل: «ليس بوسع أميركا

ارتكاب أي حماقة» و«إننا نهشم أسنان أميركا» وأمثال ذلك، فهذه الأقوال ونظيرها عندما كانت تنقل عن سماحة الإمام من قبل وكالات الأنباء وتبث عبر الإذاعات ووسائل الإعلام المرئية والمقروءة، كانت تلعب دوراً كبيراً في إعادة المسلمين على ذواتهم والبحث عن هويتهم. صحيح إن كلام الإمام هو الدافع في ذلك، ولكن الذي كان يمهد أرضية التواصل بين كلام الإمام وكل مسلم في أي نقطة من العالم هو الحرب. فآنذاك عندما كنا نقصف العراق بصاروخ، كان هذا الصاروخ في الحقيقة إحدى وسائل نقل أفكار الإمام إلى العالم.

فالمسلمون عندما كانوا يسمعون بأن قارباً صغيراً يحمل ثلاثة مقاتلين من أبناء حرس الثورة هاجم إحدى البوارج الحربية - في وقت لا يكف الغرب عن التأكيد بأن الحرب اليوم هي حرب الإلكترونيات - فإن مثل هذا الهجوم وإن لم يستطع أن يلحق أضراراً كبيرة بالبارجة، إلا أنه كان يبعث حماساً عجيماً في أوساط المسلمين ويلفت أنظارهم إلى أنه من الممكن فعلاً الكثير بأيدي عزلاء. إن أمثال هذه الأمور هي التي ساعدت في بلورة ثورتنا ولفت النظر إلى مواقفنا وأفكارنا. واليوم راحوا يشيرون ضجة حولنا لأننا نمتلك قوات التعبئة. إنهم مرعوبون من تحركات الثورة، لذا لا بد لنا من التحلي بما كان يؤمن به مجر الثورة ونحرص على تحقيق أهدافه.

المجلة: ما هي باعتقادكم أبرز المعطيات التي حققتها الحرب على صعيد الثورة والجمهورية الإسلامية؟ وما هي أهم آثارها على جبهة الاستكبار وعملائه بالمنطقة؟

السيد أحمد الخميني: لقد حطمت الحرب غرور وعجرفة الغرب، ليس على الصعيد المادي بل من الناحية المعنوية أيضاً. فلولاها لما كان

هناك معنى لرسالة الإمام على غورباتشوف^١. فقد استطاعت الحرب أن تقضي على التصور القائل أنه ليس بالإمكان مواجهة الثقافة الغربية وقيمها وأنماط الحياة التي تروج لها. إن حربنا دحضت هذا التصور الباطل تماماً؛ وإلا فنحن نعلم أن أميركا لو أرادت القضاء علينا فإن بحوزتها من أسلحة

^١ من الخطوات الرسالية التي خطاها الإمام الخميني قده في أواخر عمره، إرسال رسالة إلى السيد غورباتشوف زعيم الاتحاد السوفيتي السابق. وكُتبت تلك الرسالة في وقت كانت حرب الثماني سنوات التي فرضها العراق على إيران قد وضعت أوزارها لتوها، وراح المحللون السياسيون المرتبطون بالاستكبار العالمي يزعمون في وسائل إعلام عالم الكفر بأن قبول إيران بقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ ناجم عن تزعزع عقائد المسؤولين التنفيذيين وخفوت بريق شعارات الثورة الإسلامية. وكان أعداء الإسلام يحلمون في تطويق الثورة الإسلامية ضمن الحدود الإيرانية وقطع أي تأثير لها خارج تلك الحدود، وفي مثل هذه الظروف استقطب خبر رسالة زعيم الثورة الإسلامية إلى الزعيم السوفيتي اهتمام الشعوب والقادة السياسيين والمفكرين والمحللين في العالم. وكان يتراءى الوفد الحامل للرسالة تلميذ سماعة الإمام قده آية الله الأملي ويضم في عضويته كلاً من المساعد السياسي لوزير الخارجية وسيدة عضو في مجلس الشورى الإسلامي. ووصل الوفد إلى موسكو في الثالث من كانون الثاني عام ١٩٨٩ والتقى الزعيم السوفيتي في قصر الكرملين في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، واستمر ذلك اللقاء مدة ساعتين ونصف. وقد وجهت تركيبة الوفد والتساؤلات حول طبيعة الرسالة التي يحملها، الرأي العام العالمي نحو الثورة الإسلامية وزعيمها الكبير. وكان زعماء روسيا عموماً ورئيس المجلس السوفيتي الأعلى بشكل خاص قد احتملوا كل الاحتمالات حول فحوى تلك الرسالة عدا احتمال الدعوة إلى التوحيد والإسلام المحمدي الأصيل من قبل ذلك الموحد الكبير. وانطلق الإمام الخميني قده في دعوته كالأنبياء العظام من موقع قوة، وكان على ثقة أن دعوته ستترك تأثيرها. ورغم أن تعاملهم مع الإمام كان تعاملاً سياسياً، إلا إن الإفصاح عن نص الرسالة من خلال وسائل الإعلام وإلقاء الضوء عليه من قبل وكالات الأنباء، ترك تلك الآثار التي كان يستهدفها الإمام، وبالرغم من إخفاء تلك الرسالة عن الرأي العام السوفيتي ومنع نشرها في الجمهوريات الآسيوية المسلمة، إلا أنها حظيت باستقبال عجيب من قبل الشباب السوفيتي المسلم، ولعبت دوراً مهماً في نزوع شعوب هذه الجمهوريات نحو الإسلام. لقد قام الشباب المسلم في الاتحاد السوفيتي وبشكل سري باستنساخ الآلاف من النسخ عن رسالة الإمام وتوزيعها في سائر أرجاء البلاد. واليوم وبعد مرور عدة سنوات على تلك الرسالة الروحية، فقد تحققت نبوءات الإمام حول السقوط الحتمي للشيوعية والتحول داخل القوة الشرقية العظمى والبلدان المرتبطة بها. كانت رسالة الإمام إلى غورباتشوف نوعاً من أنواع تصدير الثورة، لكنه لا يعني التدخل في شؤون شعوب البلدان الأخرى، بل الإجابة على التساؤلات الفكرية لأولئك المتعطشين للمعارف الإلهية، الذين عاشوا ٧٠ عاماً تحت ظلال التعاليم المناوئة للفطرة.

الدمار الشامل ما يكفي. إن حربنا استطاعت أن تزيل من أذهان الناس مثل هذا التفكير الباطل، من أنه ينبغي للشعب الأعزل أن يستسلم.

المجلة: خلال القصف الجوي والحملات الصاروخية التي كان يقوم بها العراق أثناء الحرب، كيف كان الإمام يتصرف مع عائلته في تلك اللحظات؟

السيد أحمد الخميني: إن حرب المدن بدأت بعد فترة طويلة من الحرب. ففي بداية الحرب جاء مبعوث من قبل هيئة الأركان العامة، يعمل في الفرق الهندسي، وقام بإعداد مكان محصن وطلب من الإمام أن ينزل فيه، بيد أن سماحة الإمام رفض ذلك. وكل ما طلبت منه أن يأتي ويرى المكان كان يرفض، ويقول إنني رأيت من مكاني هذا، وبقي يرفض الذهاب إليه حتى في الفترة التي تعرضت طهران للحملات الصاروخية، وكان يتصرف بصورة طبيعية جداً وكأن شيئاً لم يحصل. وفي إحدى المرات أصرت عليه أن يفعل ذلك فأقسم بأنه لن يفعل، وكان يقول بماذا افترق عن غيري من الأشخاص. كان يقول: «إذا ما سقطت قذيفة على بيتي وقتل الحراس الموجودون في أطراف المنزل، وبقيت أنا جالساً في الغرفة المحصنة؛ عندها لا أصلح للقيادة. إن بوسعي قيادة الجماهير عندما تكون حياتي كحياتهم وأن نكون معاً إلى جوار بعض».

أما فيما يخص أفراد العائلة الآخرين، فيمكن أن أذكر لكم صورة بقيت عالقة في ذهني. في إحدى المرات عندما هاجم أزالام السافاك بيتنا لاعتقال الإمام كانت والدتي واقفة في باحة البيت. فجئت راكضاً فقلت لي: لقد اخذوا والدك. إذا أردت أن تراه فاذهب بسرعة. بصورة عامة إن والدتي وأخواتي لسن ممن يربهن القصف أو غيره. إن كل قلقهن كان على حال الإمام وقتئذ. وهنا خطرت ببالي حادثة أنقلها لكم، في أحد الأيام كانت طهران تتعرض لقصف جوي وصاروخي شديد. فدخلت والدتي الغرفة ورأت قطعة من الجبس ساقطة على

الأرض، نادى علي بأعصاب باردة وطلبت مني أن أرفعها وأضعها في مكانها. فضحك الإمام لكلامها هذا.

المجلة: حبذا لو تذكر لنا نموذجاً من سلوك الإمام الخاص ليكون أسوة يقتدي به الجيل المتدين.

السيد أحمد الخميني: أعتقد إن أهم خصال سماحة الإمام اثنان: الصدق والإخلاص. وكان سلوكه واحداً داخل البيت وخارجه. إلا أنه في البيت يقلل بعض الشيء من مجاملاته. وكان يعشق الأطفال. فكثيراً ما كنت أدخل البيت فأجد الإمام يداعب الأطفال ويلاعبهم. وكان الإمام مخلصاً وصادقاً مع والدتي أيضاً.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني

في المشاركين بمؤتمر الوحدة الإسلامية

بتاريخ ١٠/١٠/١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم شكري لجميع الإخوة الوافدين من مختلف أنحاء العالم، من أجل التحرك في طريق وحدة الدين والتقريب بين المذاهب، ولمبايعة الإمام في هذا المكان المقدس.

كما تعلمون أيها الأعزة أن الإمام بدأ جهاده ضد الطاغوت من هذا المنطلق ذاته، وسعى في هذا الطريق نفسه، لتحقيق الاتحاد بين المسلمين، مما دفع بالشاه وزبانيته إلى زجه في السجن ثم نفيه. فعاش خمسة عشر عاماً مغترباً عن الوطن، حتى انتصرت -والحمد لله - الثورة في إيران، وحقق بذلك جزءاً من الأهداف التي يتطلع إلى تحقيقها.

إننا على يقين أن أهداف الإمام لم تنحصر في تحرير إيران من قبضة الشاه والإمساك بزمام الأمور، وإن كان ذلك جزءاً منها؛ بل إن هدفه

الأكبر رفع لواء لا إله إلا الله، محمد رسول الله، في سماء العالم. ورغم أن لم يتحقق - مع الأسف - بالكامل، غير أن سماحته بذل أقصى جهوده من أجل نشر الدين الإسلامي في العالم بأسره. ومن ثم فإن الثورة الإسلامية التي فجرها الإمام لم تكن محدودة ضمن إطار إيران فحسب. وهذا ما تفيده بيانات سماحته وخطاباته. فعندما يقول قُدس سرّه: «إذا ما استغاث أحد في أميركا أو أوروبا، وجب علينا جميعاً أن نغيثه ونمد له العون»، فهذا يعني أن هدفه لم يكن إقامة حكم إسلامي في إيران فحسب.

وعندما يطلب من الفصائل الشعبية في العالم إيجاد خلايا للمقاومة والجهاد من أجل إقامة حكم إسلامي، فإن هذا يؤكد تطلعه لقيام حكم إسلامي في كافة أرجاء العالم، إذا أعلن سماحته بصراحة: «إننا لا نعترف بالحدود، فبغداد وطهران متساويان عندي من حيث الأهمية، فنحن لم ننهض من أجل الأرض وفتح أراضي الآخرين، بل نهضنا من أجل إيجاد المجتمع الإسلامي».

وما اتخذ مسلمي العالم للإمام قائداً إماماً ولنهجه قدوة لهم، إلا للأواصر الدينية التي تربطهم به.

ولو كان الإمام قُدس سرّه يقول بالإطار الإيراني لاتخذ من قضية سلمان رشدي المرتد - الذي نال من الرسول الكريم صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - موقفاً مثل سائر مواقف السياسيين في العالم الإسلامي، ولقال إن هذا الأمر لا يعنينا، فنحن نتحمل المسؤولية ضمن الإطار الإيراني! غير أننا رأيناه يصدر حكماً صريحاً وقاطعاً بإعدام سلمان رشدي.

لقد كان سماحته ومنذ بداية جهاده، يعرف إسرائيل إلى العالم على إنها كيان غاصب للأراضي الإسلامية، ويدعو إلى اتحاد المسلمين لمواجهةها والتصدي لها. وإن ما كان يدعو الإمام إلى اعتبار أميركا العدو الأكبر، هو إسلامية ثورتنا وعالميتها. كان سماحته يقول: إنهم لا يعادوننا

من أجل قضايا مادية بل من أجل القيم الإسلامية». ويواصل قائدنا العزيز آية الله الخامنئي فكرة عالمية الثورة الإسلامية.

إن الغرض من هذه المقدمة، لتعرفوا أيها الإخوة الأعزاء أن الإمام كان يفكر في إقامة حكم إسلامي على كل الأرض. وأقول هذا لتعلموا أن عقد المؤتمرات وإن كان حسناً في نفسه، ومع إدراكنا لأهميته، لا يقتصر على استعراض القضايا من خلال بيان ختامي وحسب ثم يذهب كل منا إلى بلده وكأن شيئاً لم يكن. لذلك أيها الأعزة يجب أن تعودوا على بلدانكم وأنتم تحملون في أذهانكم فكرة إقامة حكومة إسلامية، فلن تجنبوا شيئاً من دونها. فمهما أدبتم من أعمال ثقافية، دون أن تفكروا في الإمساك بزمام الأمور، ودون أن تعملوا على إزاحة أولئك الذين يحكمون البلاد الإسلامية ويقدمون أموال المسلمين لأمركا والاتحاد السوفيتي والبلدان الأخرى، واقتصر تفكيركم على مجرد عقد هذه الاجتماعات، فإننا لن نحقق الهدف النهائي للإمام، وهو نفسه هدف رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام وصحابة الرسول.

فعلى كل واحد منكم أن يكون نواة مركزية للقوى التي تلتف حولكم، وعند عودتكم ابدؤوا الجهاد ضد الحكومات الغاصبة. فإذا قمتم بذلك تكونوا قد شرعتم بعمل أساسي، ولا شك أن مثل هذا العمل أمر في غاية الصعوبة، ولكنه هل كان سهلاً على الإمام عندما بدأه؟ لقد انطلق الإمام من الحوزة العلمية بقم رغم وقوف ٨٠ بالمائة من علماء الحوزة نفسها ضده، أي إن الذين كانوا يؤيدونه لم يزيدوا على ١٠ أو ٢٠ بالمائة. ولا شك أن الاستعمار كان أكثر تغلغلاً في إيران وأقوى لأنها كانت مركز ثقل الشرق الأوسط وتطل على ساحل الخليج الفارسي، وتناح من الجهة الأخرى الاتحاد السوفيتي، أي أنها كانت تبسط نفوذها على المياه

الدافئة للخليج من جهة، وبإمكانها أن تكون مركزاً للتجسس على الاتحاد السوفيتي لصالح الولايات المتحدة من جهة أخرى. فهذا أنتم ترون العراق يدار من قبل صدام الذي قتل عدداً كبيراً من أفراد أسرة المرحوم آية الله الحكيم. ولم لم يشن صدام الحرب ضدنا، كان بإمكاننا أن نقف في مواجهة إسرائيل من خلال الاتحاد مع حكومة صالحة في العراق. ولو كانت للكويت وباقي الإمارات حكومات صالحة لأصبح من الطبيعي أن نتحد مع بعضنا ولا نعاني الوجود الأميركي في المنطقة كما هو الحال اليوم. وإذا حكمت تركيا حكومة دينية صالحة، فهل ستسمح لعملاء أميركا أن يجعلوا من هذا البلد المسلم قاعدة أميركية تعمل ضد المسلمين! فلو اتحد المسلمون في سائر أرجاء العالم، وأزيلت الخلافات القائمة بينهم، فهل بوسع أحد أن يعترض سبلهم!؟

وعندما يكون المسلمون بهذه الصورة، فحينئذ سيرسمون النهج الاقتصادي الرئيسي في العالم، ويتحكمون في أسعار النفط، ويحكمون الدنيا ويسودونها، ويقفون بوجه أميركا. فلا قدرة لأميركا على مواجهة هذه البلدان إذا ما توحدت.

لقد تحدت إيران الثورية أميركا ووقفت بوجهها رغم مجابهة العالم كله لها، ولم يفلحوا بدحرها وذلك للوحدة القائمة في صفوف الشعب الإيراني. فالوحدة إذن والتقريب بين المذاهب - أي التقريب بين زعماء هذه المذاهب وأتباعها - سيجعل من صفوف المسلمين قوة صامدة في مواجهة الأعداء.

من كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني
في الاجتماع الختامي للمؤتمر
الخامس للوحدة الإسلامية المنعقد إلى جوار المرقد الطاهر لسماحة الإمام الخميني قده
بتاريخ ١٩٩٢/٨/٢٧
بسم الله الرحمن الرحيم
يعد الاتحاد والتضامن العقائدي بين المسلمين من أعظم دوافع قوتهم
وعظمتهم في المعادلات الدولية.
(والوحدة الحقيقية للمسلمين لا تتحقق إلا عندما يشعر الجميع أن لهم
معاناة مشتركة) وفي الظروف الراهنة نجد الشعوب الإسلامية تعيش معاناة
الدين ومعاناة الهوية، وانطلاقاً من تطلعها للإسلام وروح الحقيقة فليس
لها من سبيل سوى التخلي عن التمزق والتشرد، من أجل إحياء الأفكار
والقيم الإسلامية، وحشد كافة الطاقات والإمكانات من أجل رسم المصير
الإسلامي. ويرى العالم الاستكباري في نمو ونفوذ الأفكار الإسلامية

خطراً حقيقياً على وجوده ومصالحه. وواجب على جميع المسلمين اليوم حماية الإسلام الأصيل من خلال وحدة الكلمة.

يواجه العالم الإسلامي اليوم مختلف ألوان الدسائس التي تحيكها القوى الكبرى وهي تستخدم شتى الوسائل الإعلامية لبث التفرقة والتشتت بين صفوف المسلمين، موظفة الإمكانيات العظيمة في هذا المجال، وعلى المسلمين أن تكون أجهزة إعلامية كفوءة لإيصال صرخاتهم الحققة إلى أسماع العالم لمواجهة النشاطات الاستكبارية الواسعة الرامية إلى منع نمو الأفكار الإسلامية؛ فإذا ما أردنا الوحدة الإسلامية أن تتحقق عملياً، ينبغي لنا تكثيف النشاطات الثقافية والإعلامية.

يجب أن نعلن للرأي العام بصراحة أن تطبيق الأحكام الإسلامية سيضمن السعادة والكرامة للمسلمين، وعلينا أن نبذل كل ما بوسعنا في هذا الشأن. ويعد تشكيل خلايا المقاومة الإسلامية وإصلاح الأنظمة السياسية المهيمنة على البلدان الإسلامية، من أهم الأساليب العملية لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية.

فدفاعنا عن مصالح المسلمين يقوم على مبدأ عالمية الإسلام، وإننا ملزمون بالدفاع عن شرف ومصالح المسلمين في كافة أرجاء العالم، وإن الأطر الوطنية لن تحقق الأهداف العالمية للإسلام. وقد برهنا على هذه الحقيقة منذ بداية انتصار الثورة الإسلامية. واليوم ومن أجل الدفاع عن الأهداف الإسلامية العالمية والحفاظ على مصالح الأمة الإسلامية الواحدة، يوجه إلينا الأعداء الخبثاء مختلف أنواع الضغوط والدسائس إقليمياً وعالمياً. ومن الممكن أن تأخذ هذه النشاطات المعادية صوراً وأشكالاً أخرى، وهي في النهاية تهدف إلى تحقيق مساعيها الشيطانية.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني
في المؤتمر السابع للوحدة الإسلامية
أيلول ١٩٩٤م
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين وعلى
آله وأصحابه أجمعين. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^١.

نبارك لأتباع الأديان الإلهية كافة وسالكي طريق الرسول الأكرم ﷺ
ولضيوف المؤتمر الكرام مولد أمين الوحي الإلهي، رسول الرحمة
والداعي على الوحدة.

لاشك أن الباحثين والمفكرين المجتمعين في هذا المؤتمر قد درسوا
مقولة الوحدة من جميع الأبعاد ومن مختلف الزوايا، وثنوا دور الوحدة

^١ سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

في حل المشاكل التي تواجه العالم الإسلامي على جميع الأصعدة، لهذا سأحاول في هذه العجالة - وبعد مقدمة موجزة - استعراض أفكار مؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، في هذا الإطار.

إن دراسة مواقف وآراء رجل رفع لواء الدعوة للوحدة الإسلامية في عصره، ونجح على هذا الأساس في إقامة نظام إلهي في جزء من البلاد الإسلامية، يعتبر دليلاً مضموناً للسائرين في هذا الطريق.

فالفطرة الإلهية لدى الناس قائمة على النزوع نحو التوحيد، كما أن العقل البشري غير الملوث بالأغراض والأهواء النفسية والشيطانية يحكم بهذا النزوع أيضاً في كل مراحل حياة الإنسان، ويرى في الاختلاف والفرقة والانشقاق، حركة تتعارض مع مصلحة المجتمعات الإنسانية وخطوة على طريق الانحطاط. كما أن جميع أنبياء الله العظام صلوات الله عليهم بدءاً بآدم وانتهاءً بالخاتم صلى الله عليه وآله، أقاموا دعوتهم على أساس التوحيد ورفض كافة مظاهر الشرك والثنية والتثليث. فالإيمان بالتوحيد هو الحد الفاصل بين الإسلام والكفر.

لقد جعلت المشارب الفلسفية والعرفانية والأخلاقية والكلامية والتربوية للإسلام من وحدة الرؤية في عالم الوجود وأجزائه، واجباً مؤكداً في مذاهبها، ولا يخفى على الباحثين أن النزوع نحو الوحدة الحقيقية في المجتمع الإنساني، هو من مظاهر الاعتقاد بالتوحيد، في حين أن (التكثر) من الخصوصيات البارزة التي تتميز بها المادية والشرك.

وقد بين القرآن الكريم أن تشكيل الأمة الإسلامية الواحدة يعد أرضية للعبادة الحقيقية لله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

فَاعْبُدُونِ»^١. فالمواجهة المستمرة طوال التاريخ بين تيارى الحق والباطل بجميع أشكالها ومستوياتها وعواملها وعلى شتى أصعدتها، تعود في النهاية إلى المواجهة بين هذين التيارين؛ وفي ذلك يقول سماحة الإمام: «الفرقة من الشيطان ووحدة الكلمة والاتحاد من الرحمن».

وللأسف حالت الهيمنة الغربية على مصير العديد من دون العالم الإسلامي، دون تطور مختلف العلوم الإنسانية على أساس الرؤى الحياتية، وإلا فيمكن هذه الرؤى أن تفتح آفاقاً جديدة على صعيد المباحث الاجتماعية والسياسية، وتطرح حلولاً واقعية للمشاكل السياسية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية. ونجد اليوم أغلب علماء الاجتماع والنفس والمتخصصين في الشؤون التربوية والخبراء السياسيين، في البلدان الإسلامية، يتجهون نحو تقييم قضايا مجتمعاتهم وفق أصول وأساليب نابعة من المذاهب المادية الغربية المعاصرة وبعيدة عن روح الأديان الإلهية.

فالإمام ومن خلال مواقفه على صعيد الوحدة، أكد ضرورة الاهتمام بعوامل الوحدة بالدرجة نفسها الذي كان يؤكد على أهميتها وضرورتها، وكان يعتقد أن الاتحاد لا يمكن أن يتبلور أو لا ينعم بالثبات دون تحقق الأرضية الضرورية للوحدة وقيادة المجتمع باتجاهها.

كان الإمام يرى الوحدة واجباً إلهياً وفريضة شرعية على أفراد الأمة جمعاء، فيما تتضاعف ضمن هذا الإطار مسؤولية العلماء والمثقفين والرؤساء والحكام. وقد أفرد فصلاً خاصاً من توجيهاته العامة لهذا الواجب المهم.

^١ سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

فالصراعات والتناحرات تتصاعد حداثها في العالم قديماً وحديثاً رغم الجهود الواسعة التي يبذلها زعماء المجتمعات والدول، ويزداد عدد ضحايا الصراعات الداخلية والإقليمية والعالمية يوماً بعد آخر، ويصبح - إلى جانب ذلك - حجم كبير من الثروات المادية والمعنوية للشعوب ضحية مطامع مؤججي الحروب ومثيري عوامل الفرقة. ويؤكد استمرار هذه الحقائق المرة على ضعف مفعول العوامل والأدوات المطروحة والمستخدمة من قبل المذاهب المادية كعوامل للوحدة وإزالة التوترات، وعدم قدرتها على وضع حلول ناجحة للاختلافات الهدامة، بل وتلعب دوراً مؤثراً في تصعيد الأزمات وزيادة حدة التوترات والصراعات. فالمصلحون الذين لهم إمام بتاريخ الأمم والشعوب والوضع الذي يمر به عالمنا الراهن، يدركون جيداً أن الاعتماد على عوامل كالقومية والوطنية واللغة الواحدة والعرق واللون والتاريخ والمصالح المادية المشتركة، ليس سوى سراب خادع، وإن جملة من الآلام والويلات الماضية والحالية، ناجمة عن الآمال الواهية المعلقة على اتحادات قائمة على أساس هذه العوامل.

فلو حل العقل والفطرة الموحدة محل الهواء النفسية والمادية، ولو لم يسد الأقوياء الماديون الطريق على دعاة التوحيد بشتى أنواع الدسائس والخصومات، لكان واقع الحياة البشرية شيئاً آخر، وليس هذا مجرد شعار أو إدعاء. فقد جربت البشرية طوال تاريخها - مرات - التأثير الإعجازي للاعتقاد بالتوحيد والإيمان بالله في تقديم أسامي نماذج الحياة الإنسانية. فهل وجدت مشهداً من الحياة البشرية يتمتع بقيمة رصينة، دون أن تشاهدوا تأثيراً للأديان الإلهية وتعاليم الأنبياء في جميع جوانبه؟ وهل يمكن الارتباب في أن ألوان الظلم والتوترات والصراعات وإراقة الدماء والعديد من المشاكل المستعصية التي يعاني منها عالمنا اليوم، إنما بدأت

منذ تلك اللحظة التي انحرف فيها الإنسان عن طريق التوحيد الفطري والصراط المستقيم الذي دلّ عليه الأنبياء؟

ثم ألا يمكن أن تكون العلاقة العكسية بين التقدم المادي والتقني بين الانحطاط الخلقي وذبح القيم الإنسانية المتزايد في المجتمعات المعاصرة، خير دليل على إثبات حقيقة أن السعادة يجب أن يفتش عنها في رؤية أخرى. فتكامل الوسائل وسيطرة الإنسان على الطبيعة وسد الحاجات المادية لا يعد في هذه المجتمعات وسيلة للوصول إلى الحياة المعقولة، بل هدفاً غائياً، حيث يتم في هذه الحالة نسيان الإنسان ومكانته وحاجته الروحية، وتجاهل دوره وعلاقته مع الأجزاء الأخرى اللا محدودة من عالم الوجود، والنظر إلى كل شيء بما فيه الضمير والفطرة والروح من منظار المحاسبات الآلية وتعريفها وتقييمها على هذا الأساس، وهذا ما يؤدي بالفعل إلى الأزمات التي تعاني منها المجتمعات اليوم. فأى معضلة من المعضلات المتكاثرة التي تعاني منها البشرية، حلتها المذاهب الوضعية؟ وأي حاجة إنسانية أساسية، لبتها؟

ولا ريب في أن موضوع الوحدة وسبل تحقيقها وقضايا من هذا القبيل لا يمكن أن يدرس بمعزل عن القضايا التي اشرنا إليها. فها نحن نشاهد عجز المنظمات الدولية التي وجدت من أجل اتحاد الشعوب والبلدان وتقليص حدة التوترات، في تحقيق أهدافها في الأعم الأغلب، بل أمست أداة في خدمة التوترات التي توجدتها القوى الكبرى. فمئات الاتحادات واتفاقيات التعاون والتحالفات الوحدوية التي تم عقدها بين مختلف البلدان خلال العقود المنصرمة في أجواء صاخبة من الدعاية بحتمية تحقق الآمال والطموحات، قد انهارت وتلاشت قبل أن تترك أثراً مهماً ودون أن تعمل على حل الصراعات والتوترات.

فمنذ فترة طويلة والمجتمعات الإسلامية تتحدث عن وحدة المسلمين والاتحاد بين البلدان الإسلامية، واستولت الأحزاب السياسية في كثير من البلدان الإسلامية على زمام الأمور وهي ترفع هذا الشعار، وكُتبت وتُكتب مئات الكتب والمقالات على هذا الصعيد، وما زال الخطباء والمحاضرين والكتاب يؤكدون على أهميتها وضرورتها، لكننا لم نشاهد عملياً أي خطوة إيجابية ومصيرية. وبرأبي يجب البحث عن هذه العثرات في مبادئ ستظل كل الجهود عقيمة إذا لم تأخذها بنظر الاعتبار.

وإن المشكلة الرئيسية لا تكمن في الإنسان ومعتقداته، فعندما لا تهيمن روح الفكر التوحيدي والأصول الخلقية والقيمية - التي هي ضرورية في النزعة العامة نحو الوحدة - على المجتمعات البشرية، لن تؤدي هذه الجهود أكلها. فالوحدة وضرورة حفظها ليس مجرد توصية اجتماعية وحاجة مؤقتة وتكتيك سياسي وخطوة عملية للحفاظ على المصالح المادية المشتركة، كي يمكن على هذا الأساس إيجاد اتحاد متماسك ثابت.

وبرأبي، فإن أهم رسالة لمثل هذه المجتمعات هي بيان العلاقة الوطيدة بين الإيمان بالوحدة وضرورتها، وبين الرؤية على العالم ونوع الأنظمة الفكرية والمبادئ العقائدية والقيمية والأخلاقية. فهل يمكن أن يكون للمرء فكر توحيدى، ويعبد الله الواحد، ويعتقد بنفوذ الإرادة الإلهية في الأشياء كلها وفي عالم الوجود؛ ثم يتخذ موقفاً لا مسؤولاً إزاء مصير الآخرين في ميدان العمل وعلى صعيد الارتباط بخلق الله؟

انظروا كيف تحطمت العصبية الجاهلية والتفاخرات والنزعات القومية والاعتداد بالعشيرة والاسم والنسب عندما نفذ نداء التوحيد إلى قلوب أولئك الذين أنهكتهم ظلمات الشرك وعبادة الأصنام، وكيف أن كل عوامل الفرقة والتناحر - بل حتى العلاقات السببية والنسبية - فقدت

بريقها في مقابل الاعتقاد بالله الواحد ونور عبوديته، وكيف ولد مجتمع اكتسب عن جدارة لقب «خير أمة» وتأسس مركز يطفح بالوحدة والتعاضد تساوت فيه - بل زادت - مكانة ودور العبيد الفقراء ذوي السحنات السوداء مع أبرز رجال قريش وأصحاب النفوذ فيها، وكيف ظهرت على يد هذه الأمة حضارة عظيمة عجزت عن مقاومتها إمبراطوريتا فارس والروم العملاقتان؟ ولم يمض وقت طويل حتى هرعت مختلف المم والشعوب إلى استقبال الحقيقة دون الاهتمام بالحدود الجغرافية والتوجهات القومية والوطنية.

فلماذا يلاقي مفهوم الأمة كل هذا الجفاء مع ماله من أهمية كبيرة في القرآن والسنة؟ ولماذا تعمل قضايا من قبيل الخلفية التاريخية والحدود الجغرافية على طرح المصالح الوطنية لشعب مسلم، بشكل منفصل عن مصير إخوته في الدين؟

وإن أدركنا أن طريق العودة إلى مجد الإسلام التليد وعظمته يكمن في وحدة جميع القوى والطوائف والشعوب الإسلامية، فيجب وقبل كل شيء البحث في القضايا التي أبعدتنا عن الإيمان بمفهوم الأمة وهيأت الأرضية لتجزئة بلاد المسلمين وتفرقة صفوفهم، فلابد من العودة ثانية إلى القرآن والسنة بصفتهم ميثاق هداية الأمة وأرسخ محاور وحدتها. إن المشكلة الأساسية هي أن عامة المسلمين بل كثير من خواص ومفكري العالم الإسلامي غافلون عن حقيقة العلاقة الوثيقة بين مجموعة الأفكار والمثل الدينية وما تؤلفه من مذهب فكري منسجم مترابط. فالتأثير بالأفكار الأجنبية واستعارتها من المذاهب المتعارضة مع الفكر السماوي على صعيد الاقتصاد والسياسة والمجتمع، قد خلق ظروفاً في غاية التعقيد، جعلت فهم واستيعاب ضرورات أمراً غير عملي وأدت إلى إحباط كل

الجهود المبذولة على هذا الصعيد. فلو ترسخت تعاليم الرسول الأكرم (عليه السلام) والمبادئ القرآنية في المجتمعات الإسلامية، لتحققت الوحدة في أرفع مستوياتها. وقد ورد في القرآن الكريم أن إحياء نفس واحدة أو قتل نفس محترمة واحدة بمنزلة إحياء أو قتل الناس جميعاً. وهذه المعادلة ليست تعبيراً رمزياً وإنما بيان لحقيقة تجري في أعماق نظام الوجود.

فالمجتمع الذي يطمح أنبياء الله والقرآن الكريم لإيجاده، هو ذو وحدة حقيقية مترابطة ذات مفهوم أوسع بكثير من القومية والشعب والدولة بتعاريفها المتداولة. ولا يمكن فهم واستيعاب هذه القضايا بدون رصد من المبادئ العقائدية، وما لم ترسخ هذه المبادئ في المجتمعات الإسلامية، فستبقى فروعها ونتائجها بعيدة المنال أيضاً. فيجب العودة إلى الذات والثقافة الإسلامية بعيداً عن الالتقاط الفكري، كما يجب أن تنطلق الجهود الرامية لتحقيق الوحدة وترسيخها، من الذات أيضاً.

وكما ذكرت في بداية حديثي على لسان الإمام أن «الفرقة من الشيطان ووحدة الكلمة من الرحمن»، فقد أثبت التاريخ أن الدعوة للوحدة الحقيقية قد أجبت من قبل أولئك الذين يتحلون بصفاء الفطرة الداعية إلى التوحيد وممن عاشوا الإيمان بالتوحيد في ميدان العمل أكثر من أي شخص آخر. وكما أشرت فإن «ضرورة حفظ الوحدة» ليست حركة سياسية مرحلية من أجل تعزيز القوة، بل إن بذل الجهود لحفظ الوحدة وتجنب الفرقة يعتبر واجباً عينياً¹ يفرضه الإيمان بوحدانية الخالق تعالى. فدعاة التفرقة هم أصحاب الشيطان ودعاة الوحدة والعاملون بها هم أصحاب المسلك الرحماني، ومتى ما وصل مجتمع ما إلى هذه

¹ هو الواجب الذي يتعين على كل فرد القيام به، كالصلاة والصيام.

الدرجة من الإيمان، تبلور حينئذ الوحدة الحقيقية، وتقتل روح اللامبالاة
حيال مصير أفراد الأمة، والتفرقة والتمزق في مواجهة الحركة القوية
للأمة الواحدة، وهذه هي عين الحقيقة التي برهنت عليها الثورة الإسلامية
عملياً.

وستحتفظ في ذاكرة التاريخ أن رجلاً إلهياً أطلق نداء الوحدة بأيدي
عزلاء، فلبى نداءه المؤمنون، ووقف بوجهه العالم المتطور بكل قواه، بيد
أن أصحاب أكبر المصانع الحربية العالمية وقفوا مع أعدائه علناً ورسمياً.
غير أن وحدة كلمة الأمة قد انتصرت في مجابهتها لذلك الحلف القوي
القائم على حفظ المصالح المادية للأقوياء. وعندما انتصرت الثورة
الإسلامية على عدوها الذي جابهها وجهاً لوجه وسحقت أركان النظام
الملكي، كان عدد من التنظيمات التي وقفت ضد النظام الفتى والمدعمة
من جانب القوى الكبرى، كبيراً إلى درجة أن ذكر أسمائها يحتاج إلى
كتاب كبير. فقد رفعت رايات المعارضة، واتحد المعسكر الشيوعي
العالمي مع القطب الرأسمالي - رغم العداء والتوتر الذي كان قائماً بينهما -
بهدف تدمير الثورة الإسلامية، وأصبح العالم بأسره ميداناً للإعلام المضاد
المتواصل ليل نهار ضد الثورة الإسلامية، ليمثل فرض العزلة السياسية
والحظر الاقتصادي وشن الحرب من الخارج جزءاً من جدول أعمالهم.
غير أن جميع هذه الممارسات لم تفلح أمام وحدة الكلمة لأمة كانت
تشعر أنها تحمل رسالة السبق الجهادي في هذا المضمار، والسرف في هذه
المقاومة الأعجازية ما أكده زعيم الثورة في كتاباته وخطاباته كافة،
والذي كان يستهل ويختم به في أغلب توجيهاته، إلا وهو وحدة الكلمة
وتجنب الانقسام.

إن السبب في الأثر العجيب الذي تركته وصايا الإمام يعود إلى إيمانه بها قبل الآخرين. ففي مذهبه العرفاني المستلهم من القرآن الكريم وتعاليم العارف الأكمل (خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، نراه قد استوعب تماماً، الوحدة الحقيقية لعالم الخلق والأمر، كما أنه كان يتحدث في منحاه الفلسفي وفي المحافل الخاصة التي كان يرتادها أهلها ليس عن وحدة الوجود فحسب بل حتى عن الوحدة الحقيقية للموجودات.

وكان شعر الإمام العرفاني يردد نداء الوحدة في مجموعة نظام الوجود حتى لقد عد صرخة «أنا الحق» التي أطلقها الحلاج^١ دليلاً على الأنية والثبوتية، فيقول:

تهتف من على المشنقة «أنا الحق»

فيا طالب الحق ماذا حدث للأنية والأنا؟

كما قال في شعر آخر:

كان هتاف «أنا الحق» طريق منصور اللهم ساعدنا كي نجد طريقنا.

وكان سماحة الإمام في ميدان الجهاد، أحد رواد الدعوة إلى الوحدة. وكان جزء مهم من أول بيان تاريخي له صدر قبل ٥٠ عاماً والذي بدأ بالآية المباركة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْظِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفٍ﴾^٢ قد أكد أن وحدة الأمة هي المنطلق نحو الله تعالى.

^١ الحسين بن المنصور الحلاج (توفي ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م) صوفي معروف، اعتقل لآرائه المبتدعة وقتل في غاية القسوة. والاتهام الذي وجه إليه الذي ظل قائماً في الأذهان هو أنه كان يصرخ في حالة الجذبة «أنا الحق». والأنية هي إعطاء الأصالة للمعلول وإمكانية التوصل عن طريقها إلى العلة. فعند المتصوفة يجب أن تقوم الأنية في مواجهة الوجود والاهتمام بالنفس وغير الحق، لأنها موانع السلوك. أما الأنانية نقص محض ولا تنسجم مع الكمال. وما لم يمح السالك كافة النزعات البشرية فلن ينال الكمال، مهما كان مقامه، لا بد له من السعي للتخلص منها، ونيل مقام أعلى من خلال العمل بتعليم وإرشاد المرشد.

^٢ سورة سبأ، الآية: ٤٦.

وعند تحدّثه في كتاب «سر الصلاة» عن المقامات المعنوية للعارفين بالله يقول بعد ذكر المقامات الثلاثة الأولى: «والرابع مقام أصحاب تحقق أكمل الأولياء حيث يصلون إلى مقام الوحدة الصرفة، تنشق كثرة (قاب قوسين) فيستهلكون في عين الجمع بالهوية الذاتية مع جميع شؤونها ويتلاشون في نور القدم ويضمحلون في الأحدية ويفنون في غيب الهوية».

ويقول في موضع آخر:

«لا يبقى لأصحاب الصحو بعد المحو حجاب من الغيب والشهادة، ووجوههم وجود حقاني، ويشاهدون العالم بذلك الوجود الحقاني ويقولون ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه. ولا يحجبون التجليات الذاتية والاسمائية والافعالية بعضها عن بعض»^١.

ويتحدث الإمام في كتاب «شرح الأربعين حديثاً» الذي كتبه للفائدة العامة ضمن استعراض تاريخي وأخلاقي عن معنى وماهية وحدة الكلمة فيقول: «أحد الأهداف الكبرى للشرائع والأنبياء العظام - سلام الله عليهم - فضلاً عن أنها هدف مستقل قائم بذاته، إنها وسيلة لتحقيق الأهداف الكبرى ذات التدخل الكامل في تأسيس المدينة الفاضلة، وتوحيد الكلمة وتوحيد العقيدة، والاجتماع في مهام الأمور، والحيلولة دون التجاوزات الظالمة التي تؤدي إلى فساد بني الإنسان وخراب المدينة الفاضلة. وهذا الهدف الإصلاحى الاجتماعى والفردى الكبير لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل وحدة النفوس واتحاد الجميع والألفة والأخوة والصدق القلبى والصفاء الباطنى والظاهرى؛ أي عندما يبدو أفراد النوع الإنسانى وكأنهم إنسان واحد، والمجتمع وكأنه شخص واحد والأفراد بمنزلة أعضائه

^١ الأسفار، ج ١ ص ١١٧. علم اليقين، ج ١ ص ٤٩. الكلمات المكنونة ص ٣.

وأجزائه، وعندما تدور كافة الجهود والمسااعي حول هدف إلهي كبير وشأن عقلي عظيم يتمثل في صلاح المجتمع والفرد. فإذا تحققت مثل هذه المودة والأخوة في فئة أو طائفة فإنها ستتغلب على كل الطوائف والشعوب التي ليست على هذه الطريقة، ويتضح هذا الأمر بجلاء عند مراجعة التواريخ لا سيما تاريخ معارك الإسلام وفتوحاته العظيمة.. فالمسلمون مطالبون بالتوادر والتواصل والمحبة والأخوة والإحسان فيما بينهم. ومعلوم أن كل ما يؤدي إلى ازدياد هذه المعاني، محبوب ومرغوب فيه، في حين أن الذي يؤدي إلى تمزيق أو اصر التواصل والأخوة وبث الشقاق في المجتمع، مبعوض من الشرع ومتعارض مع أهدافه الكبرى. وواضح أن هذه الموبقة الكبيرة لو شاعت في المجتمع، لزرعت الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ومدت جذور الفساد في المجتمع، وأنبت فيه شجرة النفاق ثم جعلها تثمر، وقوضت أركان وحدة المجتمع وبنائه، وأضعفت قاعدة التدين، مما يؤدي إلى ازدياد فساد المجتمع وقبحه».

وكان سماحة الإمام يرى الوحدة منبثقة عن الرحمة، ونتاج مقدمات لا يمكن أن تتحقق بدونها. فقد قال: «عليكم أن تسعوا وعلينا أن نسعى لأن تظل هذه الرحمة مستمرة، ويتمثل هذا السعي في أن نكون إلهيين أولاً ونخدم في سبيل الله ونؤمن بالانقياد له، وإننا منه وإليه؛ عندئذ يتحقق الأمر الثاني ألا وهو الوحدة والتلاحم، ذلك لأن الانقسام من الشيطان ووحدة الكلمة والاتحاد من الرحمن».

وطالما أكد الإمام أن الأنبياء لو اجتمعوا في مكان واحد وفي عصر واحد لما حصل بينهم أي اختلاف أو نزاع؛ لأنهم جميعاً يتحكمون في أنفسهم ومطيعون لله.

كان سماحته يعتقد أن وحدة المجتمعات الإسلامية ثابتة ومقدسة إذا قامت على محاور رصينة، حيث يقول: « لنجتمع بالوحدة الإسلامية تحت تعاليم القرآن، فليس المهم أن تجتمعوا على أمر واحد - أي أمر - ولا تفرقوا عنه، بل إن الله تعالى قد أمرنا أن نعتصم بحبله فالأنبياء لم يأتوا من أجل أن يجمعوا الناس حولهم، بل ليجمعوهم في طريق الحق».

ولو سألني أحد عن سر انتصار الشعب المسلم على أعدائه، من وجهة نظر قائد الثورة الإسلامية الكبير، فإني سأجيب بنفس الجواب الذي طالما أكدده الإمام وأوصى به في اغلب رسائله وخطاباته وفي وصيته، ألا وهو العمل بالأمر الإلهي: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا».

ويقول الإمام في هذا الشأن: «لو وفينا لهذا الأمر الإلهي وعملنا به وأصبحنا كتلة واحدة، لتوحدت جميع طبقاتنا، في الخارج والداخل، طلبية الجامعات والحوزة، فلا ترتابوا في أنكم منتصرون. إن مفتاح الانتصار في يد الشعب نفسه، وعلى الشعب أن يدرك إن الذي حقق له النصر هو تكاتفه واعتصامه بحبل الله».

وكان الإمام يعتقد أن الوحدة تكليف إلهي وواجب شرعي على أفراد الأمة كافة، في حين يرى تضاعف مسؤولية العلماء والمثقفين والرؤساء والحكام على هذا الصعيد، وقد افرد فصلاً خاصاً من توجيهاته العامة لهذه القضية المهمة.

كان سماحة الإمام يعتقد أن من الضروري إيفاء الوحدة حقها في سبيل تحقيقها وترسيخها، وكان سماحته رائداً على هذا الصعيد؛ ولكن المجال لا يسمح بذكر نماذج من توجيهات الإمام حول أبعاد الوحدة ودرجاتها. لقد طالعت كراساً يضم إرشادات الإمام حول موضوع الوحدة وعواملها وضرورتها؛ وفضلاً عن تأكيده على ما سبقت الإشارة إليه

يمكن أن أقول بإيجاز: إن أبعاد وميادين الوحدة واسعة من وجهة نظر الإمام وهي تمتد لتشمل ما هو أبعد من القومية وجميع الكيانات الوطنية. وقد أولى قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية اهتماماً كبيراً للأولويات والمساعي المبذولة لاكتشاف مجالات الوحدة وتحقيقها في كافة الأبعاد والميادين.

فعلى صعيد ما وراء القومية كان الإمام يعتقد ببذل الجهود من أجل وحدة مستضعفي العالم ضد المستكبرين، ووحدة الأمة الإسلامية والبلدان الإسلامية لمواجهة غزو أعداء الإسلام، ووحدة الشيعة والسنة والفرق والمذاهب الإسلامية الأصيلة داخل العالم الإسلامي، ووحدة الشعوب مع الحكومات الإسلامية في إطار حفظ الأصول والقيم.

وعلى صعيد الوحدة الوطنية داخل الحدود الجغرافية كان سماحته يرى حفظ الوحدة وترسيخها بين طبقات المجتمع كافة يمثل الخطوة الأولى لتحقيق الانتصار في جميع المجالات والأصعدة. وكانت وصايا الإمام تؤكد دائماً ضرورة وحدة الحوزات الدينية مع الجامعات - لأنهما يضمنان العناصر الرائدة والواعية في المجتمع - كشرط مسبق لتحقيق الوحدة في سائر طبقات المجتمع، ووصاياه بالوحدة داخل المجتمع العلمائي وداخل المجتمع الجامعي، ووحدة العلماء مع الشعب، والمثقفين مع الشعب، والقوات المسلحة مع الشعب، والحكومة مع الشعب، والمجلس مع الحكومة، والوحدة داخل صفوف القوى الثلاث والاتحاد فيما بينها، ووحدة التنظيمات القومية مع رفض التمايزات العنصرية والإقليمية، ووحدة القوى داخل البلاد وخارجها، ووحدة المؤسسات الاجتماعية وفئات مثل العمال والفلاحين، والاتحاد والتقارب بين الأحزاب السياسية والتنظيمات الثقافية، كل ذلك شكّل جزءاً واسعاً من موضوعات الإمام العامة.

وكان السر وراء الانتصار على مختلف الهجمات والتحرشات العدوانية التي يشنها الشرق والغرب، هو - كما سبق أن قلت - هذه التوعية التي قام بها الإمام والتلبية التي انطلقت من قطاع واسع من فئات الشعب الإيراني.

وكانت مواقف الإمام في باب الوحدة قد أكدت على الاهتمام بعوامل الوحدة وأسبابها بالقدر نفسه من تأكيدها على ضرورة الوحدة وأهميتها، وكان سماحته يعتقد أنها لا يمكن تحقيقها أو لا تستمر بدون تهيئة أرضيتها وهداية المجتمع نحوها.

وبعد الاهتمام بالأصول العقائدية للوحدة، يمكن الإشارة بإيجاز إلى النقاط التالية بمنزلة العوامل والأسباب التي طرحها الإمام كشروط مسبقة لتحقيق الوحدة، وكان يقود المجتمع على أساسها، وهي:

١- تركيز الاهتمام على بناء النفس وترسيخ الأخلاق والقيم المعنوية الصالحة في الحياة الفردية والاجتماعية.

٢- زرع الثقة بالنفس، وسعة الصدر وتقبل الاختلاف في الذواق والاجتهادات، والدفاع عن حرية الفكر ودعم الأطر السياسية والثقافية التي تتفق في الأصول والمبادئ التي تعتقد بها الأمة والمجتمع الإسلامي.

٣- الاعتقاد الراسخ بدور الوحدة وتأثيرها العميق في حل المعضلات السياسية والاجتماعية العويصة.

٤- حذر الجانبيين المتحدين والحيطة إزاء دور المراوغين والموسوسين، وتذكير المسؤولين وعامة الناس بذلك بشكل مستمر.

٥- الحفاظ على المواقف الأصولية والدفاع عن المعتقدات والقيم المنطقية الرصينة مع احترام ورعاية الوحدة بشكلها الواسع.

٦- الاهتمام بالاختلافات الأساسية وأساليب البحث في نظام الدروس الحوزوية والدينية بالنسبة للمناهج الجامعية الجديدة من أجل التوصل إلى لغة مشتركة في عرض قضايا المجتمع الأساسية وتجنب الاختلافات.

٧- بذل أقصى الجهود من أجل العثور على مزيد من النقاط المشتركة وتقليص فجوة الاختلاف في الرأي على صعيد المبادئ والأصول، عن طريق ممارسة أسلوب النقد في المحافل العلمية، وتعميق روح النشاط والمناظرة العلمية، والاحتراز الجاد عن جرعة الناس إلى حلبة الصراعات الفكرية والثقافية التي لا يمكن أن تحل إلا عبر الاحتجاج والأساليب العقلية والشرعية المقبولة.

٨ - إحياء الثقافة التوحيدية والنزعة الوحدوية في المجتمعات الإسلامية، وإحياء رموز وعوامل ومظاهر الوحدة، لأن كثيراً من الأحكام الاجتماعية والسياسية والعبادية للإسلام مشرعة على أساس هذه الفلسفة، مثل إحياء الفلسفة والروح الحقيقية لمؤتمر الحج العالمي العظيم، وصلاة الجمعة، وصلاة الجماعة، وروح التعاون والاهتمام بأمور المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمسؤولية عامة، إلى غير ذلك من الشعائر.

٩- توعية أفراد الأمة كافة كي يكون لديهم صورة واضحة عن أبعاد الحضارة الإسلامية وعوامل انحطاط المسلمين في القرون الأخيرة.

١٠ - الجهاد والسعي لتوسيع الحركة الثقافية للعالم الإسلامي على أساس بث روح الثقة بالنفس ورفض الروح الغربية المهيمنة على أغلب المجتمعات الإسلامية.

١١- اكتشاف ومعرفة الأعداء الحقيقيين والتصدي لعراقيل العدو المشبطة.

١٢- نشر ثقافة الجهاد وحب الشهادة من أجل ضمان انتصار رواد الجهاد على العدو.

١٣- مجابهة العقلية الخرافية والتهم المثيرة للفرقة، التي سرت بمرور الزمن على يد المغرضين الجهلاء إلى الثقافة التقليدية للشعوب والمجتمعات الإسلامية باسم الآداب والتقاليد الدينية والمذهبية، والسعي للحد من العصبية العمياء القائمة على الجهل.

١٤- السعي لتطابق أقوال دعاة الوحدة، والحكام والمسؤولين العسكريين الذين يطلقون شعار الوحدة، مع أفعالهم. وأن يصل ذلك التطابق إلى حد إذا طالب المصلحون وزعماء المجتمع بالسكوت أو الاتحاد والدعم والتعبئة، فعلى أفراد المجتمع أن يروه عين مصالحتهم ويعملوا به وإن تعارض مع آدابهم وأعرافهم التقليدية، نظير ما شاهدناه مراراً وتكراراً خلال نهضة الإمام الحافلة بالأحداث، حيث كان المجتمع حساساً إزاء القيم المعنوية الصالحة المندثرة، وانبرى بإخلاص لإحيائها، انطلاقاً مما كان به من وعي للعوامل التي اشرنا إليها.

لقد جعل الإمام الحج إبراهيمياً، وأحى صلوات الجمعة المعطلة وجعلها اجتماعاً أسبوعياً للمسلمين، وجعل صلاة الجماعة ذات معنى، وبدأ حرب أعداء الدين ومقاتلتهم في المحراب والمسجد، ووقف مدافعاً عن حقوق المظلومين الفلسطينيين وجعل منهم نواة لاتحاد المسلمين في مجابهة الروح التوسعية الأميركية والكيان الصهيوني في البلاد الإسلامية الواسعة.

أجل لقد أقامت الثورة الإسلامية وانجازاتها الحجة علينا، وكانت انتصارات الإمام والحركة الإسلامية العالمية مصداقاً كاملاً للآية الشريفة: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^١.

ولطالما علمنا سماحة الإمام كيف نجاهد في الظروف القاسية التي توحى باليأس، وأكد أم كميات وأرقام العوامل المادية والظاهرية ليست هي الحاسمة في ميدان المواجهة بين الحق والباطل، وأن المهم والأساس هو الوعي واليقظة والدافع والإخلاص والعمل بالتكليف. فلا خوف ولا يأس لو أدركت المجتمعات الإسلامية اليوم عن وعي أن حلول مشاكلها والطريق الوحيد لنجاتها من هذا المأزق والتخلف الراهن هو العودة إلى هويتها الإسلامية وإيجاد الأمة الواحدة بمعناها الحقيقي من جديد. فتعالوا نكون طليعة هذا الجهاد المقدس. فمن العار أن يحترق أتباع نبي الرحمة والوحدة بنار التطاحن والانشقاق مع ما يتمتعون به من قوة بشرية وثروات جمّة ومواقع استثنائية، في حين يهزأ أعداء دين الله ملء شديقهم على هذا الاختلاف ويتبجحون على أمة كانت لقرون متمادية رائدة المدنية والثقافة الحقيقية، وينهبون ثرواتها. وها هو كتاب الله بين يدي المذاهب الإسلامية دون زيادة أو نقصان، وها هي سنة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ميثاق هداية ودليل عمل لنا، ولنا قبله واحدة، وشعار واحد، وصلاة ومناسك واحدة، ومئات الشعائر الإسلامية الكبرى التي تؤمن بها المذاهب الإسلامية كافة، التي يمكن أن تكون محاور راسخة وخالدة لإيجاد أمة نموذجية واحدة. وليس للأمة ذنب بهذا الشأن، بل أن العلماء والمثقفين والمسؤولين في البلاد الإسلامية هم الذين يجب أن يؤدوا رسالتهم في ظل هذه الظروف الخطيرة. وإنني أخاطب وبصوت عال الحكومات الإسلامية التي عقدت الآمال على معاهدات السلام مع أعداء مع أعداء الدين والشعب بدلاً من الاعتماد على ميثاق الأخوة مع الشعوب والبلدان

^١ سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

الإسلامية المجاورة، أقول لهم لقد ارتكبتم خطأ فادحاً وأخطأتم حساباتكم وها أنتم تكررّون التجارب الفاشلة السابقة. فأمركا والكيان الصهيوني لا يقبلان بأقل من محو الإسلام والاستيلاء على كل البلاد الإسلامية، فهيا إلى ميثاق الأخوة الإسلامية الذي لا ينقصم، بدلاً من التعويل على هذه المعاهدات العنكبوتية الواهنة التي ترعى مصالح غاصبي القدس. هيا لإحياء ذكرى الأمة الواحدة من جديد.

إن الحكومات والتيارات والشخصيات التي تشعل نار النزاعات وترمي أتباع المذاهب والطوائف الإسلامية الأخرى بالكفر والفسق، لهي على خطأ كبير إن تصورت أنها بهذه الطريقة تحفظ مصالحها ووجودها. فالعدو لن يرحم أحداً، ولا يجني المنفعة في مثل هذه المعارك سوى أولئك الذين يرون في اتحاد المسلمين عقبة تعترض سبيل سياستهم التوسعية.

وتأسياً مني بسماحة الإمام أعلن أن الشعب الإيراني ومسؤولي نظام الجمهورية الإسلامية يمدون أيديهم لعقد الأخوة والاتحاد مع الشعوب الإسلامية كافة والحكومات التي لا تفضل مصالح أعداء دين الله على مصالح الأمة الإسلامية، وهم - كما في السابق - على أهبة الاستعداد لتحمل تبعات خيارهم هذا.

وفي نهاية كلمتي أحذركم مرة أخرى وجميع المسلمين المتألمين للأوضاع الراهنة التي يمر بها العالم الإسلامي، وأذكركم بهذا النداء الإلهي التحرري: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾^١.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نص الحوار الذي أجرته مجلة العالم اللندنية مع حجة الإسلام والمسلمين
السيد أحمد الخميني حول مختلف القضايا الإيرانية والعالمية

^١ سورة آل عمران. الآية: ١٠٣.

بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

العالم: كيف تقيمون مسار حركة الثورة في الوقت الراهن؟

السيد أحمد الخميني: إن تقييمي بشكل عام لحركة الثورة إيجابي رغم المآزق والمؤامرات والمشاكل القائمة. طبعاً إن العالم الإسلامي يشهد ظروفاً مؤسفة، وقد زاد من صعوبتها وتعقيدها تعزيز الموقف المساوم في قضية فلسطين، والحضور الواسع المشين للقوات الأميركية والغربية في منطقة الخليج الفارسي، والتحولات التي تشهدها المنطقة، وضعف مسلمي العراق، وأوضاع، لبنان، وانهاز أميركا والغرب للتحويلات السريعة التي يشهدها الاتحاد السوفيتي والبلدان التي تدور في فلكه. ومن جانب آخر فمن الطبيعي أن يؤدي البدء في مرحلة الإعمار وما أفرزه تغيير بعض السياسات المعتمدة في زمن الحرب، إلى بروز ظروف داخلية لا بد من أخذها بنظر الاعتبار عند تقييم مسار الثورة الإسلامية. إلا أن الأمر المهم والأساس هو: الثبات على المبادئ والمواقف التي طرحها الإمام الخميني كأصول للثورة الإسلامية وأصر على تنفيذها حتى نهاية حياته.

العالم: ما هو دوركم في تحقيق أهداف الثورة بصفتم أبناء للإمام؟

السيد أحمد الخميني: طالما قال الإمام الخميني إن الثورة الإسلامية على تقوم على الأشخاص، وطالما أوصاني تحريراً وشفهياً وفي إطار التكليف الشرعي بالدفاع عن نظام الجمهورية الإسلامية والمسؤولين الذين يسعون لتحقيق أهداف الثورة. وأنا طبقاً لوصية الإمام - التي أجدها حجة شرعية - أرى من واجبي العمل بهذا التكليف على كل مستوى وفي كل مناسبة، وإذا ما رأيت في بعض الحالات - لا قدر الله - إشكالات وتخللات في الخطط والبرامج فإني أبدي ملاحظاتي حول ذلك. فالمعيار

هو العمل بالواجب وخدمة الشعب والثورة وهو بحق أعظم المفاهيم. فالعناوين والمناصب قضايا اعتبارية ليس لها أي قيمة من وجهة نظر الإنسان المؤمن بنهج الإمام. (القيمة في التقوى، والصدق مع الشعب، وخدمته، والثبات على مبادئ وأهداف الثورة التي لا يسمح المساس بها).

العالم: نظراً لوجود نهجين سياسيين مختلفين في البلاد، فكيف تنظرون إليهما، وأيها الأصلح من وجهة نظركم؟

السيد أحمد الخميني: إن وجود وجهات نظر مختلفة لدى القوى المؤمنة بالنظام ومبادئ الثورة، أمر اعتيادي وطبيعي. وأعتقد أن ذلك لا يضر بالنظام، بل إن هذين الجناحين إن لم ينحرفا عن جادة الحق الصواب وطرحا رؤاهما في إطار بنود الدستور فإن ذلك سيؤدي إلى مزيد من التمهيد لعوامل النمو السليم للأفكار.

إن طرح الرؤى المتفاوتة على صعيد كيفية إدارة المجتمع والقضايا السياسية والاقتصادية، فضلاً عن غنه يرتفع بمستوى الوعي العام، فهو مؤثر ومفيد أيضاً في تشخيص سلبيات وإيجابيات سياسة الدولة وتصحيح الأخطاء، شريطة أن لا يلحق ذلك ضربة بوحدة القوى المؤمنة بالثورة وأن لا يتجاوز حدود القانون. فالحرية إحدى قواعد الثورة الإسلامية التي وردت بصورة صريحة في الدستور (ليست هناك آفة كسلب الحريات المشروعة بإمكانها أن تهيب الأرضية لظهور حالة عدم الشعور بالمسؤولية لدى الشعب وخروجه عن ميدان الثورة). فنظامنا نظام شعبي، ولو أسىء إلى شعبيته تحت أي ذريعة فلا يوجد ضمان في استمرار نهج الثورة.

فتقييم صحة نهج الأجنحة الموجودة يجب أن ينطبق مع الأصول والمعايير التي حددها الإمام الخميني قدس سره. فالخلفية الجهادية، وتأيد ثورة الإمام في المراحل الصعبة قبل وبعد الثورة، والتزام الولاية قولاً وعملاً في

حياة الإمام وبعد وفاته وعلى جميع الأصعدة، والإيمان بدور الشعب في كل ميادين الثورة، وإعطاء الأولوية للمحرومين والمستضعفين في الخطط والبرامج، والإيمان بقدسية حرب الفقراء، والالتزام العملي بمبادئ الإمام التي لا تقبل المساس على صعيد السياسة الخارجية أي خوض الجهاد ضد أميركا بصفتها «أم الفساد» وضد الكيان الصهيوني، والدفاع عن كيان الإسلام ومظلومي العالم، والسعي لتصدير الثورة وإيقاظ الشعوب الرازحة تحت قبضة الحكام العملاء، هذه كلها من جملة الأصول التي يجب في ضوءها تقييم أقوال وكتابات وممارسات الأجنحة في السابق وفي الوقت الراهن. ولاشك أياً منها ليس له مطلق الحرية، فالسلوك القائم على حذف الآخر والنزعة الاستبدادية يتعارضان مع مصالح الثورة ومرفوضان متن أي جناح صدرا.

العالم: كيف تفهمون مفهوم اليسارية والرجعية في الثقافة الإسلامية؟

السيد أحمد الخميني: لا إجماع في وجهات النظر على تعريف هذين المصطلحين في الثقافة المختلفة، بل حتى في الثقافة الواحدة. ففي الثقافة الإسلامية متى ما طرح «اليسار واليمين» كمنحيين متعاكسين فإنه يراد بهما التطرف والانحراف عن طريق الحق، كما جاء في الحديث الشريف: «اليمين والشمال والطريق الوسطى هي الجادة»^١، والمراد بالطريق الوسطى سنة النبي محمد صلوات الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام ونهج الفقيه الجامع للشرائط في زمن الغيبة، حيث تكتسب ولايته الشرعية القانونية، على أساس رأي الأغلبية المؤمنة من الشعب وغالبية أعضاء مجلس الخبراء^٢ التي تعبر في الواقع عن رأي الأغلبية الشعبية، وبناءً على

^١ حديث للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «اليمين والشمال والطريق الوسطى هي الجادة».

^٢ يجب أن تدار شؤون البلاد في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، اعتماداً على آراء الشعب وعن طريق الانتخابات لتعيين رئيس الجمهورية أو ممثلي مجلس الشورى الإسلامي أو أعضاء المجالس، وإذا لم يكن

ذلك فإن أي تجاوز أو تخلف عن المبادئ والمواقف التي حددتها القيادة الشرعية يعد نزعة يسارية أو يمينية مدانة في الفكر الإسلامي. وهذه العناوين تستخدم اليوم بمعان مختلفة، واستعمالها في بلدان العالم الثالث متأثر عمومًا بالتعاريف التي أوجدتها المجابهة بين التيارين السائدين في العقود الأخيرة، أي الرأسمالية والشيوعية أو الليبرالية والاشتراكية.

العالم: ما هو رأيكم بالمناقشات التي دارت في مجلس الشورى الإسلامي حول تصويات مجلس الرقابة الدستورية؟

السيد أحمد الخميني: إن تفسير الدستور - واستناداً إلى الدستور نفسه - يقع على عاتق مجلس الرقابة، ويجب أن تصان حرمة الدستور مهما كانت الظروف ولا شك أن كافة بنود الدستور محترمة ويجب الاهتمام والعمل بها.

وحول كيفية إشراف مجلس الرقابة على الانتخابات، يعتقد البعض أنه كلما كان الإشراف والتصويب بمعنى التدخل في الشؤون التنفيذية التي وضح القانون أسلوب تنفيذها، سيؤدي ذلك إلى خلق تعارضات حين التنفيذ، ويصبح من الصعوبة بإمكان انطباق ذلك مع مبدأ استقلال القوى الذي يقوم عليه نظامنا، ومن جانب آخر من الممكن أن يتسع نطاق البحث ليشمل كل أنواع الإشراف التي تنبأ بها القانون، لكن مع هذا يجب الانقياد للقانون، وإذا ما كانت المُختلف عليها ذات صلة بالمصالح العامة للنظام فإنها ستُحل بتدخل قائد الثورة أو مع تشخيص مصلحة

ممكناً استحصال رأي الأكثرية في أمر من الأمور، أو أن نيل المقصود يستلزم إجراء مباحثات ومناقشات، فلا بد في هذه الحالة من أن ينتخب الشعب أشخاصاً من ذوي الخبرة يعتمد عليهم ضمن إطار مجلس الخبراء كي يناقشوا القضايا التي تهمه كالدستور أو تعيين القيادة.

النظام^١، ومن الطبيعي أن تبرز هذه الصراعات والمشاحنات في كل نظام تقدمي.

العالم: كيف تقيمون السياسة الاقتصادية الراهنة للبلاد، قياساً إلى السياسة السابقة؟

السيد أحمد الخميني: من البديهي أن تختلف سياسة زمن الحرب عن سياسة مرحلة الأعمار. فتغيير البرامج. فتغيير البرامج الاقتصادية في مرحلة إعادة البناء أمر لا مفر منه. كما كان فرض بعض القيود من قبل الحكومة في مرحلة الحرب أمراً ضرورياً، ولا معنى للتنمية الاقتصادية بدون المشاركة العامة. إن ما يحظى بالأهمية هو منحى تلك السياسة والبرامج الاقتصادية وتطابقها مع الأصول والمبادئ التي توجه ممارسات وسياسة رجال الدولة في مختلف الظروف. لقد حققت حكومة السيد هاشمي نجاحات في سياستها الجديدة، وهي عازمة على تنفيذ الخطة الخمسية وزيادة الإنتاج الصناعي ونشر الرفاه العام، وقد بدأت خطوات جيدة في هذا الاتجاه؛ إلا أن المشاكل الاقتصادية ما زالت كثيرة جداً؛ وتقييم مدى نجاح برامج الحكومة ومشاريعها بحاجة إلى وقت أطول.

وبرأيي لا ينبغي - على صعيد البرمجة والتنفيذ - الاكتفاء بآراء فريق من الخبراء توجهاتهم مشتركة في مجال السياسة والاقتصاد. ولا ننسى ولو لحظة واحدة - أن حساسية الأوضاع واستمرار عداء أميركا والعالم الغربي لظاهرة الثورة الإسلامية، يوفر إمكانية تسلل العناصر المتظاهرة

^١ جاء في المادة ١١٢ من دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية: ينعقد مجلس تشخيص مصلحة النظام بأمر من القائد لتشخيص مصلحة النظام في الحالات التي يرى فيها مجلس الرقابة الدستورية منافات قرارات مجلس الشورى الإسلامي للمعايير الشرعية أو الدستور، وعدم عمل هذا المجلس برأي مجلس الرقابة آخذاً بنظر الاعتبار مصلحة النظام مصلحة النظام، وكذلك للتشاور في الأمور التي يرجعها القائد إلى هذا المجتمع، وسائر المهام المذكورة في هذا القانون، ويقوم القائد بتعيين الأعضاء الدائمين والمؤقتين له، في حين يقوم أعضاؤه بإعداد النظام الداخلي الخاص به والمصادقة عليه قبل تأييده من قبل القائد.

بالصلاح والمرتبطة فكراً بالغرب، وإذا ما أخفقنا في أحد البرامج الاقتصادية فعلينا أن ندرس أسباب ذلك الإخفاق ونطلع الشعب عليها بصراحة.

وعلى الأحزاب والتيارات أن لا تخشى النقد واعتراضات المواطنين، شريطة الحذر من إدخال اليأس واللامبالاة إلى قلوبهم. إن العمل المؤثر في هذه الظروف الحساسة هو تأييد الشعب للمسؤولين وصدق المسؤولين مع الشعب.

العالم: في ضوء تأكيدكم على الاهتمام بأهداف الثورة ومتابعتها، هل هناك حالات تبعث على القلق على هذا الصعيد في النهج الاقتصادي والسياسي للبلاد؟

السيد أحمد الخميني: لا يمكن أن يشعر بالاطمئنان أولئك الذين وقفوا على الحقائق التاريخية ودرسوا المصير الذي آلت إليه نهضات الأنبياء ومختلف الحركات والثورات الأخرى، فهناك قلق دائم بالتأكيد. فتورتنا ليست أكثر عمقاً من ثورة الرسول الأكرم ﷺ، ومع ذلك حذر الله سبحانه فقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟﴾^١ ولا يختص هذا التحذير بتلك الفترة، أي ان احتمال التراجع عن المبادئ قائم دائماً سيما إذا عبأ العالم القوي كل إمكاناته لضرب نمو ونفوذ أفكار الثورة، والثورة الإسلامية الإيرانية مرتبطة بمصير مسلمي العالم، وإذا ما فكرنا في سياستنا بتحسين الأوضاع الداخلية فحسب، ونظمتنا سياستنا الخارجية والداخلية على أساسها، فهذا يعني أننا انحرفنا عن الطريق. فنحن، وانطلاقاً من مبادئنا، لدينا التزامات إزاء الشعوب المظلومة في فلسطين ولبنان وأفغانستان.

^١ سورة آل عمران: الآية: ١٤٤.

إن حضورنا الفاعل في المحافل الدولية يجب أن يكرس باتجاه تقليص نفوذ أعداء الإسلام. فأى حركة تؤدي إلى شحوب جوهره صراع الثورة مع الفكر المادي الغربي - وعلى رأسه أميركا - وإدخال اليأس (من استمرار الجهاد) في قلوب الشعوب، فإنها لا بد وأن تصب في مصلحة أعداء الثورة آخر المطاف، حتى وإن لجأت إلى حد بعض المشاكل الداخلية خلال فترة قصيرة.

إن إقامة العلاقات مع الحكومات وتطويرها، إذا لم تكن مشفوعة بالسعي لإقامة مزيد من العلاقات مع هذه الشعوب والتعاطف معها، فسوف تؤدي إلى عزلنا عن الشعوب بالتدريج.

العالم: كيف تقيمون السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في الوقت الراهن؟

السيد أحمد الخميني: لقد أجبت على هذا السؤال في الجواب السابق.

العالم: في ضوء تحذيركم المتكرر للحكومة من أخطار التدخل الأميركي في سياسة البلاد، هل هناك ما يدل على وجود مثل هذا التدخل؟

السيد أحمد الخميني: لاشك أن أميركا هي ألد أعداء الثورة ولن تقف مكتوفة الأيدي، ولحسن الحظ فإن مسؤولي النظام لديهم تجربة غنية من سنوات الجهاد مع أميركا وعملائها، وما زالت آثار سياط عملاء أميركا في إيران على أجسادهم، وهم على حذر منها، غير أن الخطر لا يزول في يوم وليلة.

فأميركا على علم بحاجتنا الاقتصادية وقدراتنا، ولهذا عملت على مضاعفة هيمنتها السياسية في منطقة الخليج الفارسي، وقامت بتحركات جديدة في فلسطين المحتلة ولبنان، وعملت على استمرار خطوات تنفيذ

القرار ٥٩٨، وأميركا على معرفة واضحة بحساسيتنا تجاه مصير مسلمي العراق، وقد استطاعت أن تحصل على نفوذ أكبر داخل مجلس التعاون الخليجي بعد حرب النفط المجنونة، في حين إن أتباع الغرب يلهثون وراء النفوذ الثقافي مستغلين ظروف مرحلة الإعمار.

أقول بصراحة أن الخطر واقع بنا لو لا يقظة المسؤولين ووعي الشعب والتزامهما الجهاد ضد أميركا، وإن الخطوات العملية لمجابهة الغزو الثقافي والاقتصادي والسياسي الأميركي الجديد، أكثر ضرورة من أي وقت مضى. إن الحكومة معادية لأميركا لن تتخلى عن أعمالها الشيطانية.

العالم: ألا تعتقدون أن إقامة علاقات حميمة مع البلدان الغربية في المنطقة، سيؤدي إلى عدول الثورة عن أهدافها وانحراف سياسة البلاد؟

السيد أحمد الخميني: لا يعني مجرد إقامة العلاقة وتطويرها عدولاً عن المبادئ (عدا بلدان مثل أميركا والكيان الصهيوني وأفريقيا الجنوبية التي هي ضمن القائمة السوداء للثورة)، فالمهم هو أهدافها وطبيعتها وتأثيرها على مبادئ السياسة الخارجية والداخلية. ومعلوم أن البلدان الأوروبية ليست على مستوى واحد.

فيجب أن نأخذ بنظر الاعتبار في علاقتنا مع أوروبا، الوضع الراهن للعالم بعد انهيار الماركسية وإمكانية زيادة الهيمنة المطلقة على السياسة الدولية، وإن توزع النفوذ في الظروف الحالية سيعطي الفرصة لبلدان العالم الثالث للتهيؤ لمواجهة الأحداث القادمة شرط أن تسعى في هذا المجال. وعلينا أن لا ننسى وحدة أصول الفكر والفلسفة المادية المناهضة للإسلام والمهيمنة على أميركا والعالم الغربي.

إن زج الإمكانيات من أجل القيام بحركة ثقافية في العالم الإسلامي من أجل مزيد من الاتحاد بين المسلمين ومجابهة الغ الغربي على صعيدي

الثقافة والسياسة، يعد من أفضل الأساليب بإمكانها أن تبطل مفعول الآثار السلبية لتطوير العلاقات مع البلدان الغربية.

العالم: إن كثيراً من المراقبين السياسيين يرون في تحليلاتهم السياسية أن إيران قد خرجت بسياستها الأخيرة عن كونها بلداً ثورياً، فما هو رأيكم في ذلك؟

السيد أحمد الخميني: سعى الغربيون بعد رحيل الإمام إلى إظهار هذا التحليل على أنه منطقي ومقبول، ولو نفذ هذا التحليل إلى أفكار المسلمين الإيرانيين والرأي العام العالمي، لأعطي نتائج كثيرة لصالح العالم الغربي. إنهم يسعون للبرهنة على أن عصر الثورة قد انتهى وأن الثورة لم تسفر عن شيء، وأن الإسلام عاجز عن حل مشاكل البلدان الإسلامية. إنهم يريدون أن يبرهنوا من خلال إسقاط الثورة الإسلامية على أن الطريق الوحيد لنجاة العالم الثالث هو القبول بالهيمنة الثقافية والسياسية الغربية وإتباع الغرب في وجهات نظره، الأمر الذي يعني مضاعفة مسؤولية نظام الجمهورية الإسلامية مئات المرات. لقد ذكرت من قبل أن مصير الثورة والنظام متلاحم مع قضايا العالم الإسلامي بأسره. وما زال الشعب في إيران يصر على أهدافه إمامه، وقد برهن من خلال مشاركته الواسعة في مراسم ذكرى رحيل الإمام وتظاهرات ٢٢ بهمن (١١ شباط) وكذلك خطاب قائد الثورة المعظم.

وفي مراسم الحج أقيمت تظاهرات البراءة من المشركين بصورة واسعة. وأن تحرير فلسطين ومعارضة المشاريع التساومية للرجعيين العرب، جزء من السياسة التي تلتزمها وزارة الخارجية. كذلك ثمة بين إيران والمجاهدين الأفغان علاقة قوية.

لكن - للأسف - إن بعض الممارسات - لا سيما اللقاءات على مستوى الخبراء - قد هيأت المناسبة لمثل هذه التحليلات، ومن المسلم به أن نفوذ

فكر الإمام ونهجه في أوساط الشعب الإيراني والعلماء والجامعيين، لا يسمح بتحول الجمهورية الإسلامية إلى بلد ضعيف مشغول بقضاياها الخاصة، لا يبالي بمشاكل العالم الإسلامي، ويتخلى عن قيادة نهضة إحياء عظمة الإسلام ومجده، ولكن على أي حالة ينبغي لنا أن نكون واعين ويقظين.

العالم: ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه إيران على صعيد أمن الخليج الفارسي؟

السيد أحمد الخميني: ثمة عوامل كثيرة تجعل من الدور الإيراني المؤثر والفاعل في أمن الخليج الفارسي غير قابل للإنكار؛ منها الحدود الطويلة لإيران على الخليج الفارسي، والموقع السياسي في آسيا، والعلاقات الدينية والثقافية والتجارية القديمة مع شعوب منطقة الخليج الفارسي، واشتراكها الفاعل في منطقة الأوبك التي يتركز أعضاؤها في منطقة الخليج الفارسي، فضلاً عن امتلاكها لمجموعة من الإمكانيات والقدرات التي تكاد تكون فريدة على صعيد النهوض بمسؤولية أمن المنطقة، حيث لا يمكن استتباب الأمن الحقيقي فيها دون مساهمة إيران الجادة في أي خطوة ضمن هذا الإطار. لهذا فإن تجاهل الدور الإيراني لن يعود بالفائدة على أي من دول المنطقة، كما لا يمكن بدون المساهمة الإيرانية إقرار أمن حقيقي.

لقد أكدنا منذ انتصار الثورة - وقبلها أيضاً - رفضنا الشديد للتدخل الأجنبي، ولممارسة دور شرطي في المنطقة من قبل أي بلد كان، ونعتقد أن الأمن الحقيقي لا يتحقق إلا بمساهمة كل بلدان منطقة الخليج الفارسي. وإنه لمن العار حقاً أن يستنجد العالم الإسلامي بأعداء الإسلام والقوى الأجنبية لحل مشاكل منطقته مع كل ما يمتلكه من نفوس وإمكانات هائلة متحركة وكامنة في هذا العالم.

العالم: ما هو برأيكم الموقف الذي كان سيتخذ الإمام الراحل - لو كان حياً -
إزاء حضور القوات الأميركية في المنطقة؟

السيد أحمد الخميني: لا تبدو الكلمات واقعية في حال الإجابة عن هذا السؤال مجرداً، لأن عدوان العراق على الكويت وما أعقبه من حضور واسع مؤسف لأميركا والغرب في المنطقة، قد حدث بعد رحيل الإمام، وإن ثمة احتمالاً قوياً أنه لو كان الإمام حياً لما لجأ صدام إلى مثل هذا العدوان الجنوني الواسع على بلد مسلم صغير كان بالأمس القريب حليفاً له ومدافعاً عنه في حربه الطويلة ضد إيران،

وذلك لمعرفة صدام بمواقف الإمام ونفوذ كلمته بين المسلمين. وكان من المحتمل أيضاً أن يتخذ الأميركيان مواقف أخرى اعتماداً على تقييمهم لأوضاع المنطقة بوجود الإمام. ومن خلال مجموعة مواقف ورؤى الإمام تجاه الأحداث المشابهة، يمكن القول أن أمراً كهذا لو حدث في حياته قده لأدان بشدة العدوان العراقي على الكويت ودعوة حكومتي السعودية والكويت للقوات الأميركية والغربية إلى المنطقة. ولا ننسى كيف أنه حذر مراراً وبشكل صريح من جنون القوة التي يمتلكها صدام وإحراقه للمنطقة في حالة استمرار دعم حكوماته له ونعاونها معه، وكيف أنه تنبأ بهذا الحدث.

لكن - للأسف - إن بعض حكام المنطقة المغرورين، لم يحملوا تحذير الإمام محمل الجد، واستمروا في تسليح صدام وتقويته. ولا شك أن دخول القوات الأميركية والمنطقة وإلى جوار بيت الله تحديداً، ما كان يمكن أن يطيقه الإمام. ولما أصبح العدوان الوحشي الصدامي مبرراً مشروعاً لدعوة الأجانب للتدخل في المنطقة وفي مصير البلدان الإسلامية. والحمد لله فإن مواقف قائد الثورة الإسلامية ورئيس الجمهورية والمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، تعد من أكثر المواقف منطقية في أشد الظروف تعقيداً، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أوضاع مرحلة ما بعد رحيل الإمام على صعيد تنفيذ القرار ٥٩٨. فقد أصرت إيران على

مواقفها وأدانت العدوان العراقي والوجود الأميركي، ولم تنتهز الفرصة السانحة للثأر من صدام - وكان أمراً سهلاً في ظل تلك الظروف - لأنها تعلم أن ذلك سيكون لصالح أميركا وعلى حساب الشعب العراقي المظلوم. ولبت إيران في حدود إمكاناتها صرخة استغاثة الشعب العراقي الذي تشرد بفعل القصف العشوائي الوحشي لأميركا وحلفائها، ووضعت تحت تصرفه إمكاناتها الغذائية والعلاجية ولم تسمح للقوات الغازية باستخدام أجوائها ومناطقها المائية والبرية، وبذلت على الصعيد السياسي نشاطاً واسعاً من أجل تقليص حجم الخسائر ووضع حد للفتنة، كما آوت مئات الألوف من المشردين العراقيين.

العالم: في ضوء المصالح الأميركية في منطقة الخليج الفارسي، هل يمكن لإيران أن توجد نظاماً أمنياً مستقلاً في المنطقة؟

السيد أحمد الخميني: أشرا إلى هذا السؤال في الجواب السابق.

العالم: ما هي وجهة نظركم حول نزع أسلحة بلدان العالم الثالث؟

السيد أحمد الخميني: نزع السلاح بحد ذاته أمل وهدف إنساني قديم، ويمكن صلاح المجتمعات البشرية في تحقيقه. غير أن الواقع هو استغلال أميركا للرأي العام العالمي لتحقيق مصالحها غير المشروعة. وكانت قضية نزع السلاح تتابع خلال الحرب الباردة بين الشرق والغرب لأهداف تصب عامة في مصلحة القوتين العظيمتين، واليوم وبعد انهيار المعسكر الشرقي قدمت أميركا من جديد أطروحة نزع أسلحة بلدان العالم الثالث، وهو أمر لا يمكن أن يخدم مصلحة شعوب العالم. ومن المؤكد أن أميركا غير مستعدة لأن تمتد هذه الأطروحة لتشمل القوة التسليحية الجهنمية التي تمتلكها وتلك التي يتمتع بها الكيان الصهيوني وباقي حلفائها الذين تثق بهم. ومن جملة أهداف هذه الأطروحة هي الاستحواذ على سوق الأسلحة العالمي لا سيما بعد تعاظم القوة الأوروبية، والسيطرة المضمونة على الأوضاع السياسية والاجتماعية في مناطق العالم

المتأزمة، ونزع أسلحة المسلمين في مقابل تعاظم القوة العسكرية للكيان الصهيوني، وإخضاع بلدان العالم الثالث للهيمنة الأميركية في النظام العالمي الجديد.

ولاشك في أن البلدان التي تتجاهل مصالحها الوطنية ومصالح العالم الثالث، وتتعاون مع أميركا في تنفيذ هذا المخطط، فستعكس آثاره المشؤومة المدمرة على العالم الإسلامي قبل أي نقطة أخرى في العالم. ويبدو أن الظروف العالمية الراهنة وبقطة الشعوب والتوزيع الجديد للقوة والأحداث وشبكة الوقوع الناجمة عن التحولات في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية والغربية، سوف لا تسمح أميركا بتنفيذ هذا المشروع. ومن الأسباب التي دعت أميركا إلى التبطيل الإعلامي لهذا المشروع في الوقت الراهن هو انشغالها بأحداث الاتحاد السوفيتي وتحولات العالم الغربي من جهة، ولتوفر أفضل لبلدان العالم الثالث للحصول على حاجتها من الأسلحة من مصادر أكثر وثوقاً (القوى الصناعية الأخرى أو منافسو أميركا في المستقبل) من جهة أخرى. لهذا فهي تسعى من خلال طرح موضوع نزع أسلحة بلدان العالم الثالث أن تتخذ منه عاملاً إعلامياً ونفسياً لتحذير هذه الدول من التقرب إلى الأسواق الأخرى.

العالم: كيف تقيمون الانتفاضة الفلسطينية في ضوء المؤامرات الأخيرة؟

السيد أحمد الخميني: كان الإمام الخميني قده قبل الخامس عشر من خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣) وحتى وفاته، يؤكد دائماً أن القضية الفلسطينية هو أهم قضايا العالم الإسلامي وإنها لن تنتهي لصالح المسلمين دون القضاء على إسرائيل وإبادتها، ولا يمكن حلها إلا بالاعتماد على إيمان الشعب الفلسطيني وتعبئة جميع أبناء العالم الإسلامي. وإن الألعاب السياسية التي يمارسها خونة القضية الفلسطينية لا يمكن أن تحل مشكلة المسلمين الفلسطينيين. كما إن أولئك الذين يتصورون أن القضاء على إسرائيل ليس سوى آمال ذهبية أدراج الرياح، لم يطلعوا - في الواقع - على حقائق على حقائق العالم ويتجاهلون الإمكانيات الحقيقية

العظيمة للمسلمين، وكانت مثل هذه الأفكار تطرح قبل انتصار الثورة الإسلامية، ونحن لا نشك أن تحرير القدس لا يمكن أن يتحقق بسهولة، وإنه بحاجة إلى الإيثار والشهادة وجهود المسلمين قاطبة، وإن كان الشعب الفلسطيني هو محور النهوض والثورة. فبدون المساهمة الحقيقية لهذا الشعب في ميدان الجهاد ضد إسرائيل، ليس بإمكاننا أن نحقق شيئاً، وليس ما يهدد الانتفاضة^١ تزايد الجرائم الإسرائيلية المدعمة من أميركا، بل الانشداد إلى مشاريع أصحاب اللعب السياسية واليأس من الجهاد والنصر. فلا يحقق شيئاً لرؤساء الحكومات الإسلامية وزعماء الأحزاب الفلسطينية التوقيع على وثيقة استلام المسلمين. فالحكومة التي كانت حتى الأمس القريب تطلق الشعارات الثورية المضادة لإسرائيل، لا يحق لها انتهاج طريق «السادات»^٢ مهما كان عذرهما، ولن يسمح الشعب المظلوم في فلسطين ولبنان وباقي الشعوب الإسلامية بمثل هذه الخيانة.

ولحسن الحظ فإن الانتفاضة الشعبية في الأراضي المحتلة قد برهنت حتى الآن على أنها تجري بالتوكل على الله وقوة إيمان الشعب ورفضها للتساوم. فإن استمر هذا المنحى وأدت الحكومات واجباتها، فإن أميركا لن تفلح في حسم القضية الفلسطينية لصالح إسرائيل أبداً، حتى لو نجحت في مخططاتها التآمرية الأخيرة، وستستمر الانتفاضة بعون الله تعالى.

^١ مفردة «الانتفاضة» ذات خلفية طويلة في تاريخ الثورات والحركات الجهادية، وهي تعني التمرد على الكسل والخمول، كما إنها مرحلة تسبق الثورة، فنحن نطلق مصلاً على حركة المدرسة الفيزية بقم اسم «الانتفاضة» وعلى حركة عام ١٩٧٩م اسم «الثورة» كما أن الحركة التي تشهدها فلسطين اليوم تسمى بالانتفاضة أيضاً، لأنه لم يكن متوقعاً في بداية انطلاقها أن تكون بهذا الحجم الواسع. وإن ما يحدث في فلسطين اليوم هو في الواقع ثورة، يطلق عليها البعض اسم «الانتفاضة - الثورة».

^٢ لقد مهد الرئيس المصري المقيم في طريق التساوم مع العدو الصهيوني أمام الأنظمة العربية العملية بعد توقيعه على معاهدة كامب ديفيد المشينة في عام ١٩٧٨م. وقد قتل عام ١٩٨١م على يد الضابط المسلم الشاب خالد الإسلامبولي.

العالم: في ضوء الظلم الذي يلحق بالفلسطينيين، هل تعتقدون أن الموقف الإيراني هو المطلوب؟

السيد أحمد الخميني: إن مواقف إيران من القضية الفلسطينية واضحة وصريحة سواء في حياة الإمام أو في المرحلة التي تلت رحيله، وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق. وأنا أعتقد بضرورة توظيف إمكانات أكبر لأهم قضية في العالم الإسلامي. فلماذا دخلت العربية السعودية وحطام الكويت وبلدان المنطقة ومصر وأغلب الدول العربية والإسلامية، بكل ثقلها على الميدان عندما احتل الكويت من قبل العراق، ودعت هذه الأنظمة أعداء الإسلام لاستخدام أرضها وأجوائها وإمكاناتها وميزانيتها من أجل التصدي للعدوان، في حين نجدها اليوم تستعد للتصالح مع إسرائيل الصهيونية الغاصبة المتعطشة لدماء المسلمين، رغم جرائمها ووحشيتها، كي تؤيد بهذه الطريقة العدوان وتعترف بالمعتدي؟

ونقول بمرارة: إن أغلب الحكومات الإسلامية تتحرك على المسار التساومي. وعلى الجمهورية الإسلامية أن تزج بكل إمكاناتها السياسية والثقافية والمعلوماتية من أجل أن تبقى الثورة مشتعلة في الأراضي المحتلة ولدعم إخوتهم المظلومين والأجيال القادمة، ولتحذير الشعب الفلسطيني من الخيانة الكبرى التي ينوي قادة البلدان الإسلامية ارتكابها قريباً. فالفلسطينيون هم اليوم أكثر تعرضاً للخطر من أي وقت مضى، وإن اهتمام الرأي العام العالمي بقضايا الاتحاد السوفيتي وتحولاته السريعة، أتاح الفرصة لأميركا والزعماء الرجعيين في بعض البلدان الإسلامية كي يجيروا القضايا لصالحهم بعيداً عن أعين المسلمين. وعلينا - نحن وأحرار العالم كافة - أن لا نسمح بمثل هذه الخيانة.

العالم: ما هو رأيكم في إقامة دولة فلسطينية ذات حكم ذاتي إلى جانب إسرائيل؟

السيد أحمد الخميني: لقد أجبنا على هذا السؤال لدى إجابتي على السؤالين السابقين. إن مشروع الخطوة خطوة خدعة لا غير، فإسرائيل لم ولن

تراجع عن أهدافها، وهي تفكر بالاستيلاء على منطقة تمتد من النيل على الفرات. فالحل السياسي للقضية الفلسطينية عن طريق تشكيل دولة (حكم ذاتي) صغيرة ضعيفة إلى جانب إسرائيل المجهزة - بكل الإمكانيات وأنواع الأسلحة - والمدعمة بصورة كامل من قبل أمريكا، يعني حسم القضية الفلسطينية وترسيخ الصهيونية بشكل دائم في قلب العالم الإسلامي.

العالم: كيف ترون دور منظمة التحرير الفلسطينية في قضية التساوم مع إسرائيل؟

السيد أحمد الخميني: من وجهة نظري، وبغض النظر عن الألاعيب السياسية ومصالح أميركا وبعض الدول الغربية، أرى أن منظمة التحرير قد تحولت لدى الشعب الفلسطيني والمسلمين الثوريين إلى منظمة تافهة أدارت ظهرها للكفاح، ما لم يبادر الغيارى الفلسطينيون بتحركات جديدة. ويجب أن تتجه كل الأنظار نحو الانتفاضة ومراكز الكفاح الثوري في البلدان الإسلامية.

العالم: ما هو رأيكم في النظام العالمي الجديد وما هي الأهداف التي تسعى إليها أميركا من وراءه؟

السيد أحمد الخميني: بعد انهيار الماركسية وقبل تحديد مصير الجمهوريات السوفيتية وتهدة الأوضاع في البلدان التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفيتي، ويطرح اليوم موضوع توازن القوى على شكل فرضيات مختلفة لا سيما من قبل الأقوياء، في حين تسعى أوروبا للاتحاد وزيادة قوتها وتقليص تبعيتها الشديدة لأميركا، أما اليابان فهي تقيم الأوضاع بتحفظ ودقة من أجل أن يكون لها ثقل اقتصادي أكبر - وربما عسكري أيضاً - في النظام الجديد.

أما الاتحاد السوفيتي وجمهورياته السابقة التي كانت تدور في فلكه، فهي تعاني من مشاكل داخلية حادة، والصين قلقة من حدوث تحولات مشابهة وهي منهمكة في البحث عن موقف بهدف الانسجام مع الظروف المستقبلية للعالم

ومواجهة ما يطلب منها من إعادة النظر في مبادئ وأسلوب حكمها. أما أميركا
المسرورة بتحقيق أملها القديم، فهي تفكر بأوروبا المتحدة المستقرة والاستيلاء
على مراكز القوة في الجمهوريات السوفيتية، بعيداً عن عين خصمها القديم،
والذي يبعث على القلق في ظل هذه الظروف هو وضع العالم الثالث وأعضاء
منظمة عدم الانحياز، حيث تتجه أطماع الأقوياء في النظام العالمي الجديد - ولا
سيما أميركا - نحو ثروات وإمكانات هذه البلدان.

والأهداف التي تسعى إليها أميركا في النظام العالمي الجديد هي: إيجاد
أحلاف إقليمية مسيرة وتقليص التوترات في المناطق الخاضعة للنفوذ الأميركي،
والحل النسبي للعداء بين العرب وإسرائيل عن طريق معاهدة الصلح واحتمال
تشكيل دولة إدارة محلية ساذجة على جزء من الأرض المحتلة، وتساعد الغزو
الثقافي والإعلامي ضد الإسلام والثورة الإسلامية والحركات الشعبية، وتقاسم
القوة بين أميركا وحلفائها الذين تطمئن إليهم، وإيجاد التحولات الظاهرية في
أنظمة الحكومات المستبدة في البلدان الخاضعة للهيمنة الأميركية عن طريق
تسليم زمام الأمور لعناصر عميلة ذات صلاح ظاهري وتحديث أنظمة هذه البلدان
وفق الأسلوب الغربي في محاولة للحد من الضغط الجماهيري، والحيلولة دون
الانتفاضات الشعبية، واستخدام عناوين جديدة أصبحت موضع اهتمام الرأي العام
العالمي بعد التحولات الأخيرة، مثل نزع الأسلحة والتقريب بين الشعوب، وزيادة
فاعلية منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن - المسيرتين - في حل المشاكل
العالمية بهدف امتصاص الضغوط الاقتصادية والسياسية الموجهة ضد أميركا.

إن أميركا تسعى لفرض المفاهيم التي ترتضيها للنظام الجديد والمقولات ذات
الصلة به، على الرأي العام العالمي اعتماداً على الوسائل الإعلامية والثقافية،
وتضفي عليها الصيغة القانونية في المحافل الدولية الخاضعة لنفوذها، مما يمكنها
من أداء دور حاسم في النظام العالمي الجديد، الذي سيكون بلا شك لصالح
أميركا وضد مصلحة بلدان العالم الثالث، والذي سيؤدي إلى نهب ثروات وذخائر

الشعوب بدون قتال وتوتر، وعلى أيد شعبية في ظاهرها، إلا أنها في الحقيقة عميلة مسخرة لخدمة مصالح أميركا وباقي القوى. كما ستكون الأسواق الإعلامية في هذا النظام الجديد تحت تصرف الأميركان وحلفائهم، ويكون مستقبل الاقتصاد العالمي في قبضتهم.

ورغم النقاط الإيجابية العديدة في التحولات الأخيرة، غير أنني لست متفائلاً من أن ينتهي سير الأحداث لصالح شعوب العالم الثالث. فما لم تنتهز هذه الشعوب الظروف المتاحة كي تحرر نفسها من الحكومات المرتبطة بأميركا، ولا تدع حكامها تلقي بها في مصيدة المخططات الأميركية في مختلف مناطق العالم وفي المحافل الدولية، فإن النظام العالمي الذي تريده أميركا لا بد وأن يتحقق. علينا أن لا ننسى مصيره الإسلام و (١/٥) مليار مسلم في العالم، والعداء الشديد المستمر للإسلام الذي تكنه أميركا والغرب، وأصحاب الفكر المادي عموماً، وعلى الشعوب الإسلامية أن لا تسمح بتسلط المشركين والكفار، وسوف لا يتحقق ذلك إن شاء الله وسيستمر نهج الإمام الخميني وينتشر دين الله بفضل يقظة وجهاد الشعوب الإسلامية.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني خلال لقائه
أعضاء المؤتمر الدولي لدعم الثورة الفلسطينية، ومسؤولي لجنة شؤون الأسرى

بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم شكري لجميع الضيوف الأعزاء القادمين إلى إيران الإسلامية من أنحاء العالم، والمجتمعين في هذا المكان المقدس، ولتلك الفئة الأخرى من ضيوفنا الأعزاء واعني بهم المسؤولين المحترمين عن شؤون الأحرار^١ في سائر أرجاء بلدنا الإسلامي. لقد قدمتم أيها الضيوف الأعزاء إلى هذا البلد الإسلامي الذي اجتاز شعبه الشجاع عقبات كثيرة واستطاع إسقاط دكتاتور المنطقة وشرطي الاستكبار الذي لا يقارع، كما تمكن شعبنا من عبور المرحلة الصعبة التي تلت الثورة، مرحلة الحرب المفروضة، وهو يواصل خطواته بقوة وثبات في مسار الحق والحقيقة من أجل تطبيق الأحكام الإسلامية.

يدور النقاش حول الكيان الصهيوني والكفاح ضده والدفاع عن الأهداف الفلسطينية الإسلامية والثورية؛ وأنتم علماء أفاضل وسياسيين بارزين وثوريين كبار في العالم الإسلامي، تعلمون جيداً ما هو النهج الذي يجب أن تتخذوه وما هي المشاكل التي تعترض سبيل الوصول إلى الهدف.

^١ يُعبر عن الأسرى الذين تحرروا من أغلال سجون النظام البعثي العراقي ومعسكرات أسره بـ (الأحرار). وقد عاد هؤلاء إلى إيران في عام ١٩٩١م بعد قبول القرار ٥٩٨ والاتفاق الذي تم بين الجانبين.

فقضية إسرائيل والجرائم التي ارتكبتها قضية شائكة وعميقة. وعندما بدأ الإمام جهاده ضد الشاه تعرّض لأنواع التهم وذلك لدفاعه عن فلسطين المحتلة والثوريين المسلمين الذين اخذوا ينفذون عمليات جهادية متتالية من أجل تحرير القدس والأرض الفلسطينية من مخالب الصهاينة.

وعندما اعتقل الإمام عام ١٩٦٣، ادعى الشاه - عبر مسرحية هزيلة - أن الثورة في إيران توجه من قبل الزعيم المصري جمال عبد الناصر، وإنه كان له دور في تحريض الإمام وتوجيهه، وقدم بعض الأشخاص وبأسماء مزورة على أنهم الوسطاء بين مصر والإمام. ولم يكن ذلك الموقف من الشاه وبطانته تجاه الإمام إلا لدفاع سماعته عن الشعب الفلسطيني الأعزل. فالشاه وبطانته لا يتصورون أبداً أن يدخل مرجع وفقه إلى ميدان الجهاد وأن تحتل القضية الفلسطينية في مقدمة اهتماماته. ولكي أضع أمامكم صورة الخلفية الجهادية للإمام على صعيد أهدافكم أيها الأعضاء أنقل لكم مقاطع قصيرة من آرائه بهذا الصدد. فما مدى اهتماماته بالقضية الفلسطينية وما هي الجهود التي بذلها من أجلها؟

قبل كل شيء على مواطنينا اليهود والمحبين الحقيقيين لدين موسى ﷺ أن يعلموا أن قضية إسرائيل الصهيونية منفصلة عن قضية المعتقدين بالنبي موسى، وقد وضع الإمام هذه النقطة أيضاً في عبارة له أوردها كمقدمة، فقد قال الإمام خلال كلمته بالأقلية اليهودية بإيران: «نحن نفرق بين المجتمع اليهودي والصهاينة. فالصهاينة مع المستكبرين، وهم جواسيس وعملاء لهم، ويعملون ضد المستضعفين».

لقد أولى الإمام اهتماماً بالغاً للجهاد ضد إسرائيل في مختلف الأبعاد، وكان يعتقد أن إسرائيل قد ظهرت إلى الوجود بتظافر جهود أميركا وبريطانيا وزعماء البلدان الإسلامية الخونة؛ أي إنها كانت مؤامرة حاكمتها حكومات أميركا وبريطانيا وبعض حكام البلدان الإسلامية، وكان يرى أن أنواع الدعم الأميركي

والبريطاني لإسرائيل قد تحقق عبر تأمر رؤساء الدول الإسلامية، ومن جانب آخر فإن إحجام الروس عن دعم المجاهدين الفلسطينيين قد هيا الأرضية لقمعهم. وأذكر هنا عبارة للإمام ثم أتناول بحثاً آخرًا. فقد جاء في الرسالة التي وجهها الإمام في عام ١٩٧٢م - قبل حوالي ٢٠ عام - إلى الطلبة المقيمين في أميركا وكندا: «ظهرت إسرائيل إلى الوجود بتواطؤ بريطانيا وأميركا وتبعية الحكومات الإسلامية، وهي تدعم اليوم من قبل المستعمرين كافة. وتقوم بريطانيا وأميركا - من خلال دعمها عسكرياً وسياسياً وتزويدها بالأسلحة الفتاكة - بتحريضها على شن عدوان ضد العرب والمسلمين واستمرار احتلال فلسطين وباقي الأراضي الإسلامية. وأن الاتحاد السوفيتي يقوي الوجود الإسرائيلي من خلال منعه لتسلح المسلمين وخداعه وخيانتته وسياسته المهادنة».

ونحن نرى اليوم الدور التخريبي للاتحاد السوفيتي في وضع العراقيل في طريق الثوريين المؤيدين لفكرة استقلال الأرض العربية الفلسطينية. وليس خافياً على أحد أن الاتحاد السوفيتي قد ارتكب خيانة كبرى بحق الثوريين الفلسطينيين من خلال إرسال مواطنيه اليهود إلى فلسطين المحتلة.

لقد عملت أميركا وبريطانيا من جهة والاتحاد السوفيتي من جهة أخرى على تقوية إسرائيل، حيث تعاون هؤلاء فيما بينهم من خلال قيام بعضهم بتزويدها بالأسلحة وبعضهم الآخر في منع السلاح عن المجاهدين الفلسطينيين والحيلولة دون انتفاضة الشعب الفلسطيني. ولما كانت سياستنا تقوم على مبدأ اللا شرقية واللا غربية، فليس هناك فرق بين عداء أميركا والاتحاد السوفيتي وبريطانيا، فلجميع دور متشابه في خيانة المسلمين الفلسطينيين.

ويتحدث الإمام عن كيفية إنقاذ فلسطين بقوله: «ليس سوى ثورة الشعب كافة» وهو بالضبط الوضع بعينه الذي وجد في إيران لمواجهة الشاه وبطانته والذي أدى إلى هروب الشاه وإسقاط الحكم الملكي الذي دام ٢٥٠٠ سنة، من خلال توزيع البيانات وتوجيهات سماحة الإمام وتحريض الشعب، وتحطيم الصنم الأميري

والانجليزي وسائر القوى الصغرى والكبرى في إيران. واعلموا أن أنصار الإمام الخميني هم المدافعون الحقيقيون عنكم.

ومن الأعمال الرائعة لوزارة الخارجية في الطرف الرهن هو عقد مثل هذه المؤامرات. أقدم شكري للإخوة المسؤولين في وزارة الخارجية والسيد وزير الخارجية وكل الذين بذلوا جهودهم من أجل حضوركم في إيران. أيها الثوريون والعلماء الكبار، حاولوا أن تتوصلوا إلى صيغة عمل لمجابهة إسرائيل. أنتم تعلمون أن الشاه كان هنا، وأولئك الذين كانوا يجتمعون هنا هم من يعارضونكم، أي إنهم كانوا عملاء لأميركا ولم يكونوا أحرارا وثورين يتألمون من أجل الثورة الفلسطينية. وكان سماحة الإمام يعتبر الكفاح ضد إسرائيل مبدأ جماهيرياً ثابتاً لا يتزعزع. فكان يؤكد أن القضية ليست أن يقتحم البعض اسم الشعب في بعض الحركات فيتمكن عن هذا طريق دحر إسرائيل، إن الطريق الوحيد هو تعبئة أفراد الشعب، ولا بأس أن اقرأ عبارة الإمام التي قالها خلال مقابلة أجرتها معه مجلة «الغد الإفريقي» في ١٩٧٨/١٢/٥:

«منذ ما يربو على خمسة عشر عاماً وأنا أدين إسرائيل في بياناتي وخطاباتي، وأدافع عن الشعب الفلسطيني وأرضه. فإسرائيل غاصبة، وعليها أن ترحل من فلسطين فوراً، والحل الوحيد هو أن يستأصل الإخوة الفلسطينيون وعلى جناح السرعة مادة الفساد هذه». وقال في الرسالة الموجهة لحجاج بيت الله الحرام عام ١٩٨٢: «ألم يحن الوقت بعد كي يدين شعب فلسطين المجاهد الغيور بشدة الألاعيب السياسية لأدعياء النضال ضد إسرائيل ويمزق بسلاحه الثوري صدر إسرائيل العدو اللدود للإسلام والمسلمين». وهو يشير بهذا إلى تردد عرفات على هذه البلدان العميلة لأميركا، وكان ياسر عرفات وأمثاله قد حرّفوا مسار الثورة الفلسطينية حين تصوروا أن بإمكانهم الوقوف بوجه إسرائيل عبر النشاطات السياسية، وهو ما يمكن أن نعهده أكبر خيانة ترتكب بحق الأهداف الثورية. فهل

من الممكن تحقيق مكسب على هذا الصعيد عن طريق التفاهم مع حسني مبارك والملك حسين وفهد وصادق وأمير الكويت وباقي الأمراء؟ وحقيقة الأمر هي أن يبادر الشعب الفلسطيني إلى العمل ويكون طليعة الحرب والساتر الأول في الحرب مع إسرائيل. فليست هناك حيلة سوى أن يلج الشعب الفلسطيني باب الجهاد العملي دفاعاً عن بلده الإسلامي. وعلمنا أن نحول الأمر الذي اجتمعتم من أجل التفكير فيه إلى واقع عملي. أي يجب أن ننظر ماذا بإمكان الحكومات المناضلة والثورية أن تعمل لكم، وما هو الطريق العملي لتحقيق أهدافكم الثورية؟ فالإمام يقول إن الساتر الأول يجب أن تقيمونه أنتم، وإن الشعب الفلسطيني يجب أن يكون الساتر الأول. ولما كان الشعب الفلسطيني اليوم قليل العدد في وجه كل هذه الأعداء من الأعداء، نرى الإمام يقول: «إن أم الفساد هذه التي حلت في قلب العالم الإسلامي بدعم من الدول الكبرى، والتي تهدد جذور فسادها البلدان الإسلامية كل يوم، يجب أن تستأصل بهمة البلدان والشعوب الإسلامية الكبرى». والخط التالي لتحرير فلسطين يمثله مسلمو البلدان الإسلامية، فعليهم أن يضعوا أيديهم في أيدي إخوانهم المجاهدين الفلسطينيين ليقتلوا مصدر الفساد هذا من المنطقة.

والخطوة الأخرى من وجهة نظر الإمام هي المقاطعة الاقتصادية، فلو كان زعماء البلدان يبدون تعاطفاً مع الشعب الفلسطيني بقدر جناح الذبابة، لكان عليهم أن يمنعوا تصدير النفط ويرفضوا المقاطعة الاقتصادية على أميركا وليس على إسرائيل، فكلنا يعلم أن الجهاد ضد أميركا هو بالحقيقة جهاد ضد إسرائيل لأن الأخيرة غير منفصلة عن أميركا. وكان الإمام يصبر على هذا المعنى ولا يرى جهاد إسرائيل منفكاً عن جهاد أميركا أو بريطانيا، ولا منفصلاً عن مواجهة الاتحاد السوفيتي، فأولئك الذين يدعون الكفاح لكنهم لا يريدون أن يقاتلوا، عليهم أن يرفضوا المقاطعة الاقتصادية على الأقل، وهو أضعف الإيمان.

ويقول الإمام على صعيد هذه الخطوة الثالثة: «لقد خاضت إسرائيل كفاحاً مسلحاً ضد البلدان الإسلامية، فعلى الحكومات والشعوب الإسلامية أن تبادر لقمعها». وكلام الإمام هذا، هو فتوى في حقيقة الأمر، حيث يقول سماحته: يجب قمع إسرائيل من قبل الحكومات والشعوب الإسلامية. كما أن دعم إسرائيل حرام ومخالف للإسلام سواء تم عن طريق تصدير الأسلحة أو عن طريق بيع النفط. إن إقامة العلاقة مع إسرائيل وعمالها حرام ومخالف للشرع سواء كانت تجارية أو سياسية». كما أفتى سماحته بحرمة العلاقات السياسية والاقتصادية مع إسرائيل وأولئك الذين يدعمون إسرائيل في مناطق أخرى.

إذن فهي ثلاث سواتر: الساتر الأول ويمثله الشعب الفلسطيني الثوري، والساتر الثاني، وتمثله الشعوب الإسلامية، والساتر الثالث ويتمثل في فرض المقاطعة الاقتصادية والسياسية على إسرائيل والدول التي تدعمها مثل أميركا.

لكن ما هو الأهم من هذا كله؟

يقول الإمام إن أهم من هذا كله في جهاد إسرائيل هو العودة إلى الذات. فالكفاح من أجل إحياء الثقافة الإسلامية يعد أهم من هذه القضايا، فلو جاهدنا في سبيل الثقافة الإسلامية، ونشرها، نكون في الحقيقة قد عارضنا ثقافة الشرق والغرب، وإذا جاهدنا ثقافة الغرب والشرق فسنعتمد على قوانا الذاتية، وإن تحركنا بوحى من المعايير الإسلامية لما قنعنا بغير الجهاد ضد إسرائيل وإخراجها من الأراضي الإسلامية.

ومن هنا ندرك أن الكفاح الثقافي هو أساس كل ما سبقت الإشارة إليه، عندما يقول الإمام: «ما لم نعد إلى إسلام رسول ﷺ فإن مشاكلنا ستبقى على حالها، ولم نستطيع حل القضية الفلسطينية، ولا قضية أفغانستان». فإن الثقافة الإسلامية الأصلية هي الحل لكافة المشاكل؛ والخضوع للغرب والشرق مدان من قبل الإسلام. ومن هنا فإن ثوريي أمس والذين يضعون اليوم قدماً في فرنسا وأخرى

في بريطانيا وثالثة في أميركا ورابعة عند عملائها في البلدان الإسلامية، سوف لا يجنون سوى الفشل لأنهم لا يؤمنون بالثقافة الإسلامية.

وللإمام كلمة بشأن الكفاح الثقافي والعودة إلى الذات ومقارعة إسرائيل، جاء فيها: «لا اعرف بعد الاستجابة لأحكام الإسلام أمراً أوجب على المسلمين، من التضحية بأرواحهم وأموالهم في سبيل عزة الإسلام».

علينا أن نعمل للإسلام من صميم القلب، فعندما ترون دماء إخوتكم وأخواتكم الأبرياء تراق في الأرض الفلسطينية المقدسة، وحينما ترون أراضيها تغتصب من قبل الصهيونية الفاسدة وزعمائها، لا يبقى في مثل هذه من حل سوى مواصلة الجهاد، وعلى المسلمين كافة تقديم دعمهم المادي والمعنوي لهذا الجهاد المقدس.

فماذا علينا أن نفعل، وماذا على الحكومة الإيرانية أن تفعل؟
يصرح الإمام على هذا الصعيد بالفتوى التالية: «علينا أن نقدم دعمنا المادي والمعنوي لأولئك الذين يطمحون لمجاهدة إسرائيل». فما هي طبيعة هذا الدعم؟
إذا كنا راغبين رغبة جادة بتقديم الدعم، فإن ذلك لا يتحقق بمثل هذه الاجتماعات وتصريحاتي وتصريحات باقي المسؤولين. فنحن قد جئنا للقيام بعمل أساسي، فنحن نملك النفط ويجب أن نبيعه ونقدم ثمنه للمسلمين والثوريين الحقيقيين كي يناضلوا، فإذا لم نفعل ذلك فإن عملاء أميركا سيقدمون الأموال لأمثال عرفات كي يقوموا بذبح ثورتنا تحت أقدام أميركا وبريطانيا وباقي عملائهم. فما هي المساعدات التي ننوي تقديمها؟ وما هي مساعدتنا المادية؟ وما هو دعمنا المعنوي؟ يجب أن تكون وسائل الإعلام كلها في خدمة فلسطين، وثقافتنا في خدمتها، ولو فعلنا هذا نكون قد قدمنا دعماً معنوياً، وعلى مساجدنا أن تدعو، ومناثرنا أن تذكر الناس بفلسطين دائماً، وتؤكد لهم دائماً وأبداً أن إسرائيل غدة سرطانية في المنطقة. إن هذه أعمال معنوية.

أما ما هو الدعم المادي؟ وماذا يريد الإمام بذلك الدعم؟ الدعم المادي هو أن نبيع النفط ونقدم ثمنه إلى المسلمين الحقيقيين المؤمنين بالكفاح كي نمهد الطريق لتحرير فلسطين عبر الكفاح المسلح. يقول الإمام: «يجب اليوم على المسلمين جميعاً بصورة عامة والحكومات والدول العربية بصورة خاصة - ولأجل الحفاظ على استقلالهم - أن يقوموا بحماية ودعم هذه الفئة المجاهدة الملتزمة (المجاهدين الفلسطينيين)، وأن لا يخلوا بأي مساع على طريق إيصال الأسلحة والمؤونة والذخيرة له لهؤلاء المجاهدين في سبيل الله».

وقال أيضاً: «إن الأمة الإسلامية - وانطلاقاً من الواجب الإنساني الأخوي القائم على اساس الموازين العقلية والإسلامية - مكلفة بتقديم أنواع التضحيات لاستئصال ربيبة الاستعمار هذه، ونصرة إخوانهم في جبهة الحرب بتقديم المساعدات المادية والمعنوية وإرسال السلاح والدم والدواء والغذاء».

فها نحن وها هي رسالة الإمام. وأوجه كلامي لكم أيها المسؤولون المحترمون حيث تشرفون اليوم والحمد لله على شؤون أسرارنا، أولئك الأحرار الذين أمضوا سنوات طويلة في سجون العراق، ولم يتراجعوا خطوة واحدة عن أهدافهم وعن فكر الإمام وكل ما حاربوا من أجله، وعليكم أن تضعوا هذا الأمر نصب أعينكم. أما فيما يتعلق بقضية أميركا والمنطقة فإن قائدنا العزيز سماحة آية الله الخامنئي قد قال في حديثه: إن تلك القضايا التي كنا نجلس لدراستها ونفكر فيها بكل جدية ثم لا نفهم منها شيئاً، كان الإمام يفهمها من النظرة الأولى ويخبرنا بذلك. واليوم قد أصبحت أميركا على مقربة منا ونحن نرفع لواء ضدها، وقد قال قائدنا العزيز: «يجب الجهاد ضد أميركا وإن من قام بالجهاد على هذا الطريق وقتل، فهو شهيد».

إن أميركا لا تقصد العراق، فقد ينسحب العراق، فتستهدف الثورة الإسلامية، لا في إيران فحسب، بل ثورة الإسلام العالمية. فعلياً أن نستثمر هذه الفرصة خير استثمار، ولا يمكننا أن نظل ساكتين، لأن أميركا قد وصلت إلى أعتابنا، وقد تضع

أقدامها غداً في جزرنا وتستولي على طناب الصغرى وطناب الكبرى وأبي موسى^١ مدعية تبعيتها للإمارات، قد تأتي غداً لتضع قدمها في مكان آخر وقد تحلق طائراتها في أجواء خوزستان، فما لم نتعامل معها بقوة، بماذا نجيب شباب حزب الله، وكيف يمكن أن نقتنعهم بالحرب خارج الحدود (والإسلام لا حدود له). كما يرى الوطنيون، وكان كفاحنا مع الليبراليين والوطنيين حول هذه القضية بالذات، ونحن نقول: من نادى (يا للمسلمين) فعلياً إجابته، وإلا فلسنا بمسلمين^٢.

يقول الإمام: «على المسلمين أن يعلموا أنه وبعد الثورة الإسلامية (وطرح الإسلام كمدافع عن الفقراء والمحرومين في العالم والالتفات إلى القوة الاعجازية للإسلام، فإن المخطط الأميركي الذي ينفذ اليوم من قبل إسرائيل الخبيثة سوف لا يقتصر على لبنان، لأن الهدف هو الإسلام في كل مكان لا سيما منطقة الخليج الفارسي والحجاز مهبط الوحي الإلهي». لقد قال الإمام هذا الكلام قبل ما يقارب من عشر سنوات. وليس عبثاً أن يقول قائدنا (آية الله خامنئي) إن الشيء الذي كنا نجلس لدراسته والتفكير فيه بكل جدية، كان الإمام يفهمه منذ النظرة الأولى.

كان الإمام يقول بعد الثورة الإسلامية إن القضية لا تتعلق بلبنان وفلسطين وحدها بل بالبلدان الإسلامية كافة، ولا سيما الخليج الفارسي وعلى الأخص مكة والمدينة. فالحجاز، منزل الوحي، هدف من أهداف أميركا وإسرائيل. وهذا ما يقوله الإمام، ويجب أن نعلمه.

^١ طناب الكبرى وطناب الصغرى وأبو موسى ثلاث جزر إيرانية تعود لإيران منذ بداية التاريخ البشري المدون وحتى يومنا هذا، وتشكل هذه الجزر الثلاث مع أربع جزر إيرانية أخرى في مضيق هرمز، أرخبيل عظيم الاستراتيجية يتحكم بعمليات الملاحة داخل هذا المضيق، وقد حرص الغرب - لا سيما أميركا وبريطانيا - الإمارات العربية المتحدة على الادعاء بملكية هذه الجزر بهدف انتزاعها من إيران وتوجيه ضربة للشبكة الدفاعية الإيرانية في مضيق هرمز.

^٢ من حديث للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقول: «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم».

ونحن حينما ندعو إلى الرفاهية فلا بد أن يعم الرفاه الجميع، لكننا نقول إن لم نعر اهتماماً لأقوال الإمام، كان اهتمامنا شاحباً، فإننا والله سنسحق تحت أقدام أميركا وإسرائيل.

لنتأمل ثانية بدقة! لقد قال الإمام في عام ١٩٧٩، أي قبل ما يقرب من ١٢ عاماً: «إن أميركا وفرعها الفاسد إسرائيل تسعيان للاستيلاء على المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومع ذلك يبقى المسلمون مكتوفي الأيدي، غير مباينين». وقد حدث هذا بالفعل. حسناً، فماذا علينا الآن أن نفعل؟ يقول الإمام في مكان آخر: «إن الجريمة التي بدأت منذ أيام في بيروت، إنما حدثت بيد أميركية خفية وبظاهر صهيوني، فأمركا هي العامل الأصلي».

فالجهد ضد إسرائيل بدون الجهد ضد أميركا إنما هو جمع بين الكفر والإسلام، فلا معني لذلك الجهد أصلاً. إن إسرائيل لا تساوي شيئاً بدون أميركا، وأميركا هي الأساس.

إنني أكن احتراماً خالصاً لكل واحد منكم أيها الثوريون الأفاضل المجتمعون هنا، وأشد على أيديكم للجهد الذي تخوضونه ضد إسرائيل، وشعبنا هو الآخر يشد على أيديكم ويشكركم.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في
المؤتمر الدولي لدعم الثورة الإسلامية للشعب الفلسطيني

بتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إن موقف سماحة الإمام المناهض لإسرائيل الغاصبة يعود إلى أيام مرجعية
المرحوم آية الله البروجردي حينما كان سماحته مدرساً كبيراً بالحوزة العلمية.
وكان الشاه قد صمم وقتئذ على الاعتراف بإسرائيل بصورة «دوفاكتو»^١. فكتب
الإمام رسالة إلى آية الله البروجردي أكد فيها خطر الكيان الصهيوني. كما إن
الإمام كان يذكر المسلمين بذلك خلال الاجتماعات الخاصة. وبعد وفاة آية الله
البروجردي وبدء مرحلة جديدة من الجهاد، كان الإمام يؤكد خلال جهاده
الإسلامي الثوري على ثلاثة مواضيع مهمة: نظام الشاه العميل، والخطر الذي
يتهدد الدين من الشاه وجلاوزته، وتدخل أميركا وإسرائيل في تقرير مصير بلدنا.
وبعث الشاه شخصاً إلى الإمام يقول له: تجنب الخوض في هذه القضايا الثلاث
واطرح ما شئت من قضايا أخرى. وقد أمارط الإمام اللثام عن هذه الجريمة في
كلمته التاريخية التي وجهها عام ١٩٦٢ للشعب الإيراني المسلم: «هل إن الشاه
يهودي حتى ينزعج إذا ما هاجمنا إسرائيل؟».

وتحدث سماحته في رسالته بمناسبة نيروز عام ١٩٦٢ قائلاً: «إن هدف
الأجانب هو القرآن وعلماء الدين، فنحن يجب أن نهان ونسجن لصالح اليهود
وأمركا وإسرائيل. إننا وانطلاقاً من واجبي الشرعي أقرع للشعب الإيراني ومسلمي

^١ إذا لم ترغب الدول لأسباب سياسية أن تعترف اعترافاً كاملاً بدولة ما، وتكتفي فقط بإقامة علاقات فنية
وتجارية واقتصادية معها كي تتجنب إقامة علاقات دبلوماسية والتوقيع على معاهدات رسمية تؤدي إلى
الاعتراف الكامل، فإنه يطلق على هذا النوع من الاعتراف بـ «دوفاكتو». أما الاعتراف الكامل والنهائي بدولة
ما فيعرف بـ «ديجوري» Dejure أي الاعتراف الرسمي.

العالم أجراس الخطر، فالقرآن الكريم والإسلام يتعرضان للخطر، واستقلال البلاد واقتصادها في قبضة الصهاينة».

وكان الإمام قد أطلق هذه الكلمات في عام ١٩٦٢، أي خلال الفترة التي كانت تُحكم إيران من قبل إسرائيل والصهاينة، وحينما كان السافاك يسيّر بإشراف مباشر من الصهاينة، وعندما كان الاقتصاد في أيديهم، والأجهزة الإعلامية بما فيها الصحف والإذاعة والتلفزيون تحت سيطرة أميركا وإسرائيل، والخطوط العامة للبرامج الاقتصادية والسياسية والعسكرية وحتى الاجتماعية في إيران ترسم من قبل إسرائيل وأميركا. ففي عام ١٩٦٢ لو تفوه أحد بكلمة ضد الشاه وأميركا وإسرائيل، كان يزج في السجن ويتعرض لأنواع التعذيب، ولم يكن الإمام مستثنى من هذه القاعدة حيث القي في السجن آخر المطاف، ثم نفي على تركيا والنجف في أعقاب كلمة له مناهضة للكايتولا سيون (الحصانة القضائية).

وبعد انتصار الثورة، لم يتخل الإمام عن الجهاد ضد إسرائيل أبداً مع أن النظام الإسلامي مازال فتياً. ولو كان الإمام قد تراجع - ولو قليلاً - عن تعامله الصريح القاطع، وتنازل بعض الشيء، لما كانت كل هذه الضغوط. غير أن الإمام كان يفكر بالدولة الإسلامية العالمية؛ لهذا نراه يقول في بيانه الذي أصدره في ١٢/٢/١٩٨١: «منذ ما يقرب من عشرين عاماً وأنا أكد خطر الصهيونية العالمية، وخطرها اليوم على كل الثورات التحررية في العالم والثورة الإسلامية الأصلية في إيران، لا يقل خطرها في الماضي، بل يسعى هؤلاء السفاحون المتلونون للقضاء على مستضعفي العالم بمختلف الأساليب. فعلى شعبنا والشعوب الحرة في العالم الوقوف بشجاعة ووعي في وجه هذه المؤامرات الخطرة».

وكان سماحته قد صرح مراراً بأن هناك فرقاً بين المجتمع اليهودي والصهيونية، لأن الصهيونية العالمية تسعى دائماً لطرح نفسها كممثلة للمجتمع اليهودي، وتتستر بالدين في تبرير جرائمها واعتداءاتها واحتلالاتها وخبائثها،

وتدعي بأنها المنقذة لليهود في العالم، ونحن نعلم أن الصهيونية ظاهرة سياسية، ويكافح مفكرو اليهود الأحرار هذه الظاهرة المشؤومة، وتعتبرها الشخصيات اليهودية الكبيرة عاراً على اليهود. ولكي لا تستغفل - لا سمح الله - المجموعات اليهودية في إيران وفي سائر البلدان فتتصور أن إسرائيل منقذة لها، قال الإمام في خطاب له بتاريخ ١٩٨٢/١١/١٦:

«نحن نعلم أن هناك فرق بين المجتمع اليهودي والصهاينة، فهؤلاء لا دين لهم. وكانت الثورة ضد المستكبرين نهج النبي موسى سلام الله عليه، وهذا ما يتعارض تماماً مع الصهاينة، فالمجتمع اليهودي غير الصهاينة، ونحن نعارضهم لأنهم يعارضون الأديان قاطبة، إنهم ليسوا يهوداً، بل سياسيون يعملون باسم اليهود، واليهود مشتمزون منهم، وعلى كل الناس أن تشمئز منهم». ونحن نحب ضيوفنا اليهود وقد لعبوا دوراً بارزاً سواء في الحرب المفروضة أو في بناء البلاد أو في انتصار الثورة.

والإسرائيليون ينادون دائماً ببلد كبير من الفرات إلى النيل، ولم يخفوا فكرتهم هذه لا في حرب عام ١٩٤٨ ولا في حرب عام ١٩٦٧، ويؤكد هذه الفكرة اغتصابهم للأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨ والاحتفاظ بها حتى يومنا هذا. وإذا كانت إسرائيل قد أعادت جزءاً من الأرض المصرية، فما ذلك إلا لأنها اقتطفت منها اليوم الثمرة الناضجة المتمثلة بإذلال قادة البلدان الإسلامية في مقابل إعطاء صحراء سيناء القفراء، ونرى أنها لم تخطئ في تحليلها.

وقد قال سماحة الإمام في هذا الشأن: «إنني أكّدت مراراً أن إسرائيل تعتقد أن المنطقة من النيل إلى الفرات لها، وأن المسلمون غاصبون لأراضيها». وبين في إحدى خطباته النهم الإسرائيلي الذي لا حدود له، فقال: «قال إسحاق شامير قبل أن يصبح رئيساً للوزراء إن إسرائيل الكبرى يجب أن تتحقق. وإسرائيل الكبرى تعني من النيل على الفرات، أي إن الحجاز ومصر تصبحان جزءاً من هذه المنطقة

الكبرى أيضاً، والدول الغربية لا تحرك ساكناً وعدد كبير منها يعلن دعمه وينوي الاعتراف بإسرائيل».

فالجهد المشتركة لأميركا وإسرائيل الغاصبة على صعيد المجازر المرتكبة بحق مسلمي فلسطين ولبنان والأراضي المحتلة، وقد بلغت أشنع درجات الجريمة في حق البشرية المعاصرة، وكما قال إمامنا العظيم فإن على المسلمين ولا سيما مظلومي المنطقة أن يعلموا أن إسرائيل لن تتخلى أبداً عن هدفها الشرير القاضي بحكم البلاد الإسلامية من النيل إلى الفرات، من خلال استبدال أحكامها، وكان إذلال الدول العربية قد بدأ بمشروع كامب ديفيد^١، إذ اعتبر الإمام السلام بين العرب وإسرائيل معادياً للأهداف الفلسطينية والعربية، ودعماً لكل القوى الرجعية في المنطقة، وازداد هذا الخطر في الوقت الراهن بالمشروع الاستعماري الداعي إلى التصالح بين العراق وإسرائيل، وأصبح أكثر جدية، وكان السادات قد ازاح الستار عن عمالته للحكومة الأميركية الاستعمارية بقبوله لذلك التصالح. «... إن قرار كامب ديفيد أو أي خطوة تعزز الموقف الإسرائيلي، ليس في ضرر الفلسطينيين والعرب فحسب، بل في ضرر كل دول المنطقة، ويؤدي بالتالي إلى تثبيت كل القوى الرجعية فيها».

وبعد انتصار الثورة الإسلامية، لم تكن الحكومة الليبرالية المؤقتة مستعدة لقطع علاقاتها مع نظام السادات الخائن، غير أن الإمام خطا خطوته في هذا المجال وأصدر أمراً للحكومة المؤقتة بقطع العلاقة مع النظام المصري بسبب معاهدة

^١ كان مشروع كامب ديفيد عبارة عن معاهدة تم إبرامها بين الرئيس المصري السادات ورئيس الوزراء الصهيوني مناحيم بيغن بوساطة الرئيس الأميركي جيمي كارتر، في أحد المقرات الحكومية الأميركية يدعى كامب ديفيد وذلك في أيلول عام ١٩٧٨م. وكانت معاهدة كامب ديفيد - التي أعقبت حرباً دموية عنيفة بين العرب والصهاينة - عملاً شريراً وأول خطوة تساومية أثارت حفيظة الشعوب العربية والإسلامية وأدت إلى إخراج مصر من الأسرة العربية. وعد التوقيع على هذه المعاهدة في مطلع انتصار الثورة الإسلامية في إيران - التي نفخت في الشعوب الإسلامية روح الثقة بالنفس والكفاح، وألحقت بالكيان الصهيوني وحماته الضعف والانكسار - خيانة عظمى حفزت مجموعة عسكرية موالية للثورة الإسلامية على قتل السادات.

الخيانة التي عقدها مع إسرائيل والإطاعة العمياء لأميركا والصهيونية. وتلا مشروع كامب ديفيد أنواع التواطؤ الامبريالي الصهيوني من أجل إيجاد تعاون خفي بين الحكام الخونة في الدول العربية والكيان الصهيوني. فمشروع فهد الخياني لم يكن ليعترف بإسرائيل الغاصبة فحسب، بل يعد توقعاً على وثيقة إذلال البلدان الإسلامية أيضاً. ولقد فضح إمامنا الراحل ذلك التآمر الخفي لمشروع فهد لوقته المناسب وحذر المسلمين قائلاً: «يعد مشروع كامب ديفيد ومشروع فهد من أخطر القضايا في هذا اليوم حيث يرسخان الوجود الإسرائيلي وجرائمه. وإنني أعتبر تأييد مشروع استقلال إسرائيل والاعتراف بها كارثة للمسلمين وانتحاراً للحكومات الإسلامية».

ولا يخفى على أحد اليوم أن أي خطوة تضيي الشرعية على الكيان الصهيوني، هي انتحار في الواقع.

لقد فضح الإمام مشروع فهد الخياني¹ في غاية الوعي والدراية، وأدرك - قبل أي سياسي ومراقب آخر - أنه مشروع يصب بكامله لصالح إسرائيل والهيمنة الصهيونية على العرب، وتصور البعض أن النقطة الإيجابية فيه تتمثل في انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، وهي نقطة سلبية لاشك، لأنها تعني أن أراضي فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ تابعة لإسرائيل.

¹ في الثالث من آب عام ١٩٨١م اتفقت مصر وأميركا والكيان الصهيوني على نزول قوات شبه نظامية في جزيرة سيناء - التي كانت محتلة من قبل الصهاينة - بعد انسحابهم منها في عام ١٩٨٢م. وفي السابع من آب من العام نفسه قدم الملك السعودي فهد - الذي كان ولياً للعهد آنذاك - مشروعاً ينص على: أ - انسحاب الصهاينة من كافة الأراضي المحتلة بما فيها القدس العربية. ب - ضمان حقوق الفلسطينيين الراغبين في العودة إلى وطنهم، عن طريق التعويض عن الخسائر اللاحقة بهم. ج - ضمان حقوق كل بلدان المنطقة من خلال التعايش السلمي مع بعضها. وهذه النقاط الثلاث جزء من نقاط أخرى حملها «مشروع فهد»، أجمع السياسيون على اعتبار النقطة الثالثة خطة ذكية للاعتراف بالكيان الصهيوني. وقد أثار هذا المشروع معارضة الجناح العربي الراديكالي.

وتتضح لنا اليوم أكثر من أي وقت مضى التنبؤات الدقيقة لسماحة الإمام، لأنه كان يرى ببصره الثاقب الواقع الحالي قبل عشر سنوات، ولهذا رفض مشروع فهد قائلاً: إني أقرع أجراس الخطر من أجل هذه القضية ومن أجل الإسلام وأحذر من مشروع فهد، فאלئك الذين قدموا هذا المشروع إما جهلاء أو أنهم وقعوا تحت تأثير أميركا والصهيونية. وينطبق هذا أيضاً على أولئك القائلين بوجود نقطة إيجابية فيه».

إن مسار المساومة والاستسلام بين العرب وإسرائيل والذي يتم بشكل تدريجي، هو إهانة لمشاعر المسلمين وتأييد للكوارث الصهيونية. ونقدم هنا مقتطفات من وجهات نظر الإمام بهذا الشأن:

«قامت البلدان العربية بالأمس بطرد مصر لاتفاقها مع الصهاينة، واليوم تعيدها من أجل تثبيت إسرائيل والاعتراف بها. أخرجوها بالأمس لضربها إرادة العرب، وأعادوها اليوم لتقبيل اليد الأميركية. طردوها بالأمس لخيانتها للقضية الفلسطينية، وأعادوها اليوم للتوقيع الجماعي على تلك الخيانة». ويعود تاريخ كلمات الإمام هذه على ما قبل سبع سنوات، ألم يتحقق اليوم ما تنبأ به الإمام؟ ألم يذهب حكام الدول العربية العملاء إلى مؤتمر مدريد^١ للسلام الأميركي الإسرائيلي من أجل تقبيل أيادي إسرائيل الغاصبة وأميركا المجرمة؟

إن تضامن أبناء الأمة الإسلامية كافة مع الشعب الفلسطيني المظلوم من أجل القضاء على إسرائيل الغاصبة، شرط ضروري لا بد منه. وكان إعلان الإمام عن الدعم المادي والمعنوي للشعب الفلسطيني المظلوم ونصرة المقاتلين الفلسطينيين قد أدخل الذعر إلى قلوب زعماء البلدان الإسلامية ولم يبد أي منهم استعداداً للتحرك خطوة واحدة في هذا الطريق.

^١ عقد مؤتمر مدريد الأميركي الصهيوني في العاصمة الإسبانية مدريد عام ١٩٩١م، وقد انعقدت فيه نقطة التحركات الأخيرة الخاصة بالسلام بين العرب والكيان الصهيوني ومشروع الإدارة الذاتية لغزة وأريحا.

وخاطب الإمام زعماء البلدان الإسلامية ومسلمي في إعلانه ليوم القدس: «إني أطالب مسلمي العالم والحكومات الإسلامية عامة بالاتحاد فيما بينهم من أجل قطع يد هذا الغاصب (أي إسرائيل) وحامييه (أي أميركا)، وأدعو مسلمي العالم كافة لاتخاذ الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك - التي هي من أيام القدر¹ ويمكن أن يحسم فيها مصير فلسطين - يوماً للقدس والتعبير خلال مراسم خاصة عن التضامن العالمي للمسلمين مع الحقوق القانونية للشعب الفلسطيني المسلم. وإني أحذر المسلمين الفلسطينيين من الاعتماد على الدعم الأجوف للقوى الاستعمارية في تحرير فلسطين والقدس الشريفة. وعليهم أن يعلنوا عن رفضهم وغضبهم من التساوم والاستسلام الذي لجأ إليه حكامهم الأذلاء الذين أضاعوا باسم فلسطين قضية أبناء الأرض المحتلة ومسلمي هذا البلد، القادة الخونة العملاء وحفظ كرامة وعزة وشرف الشعب الفلسطيني البطل بإتباع نصائح الإسلام الرسالية، وأن لا يدعوا هؤلاء الخونة يسيئوا إلى كرامة وشرف الشعب الفلسطيني المظلوم من خلال الجلوس إلى طاولة المفاوضات والرحلات المكوكية. فهؤلاء العملاء المتظاهرون بالثورية يتوسلون بأميركا وإسرائيل باسم تحرير القدس. واليوم فإن كل إمكانات الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقوتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، في خدمة أهداف فلسطين المظلومة».

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء المشاركون في المؤتمر الدولي لدعم الثورة الفلسطينية! إن وجودكم في إيران وتفاعل المسؤولين في نظام الجمهورية

¹ في ضوء الروايات الواردة بشأن أيام القدر، تعد ليلة القدر إحدى ثلاث ليال: ليلة التاسع عشر أو الحادي والعشرين أو الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك، وهذه الليلة تعادل ألف شهر من حيث الأهمية والمنزلة، وفيها يقدر الله تعالى حوادث عام كامل حتى ليلي القدر من السنة القادمة. كما أنها ليلة أخبر الله تعالى أن القرآن قد نزل دفعة واحدة على الرسول الأكرم ﷺ. وفي هذه الليلة تنزل الملائكة والروح بإذن الله سبحانه كي يدبروا أمور العالم. ولما كانت ليلة القدر ليلة رحمة ولله بها عناية خاصة، فقد أوصى المؤمنون بإحيائها والانشغال بالدعاء ومناجاة الله. وذكر أئمة وعلماء الدين أدعية مختلفة وآداب خاصة لهذه الليلة.

الإسلامية مع الثورة الفلسطينية قد أدى إلى ظهور جو ثوري رائع في إيران. فقائد الثورة العزيز ورئيس الجمهورية ورئيس المجلس والقوة القضائية وجميع المؤسسات والمنظمات الثورية حكومية وشعبية، الجميع بلا استثناء متفقون على موقف واحد إزاء القضية الفلسطينية. وإذا كان المسؤولون تختلف سلائقهم في قضايا أخرى ويقترحون حلولاً متباينة من أجل تحقيق أهداف الثورة، فإنهم متحدون على صعيد قضية فلسطين. وقد أمر القائد العزيز باستخدام كل الإمكانيات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية بهذا الاتجاه، كما أن رئيس المؤتمر - وهو من طلائع الثورة الإسلامية - قد وضع كل وجوده لخدمة ثورة فلسطين. والآن ما العمل؟

لاشك أن الجهاد ضد إسرائيل لا يمكن أن ينفصل عن الجهاد ضد أميركا، والجهاد ضد أميركا لا بد وأن تعقبه ضغوط أوروبية. عليكم أن تنتخبوا طرقاً للدعم وطرقاً أخرى لخوض جهاد أكثر جدية. فاليوم قد أدرك الجميع أن الدبلوماسية المحافظة لم تعد تجدي نفعاً مع هذه المواقف، ويجب أن تكون دبلوماسية نظامنا وكافة ثوريي العالم دبلوماسية هجومية، فلا معنى لأن نقدم الأسلحة والأموال والإمكانيات للمجاهدين الفلسطينيين الحقيقيين، ثم نتصور أن أوروبا مستعدة لإعطائنا ما نريد.

ومرة أخرى أصبحت أجواء إيران، مثل أجوائها أيام الإمام، وعلى الحرس والجيش والتعبئة أن يعدوا أنفسهم، وعلى الخبراء الاقتصاديين أن يعلموا أنه لا يمكن استخدام الإطار الاقتصادي لزمان الهدوء، بعد قرار القيادة وإعلان رئاسة الجمهورية ومصادقة المجلس الأعلى للأمن القومي.

لقد أقلقت المواقف الصارمة للقائد ورئاسة الجمهورية أولئك الذين كانوا يحلمون بمهادنة الغرب، فلا وجود للشعارات المجردة، بل كفاح وجهاد وشهادة. وبرأيي أن على المجاهدين الفلسطينيين ومقاتلي الحرس وقوات الأمن الداخلي

وتعبئة المقاومة أن يجتمعوا لحل خطة للوصول إلى كفاح مضاد. وعلى الأجهزة الحكومية أن تضع كل إمكاناتها بين يدي الإخوة المجاهدين الفلسطينيين، طبقاً لما وعد به رئيس الجمهورية كمنح جوازات السفر وتوفير وسائل النقل الجوي والبري، وتزويدهم بالأسلحة والمعدات، والأهم من هذا كله الدعم المادي. فالسياسة المرنة ستسيء إلى كلمات القيادة ورئاسة الجمهورية. لقد قلت مراراً وأقول اليوم أيضاً إن العالم الغربي والعالم العربي الرجعي متعطش لدم الإمام وتلامذته. وعالم الشرق والغرب يرى في إسلام الخميني وتلامذته عقبة تعترض سبيل أطماعهم. فعلياً أن لا نفتن بباب البستان الأوروبي الأخضر. فأمركا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا كلهم ينتهجون سياسة واحدة ألا وهي تدمير الثورة الإسلامية، وأخيراً أختتم حديثي بكلام لإمامنا العزيز يقول فيه: «إن الجميع يعلم اليوم أن جريمتنا من وجهة نظر سفاحي العالم والمعتدين، هي الدفاع عن الإسلام وتشكيل حكومة الجمهورية الإسلامية بدلاً من نظام الطاغوت الملكي. إن جريمتنا وذنبتنا هو إحياء سنة الرسول صلى الله عليه وآله والعمل بأحكام القرآن الكريم، وإعلان وحدة المسلمين شيعة وسنة للتصدي لمؤامرة الكفر العالمي، ودعم الشعب المظلوم في فلسطين وأفغانستان ولبنان، وإغلاق السفارة الإسرائيلية في إيران وإعلان الحرب ضد هذه الغدة السرطانية والصهيونية العالمية، ومكافحة التمييز العنصري. فالصهاينة وأميركا والاتحاد السوفيتي سيظلون يلاحقوننا من أجل طمس هويتنا الدينية وشرفنا العقائدي، شئنا أم أئينا».

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني خلال لقائه
المشاركين في المؤتمر العام للطلبة أنصار الثورة الإسلامية في فلسطين

بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

إن قضية فلسطين جرح قديم في جسد العالم الإسلامي، وهي تهم جميع الدول الإسلامية. كما أنها تجلّ واضح لمشاهد جهاد مظلومي التاريخ ضد عالم الاستكبار، وما لم يشعر جميع المسلمين بالمسؤولية إزاء احتلال فلسطين، فإن الامبريالية والصهيونية العالمية ستعتدي على كيان المسلمين في سائر أرجاء العالم بنحو اشد وحشية من قبل. فالحرب بين المسلمين وبين الاستكبار العالمي في البوسنة والهرسك حرب معروفة في هذا اليوم وشاملة ولا يمكن أن تكون منفصلة عن جهاد المسلمين المظلومين في العراق وفلسطين ولبنان وكشمير وسائر بقاع العالم. ولكن جهاد وثورة المسلمين الفلسطينيين من اجل محو آثار العدوان الصهيوني، يجب أن تكون في مقدمة قضايا العالم الإسلامي وتحظى باهتمام عامة المسلمين. فالجهاد ضد الصهيونية اليوم في منطقة الشرق الأوسط، ومصدق واقعي للجهاد ضد أميركا والاستكبار العالمي. إذ إن إسرائيل مظهر لأنواع الظلم والجور التي ألحقتها بالمسلمين في منطقة الشرق الأوسط لا سيما فلسطين العزيزة. إن الانتفاضة هي الحل الوحيد للقضية الفلسطينية، حيث بثت الأيدي الصغيرة لأبناء الثورة الفلسطينية الهلع في قلوب عملاء أميركا وإسرائيل. ومع أن المحافل الدولية قد عملت دائماً لصالح إسرائيل الغاصبة، لكن ليس في مقدور أميركا ولا

المحافل الدولية والحماة الكاذبين لحقوق الإنسان أن يخدعوا الشعب الفلسطيني. فدماء شهداء كفر قاسم، ودير ياسين، وتل الزعتر، وكل أرجاء القدس العزيزة، هي اليوم ملهم للشباب والفتية الفلسطينيين. فأبناء الثورة الإسلامية الفلسطينية - وتأسيساً منهم بالثورة الإسلامية للشعب الإيراني - يرون اليوم السعادة في الشهادة أو الانتصار، وقد ألحقوا بثورتهم الشعبية العار بالمساومين وحكام الدول العربية الخونة، وهم لن يصفحوا أبداً عن أولئك الذين ينوون خيانة الأمة الإسلامية وإلحاق الخزي الأبدي بها. إن مفاوضات السلام بين العرب وإسرائيل الغاصبة، هي خيانة كبرى لأهداف المجاهدين والشهداء الفلسطينيين.

ونعلن مرة أخرى بصراحة أن الطريق الوحيد لتحرير القدس، هو الجهاد المسلح. فيجب أن نحمل السلاح بيد والقرآن باليد الأخرى وننطلق بكل قوانا لخوض جهادنا المقدس ضد الامبريالية والصهيونية العالمية حتى التحرير الكامل لفلسطين والقدس العزيزة.

لقد بذل أعداؤنا إمكانات عظيمة من أجل فرض حصار ثقافي وإعلامي على الثورة الإسلامية، وعلينا أن نطلع العالم على مواقف قائد الثورة سماحة آية الله الخامنئي تجاه فلسطين المظلومة. فمواقفه مناهضة للاستكبار وتدافع عن مصالح المسلمين والمظلومين جميعاً، وعلينا أن نضع أوامره وتوجيهاته نصب أعيننا عند التعريف بالوجه الثوري للإسلام.

وفي الختام أعرب عن تقديري لعقد المؤتمر العام لطلبة أنصار الثورة الإسلامية الفلسطينية. فعقد مثل هذه المؤتمرات بصفاتها تظاهرة سياسية وإعلامية، عمل قيم. وعلينا أن لا ننسى الدعم المادي والمعنوي من قبل الثورة الإسلامية للشعب الفلسطيني، إلى جانب هذه النشاطات.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في ندوة دراسة حقوق المرأة
ودورها الاجتماعي، والحجاب والنموذج الإسلامي للمرأة المعاصرة

بتاريخ ١٩٩١/٢/٤

بسم الله الرحمن الرحيم

نظراً لأن الإذاعة والتلفزيون ووسائل الإعلام تعتبر اللسان المعبر عن ثقافة
الثورة، فإن بإمكانها أن تلعب دوراً مهماً في رسم نموذج للحجاب، ومن دون نشر
القيم الثقافية ليس بمقدورنا أن نحقق نجاحاً على صعيد الحجاب.

وتعتمد حياة الثورة الإسلامية وديمومتها على الحضور الفاعل للمرأة في
القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وكان سماحته الإمام يعتقد
أن المرأة يجب أن تكون لها مساهمة كاملة في المجتمع، وقد بعث (السيدة

دباغ)¹ عضو في الوفد الذي سافر على موسكو حاملاً رسالته إلى السيد غورباتشوف.

وفي قضية مكافحة السفور كظاهرة تتعارض مع القيم، ليس ثمة مصداق محدد. إما الحجاب والسفور فهما من المفاهيم ذات المصدايق الكثيرة. وعلى كل المؤسسات الثقافية بما فيها الإذاعة والتلفزيون ووسائل الإعلام، السعي من أجل تعيين إطار مفاهيم الحجاب والسفور، ودراسة القضايا والنقاط الغامضة من خلال توضيح الأمور وتوفير الظروف لحدوث تلاقح بين مختلف الآراء والأفكار.

ويحظى التحول الجذري في تفكير نساتنا بأهمية أكبر، من أجل تبلور نموذج مناسب وحقيقي لحجاب المرأة. فلو أضحت قيم النظام والثورة الإسلامية نموذجاً في المجتمع، يقود إلى إيجاد تغيير الأفكار، فمن الطبيعي أن تجد المرأة في الجمهورية الإسلامية مكانتها الاجتماعية. وكان سماحة الإمام يرى في التفسير والتفكير الخاطئ المقدم عن طريق الإذاعة والتلفزيون، خطراً أكبر من بث الموسيقى، وكان يتأثر كثيراً عندما يشاهد أفكاراً وإيحاءات خاطئة.

وباعتقادي، إننا إن أحدثنا تحولاً في تفكير المجتمع بحيث يشعر بالحرية الدينية، نكون قد عملنا على تقليص نسبة الذنوب، لأن الذنب معلول العوامل المادية لكل مجتمع. وكان الإمام يؤكد باستمرار على الدور التربوي والثقافي للإذاعة والتلفزيون، واستطاع سماحته أن يزيح نقاب الغموض في مجتمع كان يُشكل فيه البعض على بث البرامج الرياضية، باعتماده على عنصر الزمان والمكان باعتبارهما نواة الاجتهاد.

ولم يحرم الإمام في عهد الشاه الموسيقى فقط، بل حرم حتى البرامج الإخبارية للإذاعة والتلفزيون، وكان يقول: «لو بثت هذه الموسيقى - التي تبث

¹ كانت مرضية (طاهرة) الحديدجي (الدباغ) ممثلة طهران في مجلس الشورى خلال دورتيه الثانية والثالثة. كما فازت في عضوية المجلس في دورته الخامسة ممثلة لمدينة همدان.

اليوم من إذاعة وتلفزيون الجمهورية الإسلامية - من تلفزيون آل سعود فإني أعتبرها حراماً».

وبإمكان العلاقات الاجتماعية والاقتصادية أن تغير الحكم الشرعي، دون أن يطرأ تغير ظاهري على جوهر الموضوع. لهذا يجب أن لا يساورنا الاعتقاد أن سماحة الإمام كان يحل الأشياء عبثاً. فقد استطاع أن يجد الحلول لكثير من قضايا البلاد المعقدة اعتماداً على مبدأ الاجتهاد، لكن الإيمان بها أضحى أمراً صعباً بالنسبة للبعض بسبب عدم رؤيتهم لمثل هذه الأحكام خلال فترة طويلة من الزمن.

فبإمكان العلاقات الاجتماعية والاقتصادية أن تغير الحكم الشرعي دون تغيير ظاهر الموضوع، وإن لم يكن للموضوع أي صلة بتلك العلاقات، وهو أمر يحظى بأهمية كبيرة في ظل الظروف الراهنة لمجتمعنا الذي يواجه مسائل غامضة ومعقدة.

فالإذاعة والتلفزيون من وجهة نظر الإمام يتحملان مسؤولية التعبير عن الحقائق، وينبغي لهما أن يكونا حارسين للحرية باعتبارها إحدى أعظم إنجازات الثورة.

وإذا كان لشخص أو فئة آراء ووجهات نظر جديدة بالطرح، فيجب أن تطرح إلى جانب الأفكار المخالفة. وإذا ما اتخذت الإذاعة والتلفزيون مثل هذا الأسلوب، تكون قد احترمت الحرية أولاً، وأفقدت الأخبار والشائعات التي تبثها الإذاعات الأجنبية اعتبارها لدى الرأي العام داخل البلاد ثانياً، وحالت دون ظاهرة التملق والدكتاتورية ثالثاً. فلو أوحينا دائماً لمسؤول بأن الجميع يجب أن ينقادوا لك وإن كافة وجهات نظرك صحيحة، فسيصور أن ه قد أضحى فريد عصره. فعلياً أن نعمل بالشكل الذي لا يبقى مجالاً للتملق والدكتاتورية. فعندما حاول

البعض إجراء تغييرات في الإذاعة والتلفزيون، عين الإمام السيد محمد هاشمي¹ كممثل عنه ومسؤولاً لهذه المؤسسة، وكان ذلك من أعمال الإمام التي جاءت في وقتها المناسب.

نص الحوار الذي أجرته مجلة «ندا» الفصلية مع حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد

الخميني

والذي نشر في عددها التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلو ندا: ونحن على أبواب الذكرى الثالثة للرحيل المؤلم لقائد الثورة الإسلامية الكبير سماحة الإمام الخميني قده، ما هو تقييمكم لموقع الثورة ودورها؟

السيد أحمد الخميني: بسم الله الرحمن الرحيم، لقد وجدت الثورة الإسلامية موقعها في العالم، ويطرح الإسلام اليوم باعتباره القوة الوحيدة التي تواجه الغرب. فيجب أن يبحث عن الشيوعية - وكما قال الإمام - في المتاحف، والإسلام هو القوة الوحيدة التي بإمكانها أن توحد صفوف ثوريي العالم وتخلق منهم قوة فاعلة. فالمسلمون كانوا يبحثون عن ضالتهم وقد وجدوها. إن تركيا، وباكستان، والعراق، والجزائر، والجمهوريات المسلمة التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي السابق، وبلدان الخليج الفارسي، ومصر، وباقي البلدان الأفريقية، والمسلمين كافة يبدون اهتمامهم بإسلام إيران الذي هو إسلام إمامنا الراحل. فهل كان الإمام يريد شيئاً آخر؟

¹ محمد هاشمي شقيق حجة الإسلام والمسلمين هاشمي الرفسنجاني قده. تولى بعد استقالته من رئاسة

المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون، منصب وكيل وزارة الخارجية ثم مساعد رئيس الجمهورية للشؤون التنفيذية.

إن موقع عالم الكفر من الإسلام تشير إلى سعة نفوذ الإسلام بين كافة طبقات المسلمين، ويؤيد ذلك بث آراء شخصيات كبيرة تنال من شخصية الإمام. وقد هب لمواجهة الإسلام ذلك الإعلام الواسع لوكالات أنباء كبرى مثل أسوشيتدبريس ، ويوناييتدبريس، ووكالات الأنباء الفرنسية، ورويتر، وإذاعات وتلفزيونات الغرب، والبلدان المرتبطة به. فلو لم يكن الإسلام قد وجد موقعه، فهل كانت تظهر ردود الفعل هذه؟ إنها لدليل على فرض الإسلام الثوري نفسه على العالم.

المجلة: ما هو رأيكم في مساهمة المرأة في كافة النشاطات، وما هي توصياتكم من أجل حضور أوسع وأكثر جدية؟

السيد أحمد الخميني: ثمة أمور مهمة عديدة في هذا المجال، وأعتقد أن الأمام قد مهد الطريق وأزال الكثير من المشاكل. فنحن نرى كيف تعرضت المرأة للظلم طوال التاريخ باسم الإسلام، وكيف كانت تعيش على هامش الحياة، في حين انبرى الإمام لإصلاح هذا الواقع كلما سنحت الفرصة. ففي ذات الوقت الذي كان يعتبر حرمة المرأة مبدأ لا يمكن المساس به ويصر على احترام هذه الحرمة، كان يرفض أيضاً الخرافات الظالمة. كمثال على ذلك: إن الإمام لم يبعث غير وفد واحدٍ كممثل عنه إلى بلد آخر، وهو الوفد الذي حمل رسالته إلى السيد غورباتشوف، وقد رأينا بين سفرائه هؤلاء -الذين كانوا رسل الإسلام - امرأة هي أختنا المجاهدة السيدة (الدباغ)، وقد فند الإمام بهذا العمل الفكرة القائلة إن إفسلام يعارض النشاط السياسي للمرأة. وكانت المرأة في صدر الإسلام تحمل هذا العنوان أيضاً: مجاهدة في ميدان الحجاب وتؤدي مهمة صعبة تتمثل في مشاركة الرجال في جهادهم. والمصداق البارز على ذلك حضور السيدة

زينب عليها السلام¹ في عرصة كربلاء حيث اقتضت المشيئة الإلهية أن يكون الحامل لرسالة عاشوراء امرأة.

فالإسلام يرى المرأة مواكبة للرجل وأن لها دوراً سياسياً اجتماعياً ويعدها قوة مؤثرة جداً في المجتمع مع فرق واحد وهو إنه - ونظراً لحرمتها - لم يترك لها مطلق الحرية في دخولها للميدان السياسي والاشترك في تعيين مصيرها.

ألم يأذن الإمام سماحة الإمام لابنته بالمساهمة في القضايا السياسية، حيث تشكل «رابطة المرأة» جزءاً من تلك المساهمة؟ ولابد هنا من الإشارة إلى الذهنية التي قارعها الإمام سنوات متمادية وعدها جموداً وتحجراً ونوعاً من الإسلام الأميري. فإسلام الجامدين الذين لا يعرفون الله والمتظاهرين بالقداسة، إنما

هو في الحقيقة إسلام أميري. ويعد تحطيم مثل هذه الذهنية التي كان يحملها هؤلاء، من الأعمال الكبرى التي أنجزها الإمام، وقد عبّر عنهم بالأفاعي المرقطة لأنهم كانوا يدمرون الإسلام الأصيل باسم الإسلام. ولابد لنا من استخدام معايير الإمام لتعيين المصاديق، وعلينا أن ندرك أن خطر هؤلاء أكبر بكثير من خطر أميركا والأعداء، وبطبيعة الحال فإن الحيلولة دون مساهمة المرأة ناجمة عن هذه

¹ سيدة الإسلام الشجاعة زينب الكبرى عليها السلام، ثالث أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام بعد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام. ولدت في العام السادس للهجرة، ونشأت في أشرف أسرة عرفتها الدنيا في ظل تربية الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام، وإلى جانب أخويها عليهما السلام. وقطعت إلى كربلاء طريقاً طويلاً قاسياً، وشاهدت عن كثب استشهاد أخيها العظيم وجميع شباب أسرتها. وذهبت أسيرة إلى الكوفة ثم على الشام وتولت الإشراف خلال رحلة الأسر على أسرة الحسين عليه السلام التي لم يكن فيها سوى النساء والأطفال، ولم تفقد خلال تلك الوقائع العصبية صبرها وتحملها، وفجرت بركاناً من السخط والغضب على الخليفة الأموي السفاح يزيد، وحملت بشجاعة منقطعة النظير لواء الجهاد ضد المجرمين، واستطاعت من خلال دورها المدهش أن تعد الأرضية لخلود ملحمة عاشوراء واستمرار جهاد الحق ضد الباطل في كافة العصور. لقد تحولت أفعال وأقوال زينب عليها السلام في كتاب تاريخ الشيعة الخالد إلى قدوة خالدة تعرف بـ «القدوة الزينية» تقتدي بها المرأة المسلمة.

العقلية ومخلفاتها، فعلينا أن نتخذ كلام الرسول ﷺ في فاطمة ؓ¹ أسوة حيث يقول ﷺ: «فاطمة أم أبيها» أو «فاطمة بضعة مني» وغير ذلك.

فالإمام حينما أخرج المرأة من أسوار الجهل والعزلة، إنما فعل ذلك التزاماً بالإسلام، حيث نفخ فيها روح الفاعلية وعرفها على شخصيتها الحقيقية، كي تعد نفسها لظروف المجتمع وأن تكون حاضرة في الساحة وتحسس ما يدور من حولها.

وكما نعلم، أن المرأة تشكل نصف المجتمع في أي بلد إن لم نقل أكثر، ولهذا فإن حضورها في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية حق طبيعي من حقوقها. وكان للمرأة - وكما قال الإمام - دوراً أكثر تأثيراً من الرجال في انتصار الثورة، كما لا يمكن نسيان دورها في الحرب بعد انتصار الثورة، فقد تحملت عناءً عظيماً في الدوائر والمصانع والحقول ومحيط الأسرة. غير أن هذا الكلام الذي أقوله، يقوله الآخرون أيضاً، لكن يجب أن نسأل: ماذا عملنا نحن؟ فقد تحملت المرأة مشقة تفوق الوصف وأدت دوراً محموداً خلال الثورة وما بعدها، فماذا قدم لها النظام؟ ما هي الخطط التي رسمها على صعيد حقوق المرأة وماذا فعل عملياً وإعلامياً؟ والحقيقة أن العالم قد اكتفى بالشعارات في قضية المرأة، فليست مشكلتها تقتصر على البطالة بحيث لو توفر لها مجال عمل في مصنع أو دائرة، تنتهي مشكلتها. فأنتم باعتباركم تعملون في حقل المرأة تعلمون أن الرجال في الغرب قد حولوا المرأة على سلعة يستخدمونها لصالحهم ولسياساتهم، وليس

¹ السيدة فاطمة الزهراء ؓ، هي بنت الرسول الأعظم ﷺ وزوج علي رجل العدالة والتقوى، وأم الإمامين الحسن والحسين ؓ. ولدت بالمدينة في العام الخامس من البعثة النبوية، وليس بإمكان هذا الهامش أن يبين خصال وفضائل فاطمة سيدة الإسلام العظيمة ورمز المرأة المسلمة، وكان حبها لأبيها عظيماً إلى درجة إنه ﷺ لقبها بـ «أم أبيها». وقفت فاطمة ؓ - في أكثر الظروف حساسية مر بها الرسول ﷺ، وفي أشد الفترات اضطراباً من حياة الإمام علي ؓ إلى جانب هذين العظميين، ورحلت إلى دار الخلود وهي في ربيع شبابها لما تعرضت له من ألم وقسوة بعيد رحلة رسول الله ﷺ.

مهماً لديهم الطريقة التي يستخدمونها بها، وإن أسيء إليها خلقياً، فهم لا يلتزمون حتى بمعاييرهم، ويعتقدون أن المرء يجب أن يصل منتهى اللذة. ولما كانت المرأة لا تعمل والرجل يوفر لها لقمة العيش، تصورت أنها ستجد شخصيتها من خلال العمل بموازاة الرجل، لكنها عندما دخلت ميدان العمل لم تعثر على ضالتها. أما المؤمنون فلا يرون القضية قضية رجل أو امرأة، فكلاهما ينشد الكمال المطلق وهو الضالة التي يبحثان عنها معاً. وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: ما العمل من أجل العثور على الطريق الذي يؤدي إلى ذلك الكمال؟

في الأيام الأولى بعد نجاح الثورة، كان الجميع يتطلع إلى الكمال، لهذا نسوا أنفسهم واختفت كلمة (أنا)، فكان هذا سبباً في انتصاراتهم على القوى العظمى. أما اليوم فإن المتزعمات للنساء - وكما هو حال مترعمي الرجال - قد أصبحت كلمة «أنا» مهمة بالنسبة لهن، وقد نسي الله تعالى بمقدار الاهتمام بـ «أنا» فأزداد الضال ضلالاً.

كان هناك من يدعي أن المرأة تسعى للقول إنني مثل الرجل وأكافح من أجل المساواة معه في الحقوق، وهذا دليل على أن الرجل أفضل وأهم، فسمع من يقول له: لكنها عندما وصلت على الرجل أدركت أن ما كان لديها أفضل وأهم، حيث أن الرجل مليء بالعيوب، وخلاصة الكلام أنه لا يمكن الدفاع عن حقوق المرأة بالكلمات فقط، فيجب أن يوفر لها الإمكانيات التربوية والثقافية والرفاهية وتشبع روحها الشفافة التي «تدرك ولا توصف»؛ كيف؟ هذا من مسؤولية الخبراء الذين بإمكانهم رسم معالم الطريق، لأن طريق سعادة المرأة القروية يختلف ولاشك عن المرأة المدنية، رغم أن الاثنين تنشدان السعادة.

إن ملئ الفراغ العاطفي لدى المرأة وإبداء الحب والود لها، ومعرفة طبيعة رؤيتها إلى الأشياء، وأسلوب التعامل مع إيجابياتها وسلبياتها، تعد من القضايا المهمة التي لا يمكن أن تقاس بالعمل والسياسة وإن كان لا يمكن فصلها عنهما، وهناك كلام كثير في هذا المجال.

ندا: ما هو رأيكم بالتضخم الحالي الذي نواجه؟

السيد أحمد الخميني: طبعي أن هناك غلاءً، وواضح أن مسؤولي الجمهورية الإسلامية يبذلون قصارى جهودهم لحل المعضلات الاقتصادية، فضلاً عن أن كل قدرات البلاد قد استغلت هي الأخرى في إعادة بناء الدمار الذي خلفه الشاه والحرب المفروضة، لكن يجب الانتباه إلى أن الذي ينهك الشعب ويبدد طاقاته هو التفاوت الطبقي ولا شيء آخر. فلو كان الشعب يعلم أن ضعف القدرة الشرائية يشمل كافة طبقات المجتمع وأن الجميع يعانون من عدم امتلاك الشيء الفلاني، لكان تحمل المشاكل بالنسبة لهم أمراً يسيراً؛ لكن عندما يشاهدون أن الثري الفلاني - الذي لم يقدم شيئاً في طريق الثورة - يعيش حياة وديعة ومرفهة، في حين يستهدف الغلاء بالدرجة الأولى أولئك الذين قدموا شبابهم في سبيل الإسلام ومن أجل هذا البلد، فمن الطبيعي أن يؤدي ذلك على إنهاكهم وتحطيمهم، وسيشعرون بضغوط مضاعفة لو وجدت في المجتمع نزعة تقوده باتجاه الترف، كما أشار إلى ذلك قائد الثورة بقوله إن هذه الأسباب هي التي تجعل النزعة نحو الترف في الوقت الراهن أخطر من أي وقت مضى. ولو طالعنا حياة الإمام بدقة، لوجدنا تساوي الإمام في حياته مع الناس، أحد الأسباب التي جعلت كلمات الإمام مؤثرة ونافذة إلى القلوب، فإذا حدثهم، فإنهم يرونه يعيش مثلهم، يلبس مثل ملابسهم، وحياته بسيطة كحياتهم. إنهم قد وقفوا عن كذب على روح الإمام وقلبه، وهذا برأيي أحد أسرار الالتحام الذي لا ينفصم بين الإمام والشعب.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني خلال لقاء آية الله عبد الكريم
الموسوي الأردبيلي، المشرف العام على مؤتمر دراسة أفكار الإمام الخميني قده
الاقتصادية، وأعضاء اللجنة العليا للمؤتمر

بتاريخ ١٩٩١/١٢/١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر واقدر جهود جميع المسؤولين المحترمين المشرفين على مؤتمر دراسة
الأفكار الاقتصادية للإمام الخميني، لاسيما آية الله الموسوي^١ للعناء الذي
تحملوه.

إن دراسة وتحقيق وتبيان رؤى وأفكار الإمام الاقتصادية للثورة الإسلامية. فمع
أن سماحة الإمام قد رسم خلال قيادته للثورة الإسلامية مختلف الأبعاد السياسية
والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنضالية، إلا أن مجتمعنا ومسلمي العالم قلما
وقفوا على آرائه الاقتصادية. فللإمام وجهات نظر واضحة حول حرب الفقر

^١ عالم ملتزم ومجاهد تولى من قبل رئاسة المحكمة العليا في البلاد، وكان من أساتذة الحوزة العلمية بقم.

والغنى، والدفاع عن مصالح المحرومين والمستضعفين، وحدود الاقتصاد الحر، والاتجاهات الاقتصادية للنظام والثورة.

وعلى الخبراء كافة وأصحاب الرأي في القضايا الاقتصادية بالحوزة والجامعة السعي لبيان آراء الإمام الاقتصادية، ويعد عقد هذا المؤتمر مقدمة وبداية إلى التفاؤل على طريق تحقق هذا الأمر المهم، ويمكن أن تكون نتائجه مؤثرة جداً في التعريف بالوجه الفقهي للإمام وآرائه الاقتصادية، ومن المؤكد أنه يمكن تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية وتأمين الرخاء الاجتماعي، في ضوء الآراء الفقهية للإمام الخميني. فعدد كبير من المتخصصين وقطاع واسع من الشعب يجهل الكثير من آرائه الفقهية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية، بل لا نجد حتى في الحوزات العلمية إلا عدد قليلاً على علم بآرائه الاقتصادية.

فللإمام وجهات نظر صريحة حول تحقق العدالة الاقتصادية والاجتماعية لكافة أبناء الأمة الإسلامية، فهو لا يعتقد أبداً بالحرية الاقتصادية المطلقة، كما لا يرضى أبداً أن يرى الملايين من أبناء الأمة الإسلامية بدون سكن في وقت لدى الآخرين العديد من الأملاك، لقد أكد مراراً أن أموال الغاصبين والرأسماليين والإقطاعيين، تعود على بيت المال. فلا بد إذن أن تكون أصول ومبادئ الإمام الاقتصادية، حلاً للمشاكل والعقبات الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع.

وسماحة آية الله الأردبيلي من المجتهدين المسلّم باجتهدهم وممن كان يحظى بتقدير الإمام، ويعتبره من أصحاب الفكر. وأنا اشكره لشعوره بالمسؤولية وتقبله بصدر مهمة دراسة الأفكار الاقتصادية لسماحة الإمام، وأسأل الله أن يوفق كل المهتمين بهذا الأمر.

*

وتحدث في ذلك اللقاء أولاً المشرف العام على مؤتمر دراسة أفكار الإمام الخميني (قده) الاقتصادية وقدم تقريراً عن ضرورة دراسة تلك الأفكار قائلاً: لقد أوجد الإمام الخميني أساساً جديداً في شتى الأبعاد الفقهية. فالثورة الفقهية لسماحة الإمام لا تقل عن ثورته السياسية والاجتماعية، وقد أحدث تحولاً في الفقه على الصعيد الاقتصادي، وإن تبيان رؤاه الاقتصادية اليوم، ضرورة اجتماعية ماسة.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في مراسم افتتاح المؤتمر الأول لدراسة الأفكار الاقتصادية لسماحة الإمام الخميني

بتاريخ ١٩٩٢/٥/٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قد تبحث السياسات الاقتصادية خلال دراسة الأفكار الاقتصادية لسماحة الإمام الخميني (قده)، ويعبر عن تلك السياسات بأنها أفكار اقتصادية أصيلة. وقد تطرح القضايا الاقتصادية الخاصة بالإمام بشكل يظهر أن الفقهاء كافة يتفوقون معه عليها ودون أن يبدو أن هناك تمايزاً بينه وبين سائر الفقهاء العظام، ويفسرون طرح الإمام لها بتهيؤ الأرضية ل طرحها.

ولا إشكال في أن يكون فكر الإمام مثل سائر الفقهاء، لكن إذا كان الأمر هكذا فقد وردت تلك القضايا مشروحة في الكتب الفقهية، وإن كثيراً منها لم يطرحها الإمام فحسب بل طرحها المجاهدون وطلاب الحرية، نظير فكرة أن من يريد أن يكون حراً، لا يريد أن يرتبط بالشرق والغرب، ويريد العيش باستقلال، وكل عاقل يرغب بالاكتماء الذاتي وعدم الحاجة إلى الغير، إلا أن الطرق التي يطويها لتحقيقه، والأسلوب الذي يجب أن يتعامل مع العالم كي لا يقع في شباك التبعية، والسلوك الذي يجب أن يلتزمه مع الأقوياء كي يحقق الاكتفاء الذاتي بسرعة؛ هذه كلها لا يمكن أن تعد أفكاراً اقتصادية، بل أساليب لتحقيق الاكتفاء

الذاتي. وأكثر الكتابات التي طالعتها حول الاقتصاد الإسلامي من وجهة نظر الإمام، هي من هذا النمط، حيث يستند فيها إلى كتاباته وأقواله، ثم يقول الكاتب بعد ذلك بقول ما يريد أن يقوله، فالإمام يقول مثلاً في وصيته السياسية الدينية: «عليكم أن تكونوا واعين ويقظين وحذرين كي لا يجركم أصحاب الألاعيب السياسية المرتبطون بالغرب والشرق نحو هؤلاء القراصنة الدوليين من خلال وساوسهم الشيطانية، وهبوا لقطع التبعيات بالعزم الراسخ والعمل والصمود، واعلموا أن العرق الآري أو العربي لا يقل عن العرق الأوروبي والأميركي والروسي، وإذا ما وجد ذاته ولم يعلق الآمال على غيره، فستكون لديه على المدى البعيد قدرة القيام بكل شيء وبناء كل شيء». ثم يقول: «على الحكومات والمسؤولين من الجيل الحالي أو الأجيال القادمة أن يقدروا خبرائهم ويشجعونهم على العمل بالدعم المادي والمعنوي، والحيلولة دون دخول البضائع الكمالية المخربة. فالغرب لا يفكر إلا في تدميركم وجعلكم غافلين عن مصير بلدكم ونهب ثرواتكم وغلکم بأغلال الاستعمار وعار التبعية، وتحويلكم إلى مستهلكين».

كما رأيت في كتابة أخرى تعتمد أقوال الإمام عليه السلام في مواجهة التبعية العسكرية، كلاماً للإمام يخاطب فيه العسكريين يقول: «اعلموا أنكم ما دمتم تمدون أيديكم إلى الآخرين في احتياجاتكم إلى الصناعات المتطورة وتمضون عمركم بالاستجداء، فإن قابلية الإبداع والتطور والاختراع لن تنمو فيكم. وقد رأيتم وبأم أعينكم أولئك الذين كانوا يرون أنفسهم عاجزين عن صنع كل شيء ويأئسين في تشغيل المعامل، كيف حركوا عقولهم - خلال هذه الفترة الوجيزة التي أعقبت المقاطعة الاقتصادية - فسدوا كثيراً من حاجات الجيش والمعامل. فهذه الحرب والمقاطعة الاقتصادية وطرد الخبراء الأجانب كانت نعمة إلهية كنا

غافلين عنها. واليوم لو قاطعت الحكومة والجيش سفاحي العالم وضاعفا من جهودهما على طريق الإبداع، فهناك أمل بوصول البلاد إلى الاكتفاء الذاتي». وعلينا أن ننتبه إلى أن جزءاً من توجيهات الإمام كان إخباراً، والجزء الآخر نصائح على صعيد مقاطعة السلع الاستهلاكية لسفاحي العالم، الأمر الذي يمهد لظهور حالة الاكتفاء الذاتي وتحققها بشكل عملي. ويقول سماحته في مقاطع من وصيته الربانية: «الإسلام لا يرضى بالرأسمالية الظالمة التي لا حدود لها والتي تقود الجماهير المضطهدة المظلومة إلى الحرمان، بل يدينها بشدة في الكتاب والسنة ويعتبرها معارضة للعدالة الاجتماعية، وإن حاول بعض أصحاب الذهنيات المنحرفة الذين يجهلون نظام الجمهورية الإسلامية وقضايا الإسلام السياسية، أن يصوروا في أحاديثهم وكتاباتهم - وما زالوا - بأن الإسلام يؤيد الرأسماليين والملكية بلا حدود، وأسدلوا الستار - بهذا الأسلوب القائم على الاستنباط من الإسلام بالذهنية المنحرفة - على الوجه المنير للإسلام، وفتحوا الطريق بوجه المغرضين وأعداء الإسلام كي يهاجموه ويعدوه نظاماً شبيهاً بالنظام الرأسمالي الغربي ونظام أميركا وبريطانيا وباقي قراصنة الغرب، فهبوا لمعارضة الإسلام اعتماداً على قول وفعل هؤلاء الجاهلين وانطلاقاً من ضغينة أو بلاهة وبدون مراجعة علماء الإسلام الحقيقيين. إن الإسلام ليس مثل النظام الشيوعي الذي يعارض الملكية الفردية ويقول بالاشتراكية في كل شيء حتى المرأة فضلاً عن الاستبداد والدكتاتورية الماحقة، بل إن الإسلام نظام معتدل يعترف بالملكية ويحترمها ضمن حدود معينة، ولو عمل به في إطار الملكية والاستهلاك على الوجه الصحيح، فستتحرك عجلات اقتصاد سليم وتتحقق العدالة الاجتماعية التي هي من ضرورات النهج السليم.

وتقف هنا فئة أخرى في مقابل الفئة الأولى من خلال استنباطها الخاطئ وجهلها بالإسلام واقتصاده السليم، وقد تقدم الإسلام على أنه يتفق مع المذهب الماركسي المنحرف وأمثاله من خلال تشبها ببعض الآيات أو عبارات نهج

البلاغة^١، متجاهلة سائر الآيات وكلمات نهج البلاغة، فتعمل بإدراكها القاصر بكل عناد، وتسير وراء المذهب الاشتراكي وتعلن دعمها للكفر والدكتاتورية والكبت المدمر الذي يتجاهل القيم الإنسانية، حيث يتعامل حزب الأقلية مع الجماهير الشعبية كما يتعامل مع الحيوانات».

وهنا يطرح السؤال التالي: إذن ما هو الاقتصاد الإسلامي إذا كان لا يتفق مع الرأسمالية الظالمة، أي الرأسمالية التي لا محاسبة فيها؟ على أن في الرأسمالية الغربية محاسبة ما، والضرائب التي تؤخذ من الرأسماليين الغربيين تفوق بكثير الضرائب الإسلامية. فنحن في الإسلام عندما ندفع الخمس تبقى الأخماس الأربعة الباقية من نصيبنا، دون أن تتأثر بمقدار الدخل كثيراً كان أم قليلاً، في حين إن الأمر ليس كذلك في النظام الاقتصادي الغربي، والضرائب تعتمد على مقدار رأس المال والدخل، فكلما ارتفع رأس المال أو الدخل، ارتفعت نسبة الضرائب تصاعدياً وقد تصل إلى ٩٠ بالمئة. يعتبره الإمام اقتصاداً ظالماً، والقيود الاقتصادية التي يطرحها الإمام ضمن المذهب الاقتصادي الإسلامي مجملة. فإن كانت القيود المفروضة من قبل الحكومة الإسلامية فهي تفرض على أساس حاجات المجتمع، ويعتمد تنفيذها في كل مجتمع على تصديق عقلاء القوم وليس على الأحكام الأولية. ففي كل حكومة يجتمع الخبراء فيضعون القوانين من أجل تحقيق الازدهار الاقتصادي، سواء كانوا معينين من قبل ولي أمر المسلمين أو من قبل حكومات غير إسلامية، فالنتيجة واحدة.

^١ نهج البلاغة: مجموعة مختارة من كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جمعه الشريف الرضي محمد بن الحسين (ت ٦٠٤، ١٠١٦م) ويسمى أئمة الدين نهج البلاغة بـ «صنو القرآن» وتدور موضوعات هذا الكتاب بشكل عام حول ثلاث محاور رئيسية هي: الله، والعالم، والإنسان. ويتناول قضايا علمية وأدبية ودينية، واجتماعية، وأخلاقية، سياسية، وليس بعد القرآن وحديث الرسول ﷺ كلام أبلغ ولا أفصح منه. كتب عليه حتى اليوم ما يربوا على مئة شرح، وهو ما يكشف أهميته لدى أهل العلم والتحقيق والدراسة.

أما كون الاقتصاد الإسلامي ليس مثل الاقتصاد الشيوعي فمعلوم وواضح، وأن ما قاله الإمام - أو هكذا يستفاد من كلماته - من أن الاقتصاد الإسلامي قد حدد الملكية، فإذا كان المقصود بالتحديد الضرائب الإسلامية، فهو موجود بالرسائل وتحرير الوسيلة وليس بالشيء الجديد، وللفقهاء آراء في ذلك أيضاً. أما إذا كان شيئاً آخر، فهو مبهم وغامض. فما هو رأي سماحة الإمام إذن؟

والمدّش إنني قرأت مقالة أوردت قول الإمام: «ستحل مشاكل الفقراء والمستضعفين إن شاء الله وسيحقق لهم الرخاء في الدنيا والآخرة». ثم شرعت في تفسير هذه العبارة وهو تفسير ليس فيه أكثر من القول بأن «رخاء الدنيا والآخرة إشارة إلى الحرمان المادي والمعنوي الذي يعاني منه الناس، والحرمان المعنوي يراد به فقرهم الثقافي» وإلى آخره.

ورأيت مقالة أخرى تطرح موضوعاً بهذا الشكل: الخطط والأهداف الاقتصادية للجمهورية الإسلامية الإيرانية هي: ١- رعاية مصالح المحرومين والمستضعفين. ٢- المساهمة العامة للشعب. ٣- حرب الفقر والغنى، ثم جاء فيها إن هذه العناوين الثلاثة مقتبسة من توجيهات سماحة الإمام، وأنها تبلور آرائه الاقتصادية. وكان الإمام قد قال: «إن الاقتصاد الإسلامي يتجه ضمن إطار رعاية مصالح المحرومين وتوسيع مساهمتهم العامة في جهاد الإسلام ضد مكتنزي الثروات، وهو أكبر هدية للإنسان وبشارة له في التحرر من أغلال الفقر والعوز». ويستنبط صاحب المقالة من هذه العبارة عنواناً رئيسياً يؤكد أنها إطار للنظام الاقتصادي للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وإذا تجاوزنا جملة «إن الاقتصاد الإسلامي يتجه ضمن إطار رعاية مصالح المحرومين»، التي أعتقد أنها فكرة اقتصادية لا غير، فإن المفسر يخلط بين المساهمة العامة في الجهاد وبين المساهمة العامة في الاقتصاد، التي تطرح في مقابل الاقتصاد الحكومي، ومن جهة أخرى فإنه يفرض حرب الفقر والغنى فكرة اقتصادية، في حين يفترضها آخرون خطأ التناقض بين الطبقة العاملة والطبقة

الرأسمالية (صاحب العمل)، بينما هي تناقض اجتماعي وسياسي ولا صلة لها بالتفكير الاقتصادي. إنها حرب واضحة ناجمة عن الفجوة الاقتصادية بين الغني والفقير والتفاوت الطبقي، إنها حرب بين الجائع والشبع ولا علاقة لها بالقضايا الاقتصادية كي نقحمها ضمن إطار هذه القضايا، إنها معضلة سياسية اجتماعية تظهر في أعقاب تمرض الاقتصاد الاجتماعي.

إن ما بينه الإمام من أفكار اقتصادية، موجز للغاية، فعندما يقول مثلاً: «لا شك أن الاكتفاء على الصعيد الزراعي، مقدمة للاستغلال والاكتفاء الذاتي على الأصعدة الأخرى» فإنه يطرح فكرة اقتصادية مقابل أولئك الذين يرون الاكتفاء الصناعي مقدمة للاكتفاء الذاتي على كافة الأصعدة. ولدينا عبارات كثيرة للإمام من هذا النمط. فقد قال على سبيل المثال: «ما لم نستقل ثقافياً فلن نستقل في الميادين الأخرى».

ومع ذلك يبقى من الصعوبة بمكان فهم كلام الإمام وقصده، في حين له فتويان صريحتان قائمتان على الاستدلال، لو أن الباحثين والخبراء في القضايا الاقتصادية أولوهما اهتماماً وافياً، فإن أعتقد أن ذلك سيؤدي إلى حل العديد من المعضلات الاقتصادية. طبعاً هذا تفسيري ولا أنسبه إلى الإمام، لكن هكذا يفهم من عبارته، وربما هناك إشكال في تفسيري.

لقد عبر الإمام في كلام له عن وجهة نظره في كيفية إحداث تحول عميق على شتى الأصعدة، فقال: «أما حول الدروس والتحقيق في الحوزات، فأنا أؤمن بالفقه التقليدي والاجتهاد الجواهري، ولا أرى التخلف عن ذلك جائزاً، والاجتهاد ضمن هذا الأسلوب صحيح، إلا أن هذا لا يعني أن الفقه الإسلامي يتميز بالجمود. فالزمان والمكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. فإذا كان لمسألة ما حكم ما في فترة زمنية مضت، فمن الممكن أن يكون لها حكم جديد آخر ضمن العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المهيمنة على نظام ما. أي أنه ومن

خلال المعرفة الدقيقة بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية، يظهر لنا الموضوع الأول الذي لم يختلف عن القديم من حيث الظاهر، قد أصبح في الواقع موضوعاً جديداً، ولا بد أن يكون له حكم جديد».

وتقوم فتاوى الإمام الأخيرة على هذا الأساس أيضاً. فتحريم صناعة التماثيل - مثلاً - ربما كان قائماً على أساس رؤية ومعرفة ذلك الزمان والعلاقات الاجتماعية والثقافية المهيمنة آنذاك، حيث كان يتخذ من التماثيل أصناماً تعبد، لكن ومن خلال الوقوف الدقيق على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القائمة في هذا اليوم، من الممكن أن تصبح صناعة التماثيل حلالاً، لأنها لم تعد أصناماً تعبد. والموسيقى كانت في أيام بني أمية^١ ومن بعدهم تتخذ كوسيلة لتبرير الظلم أو لاختلاط المرأة بالرجل أو شكلاً من أشكال اللعب واللهو، إلا أنها اليوم تستخدم للارتفاع بمعنويات الشعب في العمل والحرب والعرفان. فالموسيقى هي نفس الموسيقى، لكن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قد تغيرت كلها أو بعضها. إذن يجب الالتفات إلى هذه النقطة وهي أن الموضوع الأول قد تغير حكمه بتغيير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية دون أن يطرأ أدنى تغيير على الموضوع الأول نفسه، أي أن التغيير قد حدث في القضايا الجانبية والخارجية للموضوع، وقد بحثت في هذا الحقل بصورة مفصلة، لكن - للأسف - لم يحاول أحد أن يتناوله، وحتى السيد جناتي^٢ قد تطرق إليه بشكل موجز وعابر. وهذا الموضوع لا يتعارض أبداً مع «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه

^١ بنو أمية أو الأمويون هم سلالة الخلفاء الذين تولوا حكم البلاد الإسلامية عام ٤٠هـ (٦٦٢م) بعد الخلفاء الراشدين، واستمر حكمهم حتى عام ١٣٢هـ (٧٥٠م). أسس معاوية بن أبي سفيان الدولة الأموية وأحيا مع أسرته الارستقراطية والنظام الملكي الوراثي الذي يتعارض بصراحة مع المبادئ الإسلامية. وشهد التاريخ الأموي جملة من الأحداث المأساوية المؤلمة منها عمليات القتل والسجن والنفي الرهيبة التي طالت أتباع بيت النبي صلى الله عليه وآله، واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام على يد جلاوزة يزيد بن معاوية.

^٢ أحد أساتذة الحوزة العلمية بقم.

حرام إلى يوم القيامة»^١ ذلك لأن الظروف الخارجية جعلت منه موضوعاً جديداً، وإن كان في الظاهر لا يختلف عن الموضوع الأول.

ولطرح المسألة الثانية، أستند إلى فتوى سماحة في رده على سؤال مجلس الرقابة الدستورية:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة قائد الثورة الإسلامية المعظم آية الله العظمى الإمام الخميني مد ظله.
نقدم لكم سلامنا ونتمنى مزيداً من البركة لوجودكم المبارك في ظل رعاية
حضرة بقية الله أرواحنا له الفداء.

فيما يخص المعادن التي لها مالك خاص بتبعيتها للأرض أو بالإحياء، والتي لا
تعد من الأنفال حسب «تحرير الوسيلة» وسائر الكتب الفقهية المعتبرة، سبق
لمجلس الصيانة أن أعلن رأيه بصورة عامة من أن المعادن الواقعة في الأملاك
الشخصية والوقفية، لا تعد من الأنفال والثروات العامة، لكن إشراف الحكومة
على اكتشاف المعادن واستثمارها طبق المصلحة العامة جائز، واليوم فقد صادق
مجلس الشورى الإسلامي على لائحة تتعلق بالنفط ورد في المادة الثانية منها
اعتباره من الأنفال سواء كان واقعاً في ملك شخصي ووقفي أو في أراضي أخرى.
لهذا وجب الوقوف على رأيكم المبارك في شمول التبعية المذكورة لا سيما في
مجال النفط، ونرجو إبداء رأيكم الشريف في أصل الموضوع أولاً وفي جواز
التصرف بالأراضي الشخصية والوقفية من أجل الاستخراج، في حالة عدم التبعية
ثانياً.

أمين عام مجلس الرقابة الدستورية

^١ قال الإمام الباقر عليه السلام: قال جدي رسول الله ﷺ: أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة. (وسائل الشيعة ج ١٨، ص ١٢٤، الحديث ٤٧).

لطف

الله الصافي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات حجج الإسلام السادة فقهاء مجلس الرقابة الدستورية دامت
إفاضاتهم، بعد إهداء السلام والتحية.

إن أصل مسألة تبعية أعماق الأرض وكذلك الجو المحيط بالأمالك الشخصية
يتمدد إلى حدود الاحتياجات العرفية. فإذا ما قام شخص - مثلاً - بحفر قناة خارج
حدود المنازل أو الأراضي الشخصية أو الوقفية لجماعة ما، وعبرت تلك من
تحت أراضيهم أو تصرف بها، فلا يحق لأصحاب المنازل والأرض أو المتولين
الاعتراض. ولو شيد أحد بناءً أعلى من المقدار المتعارف ولو كان تردده أكثر من
الحد المتعارف فلا يحق لأي من المالكين أو المتولين منعه عن ذلك. وبالتالي
تكون تبعية الأرض الشخصية بالمقدار العرفي، ولا دخل للآلات الجديدة في
تعيين هذا المقدار. إلا أن تبعية البلاد بدرجة أكبر من التبعية الشخصية، وللدولة
الحق في منع التصرف بأكثر من الحق العرفي للشخص أو الأشخاص. وعلى هذا
الأساس إذا كان النفط والغاز والمعادن خارج الحدود العرفية للأمالك الشخصية،
فهي غير تابعة للأمالك. ولو افترضنا أن المعادن والنفط والغاز كانت ضمن حدود
الأمالك الشخصية - وهو افتراض غير واقعي - فبما أنها معادن وطنية ومتعلقة
بالأجيال الحالية والقادمة، فهي خارجة عن تبعية الأمالك الشخصية، وبإمكان
الدولة الإسلامية استخراجها، لكن يجب دفع ثمن أمالك الأشخاص أو استئجار
الأرض المستولى عليها، مثل سائر الأراضي وبدون حساب المعادن، ولا يحق
للمالك أن يمنع ذلك.

والسلام

عليكم

دمتم موفقين ومؤدين إن شاء الله

روح الله الموسوي الخميني

١٩٨٧/١٠//٢٤

لقد أعطى مجلس الرقابة المحترم رأيه بحق في المعادن الواقعة في الأراضي الشخصية واعتبرها تابعة لذلك الملك، وفي حين استعلم الإمام في مسألة النفط. إلا أن الإمام لم يجب عن النفط، بل أعطى جواباً عاماً بحيث لم يعتبر المعادن الواقعة في أملاك الأشخاص ملكاً لصاحب الملك وإن كانت في الحد العرفي، واعتبرها ثروة ودية، وهذه الفتوى خاصة بالإمام ولم يصدر إي فقيه فتوى كهذه، وهذا يعني أن العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية - بعضها - قد أدت إلى اعتبار هذه المعادن وطنية، بعد أن كانت إلى الأمس ملكاً لصاحب الملك، أي أن حكم المعدن الذي يكتشف عن طريق الأقمار الصناعية يختلف عن ذلك الذي يستخرج بالمعول والمعزق وإن كان المعدن هو نفسه في الحالتين، ولم يحدث تغير في الموضوع. وهذه الفتوى عامة يمكن تطبيقها على كل شيء. بعبارة أخرى أن التغييرات داخل الموضوع تؤدي على ظهور حكم جديد وتغير الموضوع تغيراً حقيقياً، كذلك فإن التغيرات الظاهرية التي تطرأ على الموضوع من الخارج - مثل حجر الملح - تؤدي هي الأخرى إلى وجوب حكم جديد وإن بدا أن الموضوع لم يتغير، لكن الحقيقة أنه تغير واستدعى حكماً جديداً وذلك لأن الظروف قد تغيرت. وطبقاً لهذه الفتوى يتم أخذ الأرض من صاحبها بالقوة ويعطى ما يعادلها من المال أو ثمن استئجارها رغماً عنه، ولا يدفع له حتى فلس واحد مقابل المعدن الثمين الذي عثر عليه في أرضه، والذي هو

بالحقيقة كان ظاهراً، فلم يكن ضائعاً كي يعثر عليه. وصرح الإمام بأن يدفع له ما يعادل قيمة بيع أو استئجار الأرض المجاورة ولا يمنح أي امتياز على هذا الصعيد. ويبدو أن أحداً من الفقهاء لم يقل بهذا حتى اليوم.

وهنا يطرح السؤالان التاليان: ١- من الذي يقول بأن العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية قد تغيرت ولم تعد كالسابق؟ ٢- من الذي يجب أن يعطي الحكم الجديد؟

ولتوضيح السؤال الأول نقول على سبيل المثال إن بيع وشراء الدم كان حراماً في الماضي ربما بسبب شربه من قبل البعض، أما في الوقت الراهن ونظراً للظروف المهيمنة على المجتمع سواء كانت علمية أو اقتصادية، فمن الممكن أن يستخدم الدم أحسن استخدام لإنقاذ حياة المرضى؛ لهذا وفي ظل هذه الظروف من الممكن أن نقول بجواز بيعه وشرائه. وأنا لا أقول هذا، لكنني أطرح فقط ما يمكن أن يطرح كرؤية للإمام على مختلف الأصعدة، حيث لم يتناول أحدج للأسف هذا الموضوع لكونه شائكاً. نسأل الله تعالى أن يهيئ للحوزات العلمية والمراكز الدينية فقهاء شجعان يأخذون على عاتقهم الخوض في هذه المسائل كما هو الحال بالنسبة لسائر المسائل الفقهية والأصولية. فإذا ثبت أن حرمة بيع وشراء الدم كانت بسبب شربه، فمن الذي يجب أن يقول أن هذه الظروف قد تغيرت، العرف أم المسؤولون؟

ولتوضيح السؤال الثاني: الآن وقد تغيرت الظروف، فمن الذي يجب أن يصدر الحكم، ثم ألا يمكن أن يؤدي ذلك إلى زعزعة الأحكام واضطرابها؟ فلو طرح على سبيل الفرض أن الحيوانات الوحشية لما كان لا يعرف أن قوتها غذاء حلال أم حرام، فهي ممن يحرم أكل لحمها، لكن لو منعنا تغذيتها على القوت الحرام كما نفعل مع الجمل أو الدجاج الجلل، وقدمنا لها الغذاء الحلال فقط، تصبح عندئذ مثل الحيوانات التي يحل أكل لحمها.

أو لحم الخنزير فإنه حرام لأن فيه الجرثومة الفلانية، والآن وقد تغيرت العلاقات الاقتصادية والعلمية، فهل يمكن أن يكون حلالاً؟ (طبعاً هذه الأمثلة لا تعني قبولي بها وإنما أطرحها من باب التوضيح)، أو أن السمك ذا الصدف، حرم في يوم ما لسبب ما، والآن يمكن أن يكون حلالاً لتغير الظروف. ومما لاشك فيه، هناك إشكالات أساسية على مثل هذا الكلام، إلا أن طرحها وبحثها نافع بالتأكيد.

نص الكلمة التي ألقاها حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني
في المراسم الختامية لمؤتمر دراسة الأفكار الاقتصادية لسماحة الإمام الخميني

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر بدوري المشاركين بهذا الاجتماع الكبير وأولئك الذين تحملوا العناء من أجل إقامة هذا الاجتماع سواء في الإعداد له أو بعد ذلك أو في الأعمال التي تبلورت هنا. كما أشكر جناب السيد الدكتور (درخشان)¹ وسائر الإخوة الذين تجشموا العناء من خلال تقديم المقالات أو إلقاء الكلمات أو ممن عمل على هذا الصعيد، كما أشكر أخي الوقور العزيز جداً سماحة الإمام المستطاب آية الله السيد الموسوي الأردبيلي الذي شرفنا بحضور هذا الاجتماع وترؤس هذا العمل

¹ كان الدكتور مسعود درخشان، أمين ومسؤول اللجنة العلمية لمؤتمر دراسة الأفكار الاقتصادية لسماحة الإمام عليه السلام.

الكبير، والجميع يعلم أن سماحته وبعد الأعمال الكبيرة جداً التي قام بها في النظام، رأى من الصلاح الذهاب إلى الحوزة. وهذه هي أيام البحث والحوزة، وقد عطل دروسه وجاء إلى هنا. أسأل الله أن يحفظه لنا، وأتمنى أن يستمر هذا العمل الكبير وهو مقدمة لأعمال أخرى. آمل أن تتابعوا أيها الأعزاء نهج إمامنا الراحل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني لدى لقائه حجة الإسلام

والمسلمين

مهدي الكروبي ممثل ولي الفقيه والمشرف على مؤسسة شهيد الثورة الإسلامية،

وحشد من عوائل الشهداء، وطلبة الجامعات والتلاميذ المتفوقين في مدارس

«الشاهد» خلال مراسم أربعينية الإمام الحسين

«الرسالة الزينية لأبناء شاهد»

بتاريخ ١١/٧/١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

طبقاً للروايات التي بين أيدينا عن الأئمة الأطهار عليهم السلام فإن شيعة الإمام الحسين عليه السلام كانوا يتابعون الأعمال التبليغية للإمام بشكل دقيق وصحيح، وينتھزون كل فرصة من أجل إيصال رسالة سيد الشهداء إلى العالم الإسلامي وغرس حبه في القلوب، أمعنوا النظر في هذه العبارة: «من بكى أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنة»^١ وقد تقدم البكاء على الإبكاء لأن القضايا الباطنية للإنسان الذي يبكي ذات أهمية أكبر من الشخص الذي يبكي الناس دون أن يكون مع تلك الحركة، وإن كان هناك احتمال أن يكون معها أيضاً، ولهذه تأخر الشخص الذي يبكي الناس من أجل ثورة عاشوراء، عن ذلك الذي تتقطع نياط قلبه من أجل الإمام الحسين.

وهذا عمل تبليغي وإعلامي لصالح الحق. فنحن في العالم أمام تيارين: تيار الحق وتيار الباطل. فذلك الذي يتباكى هو جزء من جيش تيار الحق ويجري مع هذا التيار ومن أهل الجنة. ولدينا أحاديث عن الأئمة الأطهار عليهم السلام تحث على وضع شيء من التراب الحسيني في فم الوليد، لأن ذلك سيجعل منه (علي الأصغر)^٢ زمانه، ويضعه في مسار الحق، فضلاً عن أن ذلك تبليغ عظيم لواقعة كربلاء. لقد قرأت يوماً رواية كانت عجيبة جداً بالنسبة لي، لكنها عندما تقاس بهذا المقياس تبدو صحيحة لا غبار عليها. والرواية تقول أن امرأة فاجرة ذهبت يوماً نحو الأماكن التي كان يطهى فيها الطعام لمراسم العزاء الحسيني، فنفخت تحت تلك القدور، لتسريع نضج الطعام، وقد أدى الدخان المتصاعد من النار إلى نزول قطرة دمع من عينها. فالإمام يقول أنها من أهل الجنة مع أنها فاجرة وعملت

^١ حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله يقول: ومن بكى أو أبكى واحداً فله الجنة ومن تباكى فله الجنة (بحار الأنوار - ج ٤٤، ص ٢٨٨).

^٢ ابن الإمام الحسين عليه السلام وكان يبلغ من العمر ستة أشهر حينما أستشهد في يوم عاشوراء (محرم ٦١هـ) بسهم أطلقه رجل يدعى «حرملة»، من أفراد جيش يزيد بن معاوية.

السوء طوال حياتها، إلا أنها قد دخلت بعملها هذا ضمن تيار الحق، ومن يصبح ضمن هذا التيار فهو من أهل الجنة.

ويخطر في بالي - ولا أنسب ذلك إلى أحد - أنه عندما يؤذّن ويقام في أذن الوليد يستحب أيضاً أن يذكر اسم الحسين (عليه السلام) في أذنه، وهذا العمل إعلامي أيضاً وسيكون هذا الطفل مع تيار الحق ومن أهل الجنة.

ومع وجود الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأمير المؤمنين (عليه السلام)، والإمام الحسن¹ وباقي الأئمة الأطهار، إلا أن التراب الذي يوضع في فم الوليد يجب أن يكون من تربة الحسين وليس من تراب الرسول (صلى الله عليه وآله) أو سائر الأئمة (عليهم السلام). وعندما نشرب الماء يستحب أن يذكر اسم الإمام الحسين (عليه السلام) لا اسم الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهذا يعني أنه إذا ما تقرر أن يكون هناك عمل إعلامي فيجب أن يكون ضمن تيار الإمام الحسين (عليه السلام)، وإذا ما كان ضمن تيار الإمام الحسين (عليه السلام) فسيكون ولا شك ضمن تيار الرسول (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام). وفي الصلاة يستحب السجود على تربة الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا عمل إعلامي أيضاً، والمؤمن يلزم نفسه بالسجود على تربة الإمام الحسين، وهذا يعني الحركة مع تيار الحق، وأنتم تعلمون أن كثيراً من علماء الدين الذين امضوا عمرهم في الدراسة وعانوا بشدة على هذا الصعيد، لكنهم خسروا الآخرة لأنهم لم يكونوا مع تيار الحق. فالمهم أن يكون المرء مع هذا التيار. وأنتم يا أبناء الشهداء رسل هذه الثورة إلى البلدان الأخرى، أنتم الذين سترسمون الخط الحقيقي للإمام والثورة في المستقبل، ولهذا عليكم من الآن أن تأخذوا على عاتقكم العمل الإعلامي على النمط الزينبي، وابدلوا جهودكم كي

¹ أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الثاني من أئمة الشيعة، ولد في السنة الثالثة للهجرة واستشهد مسموماً في عام ٥٠ هـ. بايعه المسلمون خليفة عليهم في عام ٤٠ هـ بعد استشهاد أبيه العظيم، وخرج مع أنصاره لحرب معاوية. وزحف معاوية هو الآخر لحرب الإمام وكادت تقع الحرب بين الجيشين، إلا أن الظروف اضطرت الإمام الحسن إلى التصالح مع معاوية، وتخلي عن الخلافة الظاهرية لخيانة أصحابه وقلة الأنصار الأوفياء، وتوجه إلى المدينة المنورة حيث قتل مسموماً.

تكونوا أنتم وكل من يرتبط بكم، ضمن تيار الحق؛ وإذا ما فعلتم ذلك فاعلموا أنكم ستكونون من أهل الجنة، وكذلك أولئك الذين أصبحوا ضمن مسار الحق. كثيرون قد ارتكبوا ذنوباً، لكنهم لو انضموا اليوم إلى تيار الإمام فسيكونون من أهل الجنة، فما أكثر أولئك الذين قاموا بأعمال مهمة من حيث العبادة وتحصيل العلم، إلا أنهم أصبحوا من أهل النار لأنهم لم يسيروا مع تيار الإمام. فإذا أردتم أن تحشروا مع أهل الجنة، فيجب أن تكونوا مع تيار الإمام والشهداء. فالشهيد قد استطاع ببذل دمه في سبيل الله أن يعادل العبادات التي قام بها شخص منذ زمن الرسول ﷺ وحتى الآن، لأن هذا الشهيد سيحظى آخر المطاف بجوار الأئمة. فشهادتنا إلى جوار الأئمة، وهم ينظرون إلى وجه الله تعالى في اللحظة التي يستشهدون فيها. فأين هي الدرجات الأخرى عن وجه الله؟ والإمام يتطلع إليكم لأنكم رسله، وعليكم أن ترسموا خطة في العالم، وأن تقفوا في وجه أولئك الذين يريدون أن يحرفوا هذا الخط عن مساره الحقيقي، وبوقوفكم تصبحون ضمن تيار الحق ومن أهل الجنة وعلى خطى الشهداء والأحرار. أما إذا لم تقفوا، فلو قمتم بألف عبادة فأنتم مع تيار الباطل والشياطين.

أعزائي إن وضعنا اليوم صعب للغاية. أن العالم الاستكباري - الذي وقف بوجه العراق اليوم - سيقف بوجهنا غداً. فما لم نسع اليوم لدعم تيار الحق في كل العالم، فكونوا على ثقة من أن الاستكبار لن يسمح لأهدافنا أن تكون عالمية. فلو انتصرت أميركا في المنطقة، فستحرض غداً هؤلاء الشيوخ وتدعمهم كي يثيروا المشاكل لنا بشتى الصور. صحيح أنكم برهنتم للعالم على صمودكم بوجه كل القوى مدة ثماني سنوات وقاتلتم وخرجتم مرفوعي الرأس، إلا أن هؤلاء ليسوا وحدهم، إنهم تيار الباطل في كل العالم. وإن الإمام حين يقول لو تعرض مسلم أفريقي إلى الضغوط، فنحن مسؤولون عنه، فلائه ضمن تيار الحق. فالحدود ليس بإمكانها أن ترسم مثل هذا الموقف، وأنتم على علم أن صدام العفلق قد مارس

بحقكم أسوأ الأعمال، وأنه قام بأسوأ تحرك في العالم ضدكم أنتم يا أبناء الشهداء، وضد آبائكم، وضد معاقينا وجرحانا وأسranنا. فسياستنا لا للشرق ولا للغرب، وهذه السياسة كان الإمام قد رسمها، أما منفذوها فهم شهدائنا، ورسلها أنتم يا أبناء الشهداء.

لا تدعوا هذه الثورة - التي تحملت كل الضربات ووقف كل العالم بوجهها - تنحرف عن مسارها، ولن يسمح مسؤولوكم بمثل هذا. ونحن نعاهد إمامنا هنا ونعاهد عوائل الشهداء، وأبناءهم إلى جوار إمامنا، أننا لن ننحرف قيد أنملة عن الإسلام المحمدي الأصيل. فإذا لم ندافع عن دماء الشهداء، فليس لنا غداً جواب حينما نقف بين يديه تعالى. وقد وقف اليوم والحمد لله مسؤولوكم وقائدكم سماحة إمامنا الله الخامنئي بوجه أميركا بكل ما لديهم من قوة.

أرجو منكم أيها العزة وأيها الإخوة والأخوات أن لا تترددوا لحظة واحدة في الحفاظ على ثورتكم. أنتم لا تعلمون كم عانى الإمام وكم قاسى من قبل أصحاب الأفكار الجامدة والمتظاهرين بالقداسة في الحوزات، أولئك الذين كانوا يصلون ولم يتركوا ركعة واحدة من صلاتهم، وألك الذين كانوا يرتقون منابر التدريس. الله يعلم كم لقي الإمام على أيديهم. فإلقاء الدروس وأداء الصلاة لا يضعان لوحدهما الإنسان في مسير الحق. فالحر¹ قد التحق باللحظات الأخيرة بتيار الحسين عليه السلام، ولو لم يعترض طريق الحسين عليه السلام لوصل الإمام إلى الكوفة ولكانت نتائج ثورته غير التي كانت، ومع هذا كله أصبح هذا الرجل من أهل الجنة بمجرد انضمامه إلى تيار الحق. وعلينا أن نسعى كي نكون ضمن هذا التيار. لقد وقفت أوروبا بكل وجودها في وجوهكم وها هي تشيع أن أميركا ستقيم علاقات مع إيران وأنها ستدفع الموال الإيرانية المجمدة. إن أموالنا سننتزعها من

¹ كان الحر بن يزيد الرياحي قائداً شجاعاً في جيش يزيد، وعندما علم بعزم هذا الجيش على قتال الحسين بن علي عليه السلام تألم كثيراً، وخير نفسه بين الجنة والنار، فاختار الجنة من خلال التحاقه بجيش الإمام الحسين عليه السلام. ونال الشهادة في محاربة يزيديين تحقيقاً للأهداف المقدسة للإمام الحسين عليه السلام.

حلقومكم، إلا أننا لن نطأطئ رؤوسنا أمامكم ولو للحظة واحدة. غن اقل حركة لصالح الغرب اليوم هي إساءة للإسلام وللثورة الإسلامية، وتضييع لدماء الشهداء، دماء آبائكم يا أبناء الشهداء، أنتم الذين يجب أن تدبروا شؤون إيران غداً. عليكم أن تدرسوا جيداً، فعليكم ومن خلال دراستكم الجيدة أن لا تسمحوا لأولئك المقيمين في الخارج أن يدخلوا الميدان بدلاً عنكم عند عودتهم إلى البلاد. وسعيهم لتوظيف تخصصهم.

لقد عانى الإمام كثيراً في مواجهة المتظاهرين بالقداسة وأصحاب العقول المتحجرة. كما أن أخانا العزيز رئيس المجلس والنصير الثوري للإمام، كم تعرض للضرب من قبل الملالي ذوي العقول الجامدة والمتظاهرين بالقداسة والمعارضين لنهج الإمام والثورة في المسجد الأعظم والمساجد الأخرى. واليوم إذا لم نتحرك سريعاً فسيعرض من هم مثل كروبي^١ - وهم قلة في الحوزة - إلى الضرب من قبل هذه الفئة. فلا تتصوروا أن القضية قد انتهت، أبداً، فلا زالت أيادي الاستكبار في الحوزات العلمية تسعى جاهدة للإساءة إلى الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه وخط الرسالة والإمامة.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في الفائزين بالمسابقة الأدبية

الفنية حول الإمام الراحل، بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل سماحته عليه السلام

بتاريخ ١٩٩٠/١١/١٠

^١ سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ مهدي كروبي من العلماء المجاهدين الملتزمين. عينه سماحة الإمام عليه السلام مسؤولاً عن «مؤسسة شهيد الثورة الإسلامية» بتاريخ ١٩٨٠/٣/١٥ م. كما عينه الإمام في مرسوم آخر ممثلاً لسماحته في شؤون الحج ومشرفاً على الحجاج الإيرانيين، وظل في هذا المنصب منذ ١٩٨٥/٨/١٦ م وحتى رحيل الإمام العزيز. كما رأس مجلس الشورى الإسلامي في دورته الثالثة. تعرض للضرب وجرح جروحاً بليغة في النزاع الذي حصل بين أنصار سماحة الإمام الخميني عليه السلام ومؤيدي السيد كاظم الشريعتمداري في السنوات الأولى للنهضة.

بسم الله الرحمن الرحيم

كان الإمام يرفض الفن غير الهادف، وأكد في رسالته إلى الفنانين على أن الفن الذي يحظى برضانا هو ذلك الذي يرسم الحدود بين الفقر والغنى. والإسلام يقيم الفن إذا ما كان في خدمة الناس والله. وإذا استطاع الفنان أن يرسم الوجه القبيح للاستكبار والظلم، يكون قد قام بعمل مقبول، وإذا تمكن بأثره الفني سواء كان شعراً أو رسماً أو نحتاً إلى غير ذلك، أن يرسم ملامح الظلم الذي لا حد له للاستكبار العالمي، يكون قد فعل شيئاً. أما إذا كان الفنان يريد الفن من أجل الفن، فمن الطبيعي أن يكون ذلك جهداً لا قيمة له من وجهة نظر الإسلام والإمام. ولا يجوز للفنانين التخلي عن مسؤوليتهم إلا بإزالة الظلم من العالم، والفنان المسلم الملتزم يحمل مسؤولية رسم الملاحم الخالدة لأتباع الإسلام المحمدي الأصيل على أحسن وجه على مدى التاريخ الجهادي الهادف لنيل الحق. والفن الملتزم يوعي الجماهير لا أن يبعث فيها الخمول والكسل. وإذا استطاع الفن أن يقوم بدور الموقظ، فلا شك أنه سيقود الحركة الجماهيرية نحو التكامل والتسامي والتي تعني الحركة نحو الله.

فأين كان يتجلى فن الإمام؟ يعتقد البعض بما أن الإمام كان فقيهاً ومرجعاً، فلا بد أن يتجلى فنه في الفقه والأصول. فيما يعتقد البعض الآخر أن سماحته عارف وفيلسوف ولا بد أن يظهر فنه في العرفان والفلسفة، بينما يرى آخرون أن فنه في شعره. فهل كان هذا هو فن الإمام حقاً؟ أم أن فنه كان جهاده الحازم ضد العالم الاستكباري؟ هل كان فن الإمام إقامة الجمهورية الإسلامية أم شيئاً آخر؟

برأيي أن فن الإمام ليس في أي واحد من هذه الأمور. فقد كان لدينا كثير من الفقهاء والفلاسفة والعرفاء، إلا أن أي منهم لم يكن كالإمام، كما أن فن الإمام لا ينحصر في الجهاد ضد أميركا، لأن هناك العديد من السياسيين في الداخل والخارج قد حاربوا أميركا ولم يكونوا كالإمام، أنا اعتقد أن الذي فعله الإمام

وأدى إلى تصاعد نهضته الإسلامية التاريخية، هو جهاده الذي لا هوادة فيه ضد المتحجرين والمتظاهرين بالقداسة والرجعيين الحمقى.

فالمتحجرون وقفوا منذ بداية نهضة الإمام الخميني قُدِّسَ وحتى انتصارها وفي كل الحقول - حتى الفن - بوجه نظامه العقائدي، أي الإسلام المحمدي الأصيل، غير أن الإمام وبعون الله تعالى تصدى لهم وألحق بهم الهزيمة وحقق أهداف النهضة.

لقد استخدم الإمام الفقه والعرفان وعلم الكلام والفلسفة والشعر والفن، إلا أنها كلها كانت مقدمة لتحرير الشعب من القيود التي فرضها المتظاهرون بالقداسة. وبعد قمع هؤلاء المتحجرين، تبلورت تعبئة المحرومين - الذين غضب عليهم الظالمون والمستكبرون - لجهاد الشاه وأميركا، وكان ذلك مستوحى من المدرسة الحقيقية للرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي الإسلام المحمدي الأصيل.

وتحمل الإمام عناء كبيراً خلال جهاده الحافل بالأحداث ضد المتحجرين والرجعيين، كما تعرض لكثير من الأذى. فقد ذكر الإمام في رسالته إلى علماء الدين: «إن الغصص التي تجرّعها أبوكم العجوز على يد على يد هذه الفئة المتحجرة لم يتجرّعها على يد أي فئة أخرى».

واليوم فإن نظامنا الإسلامي وثورتنا الإسلامية تتعرض للتهديد من قبل المتحجرين والرجعيين المتظاهرين بالقداسة أكثر من أي جهة أخرى. فعلينا أن لا ندع هؤلاء يمسكون بزمام الأمور على أي صعيد، ويجب توظيف كل الإمكانيات من أجل ذلك. يقول سماحة الإمام: «إن جهاد المتحجرين والرجعيين يحتاج إلى تضحية، وابتهلوا أن أكون أول ضحاياه».

وإني أعلن بصراحة، أن أساس تغيير الهيكلية الثقافية للحوزات والرجعيين... أو الأفضل أن نقول إنهم لو كانوا بقوا على حالهم، لما قامت ثورة ولما اطلع الشعب على الإسلام الأصيل ولقبر الإسلام الحقيقي. ففن الإمام يتجلى في أنه

استطاع أن يربي تلامذة خدموا الناس على شتى الأصعدة ورسخوا الأسس العقائدية للنهضة وعززوا الحكومة الإسلامية في ظل ظروف كانت تعد فيها قراءة الصحف أو سماع الإذاعة ذنباً وموبقة. فلولا مكافحة الجهل والخرافة والجمود، لما كان بمقدور شعبنا تشخيص هؤلاء باعة الدين ولا دين لهم، ولظل الشاه إلى اليوم ولظلت أميركا تذكر على أنها حامية المسلمين.

فعلى الفنانين الملتزمين والتلامذة الحقيقيين للإمام أن يبذلوا قصارى جهودهم لئلا تعود الأوضاع الفكرية والثقافية للمجتمع إلى حالة السابقة من الجمود.

وحالات الإمام العرفانية في الظروف السياسية والاجتماعية الصعبة لا يمكن أن توصف. فوزير الأمن السابق سماحة حجة الإسلام (ري شهري) قد اتصل بالسيد الأنصاري¹ في الفترة التي كانت تتعرض طهران للقصف الصاروخي والجوي، واخبره أن هناك معلومات مؤكدة تشير على عزم العراق على قصف منطقة جماران بالطائرات والصواريخ، وطلب منه أن ينقل ذلك الخبر إلى سماحة الإمام كي يتم اتخاذ خطوات وقائية. فكتب السيد الأنصاري إلى الإمام يقول:

بسمه تعالى

بعد السلام. بفضل الله وضع الجبهة جيد والمقاتلون منهمكون بتعزيز مواقعهم وتحسين جبهاتهم رغم ضغوط العدو. وطبقاً لما ذكره السيد ري شهري استناداً إلى معلومات موثقة، فإن العدو سيهاجم جماران اليوم أو غداً. وإنني أتوسل إليكم بروح الزهراء الطاهرة (عليها السلام) أن تسمحوا باتخاذ ما يلزم للمحافظة على حياتكم.

الأنصاري

وليس بالإمكان وصف حال الإمام في ذروة الغضب العام الذي اجتاحت طهران وبعض المدن الأخرى، عند وصول هذا الخبر المهم الذي أورده مدير الأمن. فقام

¹ عالم ملتزم ومجاهد وقف إلى جانب سماحة الإمام (قده) وكان في خدمته منذ انتصار الثورة الإسلامية وحتى اللحظات الأخيرة من حياته. ويتولى في الوقت الراهن الإشراف على مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قده).

وفي منتهى الثقة والتوكل على الله بكتابة شعر على تلك الورقة التي بعثها السيد الأنصاري له، وهو في الواقع ثقة عجيبة ومثيرة بالله تعالى، حيث كيف يمكن لشخص أن يقف صامداً في تلك الظروف، ليكتب:

ستراني راقصاً عند باب الحانة
ستراني راقصاً كال دراويش
سأنتشي ثانية من كأس الراح
ستراني فاقد الوعي يستهزئ بي الشيخ والشاب
سأخرج من باب المدرسة والدير
ستراني معتكفاً في ظل السر المتحرك
سأسافر من منزل الوجود
ستراني أذهب إلى اللا وجود عارياً
سأخلص من خرقة الفقر دفعة واحدة
وسترى عار هذه الخرقة المتهرئة بوضوح
سأشرب الراح من كأس ذلك الذي أحرق القلب
وستراني متحرراً من ملك العالمين

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في عوائل شهداء
مدينتي خمين وجيرفت وحشد من أمة حزب الله
«أسلوب كسب ثقة الشعب»
بتاريخ ١٩٩١/٩/٣

بسم الله الرحمن الرحيم
شهد الشعب تغييرات نفسية قبل انتصار الثورة الإسلامية العظيمة، وظهر إلى
الوجود جيش سماحة الإمام (قده).
وكانت هناك فئة قليلة من اللامبالين الذين لا شأن لهم بالثورة وما تتعرض لها،
فضلاً عن وجود فئة أخرى كانت تتحرك ضدها.
وبعد الانتصار، اضطر أولئك الذين لم يواكبوا مسيرة الثورة من قبل، إلى
الانسجام معها إما بتأثير أجواء الثورة التي غمرت إيران، وإما ليقظة ضمائرهم،
وإما نفاقاً. وبعد أن نشبت الحرب المفروضة أدى الجو الجهادي والتعبوي الذي
هيمن على البلاد إلى تصاعد الروح الثورية لدى الشعب على كل الأصعدة عدى
الفئتين الأوليين، وكان ثمة جدل فكري بعد انتصار الثورة وقبل الحرب
المفروضة، إذ تصورت فئة أنه يمكن التعامل مع القضايا والمشاكل الثقافية عن
طريق القوة. غير أنني قلت آنذاك إن تعاملًا كهذا يحتاج إلى دراسة شاملة كي

يتضح لجميع أفراد الشعب إطار وملامح الثقافة المحمدية الأصيلة. فما لم نقدم معياراً محدداً، فكيف نتوقع من كل أبناء الشعب احترام القيم والعقائد الإسلامية؟ إن مسؤولي الأجهزة الثقافية ملزمون للإعلان وبكل صراحة عن أطر ثقافة الإسلام والثورة، وتحديدًا هل أن مكافحة الثقافة غير المضادة للإسلام منفصلة عن مكافحة الثقافة غير الإسلامية أم جزء منها؟ فإذا كانت مكافحة الثقافة غير الإسلامية مأخوذة بنظر الاعتبار أيضاً فلا شك أننا سنواجه صعوبات جمّة، لأننا في هذه الحالة سنصطدم مع مختلف رغبات المجتمع. فظواهر من قبيل السينما، والكتاب، والرسم والموسيقى المحلية، ونوع الزي وعشرات النماذج الأخرى، يمكن أن تكون ظواهر غير إسلامية. ولاشك أن هناك من يدافع عنها، ويمكن أن تكون المشاعر الوطنية والقومية والدينية واحدة من مئات الظواهر الأخرى التي يجب مواجهتها حسب هذه الفرضية.

إن الرسالة الأساسية اليوم لمؤسساتنا الثقافية هو التعامل بيقظة مع الثقافة الغازية المعادية للإسلام، ويعد مكافحتها والظواهر التي تؤدي إلى تخريب الجو الثقافي للبلاد، من القضايا المهمة لنظامنا وثورتنا. إن انجرار شبابنا ذكوراً وإناثاً نحو بهارج الدنيا، والتحلل خلال مرحلة الشباب الحرجة، غريزة غير موجهة، فمتى تحولت إلى شعار وقضية - كمعارضة نظامنا لها - فإنها ستتلور على شكل حركة تتظاهر بالنزعة الثقافية والتطور بهدف الانغماس في الملذات المفسدة، وهذا من المعضلات المرة التي يعاني منها المجتمع.

ومن القضايا التي يجب الاهتمام بها والتفكير بوضع حلول سريعة لها هي انتشار الأفلام المبتذلة، وأشرطة الفيديو، التي تبث الثقافة الغربية، والرسائل المروجة للفكر المعادي للدين من خلال الأمواج الصوتية والتصويرية، والكتب، والمجلات من جهة، وعدم وجود الكتب والأفلام والمجلات المبلغة لقيم الثورة الإسلامية، وعدم توفر المتع المشروعة من جهة أخرى. هذا فضلاً عن أن التعامل

الخشن والمثير للمشاعر مع المفاسد السطحية العابرة وترك المفاسد العميقة والمعاصل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وكذلك عدم التنسيق ووحدة الرؤيا بين المؤسسات وأفراد حزب الله العزيز في سبيل مواجهة الفساد في كل زوايا المجتمع، وعدم وجود الخطوط السياسية الواضحة والصريحة في التعامل مع المرتشين والمتملقين والكتّاب المهرجين المأجورين ومروجي الابتذال؛ مشكلة أخرى يجب أن تطرح في الوقت المناسب. والأهم من هذا كله تثبُّط عزيمة حزب الله العزيز في مواجهة الفساد بأشكاله المختلفة، فهذه كلها من مشاكل مجتمعنا الإسلامي. ومن المؤكد أن الحكومة لن تحقق النتيجة المرجوة على صعيد مكافحة الفساد ما لم يشترك جميع أفراد أمة حزب الله في ميدان المواجهة، لأن العمل واسه جداً ويجب الاعتماد على الشعب في التصدي للفساد الثقافي. ولقد نجح أعداء الثورة والنظام، ومن خلال إعلامهم المضلل، في تحقيق أهدافهم، وهم لم يلجأوا إلى استخدام السوط والقوة؛ أما نحن وإن كانت القوة والوسائل الإعلامية بأيدينا، لم نقم بأعمال ثقافية أساسية، ولهذا ترانا متخلفين عن أعدائنا على هذا الصعيد وللأسف.

وعلى حد تعبير أحد الأصدقاء: إذا جاء أحد إلى المسؤولين وطلب منهم كتاباً فيه ردود على الإشكالات والشبهات لأعطيت له كتب الشهيد المطهري ثانية. فعلى صعيد المرأة مثلاً نقترح عليه كتاب «نظام حقوق المرأة في الإسلام» على الفور، في حين إن هناك احتمالاً يقرب من اليقين أن الشهيد المطهري كان من الممكن - ومن خلال فكره الخلاق - أن يضيف إلى تلك الكتب حلولاً كثير من القضايا التي واجهتنا بعد قيام الحكم الإسلامي أو يحذف أو يجري إصلاحات على بعض القضايا المطروحة في تلك الكتب. فماذا فعلنا نحن خلال الأعوام الثلاثة عشر التي تلت انتصار الثورة وأي موضوع مفيد وموجه كتبنا أو اقترحنا كتابته؟ نعم هناك كتب قد صنفنا، لكنها قليلة جداً أمام تيار الغزو الثقافي.

والأسباب التي تكمن خلف إحباط عزيمة الشعب في مواجهة المفسد الاجتماعية والأخلاقية، كثيرة، فعندما ارتفعت حدة المواجهة مع نظام الشاه، التف عامة الناس حول علماء الدين الذين كانوا ينقلون إليهم كلمات الإمام، فكان الجميع يجاهدون في صف واحد، ويجتمعون في المساجد، وكان منزل عالم الدين ومحاربه محل اجتماع رجال الحق والحقيقة والجهاد، وكان عالم الدين في المحلة، إمامها، فكان الناس يرون كل ما يقوله هو الحق، ولا يترددون في تنفيذه. وراحت وتيرة الثورة تتصاعد يوماً بعد آخر، وتفرق الشعب عن علماء الدين اللامبالين والمعادين للثورة والتحقوا بالذين يقولون الحق.

فكان علماء الدين المجاهدون الواعون، الركيزة الأساسية للثورة، ووقفوا - والحق يقال - بكل إمكاناتهم وقدراتهم على جانب الشعب لتقديم كل أشكال التضحية لإقامة الحكم الإسلامي، أما علماء الدين الرجعيون فلم تكن حججهم منطقية، ولهذا انفض الناس عنهم فعاشوا بعزلة منبوذين، وانتصر الشعب والعلماء المجاهدون، وخرج الشاه، وعاد الإمام، واستمر هذا الجهاد إلا أن فرضت الحرب على شعبنا، فعاد الحماس من جديد إلى أجواء البلاد، وارتفعت حدة الشعارات المطروحة، وعملت هذه الشعارات - مثل الموت لأمركا والموت للاتحاد السوفيتي، والموت لإسرائيل - وكذلك الحرب مع صدام ومجاهدة رجعيي الخليج الفارسي، والكفاح ضد الرأسماليين المتلونين؛ إلى ترقيق الشعب بحماس أكبر وإصرار على الاستمرار في الطريق. وحدد الإمام الطريق: «أما التحرير أو الشهادة».

لقد آمن الشعب بالشهادة والإيثار، وبذل الأموال والأنفس في سبيل الله واختار طريق الجهاد المرير، مفضلاً الفقر على الرخاء عن قناعة ورضا؛ كيف لا وقد قال الإمام: «إن شعرة واحدة من جسد ساكن الأكواخ الملتزم أفضل من كل سكنة القصور». وكان كثير من أولئك الذين بعثوا أبناءهم إلى ميادين القتال، يرجون

الإمام أن يدعوا لهم بالشهادة. وما أكثر أولئك الفتية الذين زادوا أعمارهم في دفاتر النفوس كي يتمكنوا من المساهمة في جبهات القتال. وانجذب العلماء المجاهدون إلى النظام بعد انتصار الثورة الإسلامية وانهمك كل منهم في العمل وتحملوا العناء. وبادر المعادون للثورة بدعم من الاستكبار إلى اغتيال الشخصيات العلمائية الفاضلة، ويعد تفجير مقر الحزب الجمهوري الإسلامي ومبنى رئاسة الوزراء واغتيال الشخصيات الدينية والسياسية وأئمة الجمعة أمثلة على ذلك.

وفي أعقاب ذلك اضطر العلماء المسؤولون إلى الاحتماء بالحراس، فكان ذلك بداية انفصالهم عن الناس، حيث لم يعد يسمح لهم رجال الحماية بالاختلاط بهم. وكانت أكبر الأضرار التي نجمت عن عمليات الاغتيال، فصل العلماء عن أبناء الشعب وأدى ذلك الفصل إلى نتائج سلبية، فلم يعد بإمكان المسؤولين من علماء الدين سماع هموم الناس، فضلاً عن أن وجود رجال الحماية والحراسة أصبح مدعاة للتفاخر، وغيّرت التشريفات طباع العلماء المجاهدين. فلم يعد العلماء المسؤولون من علماء الدين يركبون الحافلات مثلما يفعل أبناء المناطق الفقيرة، ولم تعد بيوتهم تتناسب مع منازل المحرومين ولا طعامهم مع طعامهم، كما تغيرت أوضاع رحلاتهم ونسائهم وأبنائهم بالكامل، وحلت حياة الترف آخر المطاف محل حياة التواضع. وتضاعدت احتجاجات قائد الثورة، وغير البعض ظاهر القضية بعض الشيء إلى أن تهدأ الضجة، متصورين إن التشريفات تعني فقط الجلوس في سيارات (المرسيدس)، في حين أنها لا تعني هذا فقط، لأنها قد ترسخت في أفكارنا. فكل خطوة منحرفة سيزول قبحها بعد فترة من ممارستها وينشأ لدينا اعتقاد أن ذلك ليس بالشيء المهم، وعندئذ سيقول الشعب - على حد تعبير الإمام - ربما توجد خلف الكواليس أشياء أخرى لا نعلمها.

ورفع العلماء المعادون للثورة والرجعيون رؤوسهم من جديد واستقطبوا الأتباع الذين سبق أن التفوا حول العلماء الثوريين. وأصبحت كلماتهم ومخالفاتهم في هذه المرة قابلة للفهم من قبل أتباعهم القدامى.

إن العلماء الثوريين هم الذين شاركوا الشعب قبل الثورة آماله وآلامه، وما لم يفكروا بحل سريع، فإن الخطر سيصبح محتملاً؛ فلو تحدث أحدهم عن المستضعفين قيل له أنك تطلق شعاراً فحسب؛ ذلك لأنه لا يعمل بقوله، وإن كان من المحتمل أنهم لا يسمعون كلامه وإن عمل. وبرأيي أن هذه النقطة بالذات هي أحد الأسباب المهمة وراء عدم اكتراث حزب الله العزيز بالمفاسد الاجتماعية، وينطبق هذا الأمر على غير علماء الدين أيضاً، لكن نظراً لكوني من طلبة العلوم الدينية فقد تناولت فئة علماء الدين؛ وعلى غير عالم الدين - كالوزير وعضو المجلس - أن يتحدث عن الفئات الأخرى، وهذا هو أس الأساس. فبالأمس كانت صعوبات الجهاد تقتسم مع الشعب، ويتفاعل هذا مع ذلك الجهاد المتواصل، أما اليوم فإن الامتيازات الحكومية لا تقتسم مع الشعب، ولهذا لم يعد لحزب الله ذلك الحماس والمشاعر السابقة. والبحث - طبعاً - لا يدور حول حزب الله الراسخي الإيمان ومن عاهدوا الله وإمامهم على التصدي للصعوبات والألأعيب وعدم التراجع خطوة واحدة.

ومن جهة أخرى فإن التصريحات المعتدلة لبعض مسؤولي النظام إزاء الغرب لا سيما أميركا والرأسماليين المتلونين، قد هيأت الفرصة لطمع العدو في عامة المؤمنين الذين كانوا خلف الإمام والنظام خلال مسيرة الثورة الحافلة بالأحداث. وأخذت الإذاعات الأجنبية تضخم ذلك الاعتدال لدرجة تظهر وكأن الثورة قد انحرفت الإمام ونهجه وسلكت طريقاً آخر. وما زاد من حالة عدم الثقة، تقارع وتراشق الاتهامات بدون تفحص ومهاجمة المسؤولين الذين تثق بهم الجماهير. كما أن من ضمن القضايا التي تَبَطَّت عزيمة حزب الله، أعمال بعض المسؤولين

من قبيل الاجتماع مع بعض الرأسماليين الهاربين في أميركا، مع أن الإمام قد قال: «إن علماء الدين الملتزمين متعطشون إلى دماء الرأسماليين المتلونين، ولم يتصالحوا معهم ولن يتصالحوا»، والدفاع الإعلامي عن هذه الحركة الخاطئة. كما أن عدم الانسجام مع بعض مواقف القيادة المعظمة - والتي حدثت حتى في عهد الإمام - وعدم الاعتراض على ذلك، يؤدي على نشوء اعتقاد لدى أبناء الثورة في الحوزات والجامعات والمحافل السياسية أن عدم الانسجام هذا بحد ذاته سياسة تحظى بالقبول، حيث ألحق ذلك ضربة بالإمام في حياته وبالقيادة المعظمة في هذه الأيام. إن هذه الأمور جميعها قضايا يثير حزب الله حولها علامات الاستفهام والاحتجاج، وهذا ليس بالخطر القليل. فقد خلفت هذه المواقف والتحركات الجوفاء انعكاسات واسعة في أوساط الجامعات والحوزات والمعامل والأزقة والأسواق ولا سيما في المحافل السياسية، ومن الممكن أن تفرز في المستقبل أضراراً لا يمكن تداركها. فيجب الانتباه إلى أننا ومن أجل تحقيق الرخاء الاقتصادي يجب أن لا نمنى بهزيمة سياسية وعقائدية تلحق بنا أضراراً أكبر.

لقد أشرت إلى حالة أو حالتين واضحتين، وأردت من خلال ذلك أن أقول أنه لمن السذاجة أن نلقي مسؤولية كل أخطائنا على عاتق أميركا، ونسجل كل ضعف على حساب الأجانب، ونغفل عن عيوبنا تحت ظل هذه الشعارات. فكل منا مكلف اليوم بدعم البرامج الاقتصادية للحكومة، ويعتبر الدفاع عن الحكومة واجباً شرعياً على الجميع، شريطة ألا نصرّ حتى النهاية على مشروع اقتصادي ما لمجرد أن عدداً من علماء الاقتصاد قد أعدوه، وأيده بعض المتخصصين بالقضايا الاقتصادية.

لقد تعلمنا من الحرب أن على خبراء الحكومة أن يأخذوا الزمن بنظر الاعتبار في مشاريعهم، وأن يتحدثوا إلى الشعب بشجاعة وصراحة ويقولوا له ما هي نتيجة هذا البرنامج الاقتصادي حتى الزمن الفلاني؟ حيث يجب إصلاحه فوراً إذا ما ثبت فشله، وبغير ذلك فإن الأمور ستصل إلى حد نشعر معها أن لا حيلة لنا سوى

الاستسلام للمشاكل. لهذا ونظراً للوضع الاقتصادي لأبناء الشعب، والنزعة نحو الترف لدى علمائنا المجاهدين، وعد اتخاذ برنامج ثقافي صحيح، وممارسات بعض المسؤولين، والمواقف المحافظة التي لا مبرر لها؛ ينبغي لنا أن لا نتوقع من الشعب أن يظل على حماسه الذي كان عليه إبان الثورة، واندفاعه في مواجهة الأخطار السياسية والثقافية، وخوض ميدان مقارعة الفساد الاجتماعي وباقي الميادين الجهادية.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في مراسم بدء مهرجانات عشرة
فجر الثورة الإسلامية بحضور الألو ف من أمة حزب الله إلى جوار المرقد الطاهر لمؤسس
الجمهورية الإسلامية

«الرؤية المستقبلية للإمام»

بتاريخ ١٩٩٢/٢/١

بسم الله الرحمن الرحيم

تعد بصيرة الإمام ورؤيته المستقبلية إحدى الحقائق التاريخية المهمة في الثورة الإسلامية، فقد بشر سماحته في عام ١٩٦٢م بسقوط نظام الشاه^١ في ظل ظروف كان عدد كبير من الثوريين يعتقد أن القوة القاهرة لجهاز الشاه تسيطر على كل شيء. وعند استشهاد أخي سماحة آية الله مصطفى الخميني بالنجف كانت الحركة الجهادية الشعبية قد انتابها الخمول، وكان الجميع يقول أن امتداد ذلك الجهاد وتحقيق الانتصارات النهائي للثورة الإسلامية بحاجة إلى عشرات السنين، إلا أن الإمام صرح خلال لقاء أجرته معه صحيفة (لوموند) الفرنسية أن إيران في حالة انفجار، ولم يمر عام واحد على الجهاد الحق لشعبنا حتى أثمر، ونجم عنه نجاح انفجار أكثر الثورات أصالة في هذا العصر المستلهم من الإيديولوجية الإسلامية.

ومن خلال الأدلة التاريخية ندرك أن قيادة الإمام الخميني على صعيد السياسة العالمية كانت قائمة على الإعجاز. فمن النقاط البارزة التي تميز بها الإمام الخميني قده دون غيره في توجيه الثورة الإسلامية، تنبؤه بمستقبل الأوضاع العالمية. فبعد ساعات من الغزو العسكري السوفيتي لأفغانستان قال الإمام للسفير السوفيتي: «لقد قمتم بعمل خاطئ، ولن تجنوا من عملكم هذا أي نجاح، ولا شك أنكم ستعترفون يوماً بخطئكم». وفعلاً فقد اعترف السيد غورباتشوف رئيس

^١ بعد المواقف العديدة التي اتخذها الإمام قده إزاء الشاه، خطب في حشد من طلاب وعلماء وأهالي مدينة قم في أعقاب هجوم جلاوزة الشاه على المدرسة الفيضية في ١٩٦٣/٣/٢٢م: لقد انتهوا بضرب الفيضية وقتل وجرح الطلاب، استأصلوا جذورهم، وفضحوا أنفسهم.

مجلس السوفيت الأعلى بعد تسع سنوات أنهم لم يحققوا أي نجاح في أفغانستان، وأن الغزو العسكري لهذا البلد لم يكن في صالحهم.

وكان الإمام قد حذر قبل سبع سنوات زعماء البلدان العربية في منطقة الخليج الفارسي قائلاً: «لا تتصوروا أن نظام صدام يقف إلى جانبكم. فلو أصبح قوياً يوماً ما سييدكم. لقد حذرنا هؤلاء - دول الخليج الفارسي - من أنكم ألوبة في يد القوى الكبرى، يستغلونكم ولا يقدمون لكم شيئاً، إنهم يحاولون أن يزرعوا الرعب في نفوسكم من أنكم لو تقفوا على جانب صدام فسيحدث كذا وكذا وأن إيران ستفعل بكم كذا وكذا، وهم إنما يريدون بذلك أن تظلوا لعبة في أيديهم وتتعاونوا مع صدام خدمة لمصالحهم، وتقعوا في نفس الفخ الذي وقع فيه صدام. واعلموا لو أن صداماً نجا واشتد ساعده فهو ليس بالإنسان الذي يعترف بمواقفكم، إنه مصاب بجنون العظمة، ولهذا سيشهر سيفه بوجهكم، أنتم الذين وقفتم إلى جانبه؛ وسيدمر الحجاز، وسوريا، ودول الخليج، والكويت . . سيدمر الجميع. وقد أدرك الواعون في العالم أن صداماً لم يعدل ذرة عن طبعه الوحشي الضاري، بل تحولت وللأسف إلى ذئب جريح، بدعم طواغيت العالم وصمت المنظمات والمؤسسات الدولية، وهو يسعى لإشعال فتيل الحرب في بلدان المنطقة لا سيما الخليج الفارسي».

ولما لم يجن صدام الذي أسكرته نشوة الغرور من حربه التي شنها على الجمهورية الإسلامية، غير المسكنة والذلة، بادر إلى فرض حرب أخرى على منطقة الخليج الفارسي، وقد علقت نار الحرب هذه المرة بأذيال أصدقائه وحماته، فارتكب كل هذه الخيانة والأعمال الوحشية بحق البلدان العربية والشعب العراقي. أدرك زعماء بلدان الخليج الفارسي - المضللون النادمون على عملهم الخاطئ في تأييد صدام ودعّمه - عمق فكر إمام الثورة الإسلامية الخالد، واعترفوا مراراً

وتكراراً بخطئهم عبر القنوات الدبلوماسية والعلاقات الخارجية، لكن ذلك جاء متأخراً جداً، بعد أن علقت نيران الحرب بأذيالهم.

لقد أعلن الإمام مراراً للمحافل الدولية ومنها منظمة الأمم المتحدة، لو أن العالم قبل بمعاهدة الجزائر^١ عام ١٩٧٥ وأدان نظام صدام لعدوانه على الجمهورية الإسلامية، لكانت الحرب منتهية من جانب إيران، وصرح أخيراً: «نحن المنتصرون في الحرب». ألا يعد اعتبار العالم للنظام البعثي العراقي نظام معتدياً ناقضاً للقوانين والاتفاقيات المعترف بها دولياً؛ انتصاراً للجمهورية في حرب الأعوام الثمانية؟

إن استمرار صلابته وانتصار النظام والثورة على الصعيد العالمي مدين لدقة عمل مؤسس الجمهورية الإسلامية. لقد كان الإمام يسبق زمانه في القضايا الحساسة للعقد الماضي، اعتماداً على ما كان لديه من الدقة والوعي واستلهاماً من الإمدادات والقوة الإلهية الأزلية، وكان يرى في رسمة لأوضاع عالم الغد، إن أنظمة الغرب والشرق أثلة إلى زوال وانقراض، وقد بشر المسلمين بامتداد الثورة الإسلامية إلى سائر أرجاء الأرض. واليوم ونحن في الذكرى السنوية الثالثة لرسالة الإمام إلى غورباتشوف، شهد العالم بأسره كيف سقطت الأنظمة الشيوعية

^١ في اعقاب قمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) التي عقدت بالجزائر في الرابع وحتى السادس من مارس ١٩٧٥، صدر بيان إيراني عراقي مشترك حول حل الاختلافات القائمة بين البلدين على أساس رعاية مبادئ احترام السيادة، وعدم اجتياز الحدود، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكلا البلدين. وكان ذلك البيان بالشكل التالي: ١- ترسم الحدود البرية المشتركة على أساس بروتوكول القسطنطينية (عام ١٩١٣م) ومحاضر لجنة تعيين الحدود (عام ١٩١٤م). ٢- تعيين الحدود المائية على أساس خط تالوك Thalweg. ٣- وعلى هذا الأساس سيعمل البلدان على استتباب الأمن والثقة المتبادلة على امتداد الحدود المشتركة. ويتعهد الجانبان بالقيام بمراقبة دقيقة وفاعلة لحدودهما للحيلولة دون أي تسلل ومن أي جهة ذات طابع تخريبي. ٤- اتفق الجانبان على أن هذه القرارات عناصر غير قابلة للتجزئة من أجل إيجاد حل شامل، وعليه فمن البديهي أن نقض أي من البنود أعلاه سيتعارض مع روح اتفاقية الجزائر.

وتلاشت. وقد رسم الإمام في رسالته التاريخية إلى رئيس مجلس السوفيت الأعلى المستقبل بشكل صريح كما يلي:

«واضح للجميع أنه منذ الآن فصاعداً يجب البحث عن الشيوعية في متاحف التاريخ السياسي للعالم، لأن الماركسية لا تلبي أيّاً من الحاجات الحقيقة للإنسان؛ فهي مذهب مادي، ولا يمكن بالمادية انتشار البشرية من الفراغ الروحي وهو أساس آلام المجتمع البشري في الغرب والشرق، قد يبدو العالم الغربي بستاناً أخضر في مقابل الأساليب غير الصحيحة والأعمال الخاطئة لزعماء الشيوعية القدامى على الصعيد الاقتصادي، إلا أن الحقيقة شيء آخر... ولا يوجد في العالم اليوم شيء باسم الشيوعية، إى أنني أطلب منكم (السيد غورباتشوف) بإصرار ألا تقعوا في شبك الغرب والشيطان الأكبر وأنتم تحطمون جدران الأوهام الشيوعية. فإن أردتم في هذه البرهة حل العقد الاقتصادية العويصة للاشتراكية والشيوعية، من خلال اللجوء إلى مركز الرأسمالية الغربية، فاعلموا أنكم لن تفلحوا في حل مشاكل مجتمعكم؛ ليس هذا فحسب، بل يجب أن يأتي آخرون لإصلاح أخطائكم؛ فلئن وصلت الماركسية اليوم على طريق مسدود في تصوراتها الاقتصادية والاجتماعية، فإن العالم الغربي يعاني من هذه المشاكل - طبعاً بنحو آخر - ومن مشاكل أخرى».

وقد أعلن الرئيس الأميركي قبل أيام أن اقتصادهم قد وصل إلى أسوأ وضع له، وليس هناك بلد في العالم يعاني من العجز في الميزانية كما تعاني أميركا. لقد أعلن الإمام في رسالته للسيد غورباتشوف أن الغرب يعاني من المشاكل، واليوم فإن الغرب وفضلاً عن كل المشاكل الاقتصادية المعقدة، يواجه أزمة أخلاقية واجتماعية مهولة، ونظام الأسرة في الغرب هو من أهش الأنظمة الاجتماعية، وقد أدرك البابا - الزعيم الديني للكاتوليك - هذا الخطر غاية الإدراك حينما قال: ما لم نفكر بعلاج، فإن المشكلة الأخلاقية ستحطم المدينة الغربية.

لقد خدع الروس بالغرب في وقت يعاني الغرب نفسه من الأزمات، ولهذا لم يكن بإمكان مركز الرأسمالية الغربية أن يحل مشكلة من مشاكل المجتمع السوفيتي الذي تجزأ آخر المطاف وانهار، وعلى المسلمين الحيلولة دون تحقق النظام العالمي الجديد الذي يعني الهيمنة الاستكبارية على العالم.

ومثل تصدير الثورة والإسلام إحدى القضايا الأساسية لثورتنا منذ البداية. فلم تكن ثورتنا لتحصر ضمن إطار حدودها منذ اللحظات الأولى وذلك انطلاقاً من جوهرها المتحرك وعالميتها. وكان سماحة الإمام يرى في قضية تصدير الثورة أمراً لا مناص منه نظراً للأسس الفكرية والأيدولوجية التي تقوم عليها الثورة، وقد تحقق تصدير الثورة الإسلامية إلى العالم دون حاجة إلى الأسلحة العسكرية لإبلاغ رسالتها الإسلامية. ألم يسمع المسلمون اليوم - بدءاً من أفريقيا وانتهاءً بأوروبا وآسيا - رسالة الثورة الإسلامية التي تضمن سعادة وحرية النوع البشري؟ ففي الجزائر قام بقايا المتغربين - ومن خلال مؤامرة خيانية - بالتلاعب بإرادة المسلمين بعدما رأوا توجههم نحو الإسلام، واتخاذهم الثورة الإسلامية في إيران قدوة لهم. ونحن ندافع عن الثوريين الجزائريين بكل إمكاناتنا، ونقول لزعماء الكفر بقوة: إننا ندافع عن الإسلام ولا نعترف بالحدود. فنحن وفي الوقت الذي نحترم القوانين والضوابط الدولية، لا يعني هذا انصرافنا عن دعم مسلمي البلدان الأخرى والتعاطف معهم. إننا نناشد الحكومة الجزائرية أن تلبّي إرادة الشعب المسلم في هذا البلد، وأن لا تحفر قبرها بيدها، وقد أثبت الغرب من خلال رفض نتائج الانتخابات في الجزائر وتأييده للمخالفات القانونية الأخيرة، أنه غير ملتزم بالديمقراطية ورأي الشعب. فإن كان ملتزماً فلماذا لم يعترف بحق الشعب الجزائري المسلم؟

لا تتحقق ديمومة الثورة الإسلامية اليوم إلا في ظل إيمان واتحاد الأمة الإسلامية وحركتها على خطى الإمام وقيادة الثورة الإسلامية، وعلينا أن نعلم بأن نهج القيادة لا يختلف أبداً عن نهج الإمام، وعلى كل فرد مهما كان ثورياً أن لا

تصدر عنه في ظل قيادة آية الله السيد الخامنئي حركة تخون أهداف الشعب، حيث سيهيئ ذلك أرضية السقوط، وكان الإمام يرى نفوذ حكم الولي الفقيه ووجوب أتباعه من قبل الجميع.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني لدى لقائه أعضاء اللجنة المركزية لنقابة العمال والمجلس الإسلامي للعمل وعمال مصانع طهران وكرج «التنمية المنشودة وعوامل تحقيقها»

بتاريخ ١٩٩٢/٤/٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن لخلق الإنسان تجلٍ للفعل المنظم الهادف، أو بعبارة أخرى إنه أفضل مصاديق العمل. وإن اعتقاد سماحة الإمام عليه السلام بأن الحق تعالى مبدأ العمل، هو بالحقيقة قائم على هدفة عالم الوجود وعودته إليه تعالى والإسلام بصفته أكمل الأديان والشرائع، طرح كافة الأبعاد الوجودية للإنسان على هيئة منظومة يؤثر بعضها ببعضها الآخر، وذلك من أجل إسعاد البشرية وتكاملها. ولهذا فهو يرى - خلافاً لسائر المذاهب المادية وغير الإلهية للغرب والشرق - إن فلسفة خلق الإنسان هي من أجل الاتصال بذات الحق تعالى. ويعد السمو والتكامل المعنوي للفرد أو أفراد المجتمع أحد طرق الحصول على القرب الإلهي. وهذا الهدف العظيم لا يتحقق إلا في ظل التعاليم الإسلامية سواء أكان ذلك على صعيد تربية الأفراد النموذجيين أم على صعيد نمو وتكامل المجتمع والنظام الاجتماعي، أي التعاليم التي ابتعد عنها العالم الغربي المضطرب فتعرضت مؤسساته الاجتماعية كالأُسرة وغيرها إلى الخطر. فنمو وتكامل المجتمعات البشرية يعني من وجهة نظر المدرسة الإسلامية، الرقي والتطور المستمر للفرد والمجتمع والنظام الاجتماعي نحو حياة أفضل أكثر إنسانية.

إن السؤال التالي: ما هو عامل تشكيل الحياة السعيدة؟ قديم قدم الفلسفة والنوع البشري، وعندما يطرح من جديد في العالم المعاصر ينبغي أن يجاب عليه انطلاقاً من رؤية جديدة للظروف الراهنة. ولأجل الوقوف على معنى حقيقة «التنمية والتكامل» في إطار الفرد والمجتمع، يجب أن تؤخذ ثلاث قيم رئيسية على الأقل بنظر الاعتبار كأساس على صعيد المحتوى:

الأولى السمو المعنوي وزرع الثقة بالنفس لدى الإنسان، والثانية الحرية، والثالثة الرخاء المقبول. وهذه القيم تشير إلى أهداف مشتركة بإمكان جميع الناس السعي لتحقيقها، لأنها تكشف عن نفسها في كل الثقافات والأزمنة كحاجة فطرية. وبهذه المقدمة نستطيع أن نستنتج أن تكامل ورفي أفراد المجتمع سيكون ضمناً لنمو وتكامل المجتمع والنظام الاجتماعي. والمجتمع المتكامل سيكون راعياً للسجاي الإنسانية القيمة في شتى الحقول. والمجتمع المتكامل سيكون راعياً للسجاي الإنسانية القيمة في شتى الحقول. وربما يتصور البعض عن خطأ أن التكامل المادي بإمكانه أن يوفر التكامل في كل الجوانب الأخرى للفرد والمجتمع بما فيه الجانب الروحي، غير أن هذا التصور قد ثبت بطلانه من خلال الأوضاع التي عليها العالم المادي الغربي، مع ما قطعه من أشواط طويلة على صعيد التكامل المادي. فالتكامل المادي يفتقد إلى الأصالة، ومن الممكن أن يتقهقر في كل لحظة ما لم يكن مقروناً بالتكامل الروحي.

فالتطاقات الكامنة في بلد ما على صعيد التنمية الاقتصادية تتبع إلى حد كبير الثروات المادية (الأرض والمعادن وسائر المواد الخام) والقوة البشرية (عدد الأفراد ومستوى كفاءتهم).

وتعد ماهية القوة البشرية لبلد ما، عاملاً حاسماً في البناء الاقتصادي لذلك البلد وإلى جانب هذه القوة تعتمد قدرة أي بلد على رسم مصيره الاقتصادي والاجتماعي إلى حد كبير على استقلال ذلك البلد. وإن ما يحدد في نهاية المطاف خصوصية وحركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لبلد ما هو طاقاته

البشرية، فهي أساس ثروات الشعوب، حيث إن رؤوس الأموال والثروات الطبيعية تعد عوامل تابعة للإنتاج، في حين إن رؤوس الأموال واستثمار الثروات الطبيعية، وبناء المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ودفع عجلة التنمية الوطنية إلى الأمام، ومن الواضح أن البلد الذي يعجز عن تطوير كفاءة شعبه وعلومه، واستثمارها في اقتصاده بأحسن صورة لن يستطيع أن يطور أي شيء آخر، ولهذا فإن الإسلام يأمر بطلب العلم من المهد إلى اللحد.

فعلى مدى ثلاثة عشر عاماً من انتصار الثورة الإسلامية ونظراً لاستقلال المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن هيمنة العالم الاستكباري، توفرت أرضية جيدة لتحقيق تنمية وطنية بحاجة إلى سرعة اكبر، إلا أنه يجب علينا بالدرجة الأولى أن نعتمد على قدرات عمالنا الماهرة وخبرائنا وأخصائينا كي نجعل برامج حملة الإعمار ومشاريع لتنمية منسجمة مع حاجتنا، وعلينا أن نسعى لدعم الحكومة في تحقيق أهدافها ببذل المزيد من الجهد لتدوير العجلة الاقتصادية للبلاد.

إن وسائل وأساليب العدو لمواجهة الثورة الإسلامية تتغير بتغير الظروف، فقد يلجأ إلى الحرب واستخدامهم القوة تارة، وإلى المقاطعة الاقتصادية أحياناً وإلى المناورات والإشاعات وترويج الثقافة الغربية في أحيان أخرى.

لقد قال الإمام مراراً أنه ليس بإمكان أميركا ولا العالم الاستكباري أن يقضي على ثورتنا بالتهديد أو بالغزو العسكري، وهذا ما برهنت عليه الحرب التي فرضها العراق على الثورة الإسلامية. كما أن المقاطعة الاقتصادية لم تحقق هي الأخرى هدفها. إلا أن الاختلافات الداخلية تعد خطراً ماثلاً ومصيرياً لا سيما مع انتشار الثقافة الغربية ونفوذ أساليبها الماكرة. وتعد الشائعات أحد الأساليب المؤثرة التي تمارسها ثقافة الغرب الاستعمارية. فالاختلاف رحمة مادام في إطار الاستحسان

والاجتهادات وتضارب الأفكار والآراء حيث ورد «أن اختلاف أمتي رحمة»^١ أما إذا أصبح الاختلاف عميقاً، فعند ذلك سيكون اختلافاً بين الحق والباطل، ويجب في هذه الحالة إجراء عملية جراحية «أشداء على الكفار»^٢.

فالاختلافات الداخلية التي تتجاوز حدود الاجتهادات المقبولة ناجمة في الغالب عن حب الذات. فلو طهر الإنسان نفسه وتحرك ضمن الإطار الشرعي وتحلى بالأخلاق الإسلامية فلن يظهر ثمة اختلاف، لاتباع الجميع طريق الحق متوكلين على الله تعالى. أما إذا تدخل حب الذات، فسيرى الفرد كل شيء منه وله، وستعبر حينئذ وساوس الشر، والحسد، والتنافس المذموم عن نفسها بأقبح صورة، مما قد يدفع بالإنسان إلى استخدام الوسائل غير المشروعة لتحقيق أهدافه، وقد قلت مراراً أن أبناء الثورة هم الوجوه المعروفة في كلا التيارين السياسيين، الذين كانوا منذ بداية الثورة يسировون على خطى أفكار سماحة الإمام ويلبغون للإسلام ويتألمون من أجله، كما أنهم ثاروا ضد نظام الشاه وبطانته ووقفوا إلى جانب الإمام في مختلف ميادين الثورة.

وتشاهد اليوم تحركات مريبة لمجموعة انتهازية تتبع الآخرة بالدنيا، تسعى لاغتيال شخصية أبناء الإمام والثورة من خلال بث سموم التشاؤم وخلق أجواء عدم التفاهم بين أتباع هذين الجناحين، وعلينا أن لا نحصر هذين الجناحين على مستوى طهران فقط، فهما موجودان في كل إيران ولا يمكن انكارهما، إذ نجدهما في كل زوايا المجتمع والنظام، ولكن قد يُظهر الجو المهيمن البعض أقوى من غيرهم. ومع هذا علينا أن لا نتصور أن هناك اختلافات مبدئية بين التيارين. لا، ليس الأمر كذلك. فأنا ومن خلال وجودي في (مجتمع تشخيص مصلحة النظام) أو (المجلس الأعلى للأمن القومي)، ألمس عن كثب تقارب آراء الجانبيين لدرجة الاتفاق، غالباً.

^١ بحار الأنوار - ج ١، ص ٢٢٧، الحديث ١٩، كنز العمال - ج ١٠، الحديث ٢٨٦٨٦.

^٢ سورة الفتح، الآية: ٢٩.

إلا أن المتصيديين بالماء العكر حسب تعبير سماحة الإمام عليه السلام الذين هم إما عملاء لأميركا وإسرائيل، أو يغذون من قبل أجهزة الجاسوسية الغربية لا سيما بريطانيا؛ يفعلون فعلتهم ويؤدون دورهم الخبيث في تضخيم الأمور وإظهارها على إنها صراعات حقيقية.

إن أصدقاء الثورة والإمام والقيادة على علم بأنني أتحاشى دائماً الصراعات السياسية، وإذا ما طرحت قضية ما، فإننا أطرحها تذكيراً بتوجيهات سماحة الإمام عليه السلام، التي إذا عملنا بها فإننا لن نخدع أبداً. ومن الأساليب المؤثرة لوكالة المخابرات المركزية والموساد وسائر الدوائر التجسسية الغربية، أن ينظر أبناء الثورة بازدراء إلى بعضهم البعض، فتحدث ردة فعل قوية، ويعتمد الأمر على تقوى الأفراد. وبغياها سيتجاوز الفرد القضايا السياسية وقد يلجأ حتى إلى السب والاتهام والكذب والافتراء والنيل من الآخرين وأسرهم. فالشائعات التي تقول بخروج النظام عن نهج الإمام، واقترابه من الغرب، وخروج أبناء الثورة والإمام عن خط الولاية، إنما هي من صنع وكالات التجسس الغربية.

ولاشك أن هذين الجناحين السياسيين بعيدين عن مثل هذه الأعمال، ولا تخطر في ذهن أبناء الإمام الثوريين مثل هذه المسائل المرفوضة دينياً وأخلاقياً والتي تطرح عادة في أوساط المجتمع بعد كل حدث سياسي وغير سياسي ذي صلة بالنظام والثورة. كونوا على ثقة أن مثل هذه المسائل إنما ترسم من قبل عملاء الدوائر التجسسية والدعائية الغربية. فلصالح من تطلق شائعات خروج النظام عن نهج الإمام، واقترابه من الغرب من جهة، وشائعات خروج أبناء الثورة والإمام عن خط الولاية من جهة أخرى؟ قد تؤدي بعض المواقف إلى تقوية بعض الشائعات التي تروجها دوائر التجسس الغربية لصيها في اتجاه هذين التفسيرين، لكن إذا قام أفراد من جناح وتيار بمثل ذلك فسينطبق عليهم الحكم

العام المنطبق على الأجهزة التجسسية الغربية والمتمثل بإيصال أبناء الثورة إلى حالة التشاؤم وابتعاد بعضهم عن بعض.

فاليوم وبوجود القائد الذي تعتم كل وسائل الإعلام الغربية وبشكل منسجم ومدرّس، على مواقفه المناهضة للاستكبار، يجب على أبناء الثورة والإمام جميعاً أن يفكروا جدياً بهذه المؤامرة ليطلع مسلمو العالم على الوجه الثوري للنظام.

إن من يفكر بالانخراط عن نهج الإمام والإسلام ويريد منا التخلي عنه، فهو الشاه نفسه... ولماذا إذن كل هؤلاء الشهداء والمعاقين وكل هذه المعاناة؟ فعلياً إذن أن ننتبه إلى عمل المخابرات المركزية الأميركية والموساد وسائر الجواسيس هو بث الشائعات من جهة، والتزام الصمت من جهة أخرى. ونحن نعاني في هذا اليوم من الأمرين معاً. فالعالم قد غطى على قائدنا العزيز - باعتباره العدو الأول للغرب - في ميدان الإعلام العالمي، ولاشك أن هذا مدعاة للسرور حيث يعكس مدى تأثير كلام القائد في العالم.

إن الصمت القاتل للاستكبار إزاء المواقف القرآنية للقائد يجب أن تعرفنا شدة الخوف الذي يعصف بالعالم الاستكباري من المواقف السياسية لقائدنا. ومن جانب آخر فإن المواقف اللامدرّسة وأحياناً المرنة من قبل بعض المسؤولين من الدرجة الثانية والثالثة، ينعكس في وسائل الإعلام الاستكبارية بصورة يظهر فيها وكأنهم زعماء الثورة بلا منازع، ويعظمون وكأن كلامهم كلام إمام الزمان وإلى جانب ذلك الصمت وهذا التعظيم تهرع الأبواق الإعلامية وأيديها في الداخل لبث الشائعات المغرضة.

وما زلنا نتذكر كيف أن إمامنا العزيز أطلق على المرحوم الدكتور بهشتي لقب «الشهيد المظلوم» وقال إن مظلوميته قد آلمتني أكثر من شهادته، لماذا؟! لأن أعداء الله ورجال الدين كانوا يتهمونهم بامتلاك أفضل البساتين والقصور في كل مكان من إيران، وله العديد من النساء ويودع أموال الفقراء في المصارف الخارجية باسمه، وآلاف الافتراءات الأخرى التي أثرت ولاشك على بعض

الناس، واختلقوا الشائعات أيضاً حول باقي شخصيات الثورة. ونلاحظ اليوم - للأسف - انتشار مثل هذه الشائعات، وقد تجاوزت الأشخاص هذه المرة لتتال من زوجاتهم وذويهم. فمثل هذه الشائعات الهدامة لا يمكن أن تقوم بها فئة ثورية ومسلمة أبداً، بل هي حركات تصدر عن أعداء الإسلام، أي أميركا وإسرائيل.

فلا فرق - فيما أرى - بين أن يذهب زيد إلى المجلس او عمرو، وقد توصل أعداء الثورة إلى أن هذا زمن اغتيال الشخصيات الثورية والمسلمة، وأرى واجباً عليّ أن أدافع اليوم عن أخي الثائر ونصير الإمام السيد الكروبي الذي وقف على مدى سني الكفاح إلى جانب الإمام، وقائد الثورة، ورئيس الجمهورية وسائر مسؤولي الثورة وقد لحق به ظلم كثير في الأحداث الأخيرة.

لقد كان السيد كروبي من الأبناء الثوريين لسماحة الإمام وقد عانى أعواماً في السجن والتعذيب، وكان موضع ثقة الإمام والقائد وما زال، ومثلهما في مسؤولية مؤسسة شهيد الثورة الإسلامية¹. ومسؤولية الشؤون الثقافية لأبناء الشهداء، وعينه الإمام أميراً للحجاج الإيرانيين، فضلاً عن المسؤوليات الأخرى، لكنه وللأسف تعرض لأشد الإهانات والافتراءات التي اختلقها أعداء الثورة وهي شائعات كاذبة لا أساس لها من الصحة. على أبناء الإمام الثوريين من كلا التيارين أن يلزموا أنفسهم بعد السماح لمثل هذا الظلم أن يطال أحد البناء المضحين للإمام والثورة. وإني عندما أتحدث مع أي من الأصدقاء من الجناحين يقولون إن السيد كروبي واحد منا ونحن نكن له كل الود. إذاً فهل هناك أحد غير جواسيس وكالة

¹ في ١٩٨٠/٣/١٥م وبمرسوم من سماحة الإمام عليه السلام، تم تشكيل مؤسسة باسم «مؤسسة شهيد الثورة الإسلامية» للإشراف على أسر الشهداء والمعاقين، والاهتمام بشؤونهم، وفي المرسوم ذي النقاط العشر الذي نص على تشكيل هذه المؤسسة والذي خاطب فيه سماحة الإمام عليه السلام حجة الإسلام الكروبي، أكد الإمام على إعطاء الأولوية للشؤون الثقافية والاقتصادية والوظيفية والعلاجية وغيرها من شؤون عوائل الشهداء والمعاقين المحترمة، وتقوم هذه المؤسسة في الوقت الراهن ومن خلال شعبها الواسعة والمنسجمة في سائر أرجاء البلاد، بتقديم كافة التسهيلات من أجل توفير الراحة لهذه العوائل، فضلاً عن تعليم وتربية أبنائها.

المخابرات المركزية والموساد يث الشائعات؟ من هم الذي يلتقطون الصور لنساء وأبناء الآخرين؟ وهل يمكن للمسلم أن يرتكب هذا الذنب الفاحش؟! فهذه الأساليب التي تنتهك الحرمات لا يقوم بها سوى أعداء الإسلام لا غيرهم، وعلى الجميع أن يضعوا يداً بيد ويدينوها، وإن كانت مدانة وهذا لا يعني قبولي بكافة مواقف صديقي العزيز السيد كروبي، أبداً فقط أعارض بعضها، إلا أن المؤامرة أوسع من ذلك. فعلى أحياء وأبناء الإمام أن يلتزموا الحيطة والحذر، فهل يمكن لأميركا ودوائر الغرب التجسسية أن تتركنا ما لم تقض على أنصار الإمام واحداً واحداً وتدع القائد بلا ناصر ولا محام قبل أن توجه ضربتها الأخيرة. فأمركا متعطشة لدم الإسلام وشعبنا، والغرب لن يقدم لنا أي امتياز ما لم نذبح على مرأى منه إسلام رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

على الجميع أن يعلم بأن الأعداء لن يرضوا بشيء غير القضاء على الإسلام، وإنهم لن يخطو خطوة واحدة لصالحنا ما لم نتخل عن كل أهدافنا الإسلامية. وقد قال الإمام بصريح العبارة: «لو أشاد الغرب بنا في يوم من الأيام، فهو اليوم الذي ينبغي أن نشكك بأنفسنا، ونسال الله أن لا يحل مثل ذلك اليوم. علينا أن نعتمد على شعبنا وعلى خبرائنا وعلى ثقافتنا وأن لا ينطلي علينا خداع الغرب الذي يتقدم خطوة خطوة؛ لكننا لو عملنا بوصية الإمام المتمثلة في التزامنا بولاية الفقيه، فكونوا على ثقة أنه ليس بإمكان أي قوة أن تهزمننا، وبالعكس ذلك من الممكن أن تحقق حركة الغرب الزاحفة أهدافها في يوم ما.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني في مراسم يوم الله ١٢ بهمن (١ شباط) وبدأ مراسم الاحتفال بالذكرى السنوية الخامسة عشر لعشرة فجر الثورة الإسلامية المباركة التي أقيمت في الحرم الطاهر للإمام الخميني قده وحضرها حشد عظيم من أمة حزب الله، وعوائل شهداء الثورة الإسلامية، ورجال الدولة من مدنيين وعسكريين
«نظرة على خصائص نهج الإمام»

بتاريخ ١٩٩٢/٢/١

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل خمسة عشر عاماً عاد الإمام إلى الوطن بعد تحمل سنوات البعد واستشهاد ولده وأحبائه، واستمرار الكفاح الذي لا هوادة فيه ضد أحابيل الأعداء في الداخل والخارج، بعد أن اجتاز شعبه الذي لا يلين كل المراتب والصعوبات تحت قيادته من أجل إقامة الحكم الإسلامي.

ولم يستمر الوقت طويلاً حتى أثمر ذلك الجهاد الداعي على الحق الذي خاضه شعبنا، وانهار النظام الملكي الجائر، واستطاع هذا الشعب الأعزل أن يحطم أقوى القواعد الأميركية ويقيم النظام الإسلامي، ولم تمر سوى أيام على انتصار الثورة حتى تصور البعض أن الإمام أدى مهمته، وعلينا - من أجل بناء البلاد وتحريك العجلة الاقتصادية - أن نلتزم النهج نفسه الذي تسير عليه البلدان الأخرى. وكان السياسيون الغربيون وعملاؤهم في الداخل يعتقدون أن الضغوط الاقتصادية والصعوبات التي ترافق كل ثورة سوف لا تسمح للإمام ومسؤولي النظام الإسلامي الجديد بمتابعة الأهداف التي رسمها قائد الثورة طوال فترة جهاده، وهذا ما سيؤدي إلى تفريغ القوة الثورية والجهادية للإمام وأنصاره، وكانوا يتمسكون بدليلين لإثبات مدعاهم: الأول ضرورة التوجه لإدارة النظام الإسلامي ومجابهة مشاكل البلاد. والثاني: تعب قائد الثورة بعد أربعة عشر عاماً من الجهاد والنفي.

وكانت هناك فئة تعتقد أن هدف الثورة على الوصول على السلطة، والآن وقد

تحقق هذا الهدف فما الغاية من استمرار الجهاد؟

وفي ظل تلك التحليلات كانت الفئة التي تعرف الإمام، تدرك جيداً ما هو الهدف النهائي له، وتعلم أن حركته ليس مرحلية بل إنه عاقد العزم على الاستمرار في الجهاد حتى إقامة نظام إسلامي عالمي، وإن إقامة حكم إسلامي

في إيران لم يكن بالنسبة إليه سوى الخطوة الأولى على هذا الطريق، ولهذا يجب توفير الأرضية اللازمة لطرح القضايا الأساسية للعالم الإسلامي على مختلف الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية. ومن أجل نشر الثقافة الإسلامية وتأثيرها على المجتمعات البشرية لا سيما المسلمون القابعون تحت ظلم الثقافات الغربية، كان سماحته يحث المسلمين للعثور على هويتهم الإسلامية أولاً كي يتحرروا من قيود الغربة عن الذات والاستغلال والاستعمار.

كان الإمام يقول: «نحن لا نساوم أياً من القوى العظمى والصغرى، نحن نريد أن تكون لنا حياة بسيطة ولكن حرة ومستقلة. فنحن نرفض التقدم والتمدن الذي يدعوننا لمد أيدينا إلى الأجانب. فالقوى العظمى تريد أن تستولي على إنسانية الإنسان، وأنتم ونحن وكل مسلم مكلفون بالتصدي لهم وعدم مساومتهم». كما يقول سماحته حول العودة إلى الهوية الإنسانية والإسلامية الأصيلة: «إن أشد الضربات التي تلقيناها من القوى الكبرى هي تلك التي وجهت إلى هويتنا. فهم (الاستكبار العالمي) سعوا لانتزاع هويتنا، وإبدالها بهوية مرتبطة بأوروبا أو بالشرق والغرب».

«على جميع مسؤولي النظام والشعب الإيراني أن يعلموا أن الغرب والشرق لن يهدأ لهما بال ما لم ينتزعكم - بتصورهما الواهي - من هويتكم الإسلامية. لا تفرحوا بإقامة علاقة مع المعتدي، ولا تحزنوا لقطع علاقتكم معه، وانظروا إلى الأعداء دائماً ببصيرة ووعي، ولا تدعوهم يهدأون، فإنهم لن يدعوكم تذوقوا الهدوء لحظة واحدة».

ومن الخطط التي كان لها للأسف تأثيراً كبيراً على مختلف البلدان ومنها بلدنا العزيز، والتي مازال آثارها على مستوى واسع، هي أنهم جعلوا البلدان التي استعمروها غريبة عن نفسها وصيروها متغربة أو متشرقة بحيث سلبوها ثقافتها وقوتها دون مقابل، حتى أخذت تتصور أن الغرب والشرق - القطبين القويين - هما الجنس الأفضل وإن ثقافتها هي الأسمى، وأنهما قبله العالم. عليكم بالحيلة

والحذر من أن يجركم السياسيون المرتبطون بالغرب والشرق من خلال وسائهم الشيطانية إلى أحضان القراصنة الدوليين وهبوا لقطع التبعية بهممكم وبارادتكُم، واعلموا أن العنصر الآري والعربي لا يقل عن العنصر الأوروبي والأميركي والروسي، وإذا ما وجد هويته وأزاح عنه اليأس ولم تتطلع عينه إلى غيره، فستكون لديه في المستقبل القدرة على أداء كل عمل وبناء كل شيء».

ويقول الإمام على صعيد محاولة القوى الكبرى مسح هوية الشعوب: «نعم لو تخلّى الشعب الإيراني عن المبادئ والقيم الإسلامية والثورية، وخرّب بيديه بيت عزة وكرامة الرسول ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، فمن الممكن أن يعترف به الطواغيت حينئذ كشعب ضعيف وفقير وعديم الثقافة، وضمن الحد الذي يكونون فيه هم السادة ونحن العبيد، وهم القوى العظمى ونحن الضعفاء، وهم الولي والقيم ونحن الذين نأكل من أيديهم ونحفظ مصالحهم، ولا يكون ثمة وجود لإيران بهوية إيرانية إسلامية، بل إيران التي تصدر هويتها أميركا والاتحاد السوفيتي، إيران التي تجر خلفها عربة السياسة الأميركية أو الروسية». وهذه النقطة التي أكد عليها الإمام هي في الواقع من أهم وأقوى أبعاد الغزو الثقافي الاستكباري التي أولاهما قائد الثورة سماحة آية الله الخامنئي اهتماماً كبيراً. وكان الإمام على اعتقاد دائم أن العصر الراهن هو عصر طرح الأفكار والأهداف الإسلامية في مواجهة الكفر والشرك والنفاق، وأن الانحصر في إيران خيانة للأهداف الإسلامية، ولهذا السبب نجده يقول: «العالم اليوم متعطش للثقافة الإسلامية المحمدية الأصيلة، وإن المسلمين ومن خلال تنظيمات إسلامية كبرى سيطفئون وميض وبهجة القصرين الأبيض والأحمر».

فسماحة الإمام كان قد رسم بوضوح إستراتيجية الحكم الإسلامي في مواجهة الكفر العالمي، حين قال: «الجهاد مستمر مادام هناك شرك وكفر، ونحن حاضرون في الساحة مادام هناك جهاد، فنحن لا ننازع أحداً من أجل مدينة أو بلد . . لقد

عقدنا العزم على رفع لواء لا إله إلا الله محمد رسول الله على ذرى الكرامة الرفيعة والشموخ».

إن أفكار مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية على صعيد أحداث تحول في الهيكلية السياسية المهيمنة على العالم وتقديم هيكلية جديدة في ضوء الإيديولوجية الإسلامية، تحظى بالأهمية: «علينا أن نسعى لتحقيق الفقه الإسلامي العملي دون الاهتمام بالغرب المخادع والشرق المعتدي وبعيداً عن الدبلوماسية السائدة في العالم».

وكان هناك من يتمم بعد الحرب أن دبلوماسيتنا تختلف عما هو سائد في العالم، وعلينا ونحن نعيش في أسرة كبيرة أن نراعي أفكار الآخرين، في حين أن الإمام كان يرى أن مراعاة هذه الدبلوماسية سيؤدي إلى فقدان شخصيتنا: «إن أولئك الذين كانوا يعتقدون أن علينا أن نعيد النظر في سياستنا وأصولنا ودبلوماسيتنا، وأننا تعاملنا بسذاجة، وعلينا أن لا نكرر أخطاء الماضي، وأن الشعارات الحادة والحرب أدت إلى أن يظن الغرب والشرق بنا سوءاً وإلى عزلتنا في آخر الأمر، وإننا لو تعاملنا معهم بواقعية فسيعاملون معنا تعامللاً إنسانياً ولبادلوا شعبنا والإسلام والمسلمين الاحترام؛ فكان لهم نموذج أراد الله له أن يقع في هذا الزمن. فبعد صدور كتاب الآيات الشيطانية الممتلئ بالكفر، وأزاح عالم الفرعونية والاستكبار والبربرية، اللثام عن وجهه الحقيقي وعدائه القديم للإسلام؛ لنصحو من الغفلة ولا نلقي كل شيء على عاتق الخطأ وسوء الإدارة وقلة التجربة، وأن ندرك أن القضية ليس خطأنا، بل إصرار الطغاة على تدمير الإسلام والمسلمين، فقضية سلمان رشدي ليست مهمة لديهم على هذا الحد كي يقف خلفه الصهاينة والاستكبار. فعلى العلماء وأبناء حزب الله الأعزاء وعوائل الشهداء المحترمين أن يكونوا على حيطة وحذر لئلا تذهب دماء أعزائهم هدراً بمثل هذه التحليلات والأفكار الخاطئة. إنني أخشى أن يجلس محللو اليوم على دكة القضاء بعد عشرة سنوات ليقولوا هل أن الفتوى بإعدام سلمان رشدي تتلاءم مع الأعراف والقوانين

الدبلوماسية أم لا، ثم يصلوا إلى نتيجة، أنه لما كانت هناك آثار وتبعات مترتبة على بيان حكم الله، وأن السوق المشتركة والبلدان الغربية قد اتخذت موقفاً معادياً لنا، فعلينا إذن أن لا نكون سذجاً فنصفح عمن يهين المقام المقدس للرسول والإسلام والعقيدة».

ولأجل تحطيم الهيكلية أصدر الإمام أمراً بقطع العلاقة مع مصر قبل أن تتحرك الحكومة المؤقتة، وأصدر حكمه بإعدام المرتد سلمان رشدي دون أن يشاور أحداً، وأمر وزير الخارجية باستدعاء كافة سفراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية في البلدان الأعضاء في السوق الأوروبية المشتركة دون الالتفات إلى القضايا السياسية والعلاقات الدبلوماسية، وأصدر على الفور الأمر بضرب كل دور النشر وناشري كتاب الآيات الشيطانية المشين في كافة أرجاء العالم. فكان العالم الاستكباري يتابع دائماً مواقف الإمام عليه السلام، وكان الإمام يمعن في إذلاله، وقد دفعت مواقفه الراسخة التي لا تقبل المساومة في قضية سلمان رشدي، الرئيس الأمريكي (بوش) إلى تهنئة المسلمين الأميركيين لأول مرة بمناسبة عيد الفطر، وذكرت (تاتشر) المسلمين الانجليز بخير، وتظاهرت بالتعاطف معهم، وبعث السياسيون الغربيون وبكل خنوع سفرائهم على طهران واحداً بعد آخر وهم يقدمون الاعتذار، واضطر زعماء الدول الإسلامية إلى إدانة رشدي، وأصبح حكم ارتداده ثابتاً لدى الرأي العام.

وكان الإمام شديداً في الله لا يحابي أحداً، يقول عن سياسته: «لقد أعلننا مراراً وتكراراً هذه الحقيقة في سياستنا الخارجية أننا وما زلنا نبغي توسيع نفوذ سياستنا هذه بالتوسعية وبالتطلع لإقامة إمبراطورية كبرى، فإنهم لن يرهبونا، فلقد عقدنا العزم على قطع دابر الصهاينة الفاسدة والرأسمالية والشيوعية في العالم. وصممنا - بلطف وعناية الحق تعالى - على إبادة الأنظمة المرتبطة بهذا الثالث، ونشر نظام إسلام رسول الله صلى الله عليه وآله في العالم، وستشهد الشعوب الأسيرة ذلك عاجلاً أم آجلاً،

ونحن سنتصدى بكل قوانا للتوسع الإرهابي وحصانة المسؤولين الأميركيين حتى إذا كان ذلك من خلال الجهاد القاهر. ولن نسمح إن شاء الله أن ينطلق من الكعبة والحج - هذا المنبر العظيم الذي يجب أن ينقل صوت المظلومين إلى سائر بقاع العالم من فوق سماء الإنسانية ويهدر منه صوت التوحيد - لن نسمح أن ينطلق منه صوت التصالح مع أميركا والاتحاد السوفيتي والكفر والشرك، ونسأل الله تعالى أن يمنحنا القوة لكي ندق ليس من كعبة المسلمين فحسب بل ومن كنائس العالم أيضاً ناقوس موت أميركا والاتحاد السوفيتي.

وبين الإمام قده دور العلماء والمجتهدين في تلبية الحاجة المتغيرة للمجتمع بالشكل التالي: «علينا أن نسعى لتحقيق الفقه العملي للإسلام دون الالتفات على الغرب والشرق المعتدي وبعيداً عن الدبلوماسية المهيمنة على العالم، وإلا فما دام الفقه محبوساً في الكتب وصدور العلماء، فليس هناك من خطر على طواغيت العالم. وما لم يكن لعلماء الدين حضور فاعل في كل القضايا والمشاكل، فلن يدركوا أن الاجتهاد المصطلح لا يكفي لإدارة المجتمع. وعلى الحوزات والعلماء تحسس أفكار المجتمع وحاجاته المستقبلية، وسبق الأحداث بخطوات استعداداً للقيام بردود الفعل المناسبة. فلا بد أن تتغير أساليب إدارة شؤون الناس في الأعوام المقبلة، وتحتاج المجتمعات البشرية إلى المسائل الإسلامية الجديدة لحل مشاكلها، لهذا على علماء الإسلام العظام أن يفكروا في هذا الأمر منذ الآن».

وقد طلب سماحة الإمام بإصرار من جميع العلماء بحث قضايا ومشاكل العالم الإسلامي فقال: «لقد قلت من قبل أيضاً أن مؤامرات طواغيت العالم ضدنا - بدءاً بالحرب المفروضة وانتهاء بالمقاطعة الاقتصادية وغيرها - إنما أريد منها أن لا نقول بأن الإسلام يلبي حاجات المجتمع، وأن، نستأذن منهم في قضايانا وأعمالنا. علينا أن لا نغفل عن وجوب التحرك بالاتجاه الذي تنقطع فيه عروق تبعية بلدنا لمثل هذا العالم المتوحش إن شاء الله».

ويطلب الإمام من الشعب أن يشحذ الهمم من أجل تطبيق أحكام الله، وضرب الأعراف السياسية المنحطة المتهرئة السائدة في العالم عرض الحائط، فيقول:

«على أميركا المجرمة أن تعلم أن الشعب العزيز والخميني لن يدعها هادئة البال حتى القضاء الكامل على جميع مصالحها، وسيستمران في جهادهما المشروع حتى قطع يدها، وأن شعبنا - وكما برهن على ذلك - سيتحمل أنواع الحرمان من أجل حفظ شرفه وكرامته. فشعبنا الصامد كان على علم منذ بداية جهاده أنه في حالة مواجهة مع القوى الصغرى والعظمى، وعليه أن يعلم أن كل الأيدي الداخلية والخارجية لهذه القوى لا سيما أميركا المجرمة ستستخدم كل ما لديها من إمكانيات لإلحاق الهزيمة؛ لكن ما الحل؟ فجيل المصائب يغدو كالتبن في مقابل كرامتنا الإسلامية الإيرانية، وعلى شعبنا أن يعد نفسه لهذه المواجهة الحسينية حتى النصر النهائي، فالموت الأحمر أفضل بكثير من الحياة السوداء، ونحن اليوم بانتظار الشهادة، ليقف أبناؤنا مرفوعي الرأس بوجه الكفر العالمي، ويتحملوا أعباء مسؤولية الاستقلال الحقيقي بكل أبعاده، ويطلقوا بكل فخر واعتزاز هتاف تحرير المستضعفين في العالم».

ونجد اليوم هذه المواقف نفسها لدى قائد الثورة، فهو يتابع نهج الإمام ودربه بأفضل ما يمكن. فعلى صعيد اهتزاز الشخصية أمام الغرب طرح موضوع الغزو الثقافي الغربي ووضع الخطوط العريضة للثورة الإسلامية مع تقديم أساليب مواجهة ذلك الغزو، وعلى صعيد تطبيق الأحكام الشرعية عين فريقاً للوقوف عليها بصورة صحيحة وتطبيقها على القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وعلى صعيد الغزو الدبلوماسي، اتخذ سماحته ما يلزم، إما عن طريق وزارة الخارجية أو بصورة مباشرة. وعلمنا أن نسعى للعمل بأوامره وما يطلب منا. كما أن السيد رئيس الجمهورية قد برهن للعالم أنه لن يتنازع قيد شعرة عن المبادئ من خلال طرحه لمسألة الخطر الأميركي في مؤتمر قمة البلدان الإسلامية

وفي اجتماع دول عدم الانحياز. وعلينا أن ندعو الله لتوفيق الشيخ هاشمي في حل المعضلات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد وتنمية البلاد بالصورة المطلوبة. كما علينا أن نسعى لترسيخ دعائم النظام عبر دعم المجلس والسلطة القضائية. فأمرنا لم تقلص اليوم من إرهابها وضغوطها الموجهة ضد النظام الإسلامي ونهج الإمام وقائد الثورة، وهي اليوم - باعتبارها القوة المهيمنة على العالم - ترتكب أشد الظلم بحق الشعوب الإسلامية، وترحف نحو أي منطقة من العالم كلما اقتضت مصالحها ذلك، كما تقف بوجه أي خطوة تتخذها للمنظمات والمحافل الدولية في المناطق التي يزدهق فيها الظلمة أرواح الأبرياء عندما يكون ذلك الأمر يصب في مصالحها، وما استمرار جرائم الصرب بحق المسلمين في البوسنة والهرسك، والممارسات اللا إنسانية للكيان الصهيوني ضد المسلمين الفلسطينيين الثوريين، إلا نموذج على الك. فنحن مكلفون جميعاً بالاتحاد والتلاحم والوقوف بوجه دسائسهم والدفاع عن الإسلام العزيز والثورة الإسلامية العالمية. ولو ألقينا نظرة على انجازات الثورة الإسلامية العالمية، نجد استمرار نشاط الشعب الإيراني في الميادين العالمية، وليس بإمكان الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية أن تمنعنا عن السير على طريق أهدافنا.

إننا ننصح حكام الدول العربية والمنظمات الفلسطينية بأن الطريق الوحيد لتحقيق الأهداف الفلسطينية هو التعامل من موضع القوة ومنطق السلاح مادام الصهاينة وإلى جانبهم الاستكبار، يتعاملون به، وأضحت قضية حقوق الإنسان ذريعة لفرض السياسة الاستكبارية، ونحن نحترم حقوق الإنسان ضمن إطار القوانين الإسلامية السامية، ولم نلتزم أبداً بحقوق الإنسان التي تريدها أميركا والقوى الأخرى، كذرائع لقمع الحركات التحررية، ولا يسعنا الاهتمام بالحقوق الإسلامية بما يتناسب مع معياره